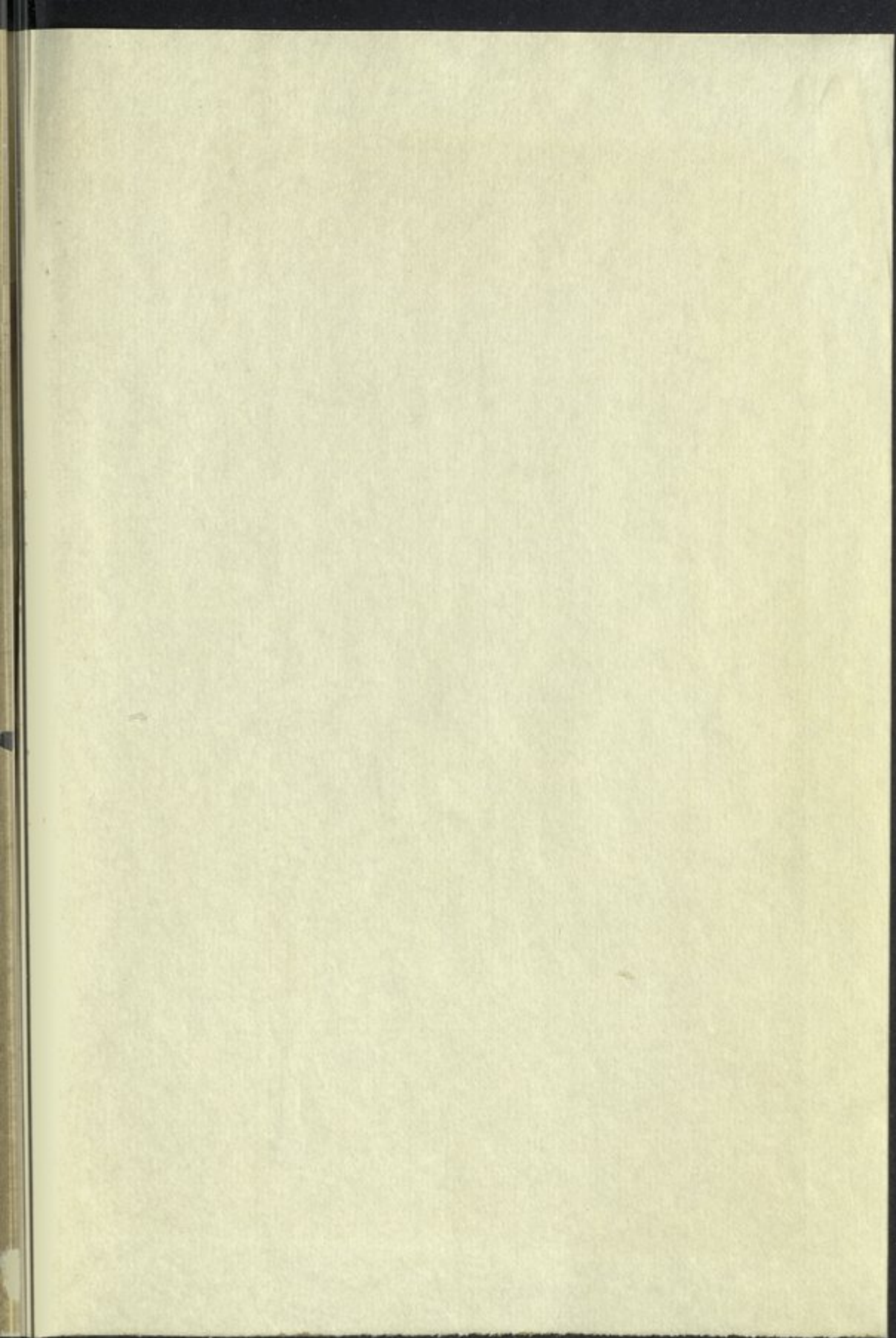


A. U. B. LIBRAE

AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT



A. U. B. LIBRARY



# تَطَوُّرُ الْأَسْبَابِ النَّثَرِيَّةِ

فِي

## الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

وَهُوَ يَتَنَاوَلُ النَّثَرَ الْعَرَبِيَّ وَخَصَائِصَهُ الْفَنِّيَّةَ مُنْذُ بَرُوعِ الْإِسْلَامِ  
إِلَى النَّهْضَةِ الْأَخِيرَةِ وَيَتَخَلَّلُهُ دِرَاسَاتٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِنُجَبَةِ مَنْ أَمْرَأَ  
الْأَقْلَامِ وَعَرَضٌ كَثِيرٌ مِنْ نُصُوصِهِمُ الْإِنْشَائِيَّةِ

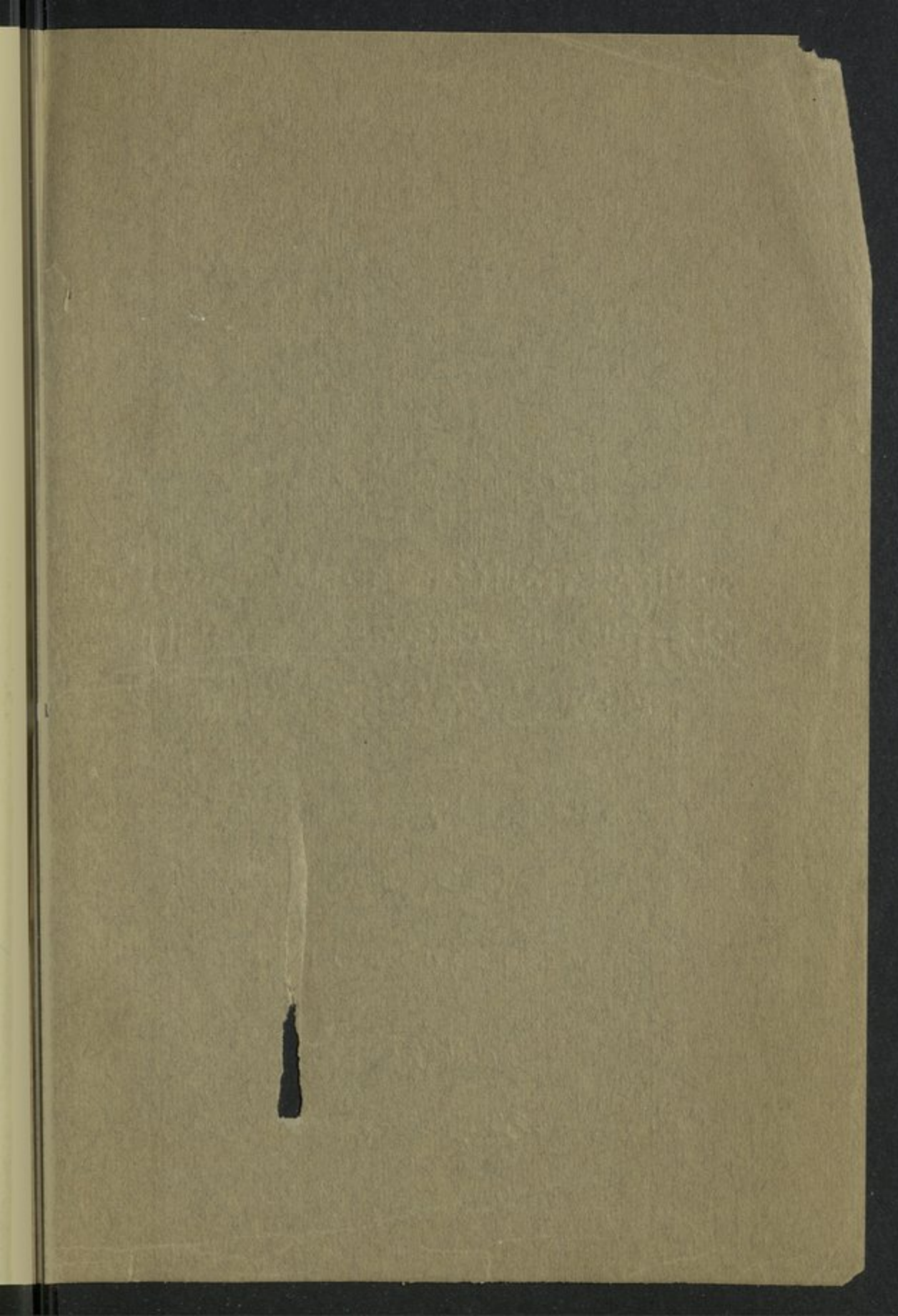
لِلْمُؤَلِّفِ

أَبِي إِسْحَاقَ الْمَقْدِسِيَّ

أَساتذ الأَدبِ الْعَرَبِيِّ فِي جَامِعَةِ بَيْرُوتِ الْأَمِيرِكَةِ

الْجِزءُ الْأَوَّلُ

اسلوب صدر الاسلام - الاسلوب المتوازن - الاسلوب المسموع



CA: AUB  
892.7408  
M23EA  
V. 1: C. 2

# تَطَوُّرُ الْأَسْأَلِ الْبَشَرِيَّةِ

فِي

## الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

وَهُوَ يَتَنَاوَلُ النُّثْرَ الْعَرَبِيَّ وَخَصَائِصَهُ الْفَنِّيَّةَ مُنْذُ بَرُوعِ الْإِسْلَامِ  
إِلَى النَّهْضَةِ الْأَخِيرَةِ وَيَتَخَلَّلُهُ دِرَاسَاتٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِنُخْبَةٍ مِنْ أَمْثَارِ  
الْأَقْلَامِ وَعَرْضٌ كَثِيرٌ مِنْ نُصُوصِهِمُ الْإِنْشَائِيَّةِ

لِوَلْفِهِ

أَيْسَ الْمَقْدِسِيِّ

أَسْتَاذَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي جَامِعَةِ بَيْرُوتِ الْأَمِيرِكِيَّةِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

اسلوب صدر الاسلام - الاسلوب المتوازن - الاسلوب المسموع

103-13881

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد فقد حضر

في يوم الاثنين

عشر من شهر ربيع الثاني

سنة ١٤٢٥

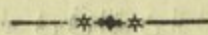
بمقر المحكمة الشرعية في مدينة جدة



## من منشورات الدائرة العربية

في

جامعة بيروت الامبريكية



وقفية ثيودور



## كلمة تمهيدية

كناً قد عقدنا النية على اصدار هذا الكتاب قبل الآن ، وفعلاً بأشرنا اعداد مواد للطبع . ثم بلغنا صدور كتاب « النثر الفني » للدكتور زكي مبارك ، فتوقفنا عن العمل زمناً حتى حصلنا على الكتاب المذكور ، وقابلناه بما كان قد تمهياً لدينا من المواد ، فوجدنا ان الكتابين على تقاربهما في الموضوع يختلفان من حيث الخطة والغاية . فكتاب النثر الفني يرمي في الدرجة الاولى الى تقرير ما كان عليه النثر العربي في القرن الرابع الهجري : وهو عمل جليل وقد سد فراغاً كبيراً في تاريخ الادب . اما كتابنا فغاياته عرض الاساليب النثرية عرضاً يبين تطورها منذ ظهور الاسلام الى الوقت الحاضر وقد تعمّدنا عدم التعرض للنثر الجاهلي ، الا ما توصلنا الى تحقيقه عرضاً في اثناء البحث : وما ذلك الا لان المواد النثرية التي بين ايدينا من العصر الجاهلي لا تسوّغ لنا تناول ذلك بطريقة علمية ولسهولة البحث افردنا لنثر صدر الاسلام قسماً خاصاً صرفنا العناية فيه الى تحقيق مروياته والنظر في نصوصه . وهو يشمل بضعة فصول ويمتد الى زمن عبد الحميد الكاتب . وقد قادنا البحث فيه الى النظر في الاسلوب النثري عند منبثق الاسلام وكيف يظهر في القرآن والحديث وكلام اهل الصدر الاول . وسلكنا في كل ذلك طريقاً يجمع بين صراحة التحقيق والحذر من التطرف . ولسنا ننكر انها طريق وعرة شائكة واننا سنقع فيها ونقوم

وتصطدم بما لا يستطيع تدميته او تعبيده . وربما اخرجتنا الرغبة في الدراسة  
الحرّة عن العرف المقرّر فعرضنا انفسنا والكتاب لاستياء العرفيين من العلماء  
والادباء . على اننا - يعلم الله - لا نرغب في استفزاز احد ، وانما السبيل  
جديد ، والرائد معذور اذا لم يأمن فيه العثرات

وبعد ان فرغنا من نثر الصدر الاول القينا نظرة على الاساليب الانشائية  
من ايام عبد الحميد الى الوقت الحاضر ، فاذا هي تجري في ثلاثة اساليب  
رئيسية -

١ - الاسلوب المتوازن ( اي المزدوج غير المسجّع ) - ويدخل فيه

ترسل عبد الحميد والجاحظ واضراهما  
٢ - الاسلوب المسجّع - ويتناول الرسائل الديوانية والادبية

والمقامات وما الى ذلك

٣ - الاسلوب المطلق - وهو النثر السائد في الكتب العلمية

والتاريخية والاجتماعية قديماً ، واسلوب الانشاء العام في العصر

الحديث

وقد تناولنا في هذا الجزء من كتابنا الاسلوبين الاولين وحاولنا ان نتابع  
تطور كل منهما مع الزمان وقرناً ذلك بدراسات مسهبة لتخبة من كبار  
المنشئين المجمع على امامتهم في الفروع المختلفة ، ولم نقرّر قضية او عرضنا المنحى  
الاّ دعمنا الكلام فيهما بكثير من النصوص ، فجاء الكتاب معرضاً تاريخياً  
لنثر العربي ومرجعاً لكثير مما لا يوجد الا مبعثراً في تضاعيف الكتب القديمة

.....

اما الاسلوب الثالث اي المطلق فلم تعرّض له الاّن لارتباطه

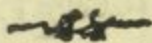
الوثيق بالاسلوب الانشائي في ادبنا الحديث ولأننا نرجو ان يتاح لنا فرصة  
اخرى نتناول فيها هذه الناحية الخاصة من تاريخ النثر في الجزء الثاني الذي  
سنخصصه للبحث في الاسلوب المطلق والمناحي النثرية في النهضة الاخيرة

.....

ولا يعلم الا الذي يخوض امثال هذه المباحث ما عانيناه من ضبط المراجع  
ومراجعة الاصول ومع كل ذلك فمن لا ندعي اننا بلغنا فيها الهدف الاسمي  
وسيمد النقد مجالاً للتنقيح والتصحيح ، وانا لترحب بكل انتقاد تزيه يراد به  
الوصول الى الحقيقة

ولا بد في الختام من شكر زملائي اعضاء دائرة العلوم العربية في  
الجامعة لتكريمهم بكثير من الملاحظات المفيدة ، وكذلك اشكر صديقي  
الاساذ عمر فروخ لما قام به من مراجعة الاصول المطبعية  
وعسى ان يكون في هذا العمل ما نتوخاه من الفائدة لطلاب البحث  
في الادب العربي

١٠٠ خ م



# اسلوب صدر الاسلام

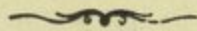
ويتناول

النثر عند منبثق الاسلام

الاسلوب القرآني

تحقيق النثر في نصوص الحديث

النثر في عصر الفتوح حتى عهد عبد الحميد



والمسألة الثانية

بأنه

والمسألة الثالثة

بأنه

شبهه

بأنه

## الاسلوب النثري

وكيف نراه عند ظهور الدعوة الاسلامية

### نظرة في السجع القديم

يؤخذ مما نقله لنا رواة الادب القديم انه كان للجاهلية القرية من الاسلام اسلوب مسجع . ويظهر ان هذا الاسلوب كان شائعاً في الحلقات الدينية وما اليها . وقد اجمعت الروايات على ذكر كهان العرب وما كانوا ينطقون به من الاسجاع حتى اننا نجد بين بعض العلماء تحريم السجع . ويستندون في ذلك الى حديث معروف وهو ان النبي قضى على رجل في الجنين بغرة<sup>(١)</sup> عبد أوامة . فقال الرجل يا رسول الله أأدي من لا شرب ولا اكل ، ولا صاح فاستهل ، ومثل ذلك بطل . فقال الرسول أسجعاً كسجع الكهان<sup>(٢)</sup> . وفي الموطأ انما هذا من اخوان الكهان<sup>(٣)</sup> . قال الجاحظ في عرض كلامه على السجع وسبب ما نقل من حديث تحريمه « وكان الذي كرهه الاسجاع بعينها ان كهان العرب الذين كان اكثر الجاهلية يتحاكون اليهم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع كقوله : والارض والسماء والعقاب والصقعا . واقعة يقعاء . لقد نفر المجد بنبي العشاء . للمجد والسناء - وهذا الباب كثير - قالوا

(١) الغرة هنا خمسون ديناراً راجع الموطأ ٢ - ١٩٢ (٢) كذا في ضبح الاعشى ٢ - ٢٧١ وقد رويت مع اختلاف يسير في صحيح مسلم ٥ - ١١١ والبيان والتبيين ١ - ١١٢ (٣) الموطأ ٢ - ١٩٢

فوقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفي صدور كثير منهم . فلما زالت العلة زال التحريم<sup>(١)</sup>

ولم ينفرد الجاحظ بذكر سجع الكهان وحديث تحريمه فقد تقدمه كما رأينا رواية وتبعه رواية . على اننا انما نأخذ بقولهم في هذا الباب لموافقته ماورد في القرآن من ذكر الكهان واسلوهم . فقد عدّ العرب النبيّ في اول امره من الكهان او الشعراء ودفعاً لذلك نزلت الآية - « فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون »<sup>(٢)</sup> . ومثلها « وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون »<sup>(٣)</sup> وقوله « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر »<sup>(٤)</sup> . وانما نسب اليه العرب الكهانة لما حسبوه من تقارب في الاسلوب بين ما عهدوه من اقوال كهانهم وبين ظاهر السور القرآنية ولا سيما الاولى منها . وايضاحاً لذلك نعرض هنا بعض ما رووه من اسجاعهم وتقابلها ببعض من السور المكّية القديمة فمن ذلك ما نقله القالي في اماليه من حديث الكاهنة زبراء مع بني رثام اذ قالت تحذّرهم من الاعداء - « يا ثمر الاكباد ، وانداد الاولاد ، وشبعا الحساد هذه زبراء ، تخبركم عن انباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤيد<sup>(٥)</sup> الشنعاء . فاسمعوا ما نقول - قالوا وما نقولن يا زبراء قالت واللوح<sup>(٦)</sup> الخافق ، والليل الغاسق والصبح الشارق ، والنجم الطارق ، والمزن الوادق ، ان شجر الوادي ليأدو<sup>(٧)</sup> ختلا ، ويمحرق انياباً عَصلاً<sup>(٨)</sup> ، وان صخر الطود لينذر شكلاً ، لا تجدون عنه مَعلاً<sup>(٩)</sup> » الخ الحديث<sup>(١٠)</sup> .

(١) البيان والتبيين ١-١١٣ (٢) الطور ٢٩ (٣) الجافه ٤١ و٤٢ (٤) القمر ٢  
 (٥) المؤيد الداهية (٦) اللوح الهواء (٧) بأدو يمتل (٨) العصل العوجاء  
 (٩) المعل المهرب (١٠) الامالي ١-١٢٦



قابل هذه الاسجاع الكهانية بما نزل في سورة الشمس «والشمس  
وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما  
بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها ونقواها قد افلح  
من زكاها وقد خاب من دساها» فبجد بين التنزيل هنا وبين قول الكاهنة  
— ونخص منه القسم الثاني— شبيهاً واضحاً في الاسلوب القسبي وفي تقطيع الجمل  
وتسجييعها. ومما ينقلونه من هذه الاقوال القديمة ما يعزونه الى سعدى بنت كرز  
خالة عثمان بن عفان — وكانت قد تكهنت — فقد رووا لها قولها في النبي  
وذلك على ما يظهر في بدء دعوته وقد طلب الناس رأيا فيه — «ان محمد بن  
عبدالله رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو الى الله ، مصباحه مصباح  
وقوله صلاح ، وقرنه نطاح ، ذلك له البطاح ، ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح  
وسلت الصفاح»<sup>(١)</sup> . فاذا عارضت ما نقلوه عن لسانها بما نزل في سورة  
الناس «قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس  
الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس» . رأيت النسقين  
متشابهين من حيث السجع وتكرير القوافي . ومثل ذلك ما نقل عن لسان  
الخرزاعي الكاهن من الحكم بين هاشم وامية ومنه «والقمر الباهر ،  
والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم  
مسافر من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ، اولاً منه وآخر»<sup>(٢)</sup>  
فتأمل سياق القسم والسجع فيها وقابله بما يتراءى لك من ذلك في سورة الفجر  
«والفجر ، وليالٍ عشر ، والشفع والوتر ، والليل اذا يسر ، هل في ذلك  
قسم لذي حجر» او في سورة التين «والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا

(١) نهاية الارب ٣ — ١٣١

(٢) نهاية الارب ٣ — ١٣٣

البلد الامين ، لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين «  
 ولا نشك ان سجع الكهان كان معروفاً في الجاهلية وعند منبثق  
 الاسلام وقد وعته صدور العرب يومئذ ثم اهملوه ولكنهم لم ينسوا اسلوبه  
 فلما كانت الدولة الاموية او العباسية حملت الحماسة بعضهم على انطاق الكهان  
 باقوال هي من قبيل الدعاية الدينية او الخزيّة كبعض الاسجاع السابقة  
 الذكر وحديث الكاهن خنافر الحميري . زعموا انه كان له رأيٌ ( اي جنبي <sup>١</sup>  
 يلقنه الكلام ) اسمه شصار وقد وضعوا على لسانه حديثاً نقل منه ما يلي <sup>(١)</sup>  
 « كل دولة الى اجل ، ثم يتاح لها حوّل . أنسخت النحل ، ورجعت الى  
 حقائقها الملل . إنك بغير <sup>(٢)</sup> موصول . والنصح لك مبذول . واتي آنت  
 بارض الشام ، نفرأ من آل العذام <sup>(٣)</sup> ، حكماً على الحكام . يذبرون <sup>(٤)</sup> ذا  
 رونق من الكلام . ليس بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكلف ، فاصغيت  
 فزجرت ، فعاودت فظلمت <sup>(٥)</sup> فقلت بم تهينمون ، وإلام تعزون . فقالوا  
 خطاب كِبَار <sup>(٦)</sup> ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شصار ، عن اصدق  
 الاخبار ، واسلك اوضح الآثار ، نتج من أوار النار . فقلت وما هذا  
 الكلام ، فقالوا فرقان بين الكفر والايان . رسولٌ من مضر ، من اهل المدر  
 ابثم فظهر ، فجاء بقول قد بهر « انخ وهذا الحديث كما يظهر موضوع  
 لا يصحّ اعتباره وثيقة نثرية كذلك لا يصحّ اعتبار كل ما روي لنا من  
 اسجاع الكهان فقد اتهم الجاحظ بعض رواياتهم عن يصنعون الكلام <sup>(٧)</sup>  
 ولا يجوز علياً ان نتكل على روايتها فقط في الحكم على ما كان عليه هذا

(١) الامالي ١ - ١٣٤ (٢) السجبر الصديق . وهنا الرئي يخاطب الكاهن

(٣) آل العذام قوم من الجن (٤) يذبرون بقرأون (٥) ظلمت منعت

(٦) الكِبَار الكبير (٧) البيان والتبيين ١ - ١٣٧

النوع من النثر . على اننا لو قرنا الرواية بما ورد في القرآن من ذكر الكهان والاشارة الى سجعهم ثم لو قطعنا النظر عن نفوق الوحي الديني ووقفنا موقف قريش اول الدعوة الاسلامية من حسابهم النبي كاهناً وبالتالي من وضعهم السور المكية الاولى موضع السجع الكهاني لرأينا انه لا محيص لنا عن القول بثبوت السجع وان ما نقل لنا انما هو على مثال ما كانوا ينطقون به في الحلقات الدينية والاخلاقية لذلك العهد .

ويؤيد ما نراه من شيوع السجع في تلك الحلقات ان التنزيل القرآني على تعاليه عن اقوال العرب وكهأنهم لم يخرج عن الاسلوب الديني الذي عرفه الناس يومئذ (وسنتناول شرح ذلك في غير هذا المقام) . هذا وان اكثر ما نقله لنا الرواة من باب الوعظ والحكم وآداب النفس كان من قبيل السجع واذا قيل ان اكثر ذلك موضوع قلنا ولكنه وضع في الارجح على نسق الاصل ويجوز ان نستشير به في هذا السبيل . ومن ذلك هذه الخطب التي عزيت الى كعب بن لؤي جد الرسول<sup>(١)</sup> والى قس بن ساعدة وسبحان وائل واقوال الوفود الى كسرى وسواها مما هو معروف متداول ونجترأ هنا بما نقله القاضي من قول مَحْمَدَ الدَّوْسِي واليك نصه<sup>(٢)</sup> - قال عامر بن الظرب لحممة ابن تخب ان تكون اياديك قال -

عند ذي الرثية<sup>(٣)</sup> العديم ، وذي الحلة الكريم ، والمعسر الغريم ،  
والمستضعف الهضم

قال من احق الناس بالمت قال -

الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والعيي القوال

(١) ضبح الاعشى ١ - ٢١١ (٢) الامالي ٢ - ٢٨٠

(٢) وجع المفاصل والاطراف

قال فمن احق الناس بالمنع قال -  
 الحريص الكاند<sup>(١)</sup> والمستميد<sup>(٢)</sup> الحاسد والمُحَفِّ الواجد  
 قال فمن اجدر الناس بالصنعة قال  
 من اذا اعطي شكر ، واذا منع عذر ، واذا موطل صبر ، واذا قدم  
 العهد ذكر

قال من اكرم الناس عشرة قال  
 من إن قرُبَ مَنَحَ ، وان بعدَ مَدَحَ ، وان ظلمَ صَفَحَ ، وان  
 ضويقَ سمح

وعلى هذا المنوال يسأله فيجيبه عن الأم الناس واسلمهم واحزمهم واخرقهم  
 واجودهم وابلغهم وانعمهم عيشاً واشقاهم الى ان يقول ومن اغنى الناس فيجيبه  
 من استشعر اليأس ، وابدى التجميل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم  
 يستخط على القسم

واحكم الناس من صمت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر  
 واجهل الناس من رأى الخرق مغنا ، والتجاوز مغرما  
 والذي يلفت النظر ان هذا الاسلوب ظل بعد الاسلام متبعاً بل شائعاً  
 في الحلقات الدينية فهو ظاهر في اقوال خطباء المساجد والقصاصين وعلى  
 ذلك يقول الجاحظ<sup>(٣)</sup> « وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين  
 فيكون في تلك الخطب اسجاع كثيرة فلم ينهوا احداً منهم » . ويؤخذ من  
 كلامه ان قصاص البصرة ( وهم الذين كانوا يقصون على الناس الاخبار  
 الدينية ) كانوا سجاعين - فاذا اعتبرنا كل ذلك واعتبرنا ان القرآن نزل بلغة  
 العرب كما يقول علماء العرب وكالآية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه

(١) الكافر بالنعمة (٢) المستعطي (٣) البيان والتبيين ١ - ١١٣

ليبين لهم» - وذلك بديهي - لم يكن من الصواب ان نقول ما قاله الاستاذ نكلسون من ان العرب لعدم ممارستهم الكتابة في الجاهلية لم ينشأ منهم قط شيء من النثر الفني<sup>(١)</sup> «

فالاسلوب السبعي لم ينشأ طفرة في عهد النبي بل عرفه العرب زمنًا طويلاً قبل ان يصل الى ما وصل اليه في القرآن

وانا لرى الميل الى التسجيع بادياً في الخطب الدينية منذ صدر الاسلام وقد اصبح في العصر العباسي وما بعده اسلوب الخطباء ورجال الدين به يرسلون عظاتهم وينثرون حكمهم واليك قطعة نقلها ابن عساكر للامام الأوزاعي المتوفى في منتصف القرن الثاني الهجري قال فيها<sup>(٢)</sup> - « اتقوا الله معشر المسلمين واقبلوا نصح الناصحين ، وعظة الواعظين . واعلموا ان هذا العلم دين . فانظروا ما تصنعون ، وعمن تأخذون ، وبمن تقتدون ، ومن على دينكم تأمنون ، فان اهل البدع كلهم مبطلون ، افاكون آثمون ، لا يرعون ولا ينظرون ولا يتقون ، ولا مع ذلك يؤمنون ، على تحريف ما يسمعون » ويسوق الكلام على هذا النمط الى ان يقول « واحذروا ان تكونوا على الله متظاهرين ولدينه هادمين ، ولعراه ناقضين موهنين ، بثوقير المبتدعين والمحدثين ، فانه قد جاء في توقييرهم ما تعلمون » والعظة كلها مسجعة على قافية واحدة . وليس كل الخطب الدينية في صدر الاسلام كذلك ولكن السجع كما ذكرنا بكثير فيها وفي اقوال القصاصين ومن اليهم ثم يصبح الاسلوب السائد في العصور المتتابعة مما يميل بنا الى الاعتقاد ان الحلقات الدينية الاسلامية الاولى جرت في ذلك على ما ورثته من الاجيال السالفة ولكن جرياً معتدلاً حتى تعظم

سبل السبع في العصر العباسي فطما على الحلقات الدينية وسواها وظل كذلك الى عهد قريب كما سنين بعد

### قصة النثر المطلق

ونعني به ما كان يرسل على السبجية دون تعمل في خاص . والنثر المطلق قديم في الادب العربي نراه في عهد النبي ويميلنا الاستنتاج العقلي على انه كان في الجاهلية ايضاً . اذ لا يعقل ان تبلغ قريش مثلاً في جاهليتها ما بلغت من التقدم التجاري فيكون لها اتصال باليمن والشام والعراق وفارس ولا يكون لها من نثر غير الاسجاع التي تعبر عن العواطف الدينية والنظرات الاخلاقية . فاذا قيل كيف نستدل على تقدم قريش التجاري واي مستند نستند اليه في تحقق ذلك غير ما نقله المؤرخون عن السنة الرواة . قلنا نعود الى القرآن ففيه اشارات عديدة الى حياة مكة والمدينة الاقتصادية والاجتماعية واليك بعضها -

- واعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وثفاخر بينكم وتكاثر في

الاموال والاولاد ( الحديد ٢٠ )

- قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واهوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأ تي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين ( التوبة ٢٥ )

- رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء

الزكاة ( النور ٣٧ )

- الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان

من المس . ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحلّ الله البيع وحرم الربا (البقرة ٢٧٥)

— واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً (الجمعة ١١)

— لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف (قريش)

— وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه لحماً طرياً وتسترجوا منه حلية تلبسونها . وترى الفلك مواخر فيه . ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (النحل ١٤)

وهناك عشرات بل مئات من الآيات التي ترد فيها معاني التجارة والبيع والدين والخسارة والاحصاء والرهن والكنس وما الى ذلك من مظاهر الحياة الاقتصادية . وفي القرآن اشارات شتى الى الاسفار البرية والبحرية ذكر بعضها آنفاً ومن ذلك الآية (يونس ٢٣) هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان « والآية (سورة يس ٤١ و٤٢) وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » ويقترن بالتقدم التجاري استعمال الكتابة وفي القرآن نصوص لا نترك مجالاً للريب في معرفة العرب للكتابة واستخدامهم اياها في مرافق حياتهم كآية ٢٨٢ من سورة البقرة « يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق » والآية ٢٨٣ « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » . ومن الاشارات الى الكتابة في القرآن « يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب »

(الانبياء ١٠٤) . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم (العلق ٣ و٤) . «ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله» (لقمان ٢٧) ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون (القلم ٢١ و٢) وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملئ عليه بكرة واصيلا (الفرقان ٥)

ففي هذه الآيات وامثالها ما يبين ان العرب او قريش عرفوا الكتابة واستعملوها ويزكي رواية المؤرخين والرواة من انه ظهرت الدعوة الاسلامية وفي قريش كتاب<sup>(١)</sup> وانه كان للنبي كتاب من الصحابة يكتبون الوحي ولهم نواب بنوون عنهم اذا غابوا<sup>(٢)</sup> وان العرب كانت توّرخ في كتبها ودبونها من عام الفيل ثم عام الفجار حتى جاء الاسلام فارّخ المسلمون بعام الهجرة<sup>(٣)</sup> . هذه الحالة الاقتصادية التي وجدت فيها قريش كانت تقتضي نثراً غير النثر الديني المتكلف نثراً مرسلًا للتعامل مطلقاً من قيود الصناعة اللفظية . على انه ليس لدينا من نصوصه الجاهلية ما يعتمد عليه فلا بد لنا من تحريتي ذلك في عهد النبي والصحابة وقد نقل لنا شيء كثير من اقوالهم بين صحيح وموضوع . وهم وان خرجوا عن نطاق الجاهلية الديني باسلامهم فانهم لم يخرجوا عنها في مختلف عاداتهم وشؤونهم . وهم ما يلفت نظرنا هنا ما رووه من الرسائل والعهود النبوية فلننقدم الى دراستها لعلنا نجد فيها ما نستأنس به في التدليل على هذا الشكل من النثر العربي .

### الرسائل النبوية

ونجدها متفرقة في سيرة ابن اسحق والطبري والواقدي والبلاذري

(١) تاريخ البلاذري ٤٧١ جعلهم ١٧ كتاباً (٢) العقد ٢ - ٢٠٤

(٣) كتاب اخبار مكة ص ١٠٢



وطبقات ابن سعد و كتب الحديث وفي العقد الفريد و صبح الاعشى و سواها  
 و من اهم هذه المراجع كتاب الطبقات فقد افرد ابن سعد فيه فصلين ذكر  
 فيهما وفود القبائل الى النبي و الرسائل و العهود التي كتبها لهم  
 و تقع هذه العهود في ثلاثة ادوار رئيسية<sup>(١)</sup> -

١ - منذ الهجرة الى واقعة الخندق سنة ٥ هـ

٢ - ما بين السنة الخامسة و فتح مكة سنة ٨ هجرية فغزوة تبوك

٣ - في غزوة تبوك و بعدها

فوسائل الرور الاول خلو من التاريخ و كلها سياسية لان مر كز  
 النبي في السنين الاولى من الهجرة كان شاقاً و كان جل ما يصبو اليه  
 محالفة القبائل ليستعين بهم على اضعاف قوة قريش . و لذلك نراه يعقد  
 المعاهدات معهم و هم على حالهم من الاشرار . و من رسائل هذا الدور ما  
 يلي :-

الى نعيم بن مسعود الاشجعي

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما حالف عليه نعيم بن مسعود بن ربيعة  
 الاشجعي . حالفه على النصر و النصيحة ما كان أحد مكانه . ما بل بحر صوفة  
 و كتب علي<sup>(٢)</sup> « فليس في هذا العهد ما يشير الى الاسلام و انما هو معاهدة  
 حرية يراد بها تقوية مركز المسلمين ازاء مشركي قريش . و مثله العهد التالي

(١) للمستشرق الالماني « Sperber » في ذلك بحث في الالمانية لخصه لنا عن  
 Mitteilungen des Seminars für Orientalische Sprachen XIX  
 الدكتور قسطنطين زريق وهو « اي المستشرق » يجعل الرسائل في اربعة ادوار و نحن  
 وان خالفناه في عدد الادوار نجاريه في اوصافها العامة

(٢) الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٢٦

وترى فيه قبول النبي بمساواة المسلمين بغير المسلمين واليك نصه كما ورد في الطبقات<sup>(١)</sup> - « قالوا وكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لبني غفار - انهم من المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وان النبي عقد لهم ذمة الله وذمة رسوله على اموالهم وانفسهم وله النصر على من بدأهم بالظلم وان النبي اذا دعاهم لينصروه اجابوه وعليهم نصره الا من حارب في الدين - ما بل بجر صوفة - وان هذا الكتاب لا يحول دون اثم »

وعلى منواله ما كتبه الى بني ضمرة بن بكر بن مناة بن كنانة<sup>(٢)</sup> - « انهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصر على من دهمهم بظلم وعليهم نصر النبي (ص) ما بل بجر صوفة الا ان يجاربوا في دين الله وان النبي اذا دعاهم اجابوه - عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ولهم النصر على من بر منهم وانقى »

وهناك عدة رسائل اخرى تنحو هذا النحو في مهادنة غير المسلمين او الارتباط معهم بهود الدفاع والمناصرة وهي بلا شك من اقدم ما كتب الرسول . واكثرها قصير كقوله لبني زُرعة وبني الربعة من جهينة انهم آمنون على انفسهم واموالهم وان لهم النصر على من ظلمهم او حاربهم الا في الدين والاهل ولاهل باديتهم من بر منهم وانقى ما لحضرتهم والله المستعان<sup>(٣)</sup> ومثل ذلك ما كتبه الى بديل وبسر وسروات بني عمرو قال<sup>(٤)</sup> « اما بعد فاني لم آثم مالكم ولم اضع في جنبكم . وإن اكرم اهل تهامة علي واقربهم رحماً مني انتم ومن تبعكم من المطيبين<sup>(٥)</sup> . اما بعد فاني قد اخذت لمن هاجر

(١) ج ١ قسم ٢ ص ٢٦ (٢) الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٢٧ (٣) الطبقات

ج ١ قسم ٢ ص ٢٤ (٤) الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٢٥ (٥) المطيبون هم بنو هاشم

وبنو زهرة وبنو الحارث بن فهر وتيم بن مرة واسد بن عبد العزى

منكم مثل ما اخذت لنفسي ولو هاجر بارضه - الآ ساكن مكة الآ معتمراً  
او حاجاً - فاني لم اضع فيكم منذ سالت<sup>٠</sup> وإنكم غير خائفين من قبلي ولا  
مُحصرين<sup>٠</sup> اما بعد فانه قد اسلم علقمة بن علاثة وابنا هودّة وهاجرا وابعاعلى  
من تبعهم من عكرمة وان بعضنا من بعض في الحلال والحرام واني والله  
ما كذبتكم وليجنّبكم ربكم»<sup>٠</sup>

وقس على ما ذكر غير ذلك من هذه العهود السياسية -

اما الاسلام فلم يجعل شرطاً الآ بعد ان استتب امر النبي والمسلمين في  
المدينة وبعد ان اصبحوا في حالة من القوة الحربية والمالية تساعدهم على نشر  
الدعوة الدينية بين القبائل<sup>٠</sup> كما سنرى في رسائل الدور الثاني -

### الرور الثاني

بعد السنة الخامسة للهجرة اخذ نجم المكيين بالافول<sup>٠</sup> وما زالوا كذلك  
حتى وقعت مكة في ايدي المسلمين<sup>٠</sup> - في هذا الطور نرى صاحب  
الدعوة الاسلامية اقوى مركزاً وانفذ كلمة<sup>٠</sup> فان ما كان يتجلى لنا في كتبه  
الأول من الميل الى مخالفة المشركين او قل من ضعف مركزه الحربي حل  
محلّه الان ثقة القائد الكبير والزعيم القوي واصبح في أكثر العهود يشترط  
الاسلام على القبائل المهادنة<sup>٠</sup> على انه لم يشدد في ذلك قبل فتح مكة كما  
نستدل من ملايئته لقريش عام الحديبية (٦ هـ) فقد عقد مع زعيمهم عهداً  
هذا نصه<sup>(١)</sup> -

باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطالحا  
على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضهم

(١) تاريخ الطبري الجملة الاولى ج ٣ ص ١٥٤٦

عن بعض . على انه من اتى رسول الله من قريش بغير اذن وليه رده عليهم .  
ومن جاء قريشاً من مع رسول الله لم ترده عليه . وان بيننا عيبة مكفوفة  
وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من احب ان يدخل في عقد رسول الله وعهده  
دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه »

فمن هذا الكتاب ترى ان الرسول بوادع قريشاً وبجارهم رغبة في  
صرف جهوده عنهم الى جهة اخرى . وقد اخذ بعد ذلك ببعث السرايا والرسل  
الى القبائل قريشاً وبعيدها وفي كتبه اليهم تراه ذا القوة النافذة والكلمة العليا  
وترى الناس بعدها يدخلون في دين الله افواجا . واليك مثلاً بوضع ذلك  
قال ابن سعد ان العري اتاه كتاب رسول الله (صلم) فرقع به دلوه فقالت  
له ابنته ما اراك الا ستصيبك قارعة اتاك كتاب سيد العرب فرقت به دلوك  
فرّ به جيش لرسول الله (صلم) فاستباحوا كل شي له فاسلم واتى النبي (صلم)  
فاخبره فقال له رسول الله ما اصبحت من مال قبل ان تقسمه المسلمون فانت  
احق به «<sup>(١)</sup> .

ومن الكتب التي ارسلها في هذا الدور ما يلي -

لبنى الجرمز بن ربيعة وهم من جهينة - « انهم آمنون ببلادهم ولهم  
ما اسلموا عليه وكتب المغيرة<sup>(٢)</sup> ومنها - الى هوزة بن علي صاحب اليمامة  
وكان نصرانياً « من محمد رسول الله الى هوزة بن علي سلام علي من اتبع  
الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك  
ما تحت يديك<sup>(٣)</sup> » .

ومنها - الى بني الجندى ملكي عمان - « من محمد رسول الله الى

(١) الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٣١ (٢) الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٢٤

(٣) صبح الاعشى ٦ - ٣٧٩

نجيفر وعبدِ ابني الجندى سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاني ادعوكما  
 بدعاية الاسلام . أسما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لأُذَر من كان  
 حياً ويحقّ القول على الكافرين . وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان  
 ايتما ان تُقرأ بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما وتظهر  
 نبوتي في ملككما . وكتب ابي بن كعب <sup>(١)</sup> . ومثل ذلك كتابه الى اهل  
 نجران وهذا نصه <sup>(٢)</sup> — « بسم الله الرحمن الرحيم اله ابراهيم واسحق ويعقوب  
 اما بعد فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله  
 من ولاية العباد فان ايتم فالجزية . فان ايتم فقد اذنتكم بحرب والسلام » .  
 و كتابه الى المنذر بن ساوى العبدي قال الطبري وفيها ( سنة ٨ ) بعث اليه  
 رسول الله ( صلعم ) العلاء بن الحضرمي و كتب اليه كتاباً يقول « بسم الله  
 الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني  
 احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان كتابك جاءني ورسلك وانه  
 من صليّ صلاتنا واكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فانه مسلم له ما للمسلمين وعليه  
 ما على المسلمين ومن ابى فعليه الجزية » قال فصالحهم رسول الله ( ص ) على ان  
 على المجوس الجزية لا تؤكل ذبائحهم ولا ننكح نسائهم <sup>(٣)</sup> .

وفي السنة ٩ هـ وفد اهل الطائف على النبي يريدون البيعة والاسلام  
 فابوا ان يجيؤه الاتحية الجاهلية وطلبوا منه ان يدع اللات ثلاث سنين وان  
 يعفيهم من الصلاة <sup>(٤)</sup> لكن النبي ابى ذلك وبعد لأي اسلموا فكتب لهم كتاباً

(١) صبح الاعشى ٦ — ٣٨٠

(٢) صبح الاعشى ٦ — ٣٨١

(٣) الطبري الجملة الاولى ٣ — ١٦٠٠ و يروى على شكل آخر في صبح

الاعشى ٦ — ٣٦٨ (٤) الطبري الجملة الاولى ١٦٩١

يقول فيه <sup>(١)</sup> — انّ لهم ذمة الله وان وادبهم حرام عِصاهه وصيده وظلم فيه .  
وان ما كان لهم من دين الى اجل فبلغ اجله فانه لياط مبرأ من الله ورسوله  
وان ما كان لهم من دين في رهن وراء عكاظ فانه يقضى الى رأسه وبلاط  
بعكاظ . وفي رواية اخرى <sup>(٢)</sup> « قالوا وسأل وفد ثقيف رسول الله (ص)  
ان يحرم لهم « وجا » فكتب لهم — « هذا كتاب من محمد رسول الله الى  
المؤمنين ان عِصاه وجّ وصيده لا يعضد فمن وجد يفعل ذلك فانه يؤخذ  
فيبلغ النبي . وهذا امر النبي محمد بن عبد الله رسول الله . وكتب خالد بن  
سعيد بامر النبي محمد بن عبد الله فلا يتعدينه احد فيظلم نفسه فيما امر به  
محمد رسول الله <sup>(٣)</sup> »

فترى من هذه الرسائل وسواها ان الاسلام او الجزية اصبح شرطاً من  
شروط المعاهدات واصبح الرسول بعد ان توطد امر المسلمين في المدينة  
منصرفاً الى نشر دعوته بين القبائل . وقد كان لفتح مكة اثر شديد في  
هذه الحركة فتعاظم شأنها وازدادت صولة النبي فهتفت القبائل على اعتناق  
الاسلام واصبحت المدينة اهم حواضر الجزيرة العربية اليها تقبل الوفود ومنها  
تصدر الاحكام . ومن هنا نصل الى القسم الثالث من العهد النبوية وهو  
الذي كتب بالاكتر في السنتين الاخيرتين من العهد النبوي ولا سيما بعد  
غزوة تبوك وفيه كما ترى بلغ الرسول اعلى درجات القوة واخذ يستقل  
مركزه الحربي والديني فصار لا يكتفي بقبول الاسلام او الجزية بل ذهب  
الى ابعاد من ذلك ففرض الزكاة على القبائل التي حالفت على اساس الاسلام

(١) العقد ١ — ١٣٥ (٢) الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٣٣

(٣) العِصاه نوع من الشجر — وجّ اسم مكان . يعضد بقطع . والياط الربا

وبلاط بعكاظ اي يلحق به

وبعث العمال او الامراء على الصدقات<sup>(١)</sup> . ومن هذه الكتب ما ذكره الطبري في اخبار السنة التاسعة وقد قدم على رسول الله كتاب ملوك حمير مقدمه من نبوك ورسولهم اليه باسلامهم الحارث بن عبد كلال ( ويسمي جماعة غيره ) فكتب اليهم رسول الله (صلم) كتاباً قال فيه بعد البسحلة والحمدلة<sup>(٢)</sup>

اما بعد فانه قد وقع بنا رسولاكم مقلنا من ارض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما ارسلتم وخبر ما قبلكم وانبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهديته . ان اصلحتم واطعتم الله ورسوله واقم الصلاة وآتيتم الزكاة واعطيتم من المغانم خمس الله وسهم نبيه وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة » وبعد ان يفصل في ذلك يقول — « فمن زاد خيراً فهو خير له . ومن ادى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله . وانه من اسلم من يهودي او نصراني فان له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على يهوديته او نصرانيته فانه لا يفن عنها وعليه الجزية » . ويتلو ذلك تحديد الجزية ثم يذكر رسله اليهم ويختتم الكتاب بقوله « وان الصدقة لا تحمل لمحمد ولا لاهله انما هي زكاة يتزكئ بها على فقراء المؤمنين وابناء السبيل وان مالكم قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وأمركم به خيراً . واني قد بعثت اليكم من صالحى اهلي وأولي علمهم فأمركم بهم خيراً فانه منظور اليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

ومن هذه الكتب كتاب الى جماع من تهامة كانوا قد غضبوا المارة

(١) الطبري الجملة الاولى ١٧٢٢ و ١٧٥٠

(٢) الطبري الجملة الاولى ١٧١٧

من كنانة ومزينة وسواهما وهذا نصه<sup>(١)</sup> - « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء انهم ان آمنوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعبدهم حرّ ومولاهم محمد . ومن كان منهم من قبيلة لم يردّ اليها . وما كان فيهم من دم اصابوه او مال اخذوه فهو لهم . وما كان لهم من دين في الناس ردّ اليهم ولا ظلم عليهم ولا عدوان . وان لم على ذلك ذمة الله وذمة محمد والسلام عليكم »  
ومنها الى همدان ونصه<sup>(٢)</sup> -

هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار لمالك بن نبط ومن اسلم من قومه . ان لم فراعها ووهاطها وعزازها<sup>(٣)</sup> ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يا كون علافها ويرعون عافيا<sup>(٤)</sup> . لنا من دفتهم وصرامهم<sup>(٥)</sup> ما سلّموا بالميثاق والامانة ولم من الصدقة الثّاب والناّب والفصيل والفارض والكبش الحوّري وعليهم الصالغ والقارح<sup>(٦)</sup>  
وكتابه الى بني كلب<sup>(٧)</sup> -

هذا كتاب من محمد رسول الله لعماير كلب واحلافها ومن صاده الاسلام من غيرها مع قطن بن حارثة العليجي باقامة الصلاة لوقتها وابتاء الزكاة لحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر شهود من المسلمين سعد بن

(١) الطبقات ج ١ ق ٢ - ٢٩ (٢) العقد (بولاق) ١ - ١٣٤ صبح الاعشى ٦ - ٣٧٤ (٣) الفراع ما ارتفع من الارض والوهاط ما اطمان منها والعزاز الارض الصلبة الخشنة (٤) العلاف جمع علف طعام المواشي . والعافي والعفاء ما ليس لاحد فيه ملك (٥) نتاج الابل . الصرام النخل (٦) الثلب الحرم من الجمال والفارض المسن . الصالغ ما كمل من البقر والغنم . والقارح الفرس في الخامسة من عمرها (٧) العقد (بولاق) ١ - ١٣٤



عبادة وعبد الله بن أنيس وديحية بن خليفة الكلبي . عليهم في الممولة الراعية البساطِ الظوَّار في كل خمسين ناقة غير ذي عَوار<sup>(١)</sup> . والممولة المائرة لهم لاغية<sup>(٢)</sup> وفي الشوي الوريّ مُسِنَّةٌ حامل او حافل<sup>(٣)</sup> . وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها مما اخرجت ارضها . وفي العذي شطره<sup>(٤)</sup> بقيمة الامين فلا تزداد عليهم وظيفة ولا تفرق . يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله . وكتب ثابت بن قيس بن شماس «

وكتابه الى أكيدر دومة وهذا نصه<sup>(٥)</sup> (عن صبح الاعشى ٦ - ٣٧٠) « من محمد رسول الله لا كيدر دومة حين اجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل واكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن . ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور . لا تُعدّل سارحتكم ولا تعدّ فاردنكم ولا يحظر عليكم النبات . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها . عليكم بذلك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء . شهد الله ومن حضر من المسلمين »

(وقد فسر صاحب صبح الاعشى الضاحية بالناحية البارزة ويراد بها اطراف الارض والضحل بالتقليل من الماء والبور الارض التي لم تزرع والمعامي الارض التي ليس فيها اثر عمارة واغفال الارض التي ليس فيها اثر يعرف

(١) الابل المسبية ليلاً نهاراً - البساط الارض الواسعة والظوَّار العاطفات على ولد غيرها . العوار العيب (٢) الممولة المائرة اي النباقي الحاملة للموئن والاحمال . لاغية ساقطة لا تجب عليهم (٣) الشوي والشوي الغنم والوري السمين . مسنة حامل او حافل اي كبيرة حبلية او ممثلة لبناً (٤) العذي الزرع لا يسقيه الا المطر (٥) راجع ايضاً الطبقات ٢ق - ٣٦٠ وفتوح البلاذري ٦١ والعقد ١ - ١٣٨ والصناعتين ص ١١٦ وفي الروايات الخمس اختلافات غير جوهرية

والحلقة الدروع . والضامنة من النخل ما كان داخلاً في العمارة وتضمنته قراهم  
لا تعدل سارحتكم اي لا تحول عن المرعى ولا تعدُّ فاردتكم اي لا تضم  
الى مال الصدقة والفاردة الزائدة على الفريضة فلا تجب فيه الصدقة )

ومما يذكّر في ذلك ما دار بين النبي وبنو الحارث بن كعب في نجران  
( وذلك سنة ٥١٠هـ ) . فان النبي ارسل اليهم خالد بن الوليد يدعوهم الى الاسلام  
ففعل . ثم جاء بوفد منهم الى الرسول فقال لهم « لو ان خالد بن الوليد لم يكتب  
الي فيكم انكم اسلمتم ولم تقاتلوا الا لقيت رؤوسكم تحت اقدامكم » . ثم قبل  
اسلامهم وولى عليهم من يأخذ صدقاتهم وكتب له كتاباً يأمره فيه بنقوى  
الله ويوصيه بالناس ونفقيهم في الدين ويجمع الصدقات وما الى ذلك . وهو  
طويل فليراجع <sup>(١)</sup> . وآخر ما نذكره هنا من هذه الكتب ما كتبه الى وائل  
ابن حجر واهل حضر موت قال <sup>(٢)</sup> -

بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة <sup>(٣)</sup> من  
اهل حضر موت باقامة الصلاة وابتاء الزكاة . على التبعة الشاة <sup>(٤)</sup> والتبعة  
لصاحبها <sup>(٥)</sup> . وفي السيوب الخمس <sup>(٦)</sup> . لا خللاط ولا وراط ولا شناق ولا  
شغار <sup>(٧)</sup> . ومن أجبى فقد اربى <sup>(٨)</sup> وكل مسكر حرام .

(١) الطبري الجملة الاولى ١٧٢٧ (٢) الصنائع ص ١١٦ والعقد

(بولاق) ١ - ١٣٨ وفي صبح الاعشى ٢ - ٢٣٧ يروى على شكل آخر

(٣) الاقيال العباهلة الذين اقرؤا على الملك لا يزالون عنه (٤) التبعة اسم لادنى

ما تجب عليه الزكاة كالخمس من الابل والاربعين من الغنم (٥) التبعة الشاة الزائدة

عن الاربعين (٦) السيوب المال المدفون من الجاهلية (٧) الخللاط ان يخلط الرجل

ابله بابل غيره - الوراط ان تجعل الغنم في وهدة لتخفى - الشناق ان لا تؤخذ الزيادة

على الفريضة - الشغار زواج كان مألوفاً في الجاهلية (٨) اجبى اي باع زرعه قبل

بدو صلاحه اذ ان يبيع من الرجل ساعة بثمن معلوم الى اجل معلوم ثم يشتريها منه نقداً

بأقل من الثمن الذي باعه به . وأربى اي كان كالذي يشتمل الربى

## صحة هذه الكتب

قلنا ان هذه الكتب النبوية تمثل ما كان عليه النثر العادي عند منبثق الاسلام وبالتالي في اواخر العصر الجاهلي . على انه ليس في ايدينا منها وثائق ترجع الى ذلك العصر ولا ذكر لنا الذين رووها انهم نقلوها عن وثائقها الاصلية . فكيف اذن نعتمدها في الحكم على ما كان عليه النثر في ذلك العهد وجوابنا على ذلك انه لا بد لنا من مجارة التقاد الحديثين في الشك ببعض هذه الكتب استناداً على مبادئ التبريح التاريخي . ومن موجبات الشك عندهم التردد في قبول كل ما فيه اثر لدعاية دينية او قومية ما لم يقم دليل صريح على ثبوته . كالذي روي انه بعث به الى ملك الروم او ملك الفرس فانهم يستبعدون ان يكون العرب قد بلغوا من البسطة والمناعة وهم لا يزالون محصورين في الجزيرة ما يحملهم على مخاطبة كبار الملوك يومئذ على نحو ما نراه في قوله الى ملك الروم<sup>(١)</sup>

« من محمد رسول الله الى صاحب الروم . اني ادعوك الى الاسلام فان اسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم وان لم تدخل في الاسلام فاعط الجزية فان الله تعالى يقول - وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون - والآن فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام ان يدخلوا فيه او يعطوا الجزية »

فما نقله الطبري نجد ان النبي في السنة ٦ هـ فرق رسله الى الامصار الى اليمامة والبحرين وعمان والى المقوقس بالاسكندرية وقصر الروم هرقل والى كسرى ملك فارس والنجاشي والحبشة وسواهم . ولكن النبي لم يكن قد

بلغ في تلك السنة من القوة الحربية ما يرغم قبائل العرب القربية على الخضوع التام فكيف يعقل ان يهتم باخضاع كبار الملوك يومئذ وهو لا حول حربي له ولا طول . في مثل هذه الكتب الملوكية متسع للشك لمن اراده . والذي يراجع القصة التي حيكت حول كتاب الرسول الى ملك الروم يرجح انها من قبيل الاخبار القصصية لا الحقائق التاريخية - راجع الحديث<sup>(١)</sup> على ان ذلك لا يعني ان يكون الكثير من تلك الكتب ان لم نقل اكثرها صحيحاً . فان هذا الاكثر انما هي عهود عادية عقدت بين النبي والقبائل . منها ما هو على اساس التعاون على العدو ومنها ما هو على اساس الاسلام او الجزية . ومن تحريم الاحوال التي لا يستها يترجع لدينا صدقها . فان اقدمها كما ذكرنا تناسب حال النبي والمسلمين في اول العهد المدني وكذلك التي تليها تناسب الظرف الذي كتبت فيه . وفي بعضها ما لا يجتمل معه ان المسلمين وضعوه اذ هو مضاد لرغباتهم وميلهم الى تعظيم رجالهم الأول . ومن ذلك ما عقده النبي عام الحديبية لسهيل بن عمرو وقد مر ذكره . ففيه من تعاضم قريش وموادة النبي لهم ما لا يترك مجالاً للشك في صحته . بل فيه ما يدل على امانة الرواة فيما نقلوه لنا من اخبار الدولة الاسلامية في اثناء تكوُّنها ونشوئها

واذا جاز لنا الشك في الاخبار والكتب التي وضعت لدعاية دينية فلا نراه جائزاً في ما يشير الى ماجريات طبيعية واحوال عادية . كالذي نقل لنا ابن سعد من كتاب النبي الى بني اسد ونصه<sup>(٢)</sup> . « بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد النبي الى بني اسد سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو

(١) الطبري الجملة الاولى ص ١٥٦١-١٥٦٧

(٢) الطبقات ج ١ قسم ٢ - ٣٣

اما بعد فلا تقرُّبن مياہ طييء وارضهم . فانه لا تحلّ لكم مياهم ولا يلجنّ ارضهم الا من اولجوا . وذمة محمد بريئة ممن عصاه . وليقم قضاعي بن عمرو<sup>(١)</sup> «

فہنا نجد اوامر بوجهها امير الى قبيلة خاضعة وليس فيها ما هو خارج عن المعتاد او مناف لروح العصر وطبيعة الحال . و كذلك هذه الكتب التي يفرض فيها الزكاة او الصدقة على القبائل الخاضعة في الفاظها واسلوبها وما تحويه من تفاصيل ما يضعف الشك فيها كقوله لبني نهد<sup>(٢)</sup> - وقد مرّ معنا امثاله

« بسم الله الرحمن الرحيم . السلام على من آمن بالله ورسوله . لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة<sup>(٣)</sup> . ولكم العارض<sup>(٤)</sup> والفريش وذو العنان الرّكوب والغلو الضبيّس<sup>(٥)</sup> . لا يُمنع سرحكم ولا يُمضد طلمحكم ولا يُمنع درّكم ما لم تضرّوا<sup>(٦)</sup> الاماق وتاكلوا الرباق<sup>(٧)</sup> . من اقرّ فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة »

وسنرى ان الاسلوب الانشائي في هذه الكتب مماثل لما نقل لنا من اقوال الصحابة بل مماثل للاسلوب الانشائي في الوثائق التي وصلت اليانا من اواخر القرن الهجري الاول . وفي ذلك ما يحملنا على القول ان النثر العادي

(١) هو من عذرة وكان عاملاً عليهم (٢) العقد (بولاق) ١ - ١٤٠ وصبح الاعشى ٢ - ٢٣٤ (٣) الوظيفة النصاب في الزكاة . الفريضة الهزمية المسنة اي ان الدابة المسنة لا تؤخذ في الزكاة (٤) العارض الناقة التي اتى عليها سنة . والفريش التي اتى عليها من نتاجها سبعة ايام (٥) الغلو الضبيّس المهر الذي لم يُرَض (٦) تضرّوا الاماق اي تضرّوا الغدر (٧) الرباق جبل يشد بها البهم . واكل الرباق كناية عن نقض العهد

اي النثر الذي لم يقصد به اظهار العواطف على شكل خاص - كالسجع او المزدوج مثلاً - لم يطرأ عليه في القرن الاول تغير يذكر وان ذلك القرن يصح ان يعد امتداداً لعهد النبي او للعصر الجاهلي المتأخر .

### نظرة في لغة هذه الكتب واسلوبها

والناظر في هذه الكتب النبوية لا يحصي له عن ان يرى فيها مزايا كتابية خاصة نذكر منها -

١ - الایجاز والبساطة - فكلها شاهد على الاستغناء باقل الالفاظ وعلى الخلو من الصناعة اللفظية . يكثر فيها الاشارة الى المعاني والبعد عن تكلف السجع او البديع . وهي اقرب الى لغة المحادثة والتخاطب

٢ - يكثر فيها الالفاظ المناسبة لحال المخاطب - كالعباهلة والبيعة والطلع والعارض والفريش والسيوب والوراط وعشرات غيرها من الالفاظ التي يقل او ينذر استعمالها في غير ذلك . وقد نذبه نقاد العربية الى هذا الامر قال القلقشندي « وكانت لغة رسول الله (صلم) التي يتكلم بها على الدوام ويخاطب بها الخاص والعام لغة قريش وحاضرة الحجاز . الا انه (صلم) اوتي جوامع الكلم وجمع الى سهولة الحاضرة جزالة البادية فكان يخاطب اهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم<sup>(١)</sup> »

٣ - اوضاع خاصة تلفت النظر وقلما تعثر عليها في سوى هذه الكتب كقوله - ما كان أحد مكانه - ما بل بجر صوفة - اي على الدوام او الى ما لا يحد من الزمن

لم آثم مالكم - اي لم اجازكم على مالكم من اعمال تستوجب الجزاء  
لم اضع فيكم منذ سلمت - اي لم اقم بامر فيه نقض لعهد او اساءة لكم

ان لهم سعاية - اي صدقة

وليقيم فلان - اي ليتول الامر او ليقم بالصلاة في الناس وجمع

الصدقات

لا يحاقه في ذلك احد - اي لا يدعي ان له حقاً فيه

من اطلع اهل مقنا بخير - اي من اسدى اليهم معروفاً

الليل مدً والنهار شدً - اي يمدّه الليل (بخير) ويشدّه النهار اي لا

ينقص ذلك الخير شيئاً

فلا بن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير ان يقتثم - اي يا كل ما

اراد من غير ان يستأصل ويحمل معه .

وان الله ورسوله جارٌ على ذلك - اي حليف او مناصر

وامثال هذه الاوضاع التي تكاد تنحصر في العهود النبوية

٤ - تتابع العبارات في كثير منها بعطف او غير عطف دون تكلف

التعادل بينها او صحة التقسيم فيها كقوله -

الى مسيلمة الكذاب<sup>(١)</sup> - بلغني كتابك الكذب والافتراء على الله

وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام على

من اتبع الهدى

وقوله<sup>(٢)</sup> = « هذا ما حالف عليه نعيم بن مسعود . . . حالفه على النصر

والنصيحة ما كان احد مكانه ما بل بحر صوفة وكتب عليّ »

وقوله من كتاب الى ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي<sup>(٣)</sup> - « وان كل

رهن بارضهم يحسب ثمره وسدره وقضبه من رهنه الذي هو فيه . وان كل

(١) الطبقات ج ١ ق ٢ - ٢٦ (٢) الطبقات ج ١ ق ٢ - ٢٦

(٣) الطبقات ج ١ ق ٢ - ٢١

ما كان في ثمارهم من خير فانه لا يسأله احد عنه . وان الله ورسوله يراثة منه  
وان نصر آل ذي مرحب على جماعة المسلمين . وان ارضهم بريئة من الجور  
وان اموالهم وانفسهم وزافر حائط الملك الذي كان يسيل الى آل قيس وان  
الله جار على ذلك وكتب معاوية «

وقوله<sup>(١)</sup> — ان له ما اسلم عليه من ارضها واشياؤها (يعني نخلها) ما اقام  
الصلاة وآتى الزكاة واعطى خمس المغانم في الغزو ولا عسر ولا حشر ومن  
تبعه من قومه وكتب الارقم «

وقوله<sup>(٢)</sup> — هذا كتاب من محمد رسول ابني غاديا ان لهم الزمة  
وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء الليل مد والنهار شد وكتب خالد  
بن سعيد «

على انك تجد في بعضها ميلاً الى التوازن او الازدواج ولكنه غير عام  
ومما يلفت النظر انك اذا استثنت بعض الكتب ولا سيما التي يقال انها  
ارسلت الى الملوك فان الكتب النبوية عموماً خالية من الشواهد القرآنية  
وليس فيها ما يدل على فن كتابي خاص تعمده الرسول وانما هي كما ذكرنا  
تمثل لغة التعامل العادية في ذلك الوقت



## الاسلوب القرآني

### نوطته في كيف جمع اول كتاب عربي

نزل القرآن في نحو ثلاث وعشرين سنة آية واحدة او عدة آيات حسب الحاجة ودواعي الحال . وكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل منه ابتداءً من انفسهم او بامر النبي فيخطونه على ما انفق لهم يومئذ من ادوات الكتابة كالعُسب واللخاف وقطع الاديم وعظام الاكتاف<sup>(١)</sup> . وعن البلاذري نقلًا عن الواقدي عن اشياخه « اول من كتب لرسول الله (ص) مقدمه المدينة أبي بن كعب وزيد بن ثابت فكانا يكتبان الوحي بين يديه وكتبه الى من يكتب من الناس<sup>(٢)</sup> » . وقد اختلف في عدد الذين جمعوا الآيات القرآنية على عهد النبي ويؤخذ مما ذكره ابن سعد في طبقاته انهم بين الاربعة والستة ومنهم أبي ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت<sup>(٣)</sup> . اما ابن النديم فيرفع عددهم الى السبعة ويعد منهم الامام علياً<sup>(٤)</sup> . ويجعلهم الحافظ الذهبي اربعة<sup>(٥)</sup> . وعلى ذلك اكثر العلماء . ويظهر انهم كانوا يعرضون على النبي ما يجمعونه فقد روى الصولي بسنده الى زيد بن ثابت قال كنت اكتب الوحي عند رسول الله (ص) وهو يبلي علي فاذا فرغت قال اقرأه فاقرأه فان كان فيه سقط اقامه<sup>(٦)</sup> . وعن السيوطي في الاتقان ان زيدا كتب العرضة الاخيرة للقرآن وقرأها على النبي وكان يقرئ الناس بها ولذلك اعتمده ابو بكر وعثمان<sup>(٧)</sup> .

(١) العُسب جمع عسب وهو جريدة النخل . واللخاف حجارة بيض رفاق .

والاديم الجلد (٢) فتوح البلدان ٤٧٣ (٣) الطبقات ج ٢ ق ٢ - ١١٢

(٤) الفهرست ٢٧ (٥) تذكرة الحفاظ ١ - ٢٧ (٦) ادب الكتاب

ص ١٦٥ - (٧) الاتقان ١ - ٥٣

على ان الجمع المعول عليه انما حدث اولاً في عهد ابي بكر فقد عهد الى زيد بذلك فجمع السور من المخطوطات المختلفة ومن صدور الرجال وجعلها في صحف فكانت عند ابي بكر ثم انتقلت الى عمر حفصة ابنته<sup>(١)</sup> وفي ايام عثمان أعيد النظر فيه فعهد هذا الخليفة الى لجنة قوامها زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث فنسخت صحف ابي بكر في مصاحف . وقال للرهبان القرشيين الثلاثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم . فنسخ زيد بضعة مصاحف ارسل منها الخليفة مصحفاً الى كل اقلق وامر بكل ما سواه من القرآن ان يحرق<sup>(٢)</sup>

جمع مصحف عثمان في سنة ٢٥ هـ وقد روعي فيه الامانة التامة في النقل ولشدّة اعتناء المسلمين بالمحافظة على صورته الاصلية اي الصورة التي نقلها زيد لعثمان لم يمسه بادني تحوير او تبديل حتى انهم انفقوا على صور الالفاظ التي كتبت يومئذ على غير الاصول الكتابية كرسم التاء والمعزة وزيادة بعض الاحرف وسواها<sup>(٣)</sup> . قال الزمخشري في الكشاف « وقد انفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف<sup>(٤)</sup> . وقال ابن خلدون في كلامه عن صناعة الخط وانها لم تكن في عهد الصحابة بالغّة الغاية من الاحكام او الاتقان » وانظر

(١) الفهرست ٢٤ (٢) صحيح البخاري ٦-٩٦ والفهرست ٢٥

(٣) مثال ذلك :

نعمت وبقيت بدل نعمة وبقية

يشعيب وسلطان بدل باشعيب وسلطان

بايه والليل بدل يا ايها والليل

ادريك بدل ادراك (٤) الكشاف ١-١٠

ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند اهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبرؤاً كما<sup>(١)</sup> . ونقل صاحب مفتاح السعادة عن البيهقي قوله . « من كتب مصحفاً فينبغي ان يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف<sup>(٢)</sup> . وكما حافظوا على رسم حروفه حافظوا على طرق ادائه واستقر من هذه الطرق سبع معينة تواتر نقلها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت اصولاً للقراءة . ومع انشعاب المسلمين منذ اوائل عهدهم الى شيعة وسنة وخوارج وغير ذلك واختلافهم في بعض اجزاء القرآن او سوره كرفض الخوارج سورة يوسف وقول الشيعة انه قد سقط منه بعض آيات في الامام علي . فانهم جميعاً يجمعون على صحة روايته وصدق آياته لا يمارون في ذلك ولكنهم يتشاحنون في تفسيره وتأويله . فالحروب الشديدة التي نارت بينهم لم تمس جوهر القرآن الا في اشياء زهيدة تدعىها هذه الفرقة او تلك . وفي ذلك ما فيه مما يؤيد اجماع الامة على قبول نصه كما جمع في مصحف عثمان . ومما يدل على حرصهم الا يمسوه بتحوير او تبديل انهم ابقوا على ما فيه من ناسخ ومنسوخ وحروف من اللحن<sup>(٣)</sup> . فهو وثيقة ادبية تاريخية بل هو اصح ما يعتمد عليه في الرجوع الى ما كان عليه الادب العربي في بدء العهد الاسلامي . حتى ان النقاد من مستشرقين اوربا لم يستطيعوا الا الجهر بذلك . قال نولدكي في دائرة المعارف البريطانية<sup>(٤)</sup> . « ان مصحف عثمان على ما فيه من غرابة في الترتيب صحيح الرواية .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٩ (٢) مفتاح السعادة ٢ - ٢٢٩

(٣) من اراد البحث في الناسخ والمنسوخ فليراجع الاتقان للسيوطي ٢ - ٢١ وفي

اللحن فليراجع مفتاح السعادة ٢ - ٢٧٧ (٤) Enc. Br. - Koran

وكل محاولة من قبل علماء أوربا لاثبات زيادات لحقته في عصر متأخر لم يكن نصيبها الا الخيبة «

## لغة

مما لا شك فيه ان لغة القرآن على العموم حجازية فالنبي حجازي حمل الوحي الى قريش بلسانهم . وقد اجمع المؤرخون على ان عثمان امر الذين جمعوه ان يكتبوا ما يختلفون عليه بلغة قريش . وللعلماء المتخصصين في دراسة القرآن مباحث عقدها في تبيان غريبه . قال السيوطي في الاتقان ان خلائق لا يحصون افردوا ذلك بالتصنيف « منهم ابو عبيدة وابو عمر الزاهد وابن دريد ومن اشهرها كتاب العزيزي فقد اقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه ابو بكر الانباري . ومن احسنها المفردات للراغب . ولابي حيّان في ذلك تأليف مختصر في كراسين<sup>(١)</sup> » قلنا وعنهم اخذ الذين اتوا بعدهم فصنفوا ما صنفوه ومنهم السيوطي وكثيرون غيره . واذا قلنا غريب القرآن فنحن نعني بذلك احد نوعين ١ - الغريب العربي وهو ما كان من غير لغة قريش ٢ - الغريب الدخيل وهو المعرب . نقل صاحب مفتاح السعادة عن كتاب الارشاد للواسطي قوله « في القرآن من اللغات خمسون<sup>(٢)</sup> » ويعني بذلك انك تجد فيه من غريب الالفاظ ما أخذ عن نحو خمسين قبيلة من قبائل العرب . واليك امثلة من ذلك ننقلها عن الاتقان للسيوطي<sup>(٣)</sup>

ارائك	بمنية	الاسرة	معاذير	بمنية	شور
سامدون	ساهاون	زوّج	نكح		

(١) الاتقان ١ - ١١٨ (٢) مفتاح السعادة ٢ - ٢٦٩

(٣) الاتقان ١ - ١٤٠ و ١٤١

اللهم	يمية	المرأة	فورهم	هذيل	وجهم
بعل	ازدشنوه	رب	مدرار	متتابع	
الوزر	هذيل	ولد الولد	عيلة	فاقة	
يأس	هوازن	يعلم	وليمة	بطانة	
يفتكم	هوازن	يضلكم	انفروا	اغزوا	
بور	عمان	هلكي	السائحون	الصائمون	
تقبوا	يمينه	هربوا	دلوك الشمس	زوالها	
يليت	عبس	ينقص	شاكانه	ناحيته	
المسناة	يمية	ما بيني للسيل	رجم	ظن	
المسطور		المكتوب	ماتحد	ملجأ	
السفهاء	كنانة	الجهال	الاجداث	القبور	
خاسئين		صاغرين	ثاقب	مضيء	
معمزين		سابقين	دسر	المسامير	
الموئل		الملجأ	برد	نوم	
مبلسون		آيسون	مسغبة	مجاة	
الخراصون		الكذابون	الفشل	الجبين حمير	
الاسفار		الكتب	زيلنا	ميزنا	
أقت		جمعت	عتيا	نحولا	
كنود		كفور	الصرح	البيت	
الرجز	هذيل	العذاب	انكر الاصوات	اقبحها	
شروا		باعوا	يتركم	بنقصكم	
آناء الليل		ساعاته	راية	شديدة	

باءوا	جرهم	استوجبوا	تسميئون	جثعم	ترعون
كذاب	=	كاشباه	مريج	=	منتشر
تعولوا	=	تميلوا	صفت	=	مالت
شرد	=	نكل	شطط	=	كذب
عصيب	=	شديد	نحلة	قبس عيلان	فريضة
حدب	=	جانب	حرج	=	ضيق
الخلال	=	السحاب	صياصيمهم	=	حصونهم
الودق	=	المطر	تجبرون	=	تنعمون
ريع	=	محل مرتفع	رجيم	=	ملعون
ينسلون	=	يخرجون	حفدة	سعد العشرة	اختان
شوبا	=	مزجا	كل	=	عيال
سور	=	الحائط	فجاج	كندة	طرق
شية	ازدشنوه	وضح	تبتس	=	تحزن
العضل	=	الحبس	اخسثوا	عذرة	اخزوا
إمة	=	سنين	ريون	حضر موت	رجال
الرس	=	البئر	دمرنا	=	اهلكنا
غسلين	=	الغار	لغوب	=	اعياء
لواحة	=	حرارة	منساته	=	عصاه
مقيت	مدحج	مقدر	لا تغلوا	مزينة	لا تزيدوا
الصيد	=	الفناء	املاق	لحم	جوع
الخرطوم	=	الانف	فجاسوا	جذام	تخللوا
الحقب	=	الدهر	الجناح	حنيفة	اليد

حصرت	اليامة	ضاقت	نكص	سلم	رجع
تبرنا	سبا	اهلكننا	الصاعقة	عمارة	الموت

وهناك الفاظ اخرى لقبائل شتى يضيق المقام عن استيعابها

### الفرب الرفيل

وفي القرآن اكثر من مئة لفظة من غير لغات العرب وازاء هذه الالفاظ  
اختلف علماء الفقه في تفسير الآية « قرآنًا عربيًا غير ذي عوج »<sup>(١)</sup> والآية  
« ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته الأعجمي وعربي »<sup>(٢)</sup> .  
وانقسموا فئتين - فئة ترفض ان يكون في القرآن كلام غير عربي ومن  
هو لاء ابو عبيدة وابن فارس والطبري والشافعي والباقلاني . وفئة تقول  
بوقوع غير العربي فيه . ومنهم ابن سلام وابن الجوزي والجواليقي والحفاجي<sup>(٣)</sup>  
والحقيقة ما ذهب اليه الفئة الثانية . وقد احسن ابن سلام والجواليقي الجمع بين  
الرأين فقال الاول « والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً  
وذلك ان هذه الاحرف اصولها اعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب  
فعرّبتها بالسنتها وحوّلتها عن الفاظ المعجم فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد  
اختلفت هذه الحروف بكلام العرب . فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال  
اعجمية فصادق<sup>(٤)</sup> » . وائتقد الجواليقي قول ابي عبيدة - من زعم ان في  
القرآن لساناً سوى العربية فقد اعظم على الله القول - فقال « وما روي عن  
ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في احرف كثيرة من غير لسان العرب  
مثل مجيل والمشكاة واليم والطور وغيرها . فهو لاء اعلم بالتأويل من ابي عبيدة

(١) سورة الزمر ٢٨ (٢) سورة فصلت ٤٤ (٣) راجع تفصيل ذلك في

المزهر ١ ص ١٢٩ - ١٣٦ (٤) الاثنان ١ - ١٤٣

ولكنهم ذهبوا الى مذهب وذهب هذا الى غيره . وكلاهما مصيب ان شاء الله  
 وذلك ان هذه الحروف بغير لسان العرب في الاصل - فقال اولئك على  
 الاصل - ثم نفظت بها العرب بالسنتها فعرّبتها فهي عربية في هذه الحال العجمية  
 الاصل : فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً<sup>(١)</sup> ومن امثلة ذلك<sup>(٢)</sup> -

اللفظة	معناها	اصلها	السورة
ابريق	اكواز	فارسية	الواقعة
استبرق	الحرير	ـ	الرحمن
اواب	المسيح	حبشية	ص
الاصر	العهد	نبطية	آل عمران
الجبت	الشیطان	حبشية	سورة النساء
حوب	اثم	حبشية	سورة النساء
الزقيم	اللوح والكتاب	رومية	الكهف
سجیل	طين متحجر	فارسية	هود
الصراط	الطريق	رومية	الفاتحة
الطور	الجبل	سريانية	القصص
الفردوس	البستان	رومية	الكهف
القِط	الكتاب	نبطية	ص
قسورة	الاسد	حبشية	المدثر
قرطاس	الورق	رومية	الانعام
قسطاس	الميزان	ـ	الشعراء

(١) المغرب للجواليقي ص ٤٥ (٢) نقل هذه الالفاظ عن الاثنان ص ١٤٣ - ١٤٧  
 وعن الاصل والبيان للشيخ حمزه فتح الله



الكافور	نبت طيب	فارسية	الانسان
كفّلين	ضعفين	حبشية	الحديد
كنز	المال	فارسية	الكهف
مسك	طيب معروف	فارسية	المطففين
المشكاة	الكوة	حبشية	النور
المهل	الزيت	حبشية او بربرية	المعارج
ناشئة الليل	قيامه الليل	حبشية	المزمل
يصدون	يضجون	حبشية	الزخرف
اليَمِّ	البحر	سريانية	طه

وقس على ما ذكر كثيراً من الالفاظ التي ذكرت في الاتقان والمعرب  
وشفاء الغليل وسواها

## اسلوب

يقع القرآن في ١١٣ سورة ما عدا الفاتحة . والسور عموماً على نوعين  
مكي ومدني . وقد اختلفوا في تحديد كلٍّ من النوعين على انّ لهم في ذلك  
ثلاثة اقوال مشهورة . وهي <sup>(١)</sup> -

- ١ - ان المكي ما نزل قبل الهجرة . والمدني ما نزل بعدها
- ٢ - ان المكي ما نزل بمكة ( ولو بعد الهجرة ) والمدني ما نزل بالمدينة
- ٣ - ان المكي ما وقع خطاباً لاهل مكة والمدني ما وقع خطاباً لاهل  
المدينة

والذي يتحرى القرآن يجد ان من السور ما بعض آياته مدني وبعضه

(١) راجع مفتاح السعادة ٢ - ٢٣٨ و ٢٣٩

مكي وقد اشار الى ذلك السيوطي في الاثقان فليراجع<sup>(١)</sup> . فاذا جعلنا سور القرآن نوعين فانما هي قسمة اجمالية غير شاملة . وعلى هذا التقسيم نجد ان عدد السور المكية يفوق عدد المدنية بنسبة ثلاثة الى واحد على ان منها كثيراً من القصار القليلة الآيات . ولما كانت المكية عموماً اقدم من المدنية وكان موقف النبي فيها - ولا سيما فيما يرجع الى اوائل الدعوة موقف الداعية المتحمس لمبدأ روجي يرى من الواجب اعلانه والجهاد في سبيله - كانت هذه السور في اكثر مواقعها انزع الى الانتقاد الخطابي واشد انتقاداً على المقاومين . فهي غالباً حملات ناربية يجري الكلام فيها بفقرات قصيرة رنانة يكثر فيها التسجيع . وهنا نقول ان سجع القرآن كان موضوع جدل عند الفقهاء انكره بعضهم استناداً على انه لو كان مسجعاً لما كان خارجاً عن كلام العرب - لا سيما وان السجع مما كان يألفه كهان العرب . وخالفهم البعض الآخر واثبتوا السجع فيه مستندين الى ان ذلك مما يتبين فيه فضل الكلام<sup>(٢)</sup> . والحقيقة ما ذهب اليه هؤلاء كما يتضح في الالوف من آياته . على ان القرآن لا يتقيد بالسجع ثقيد المقامات ونظائرها بل كثيراً ما ينتهي بفواصل متقاربة غير مقيدة بالقوافي

ويتوالى في كثير من السور المكية القديمة اقسام ( جمع قَمَم ) شديدة الوقع كقوله - « والنازعاتِ غرقاً ، والناشطاتِ نشطاً ، والسابحاتِ سبحاً فالسابحاتِ سبحاً ، فالمدبراتِ امرأً » . او جعل مصدرية باذا الشرطية كقوله - « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت » الى آخر الآيات . ولا تجرد ذلك

(١) راجع الاثقان ج ١ ص ٣٨ و ٣٩ وراجع ايضاً ص ٩ - ١١

(٢) راجع اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٢

عادةً في السور المدنية - لا الطويلة ولا القصيرة منها - بل ولا في السور  
المكية المتأخرة . واليك امثلة من الاسلوب المكي العام -  
« كلاًّ إنها لظي ، نزاعة للشوى ، تدعو من ادبر وتولى ، وجمع فاعوى .  
ان الانسان خلق هلوفا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا . الآ  
المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في اموالهم حق معلوم ، لاسائل  
والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون  
ان عذاب ربهم غير مأمون<sup>(١)</sup> » . فاذا تأملت هذه الآيات وجدت فيها  
ما ذكرناه من قصر في العبارات وانقاد في الحمل على المشر كين مع ازدواج  
او سجع يسهل على خوالج النفس الظهور بمظهر رائع مؤثر . ومثلا من  
سورة الحاقة<sup>(٢)</sup> « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، فاما من أوتي  
كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ، افي ظننت اني ملاق حساييه ،  
فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية . كلوا واشربوا  
هنيئاً بما اسلفتم في الايام الخالية » ويجري الكلام على هذا الطراز من تكدير  
وتقريع معقودين بالسجع القصير الفقرات . وانظر الى هذا الاسلوب القديم  
في سورة المرسلات « والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا  
فالفارقات فرقا ، فالملقيات ذكرا ، عذراً او نذرا . انما توعدون لواقع .  
فاذا النجوم طمست ، واذا السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت ، واذا الرسل  
أقيمت ، لاي يوم أُجّلت ، ليوم الفصل ، وما ادراك ما يوم الفصل ،  
وبل يومئذ للمكذبين . الم نهلك الاولين ، ثم تبعمهم الآخريين ، كذلك نفعل  
بالجرمين . وبل يومئذ للمكذبين . الم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه في قرار  
مكين ، الى قدر معلوم ، فقد رنا فنعم القادرون . وبل يومئذ للمكذبين » . واذا

(١) سورة المعارج ١٥ - ٢٧ (٢) الآية ١٨ - ٢٤

تبعث السورة الى آخرها تجدها على هذا النحو من الازدواج مسجماً او غير مسجع . وكما ذكرت منها بضع آيات كررت الآية وبل يومئذ للمكذبين فكانها لازمة شعرية او خطابية تربط الايات وتوجه النظر الى الغاية منها على ان السور المكية الطولى لا ينتقد بقصر الفقرات ولكنها كالقديمة يسود فيها النفس الخطابي ونزعة الحمل على المقاومين او المشركين . وقلماً يعمد فيها الى الاسلوب الجدلي او التشريعي الذي نراه في كثير من الايات المدنية في المدينة ووضعت انظمة الحياة الاسلامية . وفيها احتك الاسلام باهل الكتاب (اليهود) احتكاً عنيفاً فتحول الانقضاض على مشركي مكة وآلهتهم الى نوع من الارسال البرهاني ، اذ كان القصد اخذهم بالحجة واظهار ضلالمهم بالتدليل واحياناً بالتقريع . ولا يعني ذلك ان بلاغة الايات في السور المكية تختلف عنها في السور المدنية اختلافاً يسيع لنا ان نجعل بين هذين القسمين حداً فاصلاً او تخمماً واضحاً ، بل ان الاحوال التي نزلت فيها الواحدة لم تكن نفس الاحوال التي نزلت فيها الاخرى . واذا صح ان نجعل حداً فاصلاً فانما يكون ذلك بين المكية القديمة والمدينة . اما المكية المتأخرة فصلة وصل بينهما وهذا الاختلاف الواضح في الاسلوب بين السور في عهد مكة الاول وما نزل منها في المدينة راجع بالاكثر الى مطابقة الكلام لمقتضى الحال . ولذلك قد ترى في بعض مواقف السور المدنية ما يندفع فيه الكلام اندفاعاً خطائياً مماثلاً لما نراه في السور المكية . فما الفرق بينهما الا فرق اجمالي ولكنه يلفت نظر المتأمل . واليك امثلة توضح ما نقصد اليه -

« ان الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين اتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني . وقل للذين اتوا الكتاب

والإيميين أأسلمتم . فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد»<sup>(١)</sup>

وفي الآية ٦٥ - ٦٧ « يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون . ها انتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين »

فانك ترى عند قراءة هذه الآيات ومقابلتها بالآيات المكية القديمة انك انتقلت من حال الى حال - لا من حيث التركيب البياني ولكن من حيث انفعال النفس وحرارة العبارة . وانظر الى هذه الآية<sup>(٢)</sup> « الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت . قال انا احيي وأميت . قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر . والله لا يهدي القوم الظالمين » كيف نتخذ طريق البرهان الحسي اخطأاً للخصم ومثلها كثير في السور المدنية ولا نجد ذلك في المكية القديمة او هو نادر جداً هناك ومثلها من السورة نفسها (الآية ١٩) « واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم . قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين » . والآيات ٩٤ و٩٥ - « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولن يتمنوه ابدأ بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين »

(١) آل عمران الآية ٢٩ و٣٠ (٢) سورة البقرة ٢٥٧

ولو قابلت السور المكية الصغرى بامثالها من المدينة لرأيت ما يقصد  
 اليه من تغير النفس بتغير المكان والحال. ولا يتسع المقام لضرب الامثلة على  
 ذلك فترجع الباحث الى هذه السور ليحكم بنفسه على ما تقول. وهذا  
 ابو هلال العسكري يشير الى هذا الفرق وانه ناجم عن حال المخاطب. فقد قال  
 في باب الاطناب من كتابه الصناعتين<sup>(١)</sup> «قد رأينا ان الله تعالى اذا خاطب  
 العرب والاعراب اخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي واذا خاطب بني  
 اسرائيل او حكي عنهم جعل الكلام مبسوطاً. وقلما تجد قصة لبني اسرائيل  
 في القرآن الا مطولة مشروحة، ومكررة في مواضع معادة بعد فهمهم  
 وتأخر معرفتهم». وعلى ذلك قال الصولي في ادب الكتاب<sup>(٢)</sup> «فاذا احتيج الى  
 الاكثر جيء بما لا بد منه. واكثر ما يقع ذلك في الرغبة والرهبه. الا ترى  
 الى كتاب الله عز وجل وكلامه المعجز كيف يسكون فيه ذكر الجنة والنار  
 وقصة الانبياء (عم) والنعمة ممن كذبهم بالاعتبار بما نزل بهم فكانت  
 الحكمة تقرير ذلك» ٠٠٠ الى ان يقول «ولان الانسان قد يقرأ بعض القرآن  
 ويحفظ شيئاً منه دون شيء فلم يخل الله عز وجل كل موضع منه من ترغيب  
 وترويب واذا كان واعتبار تفضلاً منه على عباده واستدعاء لطاعتهم ونهيًا عن  
 عصيانهم. فوقع التكرير لذلك»

وقال ابن قتيبة<sup>(٣)</sup> - «وهذا (اي الايجاز) ليس بمحمود في كل موضع  
 ولا بمختار في كل كتاب بل لسكل مقام مقال ولو كان الايجاز محموداً في  
 كل الاحوال لجرده الله في القرآن ولم يفعل الله ذلك ولكنه اطال تارة  
 للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للفهام»

(١) الصناعتين ١٤٤ (٢) ادب الكتاب ص ٢٢١

(٣) ادب الكاتب ٩

## ظواهر بلاغية

من العبث ان نلّم هنا بكل ضروب البلاغة التي تُجلى في القرآن . ففي بلاغته وضع كثير من الكتب ، بل هو العامل الدافع لما صنفه العلماء من علوم المعاني والبيان والصرف والنحو ناهيك بكتب التفسير واللغة والتشريع وسواها . وقد اوجب العلماء على من يتعرض لدرس القرآن وتفسيره لا اقل من ١٥ علماً<sup>(١)</sup> . وعدوا منها المعاني والبيان والبديع او علوم البلاغة وهي عندهم من اعظم اركان المفسر ، لانه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز وانما يدرك هذه العلوم . الا ان ملاك الامر فيه اما السليقة كالاعراب الخالص ومن يخذو خذوهم ، او الذوق الذي هو آلة في اكتساب البلاغة ولا يمكن تحصيلها بدونها . قال السكاكي في حق المعاني والبيان « فالويل كل الويل لما تعاطى التفسير وهو فيهما راجل<sup>(٢)</sup> » . وقد افردوا في بدائع القرآن مصنفات عديدة وعدادوا من تلك البدائع اكثر من مئة نوع . فلترجع في مظانها الخاصة . على انه لا يسعنا ان نمرّ باول كتاب عربي دون ان نلمح ولو تلميحاً الى بضع من اعمّ الظواهر البلاغية فيه مستنديين في ذلك الى ما اختبرناه لدن قراءته . وستقتصر منها على اربعة انواع -

١ - الاحتمالك ودقة الاشارة . ومعنى الاحتمالك الشدّ والإحكام وتحسين اثر الصنعة في الثوب بسدّ ما بين خيوطه من الفرّج ، واحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع بقاء الحسن والرونق . وهو يتناول في الكلام احكام الانشاء بحيث لا يتراخي او يضعف لحذف او ذكر او تقديم وتأخير وما

(١) راجع تفصيل ذلك في مفتاح السعادة ١- ٤٢٢ و ٤٢٨

(٢) راجع تفصيل ذلك في مفتاح السعادة ١- ٤٢٨

شا كل من ضروب المعاني . واما دقة الاشارة فهو الایجاز او عرض المعنى باقل ما يكون من الالفاظ او العبارات كالأية - « آمن شرح صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه فويل للقاسية قلوبهم<sup>(١)</sup> » . فالمحذوف هنا خبر من ( كالقاسية قلوبهم ) وقد اشارت اليه الآية اشارة غريبة . ومثلها الآية<sup>(٢)</sup> « آمن بتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون » . فانظر الى الایجاز في تقدير الخبر ( مكن هو آمن منه ) ومن ذلك الآية ٤٨ من سورة الشورى « فان عرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً إن عليك الا البلاغ . وإنا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان نصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور » . والاحقاف « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض . ام لهم شركٌ في السموات . ائتوني بكتابٍ من قبل هذا او أثارة من علم ان كنتم صادقين » . اي بكتاب او بقية من علم الاولين تشير الى استحقاتها للعبادة .

وعلى هذا النمط الدقيق الآية ٢٩ من سورة الفتح يتكلم عن المؤمنين « سيماهم في وجوههم من اثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . » وطه ٦٦ « قال القوا فاذا جبالهم وعصبيهم ينخيل اليه من سحرهم انها تسعى »

فتأمل الحذف او التقدير في كل من هذه الآيات نفهم ما تقصد بدقة الاشارة واحتباك العبارة . وقس على ذلك من آي الكتاب ما يتعذر احصاؤه في هذا المقام



## ٢ - من البقاع

ويراد به رصف الكلام رصفاً متناسب الاجزاء . ويحصل من تلاؤم الالفاظ والعبارات تلاؤماً ترتاح اليه النفوس . والقرآن بما فيه من رنة مطربة سواء كان ذلك في فواصله او اسجاعه ( ويظهر سجمه في نحو ٦٢٠٠ آية ) او اتساق الالفاظ في آياته يمدّ انموذجاً في الادب العربي . فاذا نظرت فيه عبارة عبارة رأيت قوة السبك ( الاحتباك ) مقرونة بما يناسب شعور النفس من عنف حين العنف ورقّة في موقف الرقة . ويغلب على اسلوبه الروعة الخطائية والوثبات العاطفية ولذلك يكثّر فيه التفخيم والتكرير والتمثيل وسواها من ضروب البلاغة . كل ذلك بايقاع خاص عرف به القرآن ويكثّر في تركيبه الانشائي تقديم القيود على المقيدات والصفات على الموصوفات مما يلائم انقاد الشعور ووثبات الخيال

وللشيخ شمس الدين بن الصائغ كتاب سماه ( احكام الراي في احكام الآي ) اشار فيه الى تناسب العبارات القرآنية والى انه قد توخى فيها اوضاع خاصة مراعاة لهذا التناسب . قال « وتبعت الاحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للنسبة فعثرت منها على نيف واربعين حكماً » وقد نقل هذه الاحكام جميعها صاحب مفتاح السعادة<sup>(١)</sup> فليراجعها من اراد . على اني اجتزى هنا منها بما يلي اظهاراً لما نرمي اليه -

تقديم ما هو مؤخر في الزمان نحو : فله الآخرة والاولى  
تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو : ونخرج له يوم القيامة كتاباً

يلقاه منشوراً

تقديم الضمير على ما يفسره نحو فاوجس في نفسه خيفة موسى

ايثار تذكير اسم الجنس = اعجاز نخل منقعر

= تأنيث = = اعجاز نخل خاوية

ايراد احد القسمين غير مطابق للآخر نحو : وليعلمن الله الذين صدقوا

وليعلمن الكاذبين ( لم يقل الذين كذبوا )

ايثار اغرب اللفظين نحو : قسمة ضئلي (لم يقل جائرة)

حذف اسم المفعول = ما ودعك ربك وما قلى

الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو : فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (بدل

فتشقيان)

اجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو : رأيتهم لي ساجدين (عن القمر والنجوم)

العدول عن الماضي الى الحاضر نحو : فريقا كذبتهم وفريقا تقتلون

تغيير بنية الكلمة نحو : طور سينين (بدل سيناء)

وقوع اسم المفعول بدل الفاعل نحو : حجاباً مستورا (بدل ساترا)

الى آخر هذه الاحكام التي تدل على مراعاة التنزيل للوزن وحسن

الوصف وجمال الابقاع .

### ٣ - روعة الالتقال

ويراد بها الوثوب من معنى الى معنى او من حالة الى حالة وثوباً يحرك

النفس ويزيد في روعة المعنى . واكثر ما يكون ذلك فيما يطلق عليه العلماء

اسم الالتفات وهو الخروج من صيغة الى صيغة واليك امثلة عليه -

« ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا . أفمن يأتي في النار خير ام

من يأتي آمناً يوم القيامة . اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير <sup>(١)</sup> فقد انتقل

من الخبر الى السؤال الى الامر انتقالاً زاد تأثير الكلام . ومن ذلك « فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم . واضلّ فرعون قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المنّ والتلوى <sup>(١)</sup> . والانتقال هنا من الخبر الى النداء ومن الالتفات « هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام والملائكة . وقضي الامر والى الله ترجع الامور <sup>(٢)</sup> » ومنه - « واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين <sup>(٣)</sup> » ومنه - وقيل يا ارض ابلي ماءك . ويا سماء اقلعي ، وغيض الماء ، وقضي الامر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظالمين »

وذكر الصفدي في « الغيث المنسجم في شرح لامية العجم » نوعاً آخر من الالتفات سماه الالتفات من اسلوب الى اسلوب او الخروج من نوع الى نوع وسلوك سبيل بعد سبيل حتى عدّ التخلصات الشعرية منه <sup>(٤)</sup> . فاذا التفتنا الى القرآن نجد هذا النوع من الالتفات عاماً فكثيراً ما ينتقل في السورة الواحدة من قصة الى قصة ومن موقف الى موقف انتقالاً فجائياً قد يجد فيه القارىء او السامع تطرية لنشاطه .

واذا دققنا النظر في الالتفات وبحثنا في الغاية من العدول عن صيغة الى اخرى او عن موقف الى آخر وجدنا ان ذلك لا يكون الا لخصوصية بلاغية كالتعظيم او التحقير او التوكيد او الايضاح وهو يعدّ لذلك من اوجه

(١) طه ٧٩ و ٨٠ (٢) البقرة ٢٠٩

(٣) البقرة ٦٠ (٤) الغيث المنسجم ١ ص ٣٣٩ - ٢٤٠

البلاغة بل من اركانها الرئيسية . ولقد يتجلى ما نقصد اليه في ما يلي من سورة الكهف يصف يوم الحساب «وبوم نُديرُ الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفاً . لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان نجعل لكم موعدا . ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها . ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احدا»

فانظر كيف تواب من المضارع الى الماضي ومن المعلوم الى المجهول ومن الغائب الى المخاطب ثم الى الغائب فالمخاطب فالغائب فالمخاطب تواباً يجعل للكلام من جلال الوصف وتعظيم الحال ما ينفرد به هذا النوع من ضروب البلاغة .

#### ٤ - جمال التمثيل

ويراد بالتمثيل تفسير المعاني الموهومة بالصور المشاهدة او كما قال بعضهم ابراز التخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وهو يوتر في القلوب ما لا يوتر وصف الشيء في نفسه . قال السيوطي «ولذلك اكثر الله تعالى في كتابه الامثال<sup>(١)</sup>»

وامثال القرآن قسمان قسم على سبيل التشبيه الظاهر كقوله من سورة البقرة في المنافقين - «مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون» . وقوله «او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه

وإذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير» ومن سورة الرعد «قل هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا تخلفه فتشابه الخلق عليهم . قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار . انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايّاً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبدٌ مثله . كذلك يضرب الحق والباطل . فاما الزبد فيذهب جفاءً واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال» اي كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاءً لا ينتفع به ولا ترجى بر كته كذلك يضمحل الباطل عن اهله . وكما مكث هذا الماء في الارض فامرعت واخرجت نباتها وكذلك الذهب والفضة حين ادخل النار فذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله .

ومن هذا الطراز العالي ما جاء في سورة الكهف . «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاخطلط به نبات الارض فاصبح هشياً تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا» . ومن سورة النور «الله نور السموات والارض . مثل نوره كشكاة فيها مصباح . المصباح في زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب دريُّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم» ويجيء التمثيل الظاهر في القرآن عن سبيل القصص وهو كثير :

ومن التمثيل القرآني ما لا يظهر عن سبيل التشبيه او القصص ولكنه يجيء امثالا ترسل في الناس حكماً بالغة . وهي كثيرة نعد منها ولا نعددها كقوله :

لن ننالوا البر حتى ننفقوا مما تحبون

الآن حصحص الحق

قُضِيَ الامر الذي فيه تستفتيان  
 أليس الصبح بقريب  
 لكل نباً مستقرّاً  
 قل كلُّ يعمَل على شاكته  
 وعسى ان تكرر هو شيئاً وهو خير لكم  
 كلُّ نفس بما كسبت رهينة  
 ما على الرسول الا البلاغ  
 كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة  
 ولا ينبئك مثل خبير  
 لا يكلف الله نفساً الا وسعها

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث  
 واما الزبد فيذهب جفاً

وقس على ما ذكر مئات من جوامع الكلم وفيه تتجلى مائة الاحتباك  
 مع بلاغة الايجاز . وليس ما ذكرناه من ضروب البلاغة في اول وثيقة  
 عربية الاقطرة من بحر عباب . وليس على الباحث الا ان يرجع اليه ويطالع  
 اقوال الشراح فيه ليعرف دقائق بلاغته ويتفهم اسرار لغته .

رأي نوارك في اسلوبه

لهذا المستشرق الكبير بحث ضاف في دائرة المعارف البريطانية<sup>(١)</sup> عالج  
 فيه القرآن من كل وجوهه معالجة الخبير المدقق على انه في الكلام على اسلوبه  
 القصصي ذكر ما تراءى له كما وجه ضعف في ذلك الاسلوب<sup>(٢)</sup> . واهمها

(١) راجع تحت لفظة Koran - Edition 11 - Encyc. Brit.

(٢) راجع كلامه في نفس المقال تحت عنوان Stylistic weakness

عنده - النقص في التسلسل - ويقصد بذلك ان القصة لا تروى في طريقة  
خبرية منظمة بل يعثرها التقطيع والتشويش حتى يصعب جداً فهمها على من  
لم يطلع عليها في مصدر آخر . ومما انتقده تكرير بعض الالفاظ او العبارات  
تكريراً لا مبرراً له (عنده) وكثرة الانتقال في سياق الكلام من صيغة  
الى صيغة او من حال الى حال . ويقول ان كل عالم اوربي يقرأ الكتاب  
بروح الانصاف يرى رأيه . اما المتمسكون من اهل الاسلام فينكرون هذا  
الكلام ويرمون صاحبه بالاحاد .

ومن الانصاف هنا ان نقول ان نولدكه لم يصب كبد الحقيقة فيما ذهب اليه  
من نقد الاسلوب القرآني . اذ لا يجوز مقابلة هذا الاسلوب بالاسلوب القصة في  
التوراة لاختلاف الغرض فيها . ففي التوراة عدا اسفار الانبياء والامثال  
والاناشيد الروحية حوادث تاريخية منظمة تجري فيه الاخبار مجراها الواضح  
العادي ، اما القرآن فحملات روحية خطافية لا يقصد بها تسلسل الخبر ،  
ولكن تستخدم فيها القصة تذكيراً او تهويلاً . ولذلك ترد مراراً بحسب ما  
يقتضيه الكلام وكثيراً ما تروى عن سبيل الاشارة والتلميح - والنسق  
الخطابي يقتضي التكرير كما هو معروف - . واما الالتفات فقد تقدم معنا  
الكلام عليه وانه من ضروب البلاغة ويصعب ادراك كنهه على غير ابناء  
اللغة الواقفين على اسرارها

## الحديث النبوي

### ومقامه في تاريخ النثر

ليس من شأننا ان نتناول الحديث من الوجهة الفقهية فلذلك علماء تخصصوا في دراسته واليهم برُجع في روايته ومعرفة اسانيدہ . علي انه لا يسعنا ونحن ندرس النثر العربي ونحاول ان نتبّع مجاريه في التاريخ الا ان تقف قليلاً لدى هذه المجموعة الادبية الخطيرة ، لاسيما وان ارباب القول فيها يرجعونها الى عهد النبي ويضعونها في المقام الاعلى بعد القرآن نقل القلقشندي عن كتاب حسن التوسل « لا بدّ للكاتب من حفظ الكثير من الاحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم وخصوصاً في السير والمغازي والاحكام وتأمل فصاحتها والنظر في معرفة معانيها وغربها » الى ان يقول « فانها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم وقال انا افصح من نطق بالضاد » ثم قال :

والذي اشار اليه ابن قتيبة في ادب الكاتب « ان الاحاديث التي ينبغي للكاتب حفظها الاحاديث المتعلقة بالفقه واحكامه » قلت (اي القلقشندي) والتحقيق ان حاجة الكاتب لا تختص باحاديث الاحكام ودلائل الفقه بل تتعلق بما هو اعم من ذلك خصوصاً الحكم والامثال والسير وما اشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به في الكتابة والاقباس من معانيه<sup>(١)</sup>

فهي تهم الباحث في تاريخ الادب العربي . ولكن الى اي حدّ يجوز اعتمادها وكيف ندلج في ظلمات البحث متلمّين صحيحها ، ذلك ما نرجو بسطه في هذا المقام .

(١) ملخصة عن صبح الاعشى ٢٠١-٢٠٤



## وضع الاحاديث

لا مراء في ان الحديث لا يجوز اعتبار مجموعه وثيقة من الوثائق الثرية فقد كثر فيه الوضع حتى لفت نظر الباحثين قديماً وحديثاً. وعلى ذلك قول ابن القطان «لم تر اهل الخبر في شيء ا كذب منهم في الحديث»<sup>(١)</sup> . وقد هب العلماء منذ دؤن الحديث الى درسه وتجريحه وتعديله، ولهم في ذلك كتب واقوال كثيرة نذكر منها عدا الصحيحين جامع الاصول لابن الاثير و كتاب الموضوعات لابن الجوزي وتذكرة الحفاظ للذهبي وجامع الجوامع للسيوطي وما الى ذلك من مؤلفات بتعذر حصرها هنا . وفي جميعها يعني لمؤلفون بذكر الحفاظ والمحدثين وتعيين درجاتهم والتنويه بحسناتهم وسيئاتهم وقد قادم ذلك الى تنويع الاحاديث وغربلتها والنظر في اسانيدھا وشروطها فطرحوا منها الالوف الكثيرة كما فعل الامامان محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج في صحيحيهما . فاننا اذا اعتبرنا الاحاديث المكررة في صحيح البخاري مثلاً وجدنا انه لم يثبت من ستمئة الف حديث مروية في زمانه الا اقل من اربعة آلاف حديث ومثل ذلك صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> . قال ابن خلدون «واعلم ان الائمة المجتهدين تعاونوا في الاكثار من هذه الصناعة والاقلال فابو حنيفة<sup>(٣)</sup> (رضه) يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثاً ومالك انما صح عنه ما في كتاب الموطأ وغايتها ثلاثمئة حديث او نحوها<sup>(٤)</sup>» وروى

(١) صحيح مسلم ١-١٣ وروى ايضاً لعاصم (٢) قال مسلم صفت الصحيح من ٣٠٠٠٠٠ حديث مسوعة- ابن خلكان ٢-١٣٣ راجع ايضاً مفتاح الرمادة ٢-٥ (٣) هو من التابعين ولقي عدة من الصحابة (الفيرست ٢٠١) (٤) المقدمة ص ٤٤٢. وعن المنار مج ٣ ص ٧٥٧ ما نصه «وقد روي عن الامام مالك (رضه) انه كان قد كتب كتابه الموطأ حاوياً اربعة عشر الف حديث عن النبي (صامم) فلما سمع حديث قد كثر علي الكذابة النع عاد الى تحرير كتابه فلم يثبت له من الاربعة عشر الفاً اكثر من الف»

السمعاني عن ابن راهويه وهو احد الحفاظ المشهورين قال الاحاديث الثابتة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الاحكام ثلاثة آلاف حديث خمسمائة منها مدارها على ابي هريرة<sup>(١)</sup> . وقد اشار الى وضع الاحاديث الامام مسلم بن الحجاج فقال في مقدمة صحيحه<sup>(٢)</sup> «فلولا الذي رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدثاً فيما يلزمهم من طرح الاحاديث الضعيفة والروايات المنكرة، وتركهم الاقتصار على الاحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والامانة، بعد معرفتهم واقرارهم بالسنتهم ان كثيراً مما يقذفون به الى الاغبياء من الناس هو مستنكر ومنقول عن قوم غير مرضيين - فمن ذم الرواية عنهم ائمة اهل الحديث مثل مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من الائمة - لما سهل علينا الانتصاب لما سألت من التمييز والتحصيل» الخ الكلام . ويثلوه باب الكشف عن معاييب رواة الحديث ونقله الاخبار وقول الائمة في ذلك . وللقدماء اقوال كثيرة في هذا الباب اما من اقوال المحدثين فقد اخترنا ما اورده المنار للشيخ محمد عبده اذ قال<sup>(٣)</sup> - «لم يرزأ الاسلام باعظم مما ابتدعه المنتسبون اليه وما احده الغلاة من المقتريات عليه فذلك مما جلب الفساد على عقول المسلمين واساء ظنون غيرهم فيما بني على الدين . وقد فشت للكذب فاشية على الدين المحمدي في قرونه الاولى حتى عرف ذلك في عهد الصحابة (رض) . بل عهد الكذب على النبي (ص) في حياته حتى خطب في الناس قائلاً - ايها الناس قد كثرت علي الكذابة . ألا من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار - إلا ان عموم البلوى

(١) مفتاح السعادة ١ - ٤٠٧ (٢) صحيح مسلم ١ - ٦ (٣) المنار

بالا كاذب حقّ على الناس بلاؤه في دولة الامويين فكثير الناقلون وقلّ الصادقون وامتنع كثير من اجلة الصحابة عن الحديث الا لمن يثقون بحفظه خوفاً من التحريف فيما يؤخذ عنهم حتى سئل عبد الله بن عباس (رض) لم لا تحدث فقال لكثرة المحدثين . ثم اتسع شرّ الافتراء وثقافتهم خطب الاختلاق وامتدّ بامتداد الزمان الى ان نهض ائمة الدين من المحدثين والعلماء العاملين ووضعوا للحديث اصولاً وشرطوا في صحته شروطاً وبينوا درجات الرواة واوصافهم ومن يوثق به ومن لا يوثق به منهم . وصار ذلك فناً من اهم الفنون سموه فنّ الاسناد ، واتبعوه بفنّ آخر سموه فنّ مصطلح الحديث . فامتاز بذلك الصحيح من الفاسد ، وامتاز الحق من الباطل ، وعرفت الكتب الموثوق بها من غيرها « الخ .

فلا ريب ان الوضع في الحديث كان شائعاً منذ صدر الاسلام واسبابه مختلفة جعلها ابن الجوزي في كتاب الموضوعات خمسة . وهي الغباوة ، والغفلة عن التمييز ، وطلب المال والجاه ، والتدليس تشيعاً لاحد المذاهب ، والزندقة قصد افساد الشريعة وايقاع الشك في قلوب العباد . وقد اضاف الى ذلك صاحب مجلة المنار اسباباً اخرى لا تخرج عند التحقيق عما ذكره ابن الجوزي<sup>(١)</sup>

### نقد الحديث

وقد اهتم العلماء قديماً بنقد الاحاديث عن طريق الاسناد وعنونوا بذلك عناية خاصة فكان لنا من ذلك ، الاحاديث الثابتة في الصحيحين وقد حملهم التدقيق في نقد الاسناد وتجريجه الى جعل الاحاديث درجات متنوّعة قد

تبلغ الخمسين يجمعها انواع ثلاثة هي الصحيح والحسن والضعيف واهم مايلفت نظرنا منها ما يلي : -

المرفوع (والمسند) - وهو ما رُفِعَ الى النبي قولاً او فعلاً او تقريراً كأن يقال مثلاً حدثنا فلان حدثنا فلان حدثنا فلان عن ابي هريرة ان النبي قال او فعل او كان كذا وكذا فاذا كان الرفع متصل السند من راويه الى النبي لا يتخلله انقطاع سمي مسنداً

المسائل - وهو المسند الذي فيه دلالة على اتصال السمع وعدم التدليس كقولهم سمعت فلاناً قال سمعت فلاناً قال سمعت فلاناً وهو اول حديث سمعته . او دخلت على فلان يأكل تمرأ او حدثنا وهو قابض على لحيته

العزير - وهو الذي يرويه اثنان او ثلاثة عن اثنين او ثلاثة الغريب - وهو الذي يرويه راوٍ فقط منفرداً بروايته الموقوف - ما اضيف الى الصحابة وقصر عليه فلم يرتفع الى النبي المدلس - هو الذي يتلاعب باسناده فيسقط الضعيف منه المضطرب - ما اضطرب فيه الاسناد فروي على اوجه مختلفة المنكر - هو الذي لا يعرف متنه من غير جهة راويه . وراويه غير معروف بالعدالة

الموضوع - هو المكذوب الذي وُضِعَ ولا اصل له .

.....

على ان النظر في الاسناد وحده لا يكفي فلا بد لنا في التنقيب عن الوثائق او الاشكال النثرية الاصلية من اعتبار متن الحديث ، والنظر فيه من حيث علاقته بالاحوال السياسية والدينية . فاذا رأينا مثلاً حديثاً يروى عن

المهلب بن ابي صفرة يضعف به امر الخوارج تردّدنا في قبوله او رفضناه مهما بلغت صحة اسناده ، وجارينا في ذلك ابن خلكان اذ قال متابعاً المبرّد « وكان المهلب ربما صنع الحديث ليشدّ به امر المسلمين ويضعف به امر الخوارج <sup>(١)</sup> » . وكذلك اذا كان الحديث عن شيعي يطعن في الامويين او العباسيين ، او عن اموي وعباسي يطعن في العلويين . وقس على ذلك احاديث الخوارج والزييرية من الفرق السياسية والمعتزلة والجبرية والقدرية وغيرها من الفرق الدينية .

وكذلك لا بدّ في درس الحديث من النظر في شكله اللغوي والانشائي فاذا رأيناه مثلاً متبسّطاً كثير الازدواج ، او رأينا فيه من المفردات او المصطلحات الفنية ما لا يجوز نسبته الى عهد النبي ، وقفنا ازاءه وقفة المشكك او الراض وسياقي شرح ذلك بعد . ومما يجب اعتباره موقفه ازاء القرآن والتاريخ والعقل وعلاقته بما سبق من اقوال الامم الاخرى واقاصيصها . ففي كل ذلك ما يقتضي الحذر ودقة النظر . والباحث المنقب في تاريخ النثر العربي ليس له ان يستند الا الى النص الصحيح او الى ما لا يخالف المنطق مما اجمع اهل الاسناد على صحته .

وتوصلاً الى ذلك رأينا ان نقرن صحة الاسناد كما نص عليها علماء الحديث الموثوق بهم باحكام نقدية عامة قد تدنينا من محجة الصواب فنقف بها على احاديث اقلّ ما يقال فيها انها تمثل الاسلوب النثري في العهد النبوي واهم هذه الاحكام ما يلي -

١ - الاغضاء عن كل حديث يشتمّ منه دعاية ما ( سياسية او اقليمية او دينية او قومية او شخصية )

٢ - الاغضاء عن كل حديث مناقض لروح القرآن والاسلام

٣ - الاغضاء عن كل حديث مناقض للتاريخ او العقل

٤ - الاغضاء عن كل حديث يشبهه في لغته او اسلوبه الانشائي

٥ - الاغضاء عن كل حديث يرجح انه مأخوذ عن امم اخرى

٦ - الاغضاء عن كل حديث مناقض لحديث آخر

فاذا قرنا هذه الاحكام العامة بامانة النقل وصحة الاسناد وطبقناها على الحديث ، لم يكن من المستبعد ان نصل الى ضالتنا المنشودة . وليست غايتنا في ذلك نقد الحديث من حيث هو اساس للسنة المرعية . فما ذلك - كما صرحنا قبل - من شأننا . وانما نحن ننشد ما يصح اعتباره نموذجاً للنثر في العهد النبوي فلا بأس من مجاراة النقادين الحديثيين من مستشرقين وشواهم او على الاقل مراعاة ما يذهبون اليه من تجريح المتن ، لا لاعتقادنا باصابتهم في كل ما يذهبون اليه ، ولكن لكي نرسم لانفسنا في البحث دائرة علمية ضيقة نحصر فيها ما يقبله الجميع من مجروح وغير مجروح ، ثم نتخذ هذا المجمع عليه ونجعله اساساً لما نقصد اليه وقد ورد في مجلة المنار مقال بقلم « الناصح الامين » ذكر فيه اسباب الوضع ، ووضع للحديث الموضوع علامات رأينا ان نذكرها هنا نثمة للفائدة - وهي<sup>(١)</sup>

١ - المجازفات التي لا يقول مثلها الرسول (ص) مثل « من قال لا اله الا الله خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون الف لسان الخ » .

٢ - تكذيب الحس له كحديث « الباذنجان شفاء من كل داء » وحديث

« ان القمر دخل في جيب النبي (ص) وخرج من كفه » وحديث « ردّ

الشمس الى علي بن ابي طالب »

- ٣ - سماجة الكلام وكونه مما يستخر منه كحديث « لو كان الرزّ رجلاً لكان حليماً ما اكله جائع الا شبعه » وحديث « قدس العدس على لسان سبعين نبياً آخرهم عيسى عليه السلام »
- ٤ - مناقضته لما جاءت به السنة الصريحة فمن ذلك احاديث من اسمه محمد او احمد وان كل من يسمى بهذا الاسم لا تمسّ جسده النار اذ المعلوم من الدين ان النار لا يجار منها بالاسماء والالقب الخ
- ٥ - قيام الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عناق من ان طوله ٣٣٦٠ ذراعاً الخ
- ٦ - مخالفته لصريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وانها سبعة آلاف سنة وان الذهب منها كذا فان ذلك يدل على علم السائمة مع انه تعالى يقول « قل انما علمها عند الله »
- ٧ - اقترانه بما يبطله كحديث وضع الجزية عن اهل خيبر لانها لم تكن نزلت اذ ذلك وانما نزلت بعد عام تبوك الخ
- ٨ - مناقضته للفضيلة كاحاديث الدالة على الشره كوصفهم اكله (ص) العنب بما لا مساغ لذكره الخ
- ٩ - مناقضته للعقيدة كحديث « لو احسن احدكم ظنه بمجبر لنفعه » الخ ومن الاحاديث التي لا اصل لها احاديث الحمام واتخاذ الدجاج وذم الاولاد والتواريخ المستقبلية وفضائل السور ومدح العزوبة والنهي عن الطعام في السوق وفضائل الازهار والحناء وغير ذلك مما يطول ايراده اه .

نظير هذه الاعطام على امارت سني

١ - حديث البلخي عن انس قال قال رسول الله « الورع سيد العمل

من لم يكن له ورع يردّه عن معصية الله اذا خلا بها لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً وذلك مخافة الله في السر والعلانية ، والاقتصاد في الفقر والغنى ، والصدق عند الرضا والسخط . ألا وان المؤمن حاكم على نفسه يرضى للناس ما يرضى لنفسه . المؤمن حسن الخلق وأحب الخلق الى الله عز وجل احسنهم خلقاً ينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم وهو راقد على فراشه لانه قد رُفِعَ قلبه عمل فهو يشاهد به القيامة . بعد نفسه ضعفاً في بيته وروحه عارية في بدنه « الخ الحديث <sup>(١)</sup> »

فالناظر في اسلوبه الانشائي يراه بعيداً عن اسلوب العصر النبوي وعن البلاغة المعهودة فيه اذ ينقصه الاحتباك وجودة السبك . والاشبه ان يكون من اقوال بعض الزهاد في عصر متأخر . وقد قال فيه ابن عساكر انه منكر بمرّة واسناده لا تقوم فيه حجة

٢ - حديث ابن التمار يسنده الى ابن عمر قال : قال رسول الله « ان العربية كلام اهل الجنة ، والعربية كلام اهل السماء ، وكلامهم اذا وقفوا بين يدي الله عز وجل في الموقف <sup>(٢)</sup> » . ففي هذا الحديث عدا التكرار غير المفيد حرب على الشعوبية او دعاية قومية لغوية والوضع فيه ظاهر

٣ - حديث الذئب للجبيلي رواه باسناده عن كعب الاحبار قال « خرج بنو يعقوب فرأوا ذئباً فساقوه وقالوا يا ابانا هذا الذي اكل اخانا . فقال لهم حلوا كفافه عنه ثم قال له يعقوب أنت اكلت جبني يوسف ، فقال معاذ الله يا نبي الله أأنت تعلم ان لحوم الانبياء محرمة علينا قال صدقت فمن ابن جئت قال من مصر . قال والى ابن تريد قال الى خراسان . قال وفيماذا تسافر قال في زيارة اخ لي قال وما بلغك فيه قال حدثني ابي

(١) ابن عساكر ٢ - ٦٢ (٢) ابن عساكر ٢ - ٨٢



عن جدي عن الانبياء السالفين انه من زار آخاه في الله كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة . فقال يعقوب لبيه اكتبوا هذا الحديث « انخ<sup>(١)</sup> وهذا الحديث قصة موضوعة مما كان يدور على السنة القصص وقد تناول واضعها خبر الذئب في قصة يوسف وحوته على هذه الطريقة الخيالية، وانطق الذئب بالحكمة التي تراها في هذا الحديث . فلا بدع ان يقول فيه ابن عساكر « وهذا مما تلوح فيه لوائح الكذب »

٦ - حديث الدينوري « خيركم في المائتين المؤمن الخفيف الحاذق »<sup>(٢)</sup>

( اي الذي لا اهل له ) فهذا مناف لسيرة الرسول ولروح الاسلام . قال ابن عساكر وهذا الحديث فيه ما فيه

٧ - « الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك »<sup>(٣)</sup>

فالحديث نبوءة سياسية وضعت على لسان النبي بعد انقضاء خلافة الراشدين وقيام الدولة الاموية ، وهو موضوع للطعن في الامويين وانكار حقهم بالخلافة

٨ - « لكل امة مجوس ومجوس امتي الذين يقولون لا قدر ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم »<sup>(٤)</sup> . وفي هذا الحديث ثلث الخصومة بين القدرية والجبرية . ولا مرأى في انه موضوع لنصرة القدرية وتحقير شأن خصومهم

٩ - حديث حمير - عن ابي هريرة كنت جالسا عند النبي (ص)

فجاء رجل فقال يا رسول الله لعن حمير . فأعرض عنه . ثم جاءه من ناحية

(١) ابن عساكر ٢ - ٨٥ (٢) ابن عساكر ٢ - ١٠٤

(٣) تيسير الوصول ١ - ٣٢٢ (٤) مسند احمد ٢ - ٨٦

أخرى فاعرض عنه وهو يقول العن حمير . فقال رسول الله رحمة الله حمير  
افواهم سلام ، وايديهم طعام ، اهل امن وايمان <sup>(١)</sup> »

وهو يشعرنا بما كانت بين اليمينية والمضربة من التنافس ايام الامويين  
والمعقول انه نشأ عن ذلك ووضع تعزيزاً لشأن اليمينية

١٠- عن عبد الله بن عمرو « قال رسول الله اطلمت في الجنة فرأيت  
اكثر اهلها الفقراء ، واطلمت في النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء والنساء <sup>(٢)</sup> »  
واكبر الظن انه من اوضاع بعض الزهاد .

١١- عن عائشة قالت فرزعت ذات ليلة ووقفت رسول الله فمدت  
بدي فوقع علي قديمي رسول الله وهما منتصبتان وهو ساجد وهو يقول  
اعوذ برضائك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك  
لا احصي ثناء عليك . انت كما اثنيت على نفسك <sup>(٣)</sup> » والكلام في هذا  
الحديث اشبه بكلام المتصوفة او الزهاد في العصر العباسي المتأخر ولسنا  
نرى في كلام النبي والصحابة ما يماثل العياذ برضى الله من سخطه وبمعافاته من  
عقوبته وبه منه الخ .

١٢- عن مكحول قال رسول الله (ص) « من اقترب الساعة اذا رأيتم  
الناس اضاعوا الصلاة واضاعوا الامانة واستحلوا الكبائر واكلوا الربا  
واخذوا الرشا وشيدوا البني واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا واتخذوا القرآن  
مزامير واتخذوا جلود السباع صفافا والمساجد طرقا والحريز لباسا وكثر  
الجور وفشا الزنا وتهاونوا بالطلاق ( . . الى ان يقول ) . وامراء بخرية  
ووزراء كذبة ، وامناء خونة ، وعرفاء ظلمة ، وقلت العلماء ، وكثرت القراء ،

(١) مسند احمد ٢ - ٢٧٨ (٢) المسند ٢ - ١٧٣

(٣) المسند ٦ - ٥٨

وقلت الفقهاء ان الخ الحديث « وهو حديث طويل <sup>(١)</sup> وكاه على هذا النسق من الترادفات المتزنة والمعاني المكررة مما يستبعد ان يكون لعهد النبي فضلاً عما في الحديث من اوضاع متأخرة كالعلماء والفقهاء والوزراء مما يحمل العقل على رفضه مهما كان اسناده . وقس على هذه الاحاديث القليلة الوفاً مثلها

### تطبيقها على بعض امادئ الصحيحين

اجمع العلماء على ان اصح الاحاديث ما اتفق عليه البخاري ومسلم ، ثم ما انفرد به البخاري ثم مسلم ، وبلي الصحيحين الموطأ وسنن ابي داود (٥٢٨٥) بجامع الترمذي (٢٢٩) فسنن ابن ماجه (٣٠٣) وسنن النسائي (٢٨٣) فعمولنا اذن في درس الحديث وتطبيق احكام النقد عليه كوثيقة نثرية انما هو فيما اتفق عليه الصحيحان . ذلك هو الاساس الذي يجب ان يبنى عليه التخرج توصلاً الى الحقيقة او ما يدانيها . فانه مع كل ما طرح العلماء من الاحاديث ومع كل ما لا يزال في الصحيحين مما يمكن الاغضاء عنه او الشك فيه ، لا نرى محيصاً عن القول ان طائفة من الاحاديث صحيحة ان لم يكن بنصها الحرفي ففي معناها ومبناها . اذ لا يعقل اجماع جبهة العلماء على ما ليس له اصل البتة واعتباره اساساً لسندهم واحكامهم . ويميل بنا الى هذا القول ما نلاحظه في اخبار رواة الحديث من ان التدوين كان معروفاً عند المحدثين الاول بل عند الصحابة انفسهم . فقد نقل عن ابي بكر قول عائشة جمع ابي الحديث عن رسول الله (ص) . وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلب كثيراً . قالت فغمني ، فقلت أنتقلب لشكوى او لشيء بلغك . فلما اصبح قال اي بنية هلمي الاحاديث التي عندك فدعا بنار فاحرقها الخ الحديث <sup>(٢)</sup> . وعن الزهري وهو من اهل القرن الاول قال ابو الزناد كنا نطوف مع الزهري

(١) راجع كنز العمال فصل الايشواط الصغرى للقيامه (١) تذكرة الحفاظ ١ - ٥

على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كما سمع<sup>(١)</sup> . وقد نقل ابن سعد في طبقاته عن صالح بن كيسان ان الزهري كان يكتب السنن<sup>(٢)</sup> . وروي عن ابي هريرة قوله « ما اجد من اصحاب رسول الله اكثر حديثاً مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب . وقال عبد الله كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله (ص) اريد حفظه<sup>(٣)</sup> . وكان يسمى صحيفته الصادقة<sup>(٤)</sup> .

واذا قيل ان هذه الصحف الاولى فقدت فلا يمكن الثبوت منها وان المحدثين نقلوا عنها قلنا ذلك صحيح ، ولكننا اذا قرنا ما روي لنا من تدوين الحديث او بعضه بما ثبت لدينا من قدم التدوين — تدوين القرآن مثلاً — كان من المعقول ان نميل الى تصديق ما رووه من ذلك ( وان نعتقد ان بعض ما وصل الى العصر الاموي فالعباسي منقول عن اصول قديمة فقدت مع الزمان ) . ولما كان الوصول الى هذه الاصول القديمة متعذراً علينا عن سبيل اثبات النصوص ، فانه لا بد لنا من اعتماد الاستدلال العقلي في الحصول على نموذج من الحديث يصح لنا ان نقول انه يرجع حقاً الى العهد النبوي . وطريقتنا في ذلك ان نختار من المتفق عليه في الصحيحين طائفة من الاحاديث التي يجب على مؤرخ الادب التخرج في اعتمادها ( لاسباب سنينها ) ، ثم نختار طائفة اخرى مما لا نرى بأساً في قبوله فتتدرج بذلك الى رسم تلك الدائرة الضيقة التي سبقت الاشارة اليها ، لنحصر فيها ما يجوز ان نعدّه وثيقة ثرية او نموذجاً انشائياً للعهد الذي نورخه . ونكرر اننا لا نقصد بهذا التخرج الزائد تضعيف ماورد في الصحيحين . فهو باجماع العلماء كما ذكرنا آنفاً اصح

(١) تذكرة الحفاظ ١ - ٩٦ (٢) الطبقات ج ٢ قسم ٢ ص ١٣٥

(٣) تذكرة الحفاظ ١ - ٣٦ (٤) طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٢٥

ما يعتمد عليه بعد القرآن في درس السنّة ، وانما غرضنا ان نقيّد انفسنا حتى لا نخرج عن الراهن الراهن ، او حتى نصل الى الأُسّ الصخري الراسخ الذي يصحّ ان نبني عليه احكاماً معقولة . ولو كانت غايتنا الرئيسية دراسة الحديث وتقدمه لعمدنا فيما يلي الى التبسط في ذكر الاسباب السياسية والمذهبية واللغوية والعقلية والتاريخية واتينا بالشواهد العديدة على كل منها . ولكن ذلك يخرجنا عن سبيلنا العام وهو النظر في الحديث من حيث هو وثيقة نثرية . فنكتفي هنا بعرض بعض الامثلة على ما يجوز وما لا يجوز اعتباره كذلك ليقس عليها الباحث ما شاء - واليك امثلة مما يجب عند النقادين المتحرّجين الاغضاء عنه وان صحّ اسناده :

- ١- اتاكم اهل اليمن هم ارقُّ افئدةً والين قلوباً . الايمان يمان والحكمة يمانية ، والفخر والحياء في اصحاب الابل ، والسكينة والوقار في اهل الغنم
  - ٢- الايمان يمان . ألا ان القسوة وغلظ القلوب في الفدّادين عند اصول اذئاب الابل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر<sup>(١)</sup>
- وهذان الحديثان يشعران بما كان بين اليمنية والمضرية من النزاع فليس من الغريب ان يروجيهما ويروج امثالهما اهل العصبية اليمنية اظهاراً لفضلهم وخطأ من شأن خصومهم . وفي الاحاديث كثير مما يرجع الى خصومة سياسية او عصبية بدوية

- ٣- « اندرون ما هذان الكتابان - هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء آباءهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم ابداً . هذا كتاب رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء

(١) البخاري ومسلم باب الايمان . ويقصد بالفدّادين طائفة الجمالين والبقارين

آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم ابداً .  
 سدّوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل  
 وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل . فرغ ربكم من  
 العباد . فربق في الجنة وفريق في السعير<sup>(١)</sup> . « وامثال هذا الحديث كثيرة  
 وكلها تشير الى النزاع بين الجبرية والقدرية وهذا الحديث مروى لنصرة  
 الجبرية التي كانت تقول بان كل شيء مقدر على الانسان . وقد تعالوا في ذلك  
 وراحوا يدعون قولهم باحاديث يرفعونها الى النبي كالحديث التالي<sup>(٢)</sup> « احتج  
 آدم وموسى فقال موسى انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من  
 روحه واسجد لك ملائكته واسكنك جنته ، اخرجت الناس من الجنة  
 بذنبيهم واشقيتهم . فقال آدم يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالاته  
 وبكلامه . وانزل عليك التوراة ، اتلومني على امر كتبه الله عليّ قبل ان يخلقني  
 فحج آدم موسى »

٤- اذا اتيت مضجعك فتوضاً ووضوءاً للصلاة ثم اضطجع على شقك  
 الايمن ثم قل اللهم اسلمت وجهي اليك ، وفوضت امري اليك ، والجات  
 ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك . « آمنت  
 بكتابك الذي انزلت ونبئك الذي ارسلت . فان مت من ليلتك فانت على  
 الفطرة واجعلهن آخر ما تكلم به<sup>(٣)</sup> »

ويترامى للناظر في لغة هذا الحديث واسلوبه انه بعيد عن المعهود من لغة  
 النبي في رسائله حيث يتجلى الایجاز والبساطة والمتانة . والاشبه ان يكون  
 من قول بعض الزهاد في عصر متأخر فان هذه التكرارات التي نراها فيه

(١) بخاري باب الايمان والادب . ومسلم باب الايمان والتوبة (٢) زاد المسلم ١ - ٩

(٣) البخاري ومسلم عن البراء - زاد المسلم ١ - ١١

تكثر في كلامهم وقلما نراها في نثر الصدر الاول . وعلى نطه الحديث  
التالي -<sup>(١)</sup>

« اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا وفي بصري نورا وفي سمعي  
نورا ، وعن يميني نورا وعن يساري نورا ، ومن فوقني نورا ومن تحتي نورا  
ومن امامي نورا ومن خلفي نورا ، واجعل لي في نفسي نورا وأعظم لي نورا »  
.....

٥- « ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه فقفا عينه ، فرجع الى  
ربه فقال ارسلني الى عبد لا يريد الموت . فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه  
وقل له يضع يده على متن ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال اي  
رب ثم ماذا ؟ قال ثم الموت ، قال فالآن . فسأل الله ان يدينه من الارض  
المقدسة رمية بمجر . فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت  
الكثيب الاحمر<sup>(٢)</sup> » .

ويلاحظ في هذا الحديث خيال القصة . فهو شبيه باقوال بعض القصاصين  
الذين كانوا يحدثون الناس بامور الدين ويقصون لهم القصص المنزلة وسواها  
والى خيال القصاصين يستطيع المشككون المتحرّجون ان يرجعوا كثيراً من  
الاحاديث ، كالذي رواه الامامان عن ابي هريرة عن النبي قال<sup>(٣)</sup> « اسرف رجل  
على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه فقال اذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني  
ثم اذروني في البحر ، فوالله لأن قدر عليّ ربي ايعذبني عذاباً ما عذبه احداً  
ففعّلوا ذلك به . فقال الله للارض اديي ما اخذت ، فاذا هو قائم . فقال  
ما حملك على ما صنعت . قال خشيتك يارب . فغفر له بذلك » . راجع ايضاً من

(١) البخاري ومسلم عن ابن عباس - زاد المسلم ١- ٣٤ (٢) البخاري

ومسلم عن ابي هريرة - زاد المسلم ١- ٢٧ (٣) زاد المسلم ١- ٢٩

امثال هذه الاحاديث حديث الابرص والاقرع والاعمى وهو طويل<sup>(١)</sup>  
 ٦ - ان الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض  
 العلم بقبض العلماء، حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا  
 فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا<sup>(٢)</sup> .»

والتأمل يرى ان طبقة العلماء والمفتين لم يُتعيين ايام النبي فمن المستبعد ان  
 يشير اليها في حديثه، ويميل بالمتحرج الشكّ الى ان صاحب هذا الحديث احد  
 الفقهاء وضعه لتعظيم شأن العلم وعلماء الدين

٧ - حديث الشفاعة رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة<sup>(٣)</sup> اوله -  
 «انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون ممّ ذلك . يجمع الله الاولين والآخرين  
 في صعيد واحد يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ  
 الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض  
 الاترون ما قد بلغكم، الا ينظرون من يشفع لكم الى ربكم؟ فيقول بعض  
 الناس لبعض اتنوا آدم ( او عليكم بآدم ) الخ » وهو طويل . وخلاصته ان  
 الناس يستشفعون بآدم ثم بنوح فابراهيم فموسى فعيسى، فيقول كل منهم  
 « ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله » ثم يذكر معاصيه .  
 حتى اذا جاءوا النبي انطلق بهم الى العرش فيقال له ارفع رأسك سل تعطّ  
 واشفع تشفع، فيشفع بامته فيدخلهم الله الجنة . والحديث طريف ولكن  
 النقد الحديث يرى خطأ او صواباً وضعه في باب الدعايات الشخصية

٨ - « آية المنافق بغض الانصار وآية المؤمن حبّ الانصار<sup>(٤)</sup> » وهو

(١) البخاري كتاب بدء الخلق في باب ما ذكر عن بني اسرائيل - ومسلم في  
 كتاب الزهد (٢) زاد المسلم ١ - ٤٢ (٣) البخاري - فتن . ومسلم -  
 فضائل النبي (٤) تجرد الحديثين في البخاري ومسلم - ايمان



من المتفق عليه في الصحيحين . والاعضاء عن مثله اسلم لما فيه من اميال  
حزبية ظاهرة

٩- « قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين ، واذا اصحاب  
الجدِّ محبوبون الا اصحاب النار ، فقد أمر بهم الى النار . وقمت على باب النار  
فاذا عامة من دخلها النساء <sup>(١)</sup> »

وهو شديد الشبه باقوال بعض الزهاد المتنسكين في العصر العباسي  
وقد طمأ سبل الترف على الناس في بغداد لكثرة الاموال واسباب الرفاه  
١٠- « لو كان الايمان عند الثريا لثاله رجال من هؤلاء » (يعني فارس) <sup>(٢)</sup>

والدعاية الشعوية في هذا الحديث ظاهرة

١١- « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء  
اقوام تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته <sup>(٣)</sup> » ( اي يروجون شهادتهم  
بالكذب لقلّة مبالاتهم بالدين )

وهذا إخبار بالغيب وضع على ما يظهر تعظيماً لشأن الصحابة والتابعين ،  
ومع موافقته للواقع فانه لا يتخذ حجة او وثيقة نثرية اذ المعقول انه متأخر  
عن ذلك العهد

١٢- « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان <sup>(٤)</sup> » وهو من  
قبيل الدعوة لقريش ولعله نشأ على اثر حركة الخوارج في العصر الاموي  
او ما بعده

ولو دققنا النظر في سائر ما ورد في الصحيحين لرأينا كثيراً من الاحاديث

(١) البخاري كتاب النكاح ، ومسلم كتاب الرقاق (٢) البخاري في اول تفسير  
سورة الجمعة ، مسلم في آخر كتاب فضائل الصحابة (٣) البخاري كتاب الشهادات ،  
مسلم فضائل الصحابة (٤) البخاري احكام ، مسلم اماراة

التي مع صحة اسنادها يحمل بمؤرخ الآداب عدم اعتمادها في تقرير ما كان عليه النثر أيام النبي . ومن ذلك كتاب فضائل الانبياء والصحابة ومناقب قريش والمدن المقدسة وتفسير الآيات واحاديث الجن واستماعهم للقرآن وما قالوا وما فعلوا ، وحديث القرآن وداود وما الى ذلك مما قد لا يستسيغه النقد الدقيق . ففي امثالها ما يحمل المحقق على اخراجها من الحلقة الضيقة التي يجب ان يرسمها لنفسه ( وان يكن في ذلك الاخراج شيء من الخطأ او التطرف ) . ونظيرها الامثال والقصص المماثلة لما هو في التوراة او الانجيل ، كحديث « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث اصاب ارضاً الخ<sup>(١)</sup> . فهو شبيه بمثل الزارع الذي روي في الانجيل . وعلى نمطه حديث سارة والجبار<sup>(٢)</sup> ، وحديث المسلمين واليهود والنصارى وان مثلهم مثل رجل استأجر قوماً يعملون له<sup>(٣)</sup> الخ . فهو اشبه بمثل الكرم والفعلة في حديث المسيح . وحديث النبي الذي غزا ووقف الشمس<sup>(٤)</sup> . وهذه الاحاديث قد تكون صحيحة ولكن لا بأس على طريقة التخرج العلمي من ان نضعها خارج الحلقة المنشودة

على ان من الاحاديث ما قد لا تنكر صحته او ما يجوز قبوله انموذجاً نثرياً . وها نحن نعرض بعضه هنا ليقاس عليه -

(١) راجع نصه في التجريد الصريح للزبيدي ١ - ١٩

(٢) = = = = = ١ - ١٧٢

(٣) = = = = = ١ - ١٧٥

(٤) = = = = = ٢ - ٣٥

## اهاربت بجوز مؤرخ الادب قبولها او قبول امثالها

وهي التي صح اسنادها وليس ما يدعو خاصة الى تجريحها او رفضها وقد اعتمدنا في نقلها كتاب « زاد المسلم فيما انفق عليه البخاري ومسلم »

١- « اظنكم قد سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء من البحرين فابشروا واملوا ما يسركم . فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فنتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم <sup>(١)</sup> »

هذا الحديث يشير الى حادثة تاريخية وليس فيه ما يدفعنا الى الشك ، فان النبي شعر بشيء من الطمع في نفوس البعض ، وهو طبيعي في مثل هذه الحال كما انه من الطبيعي ان يعظمهم بما وعظهم به .

٢- « ان من الشعر حكمة <sup>(٢)</sup> . عرف عن النبي انه وقف من شعراء العرب وقفه الخصم . وقد نقلوا له في ذلك الحديث « لأن يمتلى جوف رجل قيحاً يزيه خير له من ان يمتلى شعراً <sup>(٣)</sup> » . على انه اثنى على حسان واقرانه . فمن المعقول في مثل هذين الموقفين المختلفين ان نرى له مثل هذا الكلام الناصح تبريراً لموقفه الثاني

٣- « ايها الناس لا نتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف . اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم <sup>(٤)</sup> »

ويتراءى لنا ان هذا الحديث قيل في المدينة يوم لم يكن قد بلغ الاسلام

(١) زاد المسلم ١ - ٣١ (٢) زاد للمسلم ١ - ٦٣

(٣) ٥٥ - ٢ // // (٤) ٩٥ - ١ // //

ما بلغه بعدئذ من القوة والشأن . فالنبي يدعو المسلمين الى عدم التعدي ولكنه يخشى لقاء العدو اياهم فيدعو الله ان ينصرهم ويهزم اعداءهم  
 ٤- « لأن يأخذ احدكم حبله ثم يفتدوا الى الجبل فيحتطب فيبيع فبأكل ويتصدق خيره من ان يسأل الناس <sup>(١)</sup> »

٥- « لينصر الرجل اخاه ظالماً او مظلوماً . ان كان ظالماً فلينبهه فانه له نصر ، وان كان مظلوماً فلينصره <sup>(٢)</sup> » . وهو يدل على روح الاخوة الشديدة في الاسلام . وهذا النصر في كلتا الحالتين ضروري في مثل الظروف التي كان فيها الاسلام ايام النبي

٦- « ما اصاب بجدّه فكله وما اصاب بعرضه فهو وقيد <sup>(٣)</sup> » . والهاء في حدّه راجعة الى المعراض وهو خشبة ثقيلة او عصا في طرفها حديدة . والمراد ما اصبته من صيد بجدّه جاز لك اكله لانه كالمذبوح ، واما ان قتلته بصفحته فهو ميت لا يجوز اكله . وهذا الحديث تفسير طبيعي لبعض نواهي الدين

٧- « ما بال عامل نبعثه فيأتي فيقول هذا لك وهذا لي <sup>(٤)</sup> . فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر أيهدى له ام لا . والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، ان كان بعيراً له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر <sup>(٥)</sup> . ( ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي ابطيه ) . ألا هل بلغت ثلاثاً <sup>(٦)</sup> » .

والظاهر ان بعض العمال كانوا ايام النبي يطعمون بما يجيئهم من هدايا

(١) زاد المسلم ٢ - ٥٢ (٢) زاد المسلم ٢ - ٢٤٢

(٣) = = ٣ - ١٧ (٤) هذا لك اي هذا من مال الجباية وهذا لي اي

هذا أهدي لي (٥) تيعر اي تصوت صوتاً شديداً (٦) زاد المسلم ٣ - ٣٥

ورأى النبي ان هدية العامل حرام . والاشارة كما في الصحيحين الى رجل من بني اسد كان النبي قد استعمله على صدقة

٨- « ما حديث بلغني عنكم » ؟ ( اي الانصار ) . فقال فقهاء الانصار اما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، واما ناس منا حديثه اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال النبي - « فاني أُعطي رجالاً حديثي عهد بكفر اتألفهم . أما ترضون ان يذهب الناس بالاموال وتذهبون بالنبي . الى رحالكم ! فوالله لما انقلبون به خير مما ينقلبون به » . قالوا يا رسول الله قد رضينا ، فقال لهم النبي « ستجدون اثرةً شديدةً فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض <sup>(١)</sup> » وهذا الحديث يشير الى ما جرى في غزوة حنين من كسر هوازن وما افاء الله على المسلمين من اموالهم . والظاهر ان قريشاً نالت اكثر تلك الاموال ففجهم الانصار لذلك حتى كان ما كان من هذا الحديث .

٩- « ما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم . ومن يستغف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أُعطي احد عطاءً خيراً واوسع من الصبر <sup>(٢)</sup> »

١٠- « ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس <sup>(٣)</sup> »

والاشارة الى يوم الاحزاب وقد شغله كفارهم بالحرب عن الصلاة .  
١١- « ان بني هشام بن المغيرة استأذوني في ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب . فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن ، الا ان يريد ابن ابي طالب ان

(١) زاد المسلم ٣ - ٥٩ (٢) زاد المسلم ٣ - ١٣٩

(٣) = = ٣ - ١٧٧

يطلق ابنتي وينسكح ابنتهم ، فانما هي بضعة مني يزبني ما اربها ، ويؤذني ما آذاها<sup>(١)</sup>»

واكثر هذه الاحاديث التي ذكرناها في هذا الباب مما له علاقة طبيعية بدعوة النبي . فهي تعكس لنا ما كان يجري بينه وبين رجاله ، او بينه وبين خصومه دون ان يتكلف فيها الدعاية او التحيز

ومن الاحاديث المقبولة كثير من الحكم وجوامع الكلام ولا سيما المبني منها على الحياة العادية في ذلك العهد كقوله

— لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه (بخ ادب ، مسلم ايمان)

— اياكم والجلوس على الطرقات فان ايتم الا المجالس فاعطوا الطريق

حقها ، غض البصر ، وكف الاذى ، ورد السلام ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر (بخ مظالم ، مسلم اللباس)

— بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فاخره

فشكر الله له ، فغفر له (بخ مظالم ، مسلم البر)

— حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره (بخ الزقاق ، مسلم الجنة)

— الحرب خدعة (بخ جهاد ، مسلم فضائل)

— الظلم ظلمات يوم القيامة (بخ مظالم ، مسلم البر والصلة)

— ليس الشديد بالصرعة (اي الكثير الصرع للناس) انما الشديد الذي

يملك نفسه عند الغضب (بخ ادب ، مسلم البر)

— ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه (بخ ادب ، مسلم بر)

— مطل الغني ظلم فاذا اتبع احدكم على ملي فليتبّع (بخ حوالا ، مسلم يوع)

— ان الله تعالى ليُملي للظالم حتى اذا اخذه لم يُمْلِئْهُ (زاد المسلم ١ - ٤١)

انما الطاعة في المعروف ( زاد المسلم ١-٦٧ )

انما اهلك الله الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحدّ ( بخ ومسلم كتاب الحدود )

### الخلاصة

قال صاحب زاد المسلم في اول صفحة من كتابه « عدد احاديث هذا الكتاب الف ومائة حديث متصلة الاسناد اتفق عليها البخاري ومسلم في صحيحيهما، وبهذين الشرطين كان تألّيفي هذا هو اصح كتاب في الحديث » وقد اتخذنا هذه الالف ومائة حديث اساساً لبحثنا عن الاسلوب النثري في ادب الحديث وطبقنا عليها ما ذكرناه آنفاً من احكام التجريح فخلص لنا جملة من النصوص يصح ان يقال فيها انها اما اصلية لا تبديل فيها، او قريبة من الاصلية فاذا بالغنا في الغرلة والنخل، ثم تحررنا الخلاصة الصافية من كل ذلك، تبين لنا ان اسلوبها يطابق ما ذكرناه وما سنذكره ايضاً في الكلام عن نثر صدر الاسلام، وتبرز فيها مزاياه العامة وهي :

البساطة - او البعد عن تكلف السجع والبديع<sup>(١)</sup>

الايجاز - او حبك الكلام حبكاً يقل فيه الحشو والزوائد

التلميح - وهو الاشارة الى المعنى دون التبسط في ايضاحه

فما ذكرناه عن اسلوب الرسائل النبوية يصدق على الحديث ايضاً ولا بدع فانهما يجريان من معين واحد هو لغة التخاطب التي كانت شائعة في العهد النبوي. ولما كانت لغة الحديث لا تخرج عن الاسلوب العام السائد في القرن الاول، فاننا تجنبنا للتكرار سنرجى البحث في ذلك الى الفصل التالي

(٢) قال ابن عباس « اباك والسجع في الدعاء فاني شهدت النبي واصحابه لا يفهمون

## الامثال القديمة ولغتها

نقل عن العرب الاقدمين في الجاهلية و صدر الاسلام كثير من الحكم والامثال . وقد ذهبوا الى ان هذه الامثال نثقل بالحكاية ، اي انها كما قال ابو هلال العسكري ، تضرب على ما جاءت من العرب لا تغير صيغتها فتقول للرجل « الصيف ضيعت اللبن » وهو في الاصل خطاب لامرأة ولكنهم ابقوه على حكايته <sup>(١)</sup> . وقال جلال الدين السيوطي ان العرب كانت تجري الامثال على ما جاءت ولا تجري بها الاعراب <sup>(٢)</sup> ( وان كانت ملحونة )

ولقد يخيل الينا اذا استعرضنا جميع الامثال القديمة ونظرنا في اسلوبها ولغتها انه لا مناص لنا من القول باحد امرين - ١ - اما ان لغة العرب التي رويت لهم الامثال كانت عادة صحيحة وانها تمثل اسلوب التخاطب العادي عندهم - ٢ - واما ان الرواة هذبوا هذه الامثال القديمة واقاموا أودها الاعرابي فوصلتنا لا كما نطق بها الاقدمون تماماً ولكن كما هذبها الرواة . على ان هناك سبيلاً آخر نستطيع سلوكه فنقول ان هذه الامثال ترجع عموماً الى ثلاثة مصادر رئيسية

(١) - الشعر القديم (٢) الانشاء العالي (٣) لغة العامة

فمن امثلة الشعر القديم

ان الحديد بالحديد يفلح - وهو من باب الرجز

(١) راجع مقدمة كلامه في كتابه جمهرة الامثال على حاشية مجمع الامثال للحيداني

ص ٥ المطبعة الخيرية ١٣١٠ (٢) المزهر ١ - ٢٣٥



اي الرجال المهذب - وهو جزء من بيت للناطقة يقول فيه  
ولست بمستبق احاً لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب  
خلا لك الجو فيضي واصفري - وهو من شعر لطرفة اوله  
يا لك من قبرة بمعمر

رضيت من الغنيمة بالاياب - من بيت لامرئ القيس وهو  
وقد طوّفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب  
الشرّ اخبث ما اوعيت من زاد - من بيت اوله  
الخير ببق وان طال الزمان به

وعند جهينة الخبر اليقين - من بيت اوله تساءل عن حصين كل ركب  
عند النطاح يغلب الكبش الاجم - من الرجز القديم  
عُثَيْثَةٌ تُقْرَمُ جِلْدًا اَمْلَسَا -       -       -       -  
نفس عصام سوّدت عصاما       -       -       -  
البس لكل حالة لبوسها       -       -       -  
وقس على ذلك عدداً وافراً من الامثال

.....

ومن باب الانشاء العالي كل ما ورد من امثال القرآن والحديث النبوي  
وما نقل عن السنة الخطباء والحكماء، وهو مشهور متداول، وما روي بأسلوب  
انشائي فني وان لم يعرف قائله كقولهم - عيصك منك وان كان اشيا -  
اي منك اصلك . وان كان اقاربك على خلاف ما تريد فلا بد لك من  
الصبر عليهم

وقولهم - ربّ عجلة تهب ريثا، وربّ فروقة يدعي ليثا - قيل قاله  
مالك بن عمرو الشيباني (عن الضبي ٦١)

وقولهم - عرض عليّ الامر سومَ عالة - اي عرضاً ضعيفاً كما يعرض  
الماء على الابل التي نهلت وعلت (عن الميداني ١ - ٣٠٩)  
وقولهم - أطرق كرا ان النعامه في القرى - (ميداني ١ - ٢٩٣)  
والكراترخيم كروان وهو طائر معروف ويضرب لمن لا غناء عنده  
وبشكلم

وقولهم - سقوا بكأس حلاق - وحلاق اسم للنية اي استوصلوا  
بالموت (ميداني ١ - ٢٣١)

وقولهم - دع المعاجيل لطمل لطمل - المعاجيل الطرق المختصرة  
والطمل اللص الخبيث والارجل الصلب اي تباعد عن مواضع التهم لاصحابها  
(ميداني ١ - ١٨٢)

وقولهم - قتل ما نفس يخيرها - يضرب في الشره والجشع  
وقولهم - المرء تواق الى ما لم ينل (ميداني ٢ - ١٥٨)  
فاذا تأملت هذه الامثال ونظائرهما وجدت فيها من اثر الصنعة الكلامية  
ما لا يصدر عادة الا عن مارسوا فن الكلام وعرفوا مداخله  
بقي ما نقل لنا من اقوال العامة وهو جزء ليس بيسير ولا نستطيع تحريه  
بالضبط لان منه ما هذب مع الزمان فاصبح من الانشاء العالي ولعلنا نتبينه في  
مثل الامثلة التالية -

شُخِبَ في الاناء وشُخِبَ في الارض - (ميداني ١ - ٢٤٣) لمن يخطيء  
مرة ويصيب اخرى

صنعه من طب لمن حب - (اشهر الامثال ٣٥) اي صنعة حاذق لمن  
يجب يضرب في التنوق في الحاجة واحتمال التعب فيها  
مالي سارحة ولا رايحة (اشهر الامثال ٦٥) اي ما له شيء

تسمع بالمعيدي خير من ان تراه (الضبي ٩) يضرب لمن خبره خير من  
مراه والمعيدي اسم مغن قبيح المنظر

بقل شهر وشوك دهر - (الميداني ١-٦٥) لمن يقصر خيره ويطول شره  
برز نارك وان هزلت فارك - (الميداني ١-٦٧) اي اثر الضيف  
بما عندك وان نهكت جسمك او افتقرت

شر الناس من ملحه على ركبته - (ميداني ١-٢٥٠) يضرب للزبيق  
السريع الغضب

قرب الحمار من الردهة ولا تقل له ساء - (ميداني ٢-٢٧) الردهة  
مستنقع الماء، وسأست بالحمار اذا دعوته ليشرب - اتروك الامر لعارفه  
كل كلب يباهه نباح - (ميداني ٢-٥٤) وهو مفهوم

لولا الحس ما باليت بالدس - (ميداني ٢-١٠٧) عن لسان الخبزة -  
الحس ان يرد النار عليها بالعصي لتنضج. ويضرب لمن تكرر عليه البلاء  
لا ينبت البقلة الا الحقلة - (ميداني ٢-١٢٠) يضرب للكلمة الحسيسة  
من الرجل الحسيس

فهذه الامثال ونظائرها اقرب الى اوضاع العامة وليس فيها من آثار  
الصنعة اللغوية والانشائية ما نراه التي مر الكلام عليها. على اننا نتعرف منها  
اسلوب كلامهم في المحادثة. وعند التدقيق لا نراه بعيداً عن الاوضاع النثرية  
التي نشأت في الاوساط الادبية. ولا ينكر انه كان هناك لغة عامية ينطق  
بها الناس في حياتهم العادية، ولكنها لم تكن بعيدة عن اللغة الفصحى بعدها  
اليوم او بعدها بعد ان اختلط العرب بالاعاجم بعد خروجهم من الجزيرة  
وانسياحهم في البلاد، وبعد ان اصبحت العربية لغة الامم المغلوبة

ولما كان غرضنا الرئيسي هنا البحث في منشأ النثر وتطوره وعلاقة المثل

به كان لا بدّ لنا من النظر في الامثال الفصيحة ولغتها، لانها او لان قسماً منها راجع الى العهود الاولى . ودليلنا على ذلك ما يلي -

١- ان بعض هذه الامثال مما اقتبسه او فاه به الخطباء والشعراء في القرن الاول ، كقول الحجاج في خطبته المشهورة ( بالكوفة )

هذا وان الشد فاشتدّي زيم . يضرب لمن يؤمر بالجدّ في امره <sup>(١)</sup>  
وقول الكميت :

قالوا اساء بنو كرز فقات لهم عسى الغوير باباس واغوار  
وفيه اشارة الى المثل عسى الغوير ابوساً - قال الاصمعي اصله انه كان  
غاراً فيه ناس فانهار عليهم فصار مثلاً لكل شيء يخاف ان يأتي منه شر <sup>(٢)</sup>  
وقول كعب :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها الا الابطيل

فهو يشير الى المثل - امطل من عرقوب

وقول الشاعر في مروان بن الحكم :

لما الله قوماً مأكوا خيط باطل على الناس يعطي من يشاء ويمنع

وفيه اشارة الى المثل - ادق من خيط باطل <sup>(٣)</sup>

وقال ابو الاسود الدؤلي :

وآليت لا اسعى الى ربّ لقمعة اسومه حتى يوؤب المثلم

اشارة الى مثل من امثال اهل البصرة . والمثلم رجل قتله الخوارج <sup>(٤)</sup>

وقال الفرزدق :

و كنا كاصحاب ابن مامة اذ سقى اخا النمر العطشان يوم الفجاجم

(١) اشهر الامثال ٧٠ (٢) اشهر الامثال ٧٠

(٣) الميداني ١ - ١٨٣ (٤) الميداني ١ - ١٤٥

يشير الى حادثة كعب بن مامة واسقائه رجلاً من النير . والمثل الذي ضرب في ذلك اسق اخاك النيري يصطبح<sup>(١)</sup>

٢- ان رواية هذه الامثال واهمهم المفضل الضبي (المتوفى ١٦٨) وابوعبيدة (٢١١) والاصمعي (٢١٣) هم من رجال القرن الثاني للهجرة . وليس من الطبيعي ان يتصدى جماعة لجمع الامثال او لروايتها الا بعد ان تكون قد جرت على السنة الجمهور زمنًا طويلًا ، حتى اصبحت شائعة معروفة فليس من المجازفة ان نقول ان ما نقل لنا عن هؤلاء الرواة يرجع الى القرن الهجري الاول ، وان بعضه اعرق من ذلك في القدم

وهذه الامثال عادة قصيرة حسنة المبنى وفي سبكها ما يسهل على الذاكرة حفظها وانتقالها من جيل الى جيل ، على نحو كثير من الامثال العامية اليوم التي يرجع عهدها الى اكثر من قرنين او اكثر كقولنا « راحت السكره واتت الفكرة » فانه مذكور في فاكهة الخلفاء لابن عربشاه من اهل القرن التاسع الهجري<sup>(٢)</sup> . ولعله اقدم من ذلك

٣- انها ضربت لما له علاقة بحياة العرب القدماء وعاداتهم كقولهم - تجاوزت شبيبا والاحص وهما ماء ان لجساس<sup>(٣)</sup>

احلبت ناقتك ام اجلبت - اي اتجت اناثا فتحلبها ام ذكورا فتحلبها<sup>(٤)</sup> للبيع

رحل بعض غاربا مجروحاً - الغارب اعلى السنام يضرب لمن هو في ضيق فيلتي غيره عليه ثقله<sup>(٥)</sup>

ضوارب بست لعرف باليد - الضوارب النياق التي تضرب حالها

(١) الضبي ٦١ (٢) فاكهة الخلفاء ص ٣٥

(٣) الضبي ٥٦ (٤) الميداني ١- ١٣٥ (٥) الميداني ١- ٢١٠

والعرف قروح تخرج باليد . اي نياق سبقت لذي قروح يده ليحلبها . يضرب  
لمن كلف ما يعجز عنه<sup>(١)</sup>

قُدَّتْ سيوره من اديمك - الاديم الجلد . يضرب للشبثين يستويان في

الشبه

كستبضع الثمر الى هجر - قال ابو عبيدة وهو من الامثال القديمة .  
وقد اقتبسه النابغة الجعدي فقال :

وان امرءا اهدى اليك قصيدة كستبضع تمراً الى ارض خيبراً<sup>(٢)</sup>

لا آتيك حتى يوؤب القارظان - وهما رجلان خرجا في طلب القرظ

فلم يزرعما . قال ابو ذؤيب :

وحتى يوؤب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب بن وائل

عجيج لما عضه الظمان . عجيج اي صاح والظمان نسع يشد به الهودج

يضرب لمن يضج اذا لزمه الحق<sup>(٣)</sup>

كدادة تعبي صليب الاصبع - الكدادة ما لزق بانفل القدر فلا

تقدر الاصبع وان كانت صلبة ان تنزعه ، يضرب للبخيل الذي لا يستخرج

منه شيء الا بكد<sup>(٤)</sup>

لا في العير ولا في النفير - اول من قاله ابو سفيان يضرب لمن يحط

امره<sup>(٥)</sup> ويصغر قدره

لا تشم الغيث فقد اودى النقد - النقد صغار الغنم اي لا تطلب الغيث

فقد هلك الغنم ، يضرب لمن حزن على ما فات<sup>(٦)</sup>

لم يجد لمسحاة طيناً - يضرب لمن حيل بينه وبين مراده<sup>(٧)</sup>

(١) الميداني ١-٢٨٦ (٢) الميداني ٢-٦٦ (٣) الميداني ١-٣٢١ (٤) الميداني

٢-٧٥ (٥) الميداني ٢-١١٥ (٦) الميداني ٢-١٣١ (٧) الميداني ٢-٩٨

فهذه الامثال وكثير غيرها نشأت في البادية او في بيئة عربية قديمة ،  
 واذا اضعنا هذه الحقيقة الى ما ذكرناه من ورود بعضها في اقوال الشعراء  
 او الخطباء من اهل القرن الاول ، ثم الى قدمية روايتها وما يقتضيه سير المثل  
 من الزمن ، ترجح لدينا صحة الكثير من هذه الامثال وانه يجوز اعتبارها وثائق  
 نثرية يستنير بها مؤرخو الآداب .

ومن النظر فيها يتضح لنا ما يكاد يكون فطرياً في امثال الامم  
 جماء نعني : الاقتضاب وبعد الاشارة

تجميعها من قبيل الكلام المخطوم الشديد الایجاز ، يكثر فيها الخذف  
 والایماء وتُصَفُ عموماً بمتانة السبك وجودة التقسيم ، مع الميل الى النسق  
 الانشائي العالي من تقديم القيود على المقيدات والمسند على المسند اليه . ومع  
 انها ليست الا فقرات قصيرة يصعب الحكم بها على النسق الانشائي في ذلك  
 العهد فاننا نعرف بها ما بلغت العريية منذ العهد النبوي او ما قبله من التطور  
 في بناء الجمل وتركيب الالفاظ ، ويمكن استخدامها للحكم على ما نقل لنا من  
 آثار ذلك العهد البعيد . وقد اخترنا عدداً من هذه الامثال المشهورة نعرضها  
 هنا لمن اراد ان يطبق اسلوبها على ما مر بنا من وصفها

## نخبة من امثال العرب

ملخصة عن المبراني

ضغث على ابالة - الضغث العود والابالة الخزمة . يضرب لزيادة الشر  
 اندم من الكسعي - رجل من كُسع رمى حمراً وحشية وظن انه لم  
 يصبها فكسر قوسه ثم وجد انه اصابها فندم اشد الندم  
 انجز حرّ ما وعد - قاله الحارث بن عمرو الكندي لصخر بن نهشل  
 اسعد ام سعيد - هما اخوان ارسلوا في حاجة فنجح الاول وهلك  
 الثاني فصارا مثلاً للنجاح والفشل  
 ان الحديث ذو شجون - ذو مذاهب كثيرة . قاله رجل كان قد  
 فقد ابنه ثم اجتمع بقاتله عن غير علم ومن الحديث فهم انه قاتله فقتله نائراً  
 سبق السيف العذل - قاله لما قيل له ائتمته في الشهر الحرام  
 اهدى من القطا - لكمال المعرفة . والقطا طير معروف  
 أضي لي اقدح لك - يضرب في المكافأة بالاعمال . او بين لي  
 حاجتك فاسعى فيها .

انت في واد ونحن في واد - يضرب للتباعد والاختلاف  
 هذا ولما تردي تهامة - عن الاصمعي يضرب لمن يجزع قبل وقت الجزع  
 خرقاء وجدت صوفا - للمفسد يقع في يده مال فيعيث فيه  
 اعذر من انذر - لمن يتخلص من المسؤولية لقيامه بواجب النصيحة  
 انق من مرآة الغربية - الغربية التي تزوج في غير قومها فهي ابدأ تجلو  
 مرآتها لتحسن التزين



الایناس قبل الابساس - الابساس ان یسکِّن الناقة لیجلها ای لا بد  
 من اللطف قبل نیل الغرض  
 ان البلاء موکل بالمنطق - کقولنا آفة الانسان اللسان  
 ان مع الیوم غدا - فی ن نقل الحالات  
 بلغت القلوب الحناجر - یضرب لشدة الخوف  
 بلغ السیل الزبی - لما تجاوز الحد . والزیبی حفر فی الروای لصد الاسود  
 البطنة تأفن الفطنة - تذهب بالفطنة . من افن الفصیل ما فی ضرع امه  
 تربنی السهی واریها القمر - لاختلاف النظر فی شیء  
 تضرب فی حدید بارد - لمن یطمع فی غیر مطعم  
 نائثة الاثانی - هو نائثة الاثانی ای اثقل القوم ، لان نائثة الاثانی هی  
 الجبل ، واما الاثنان الاولیان فهما الحجران اللذان یوضعان للموقدة ویسندان  
 الی الجبل او النجوة وما شا کل . ویضرب ایضاً لآخر المکرره  
 جدح جوبین من سوبق غیره - لمن یتبرع بمال غیره . جوبین اسم شخص  
 عند جهینه الخیر الیقین - جهینه اسم خمار نقاتل عنده اثنان فقتل  
 احدهما . یضرب للخیر بالشیء العارف بأسراره  
 احشفاً وسوء کيلة - الحشف التمر الردي . یضرب لاجتماع السبیین  
 حسبک من شر سماعه - قائته ام الریبع بن زیاد العبسی  
 الخلة تدعو الی السلة - الحاجة او الفقر تدعو الی السرقة  
 دون ذلك خرط القناد - یضرب لصعوبة الشیء . واقناد شوک قاس  
 یعلم من ابن نوء کل الکشف - یضرب لمن یأتی الامور من ما تبها  
 رجع بخفی حنین - حنین اسکاف احتال علی اعرابی فسلبه ناقته ووترک  
 له بدلها خفین . یضرب لمن یرجع خائباً

ركب جناحي نعامة - في الجد والسعي الى الامر  
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه - المعيدي من احسن المغنين ولكن من  
اقبحهم وجهاً وقد مر ذكره

بمحابة سيف عن قليل تقشع - يضرب لسرعة الزوال  
صرح الحق عن محضه - في ظهور الامر غب استتاره  
طوبته على غيره - طوبت الثوب على تكسره - اي تركته كما كان  
دون ان انظر فيه او غيره .

عند الصباح يحمد القوم السرى - قاله خالد بن الوليد . يضرب لتوطين  
النفس على الشيء حتى تحمد عاقبته

على اهلها جنت براقش - براقش كلبة نبحت جيشاً قصدوا الغارة على  
قومها وقد خفي على الجيش امرهم فعرفوا مكانهم من نباها . يضرب لمن يعمل  
عملاً يرجع ضرره عليه

على الخبير بها سقطت - مالك بن جني من حكماء العرب  
قلب له ظهر المحن - للعداء والمنازلة لان ظهر الترس تدار للانقاء  
لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع - لمن لا يتساهل معه  
ليس من العدل سرعة العذل - للتأني في الحكم او الملام  
مأرب لا حفاوة - فعلت ذلك لحاجتك الي لا حفاوة بي  
من الخواطي سهم صائب - لمن يعطي احياناً مع بخله  
من سلك الجدد آمن العثار - لا كثم صيفي . من سلك الطريق الحميدة  
أمن العثار

المكثار كحاطب ليل - اي ان كثير الكلام قد يلاقي حتفه  
ما يوم حليلة بسر - هو من ايام العرب . ويضرب للشهرة

ومن يشابه ابيه فما ظلم .  
 المنية ولا الدنيا - لاوس بن حارثة  
 المرء باصغريه - اي قلبه ولسانه . قاله احد العرب للمنذر  
 نفس عصام سوّدت عصاما - عصام حاجب النعمان . يضرب لمن يحرز  
 المكان الرفيع بجده وعزمه لا بشرف آباءه  
 لا يعرف الحي من اللي - اي الحق من الباطل . لمن لا يحسن التمييز  
 ما حكّ جلدك مثل ظفرك - للاعتماد على النفس  
 ليس بعشك فادرجي - لمن يتعاطى ما لا ينبغي  
 لا تفرع له العصا - للمجرّب المخنك . وكانت العصا تضرب لعامر بن  
 الظرب عند ما كبر وزاغ عقله ليهثدي  
 لا ناقة لي فيها ولا جمل - للثبروء من الشيء  
 لا تعدم الخرقاء علة - الخرقاء هي التي لا تحسن صنعة ولا لها رفق . وهو  
 كقولنا الخاذق يعمل والجاهل يدبر الاعذار  
 افعل هذا وذاك ذم - قاله قصير مولى جذيمة لما طلب ان يقطع انفه  
 اي افعل هذا الامر ولا لوم عليك  
 ان دواء الشق ان تحوصه - يضرب لرئق ما يفتق  
 لقيت منه عرق القربة - يضرب لمشقة النفس في تكلف امر شاق  
 اليوم خمر وغدا تمر - يضرب للتسويف وعدم الاهتمام  
 ان غداً لناظره قريب - اي ان الغد قريب لمنتظره .  
 بحث عن حتفه بظلفه - كبش بحث برجله في التراب فظهرت مديّة  
 ذبح بها . يضرب لمن يكون سبباً في هلاك نفسه  
 كل الصيد في جوف الفرا - للحاجة العظيمة تقضى بها كل الحاجات

كالاستجير من الرمضاء بالنار - لمن يطلب النجاة فيقع في شر ما

هرب منه

لا عطر بعد عروس - عروس رجل مات فتزوجت امرأته رجلاً

كرهته ولم تعد لذلك تطيب .

استنسر البغاث - يضرب للتحقير بتعظيم او للصغير بصبح كبيراً

اعط القوس باربها - سلم الامر لمن يحسنه

ان الشراك قد من اديمه - يضرب للشيثين بينهما قرب وشبه

اذا عزّ اخاك فهن - يضرب للمسالمة والموادعة

ان كنت ربحاً فقد لاقيت اعصاراً - يضرب للكبير امام من هو

اكبر منه

هل يدرك الظالع شأو الضليع - الظالع الاعرج والضليع القوي .

يضرب للضعيف يسابق القوي

التي الحبل على غاربه - الغارب سنام الجمل او ظهره . يضرب لترك

الشيء ونفض اليد منه

تفرقوا ابدي سبا - يضرب للتشبت

وافق شنّ طبقه - يضرب لتام الوفاق والوثام

## الزبايا الانشائية العامة

في

عصر الفتح

تناولنا في الفصول السابقة ما رواه لنا الرواة من النثر في العهد النبوي وما قبله وحاولنا ان نتوصل عن طريق النقد والتجريح الى ما يجوز اعتماده من تلك الروايات وما لا يجوز . وهانحن ننتقل الآن الى ما نقلوه لنا من النصوص الثرية في عصر الفتح . وليس هذا العصر من الوجهة الانشائية مستقلاً عما سبقه بل هما عند التحقيق عصر واحد - هو عصر صدر الاسلام - ولهذا العصر طابع انشائي خاص عرف به في تاريخ الادب، ولم يصبه على ما يظهر شيء من التطور الا بعد ايام الوليد بن عبد الملك . قال القلقشندي « ولم يزل امر المكاتبات في الدولة الاموية جارياً على سنن السلف الى ان ولي الوليد بن عبد الملك ، جفود القراطيس وجلال الخطوط ونغم المكاتبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك، الا عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد، فانهما جريا في ذلك على طريق السلف . ثم جرى الامر من بعدهما على ما سنه الوليد الى ان صار الامر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم، وكتب له عبد الحميد بن يحيى، وكان من اللسن والبلاغة على ما اشتهر ذكره فاطال الكتب واطنب فيها حيث اقتضى الحال تطويلها والاطناب فيها، حتى يقال انه كتب كتاباً عن الخليفة وقرّ جمل واستمر ذلك فيما بعده <sup>(١)</sup> »

فبعد الحميد اذن إمام طور جديد في الانشاء كان الوليد فاتحته .  
 على ان هذا الانتقال من طريقة صدر الاسلام الى طريقة عبد الحميد لم يكن  
 فجائياً بل جرّس على سنن الطبيعة . وقد ساعد على هذا الانتقال تجويد  
 القراطيس واتساع رقعة المملكة وازدياد عمرائها ، بعد ان مهد لها عبد الملك  
 بن مروان ورجاله السبل الى ذلك

قلنا ان لهذا العصر طابعاً انشائياً خاصاً ، ولو اردنا ان نصفه بكلمة عامة  
 لقلنا هو طابع « البساطة المحكّمة » ومن مزايها -

١ - الجزالة . وهي كما قال ابن الاثير ان يكون الكلام متيناً على  
 عذوبته في الفم ولذاذته في السمع <sup>(١)</sup> . وقد عبر القلقشندي عن آراء الادباء  
 في نثر صدر الاسلام فقال « ولتحرّي الصدر الاول من الكتاب ايقاع  
 المناسبة بين كتبهم وبين الاشياء المتقدمة الذكر ( اي ما يقتضيه المقام من  
 احوال المخاطبين ) استعمل كتاب الدولة الاموية من الالفاظ العربية الفحلة  
 والمتينة الجزلة ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية ، لان كتاب الدولة الاموية  
 قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت  
 في جملة الفضائل التي يثابر على اقتنائها ، والامكنة التي نزلها ملوكهم من  
 بلاد العرب والرجال الذين كانت الكتب تصدر اليهم ، وهم اهل الفصاحة  
 واللسن والخطابة والشعر <sup>(٢)</sup> » . ومن امثلة جزالتهم الخطابية ما نقله المبرّد من  
 حديث معاوية وابن الزبير واليك نصه <sup>(٣)</sup> - « ولما نازع ابن الزبير مروان  
 عند معاوية قال ابن الزبير يا معاوية لا تدع مروان يرمي جماهير قريش  
 بمشاقصه <sup>(٤)</sup> ، ويضرب صفاتهم بمعاوله . ولولا مكانك لكان اخف على رقابنا

(١) الملل السائر ١٠٠ (٢) صبح الاعشى ٦ - ٢٩٧

(٣) البيان والتبيين ٢ - ٧٢ (٤) المشاقص: النصال العربية

من فراشة واقلّ في نفوسنا من خشاشة . ولئن ملك اعنة خيل لنقاد له  
 ليركبن منك طبقاً تخافه . قال معاوية ان يطلب هذا الامر فقد طمع فيه من  
 هو دونه<sup>(١)</sup> ، وان يتركه يتركه لمن هو فوقه<sup>(٢)</sup> ، وما اراكم بمنتهين حتى يبعث  
 الله اليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ولا يذكركم عند مئة ، يسومكم خسفاً  
 ويوردكم تلفاً . قال ابن الزبير والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور  
 كرجل الجراد حافاتا الاسل لها دوي كدوي الريح ، تابع غطريفاً<sup>(٣)</sup> من  
 قرينش لم تكن امه براعية ثلة<sup>(٤)</sup> . قال معاوية انا ابن هند اطلقت عقال  
 الحرب فاكلت ذروة السنم وشربت عنفوان المكرع ، وليس للاكل الا  
 الفلذة<sup>(٥)</sup> ولا للشارب الا الرنق<sup>(٦)</sup>

وامثال ذلك كثيرة في اقوالهم كما سنرى بعد

٢ - عزم التصنع الدنيابي . ذكر ابو هلال العسكري ( المتوفى  
 ٣٩٥ هـ ) في كلامه على البديع خمسة وثلاثين باباً . ثم قال فهذه انواع البديع  
 التي ادعى من لاروية له ولا رواية عنده ان المحدثين ابكروها وان القدماء  
 لم يعرفوها ، وذلك لما اراد ان يفخم امر المحدثين . لان هذا النوع من الكلام  
 اذا سلم من التكلف وبرى من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة<sup>(٧)</sup> .  
 على ان دفاع العسكري عن القدماء ( ومراده بذلك اهل الصدر الاول )  
 لا يعني ان البديع كان عندهم طريقة فنية متبعة كما كان في زمانه وفيما تلاه  
 من الازمنة . فان ما دون لنا من آثارهم الادبية - وان كان لا يخلو من  
 كثير من انواع البديع - لا ترى فيه ميلاً الى تكلف ذلك ولا الى

(١) يعرض بعبد الله بن الزبير (٢) يريد يزيد بن معاوية (٣) الغطريف  
 السيد ويبرد نفسه (٤) يعرض بام مروان (٥) القطعة من كبد البعير  
 (٦) الماء الكدر (٧) الصناعتين ٢٠٥ والعقد ٢ - ١٩٣

الاكثر منه ونظرة واحدة الى خطب صدر الاسلام ورسائله تربينا الفرق العظيم الذي بينها وبين الخطب والرسائل في العصر العباسي ، ولا سيما القرون الاخيرة منه . وسرى ذلك في كثير من النصوص التي سنقلها لهم ونجتزئ هنا على سبيل المثال بخطبة عتبة بن ابي سفيان في مصر ، وكان قد غضب لامور بلغته عن اهلها فصعد المنبر مغضباً وقال <sup>(١)</sup> -

ايا حاملين الأم انوف ركبت بين اعين ، انما قلّمت اظفاري عنكم ليلين مني اياكم ، وسألتم صلاحاً لكم اذ كان فسادكم راجعاً عليكم . فاما اذ اينتم الا الطعن في الولاة والتنقص للسلف ، فوالله لا قطعن على ظهوركم بطون السياط . فاذا حسمت داءكم ، والا فالسيف من ورائكم . فكم من موعظة منا لكم مجتتها قلوبكم ، وزجرة صمّت عنها آذانكم ، ولست ابخل عليكم بالعقوبة اذ جدتم لنا بالمعصية ، ولا أؤيسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التي هي ابرّ وابقى »

ففي هذه الخطبة شيء من البديع كقوله قلت اظفاري عنكم ، ومجتتها قلوبكم ، والسيف من ورائكم . ولكنه بديع فطري لم يشكف اصطناعه الخطيب . وابن هذا من صناعة المترسلين في ابان عهد السجع والبديع . وسرى ذلك في حينه

٣- الامجاز . سئل ابن المقفع ما البلاغة قال « البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة » - وبعد ان يعدد تلك الوجوه . يقول « فعامّة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة <sup>(٢)</sup> » . وقال المبرد « من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم وقد يقع الایماء الى الشيء فيغني عند ذوي الالباب عن كشفه كما



قيل لمحة دالة<sup>(١)</sup> « . ولو لم يُقحم عبارته لفظة ( الاطناب المفخم ) لكان كلامه ادلّ على ما وصف به نثر ذلك العصر . ولعلماء البلاغة اقوال كثيرة يدحون بها الایجاز والكلام الذي هو كالوحي والاشارة ، ويمثلون لذلك بما جاء من اقوال الصدر الاول . وقد اندفع بعض متحمسي النقاد الى قرن الاكثار بضعف الخلق . ومما نقله الجاحظ عن العرب « وهم وان كانوا يحبون البيان والطلاقة ، والتخيير والبلاغة ، والتخلص والرشاقة ، فانهم كانوا يكرهون السلاطة والهدر ، والتكلف والاسهاب والاكثر ، لما في ذلك من التزید والمباهاة واتباع الهوى والمنافسة في العلو والقدر ، و كانوا يكرهون الفضول في البلاغة . . . . . ولقد دعا عبادة بن الصامت بالطعام بكلام ظن انه ترك فيه المحاسبة فقال اوس بن شداد انه قد ترك فيه المحاسبة ، فاسترجع ثم قال « ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله (ص) الا مزومة مخطومة<sup>(٢)</sup> » . هذا الاسلوب الموجز المخطوم الالفاظ هو الذي عرف به نثر القرن الاول واهم مزايابه -

- ١- الاستغناء عن كل لفظة او الفاظ لا تزيد المعنى وضوحاً او تقريراً
  - ٢- الميل الى التلميح دون التصريح والى التقدير والابهام دون الذكر والتفسير - الا اذا ادّى ذلك الى الالتباس والتعمية
  - ٣- قلة تفاريع الكلام وتجنب الاسهاب والتبسط في عرض الفكر وايضاحاً لهذه المزايبا التي تكوّن الطابع الانشائي في صدر الاسلام
- ثبتت هنا بعض ما نقلته لنا كتب الادب من نثر ذلك العصر -
- قام قتيبة بن مسلم خطيباً بخراسان حين خلع فقال<sup>(٣)</sup> « اندرون من

(١) الكامل ١-١٧ (٢) البيان والتبيين (١٣١١) ١-٧٩

(٣) خمس رسائل للثعالبي ٢١٢

تبايعون . تبايعون يزيد بن ثروان ( و يروى مروان ) . كافي بامير خادعكم  
 ( و يروى من حاء وحكم وهما قبيلتان ) قد اتاكم بحكمكم في اموالكم . .  
 وابشاركم » ثم قال « الأعراب . ومن الأعراب ؟ جمعتمكم كما يجمع قزح  
 الخريف من منابت الشيع والقيصوم <sup>(١)</sup> والغافل ، تركبون البقر وتاكلون  
 القصب ، فحملتكم على الخيل والبستكم السلاح ، حتى منع الله بكم البلاد  
 وافاء بكم النبي <sup>(٢)</sup> » فانظر بلاغة الایجاز في ذكر خصمه وفي تقريع المخاطبين  
 والتنويه بفضله بكلام محكم لا حشوفيه ولا تكلف . ومثل ذلك في حسن  
 الاشارة والمبنى ما ذكروه من حديث معاوية وعائشة بنت عثمان قالوا <sup>(٣)</sup> :

قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان وا ابتاه !  
 وبكت ( نثير معاوية على قنلة ايها ) . فقال معاوية « يا ابنة اخي ان الناس  
 اعطونا طاعة واعطيناهم اماناً واطهرنا لهم حلاً تحت غضب ، واطهروا لنا طاعة  
 تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه ، وهو يرى مكان انصاره . وان نكثنا  
 نكثوا بنا ، ولا ندري اعلىنا يكون ام لنا . ولأن تكوفي ابنة عم  
 امير المؤمنين خير من ان تكوفي امرأة من عراض المسلمين »

والتأمل في كلام معاوية وفي موقفه الدقيق يرى ما تقصد اليه من قولنا  
 « طابع صدر الاسلام » فهو يجمع برشاقة خلافة بين الایجاز والاحكام  
 جمعاً مفحماً ، ولا نزال الى الآن نعجب به ونعده من امثلة الادب العالي  
 ومن هذا الطراز المحكم ما روي عن الامام علي حين ثار عليه طلحة  
 والزبير فارسل عبد الله بن عباس الى البصرة وقال له <sup>(٤)</sup> « ائت الزبير ولا

(١) القزح ما تناف من الشجر وسواها . والشيع والقيصوم نباتان (٢) اي جمع  
 بكم الغنائم . و يروى في العقد ٢ - ١٨٩ والبيات والتبيين ١ - ١٩٨ مع بعض  
 الاختلافات (٣) خمس رسائل ١٢٩ (٤) خمس رسائل ٢٢٦

تأت طلحة ، فان الزبير اسهل . وانك لتجد طلحة كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعوبة ويقول هي اسهل . فاقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفني بالحجاز وانكرتني بالعراق ، فما عدا مما بدا ؟ »

وقد ذكر المبرّد حديثاً جرى بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان وفيه من جودة التلميح وبعد الاشارة ما يمثل لنا تماماً اسلوبهم النثري — قال <sup>(١)</sup> « يروى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية اتى اخاه خالداً فقال يا اخي لقد هممت اليوم ان افتك بالوليد بن عبد الملك . فقال خالد بشس والله ما هممت به في ابن امير المؤمنين وولي عهد المسلمين . فقال ان خيلي مرّت به فعبث بها واصغرتني . فقال خالد انا اكفيك . فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا امير المؤمنين . الوليد بن امير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين مرّت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد ، فعبثت بها واصغره — وعبد الملك مطرق ، فرفع رأسه ، وقال « ان الملوک اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا العزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون » . فقال خالد « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني والله لقد دخل عليّ فما اقام لسانه لحناً . فقال خالد أفعلی الوليد تعول ؟ فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان اخاه سليمان . فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان اخاه خالد . فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعدّ لافي العير ولا في النفير <sup>(٢)</sup> . فقال خالد اسمع يا امير المؤمنين ، ثم اقبل عليه وقال ويحك من العير والنفير غيري ؟ جدي ابو سفيان صاحب العير ، وجدي

(١) الكامل (مصر ١٣١٨) ١-١٩٦ و ١٩٧ (٢) العير هي عير قريش التي اقبل بها ابو سفيان بحمل التجارة من الشام فنهذ اليه الرسول والمسلمون . واما النفير فهم من نفر من قريش ليدفع عن العير وكان شيخهم عتبة المذکور

عُتْبَةُ بن ربيعة صاحب النفير . ولكن لو قلت غُنِيَّاتٍ وَحُبِيَّاتٍ وَالطَّائِفَ (١)  
 وَرَحِمَ اللهُ عَثْمَانَ ، لَقَلْنَا صَدَقْتَ «

وقد اورد العسكري هذا الحديث مثلاً على جودة الحذف . قال ومثل  
 هذا كثير في كلامهم ولا وجه لاستيعابه (٢)

وكما تجدد ذلك في خطبهم واحاديثهم تجده في كتبهم ورسائلهم وعلى  
 ذلك الامان الذي كتبه عمرو بن العاص لاهل مصر عند فتحها ونصه بعد  
 البسلة (٣) .

هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الامان على انفسهم ومالهم  
 واموالهم وكنائسهم وصوابهم وبرّهم وبحرهم . لا يدخل عليهم شيء من ذلك  
 ولا يُتَقَصَّ ، ولا تسأكنهم النوبة . وعلى اهل مصر ان يعطوا الجزية اذا  
 اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف . وعليه ممن  
 جنى نصرتهم ، فان ابى احد ان يجيب رُفِعَ عنهم من الجزى بقدر ذلك . ومن  
 دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله ما لم وعليه ما عليهم ، ومن ابى واختار  
 الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه او يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم  
 اثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله  
 وذمة رسوله وذمة الخليفة امير المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا  
 بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً ، على ان لا يُغزَوا ولا يُنَعَموا من تجارة  
 صادرة ولا واردة «

ولو قابلته بما كان يعطى من ذلك في العصر العباسي لظهر لك الفرق بين

(١) يشير بذلك الى ان النبي كان قد طرد جد عبد الملك فلجأ الى الطائف برعى

غنمات وبأوي الى كريمة . ورحم الله عثمان لرده اياه (٢) الصناعتين ١٤٠

(٣) راجع صبح الاعشى ١٣ - ٣٢٤

الاسلويين، في امان عمرو ويجري الكلام مجرى طبيعياً لا يتكلف فية ازدواج  
او اطناب او بديع

ومع استمرار هذا الاسلوب الى اوائل العصر العباسي اخذ الكتاب  
عموماً يعدلون عنه وسنرى ذلك في كلامنا على الترسل في ذلك العصر

ومما يوضح لنا اسلوبهم الكتابي العام ما كتبه يزيد بن معاوية الى اهل  
المدينة النبوية وقد بلغه خلافهم عليه - قال<sup>(١)</sup> - « اما بعد فان الله لا يغير  
ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم  
من دونه من وال . اني والله قد لبستكم فاخاقتكم ، ورفعتكم على رأسي ثم  
على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وايم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لاطانكم  
وطأة أقل بها عددكم ، واترككم بها احاديث نئسخ منها اخباركم كاخبار  
عاد وثمود »

تلك كانت طريقتهم في التعبير عن خواالج انفسهم ، وفي عرض افكارهم  
تشبهاً في رسائل الصحابة والتابعين ، وفي خطب العصر الاموي وعهوده . واذا  
اعترض ان ما نقل لنا من منشور ذلك العصر انما نقل على السنة الرواة فلا  
يصح اتخاذه اساساً لحكم عام ، قلنا ان لدينا ما نعارض به اقوال الرواة وهو  
بعض وثائق نثرية وصلتنا من القرن الاول الهجري مدونة على البردي . ففي  
اسلوبها ومبناها ما يشهد بصحة ما نحاول تقريره من نثر صدر الاسلام .  
وها نحن نعرض على سبيل المثال وثيقة مثأكلة من مخطوطات دار الكتب  
المصرية<sup>(٢)</sup> . وهي بقية من رسالة طمس فيها اسم مرسلها والمرسل اليه وقد  
تمكنا من قراءتها ، واتماماً للفائدة اضعنا اليها ما تراه بين قوسين -

(١) صبح الاعشى ٦ - ٣٩٠

(٢) عن مصور مورتر Moritz ١٩٠٥

( احمد اليك الله الذي لا اله الا هو )

اما بعد فان هشام بن عمر كتب اليّ يذكر جالية له بارضك وقد  
نقدمت الى العمال وكتبت اليهم الا توثوا جاليا . فاذا جاءك كتابي هذا  
فادفع اليه ما كان له بارضك من جالية ولا . ( الكلام هنا مطموس ) . . . .  
ما رددت رسله ، او كتب اليّ يشتكيك . والسلام على من اتبع الهدى .  
وكتب بذلك في جمادى الآخرة سنة ٩١ »

ومثلها بقية وثيقة بردية ترجع ( الى القرن الاول ) نشرتها دائرة  
المعارف الاسلامية <sup>(١)</sup> وقد قرأنا منها ما يلي - ويظهر انه كتاب الى احد  
العمال - وهو -

« . . . . قد جمعت من جزية كورتك واردت ان ارفق بهم واتجاوز  
عنهم بما قد قبضت منهم ، على نحو الذي كانوا يؤدون في بيت المال كل سنة .  
ولا اظن كتابي هذا قادماً عليك ان كان فيك خير الا وقد بعثت بالذي  
جمعت من جزية كورتك . . . . »

وبين مخطوطات دار الكتب المصرية بضع من هذه الوثائق التي ترجع  
الى القرن الاول ، وهي شديدة التماثل في مبنائها للرسائل التي نقاها لنا قدماء  
المؤرخين كالطبري والواقدي وابن سعد ، او رجال الادب كالجاحظ والمبرد  
والقالي واضرابهم

وللموازنة بين ما نقل لنا وبين الوثائق التي وصلتنا ثبت هنا الكتابين  
التاليين -

كتاب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب <sup>(٢)</sup>

« لعبد الله امير المؤمنين - سلام عليك . فاني احمد اليك الله الذي

لا اله الا هو . اما بعد فانه اتاني كتاب امير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال فشالي ، وانه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي . واني أعلم امير المؤمنين انني ببلد السعر فيه رخيص ، واني اعالج من الزراعة ما يعالجه الناس ، وفي رزق امير المؤمنين سعة . ووالله لو رأيت خيانتك حلالاً ما خنتك . فأقصر ايها الرجل فان لنا احساباً هي خير من العمل لك ، ان رجعنا اليها عشنا بها . ولعمري ان عندك من لا يدوم معيشته ، ولا تدوم له . فان كان ذلك فلم يفتح قفلك ولم يشر كك في عملك »

فاذا قابلت هذا الكتاب بما نقلناه آنفاً رأيت اوجه الشبه من حيث نفس الكلام ، فان العبارات في كليهما منخوطة محكمة والطابع الانشائي البسيط واحد . ومثله ما كتبه معاوية الى علي وقد وجه اليه علي رسولاً بأخذه البيعة له . قال بعد البسمة<sup>(١)</sup>

« من معاوية بن صخر الى علي بن ابي طالب . اما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بريء من دم عثمان كنت كابي بكر وعمر وثمان (رض) ، لكنك اغربت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار ، فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف . وقد ابى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فان فعلت كانت شوري بين المسلمين . ولعمري ما حجبتك علي كحجبتك علي طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم بايعك . وما حجبتك علي اهل الشام كحجبتك علي اهل البصرة ، لان اهل البصرة اطاعوك ولم يطعك اهل الشام . واما شرفك في الاسلام وقرابتك من رسول الله (ص) او موضعك من قریش فلست ادفعه »

وسنرى في الكلام على الانشاء الديواني في العصر العباسي وما بعده ان سنة الكتاب فيه ، ولا سيما في وصف الفتوح ، هي الاسهاب والتبسط ، ولم يكن ذلك معروفاً قبل عبد الحميد الكاتب . وهالك نموذجا من رسائل الفتح في الصدر الاول ما بعث به المهلب الى الحجاج يصف له ظفره بالخوارج - قال فيه بعد توطئة قصيرة :

- اما بعد فقد كان من امرنا ما اغنت جملته عن تفصيله ، وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين ، يسرنا منهم اكثر مما يسوئنا ، ويسوئهم منا اكثر مما يسرهم ، على شدة شوكتهم واجتماع كلمتهم وانزعاج القلوب لمخافتهم ، حتى نؤم بذكرهم الرضيع واصم لخوفهم السميع . فانتهزت منهم الفرصة عند امكانها بعد ان نظرت وقت ابانها ، واستدعى النهل ، عله ، وبلغ الكتاب اجله ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين <sup>(١)</sup> «

فهو برغم ما ورد فيه من السجع القليل يمثل الاسلوب الذي نحن بصدده ، وسيتبين لك كيف بلغ هذا النوع من الانشاء في الدولة العباسية

.....

ذكرنا اوجه التماثل بين الوثائق القليلة التي وصلتنا من القرن الاول وبين ما نقله لنا الرواة من ذلك القرن ، وقلنا ان ذلك يسوغ لنا الحكم على الاسلوب الانشائي في صدر الاسلام ، ويميل بنا الى القول بصحة المرويات النثرية لتلك العهد . ويزيدنا وثوقاً بذلك قديمة التدوين في الاسلام وانه كان معروفاً في عهد الراشدين والامويين . ذكر ابن النديم انه رأى في مكتبة عند بعضهم قمطراً كبيراً فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود فلجان وصكوك



وقراطيس مصرية وورق صيني وورق تهايمي وجلود ادم وورق خراساني وفيها خطوط بعض الصحابة . قد يقال افلا يمكن ان يكون ما رآه ابن النديم وهو من اهل القرن الرابع الهجري مزوراً؟ قد يكون ذلك . ولكن الرجل وراق خبير ، ثم من ينكر ما اجمع عليه كل المؤرخين من وجود الكتابة في عهد الصحابة ، ومن نقل الدواوين الى العربية في عهد عبد الملك ومن نقل العلوم اليونانية بامر خالد بن يزيد بن معاوية ، وغير ذلك من الحقائق التاريخية المثبتة بالاجماع . وهذا ابو عمرو بن العلاء المتوفى في منتصف القرن الهجري الثاني (١٥٤) ، فقد كان في العهد الاموي وسمع جريراً والفرزدق وقال عنه ابو عبيدة الراوية المشهور « كان ابو عمرو اعلم الناس بالعرب والعربية وبالقرائة والشعر وایام الناس ، وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ، وكان عامه اخباره عن اعراب ادر كوا الجاهلية وفيه يقول الفرزدق

ما زلت افتح ابواباً واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمّار

افليس من المعقول ان نستنتج اذن مما بقي لنا من وثائق البردي ومما عرفناه من امر التدوين ان النصوص النثرية التي نراها في كتب الادب والتاريخ لم يعتمد على الرواية فقط في اثباتها ، بل على مخطوطات قديمة ضاعت اصولها في جملة ما ضاع من آثار الصدر الاول ؟ ومع ذلك فلا بد لنا من تحفظات نقرنها باعتقادنا صحة النصوص التي نبنى عليها احكامنا منها :

١ - ان كثيراً مما نقلوه لا يخلو من التشويش والخطأ

٢ - ان بعضه وضع وضعاً لاغراض خاصة .

اما الخطأ والتشويش فنجدهما في اختلاف الروايات في النص الواحد ، وذلك اكثر وواضح من ان نحتاج الى شواهد لاثباته . على اننا ثبتت هنا المثلين التاليين

الاول كتاب عبد الملك الى الحجاج . فيين ما روي منه في العقد ٣-١٧ وما روي في صبح الاعشى ٦-٣٨٩ اختلاف في بعض الالفاظ والعبارات وفي احدى الروايتين زيادة لا تجدها في الاخرى . والثاني خطبة « ايها الناس انما الدنيا دار مجاز » تروى في نهج البلاغة ( شرح ابن ابي الحديد ج ١٣ ) للامام علي ، ويرويها المبرد في الكامل عن الاصمعي لاعرابي بالبادية ، وقسم منها يروى لا كتم . وقس على ذلك ما لا يمكن حصره هنا .  
واما الوضع فهو اما لاغراض سياسية او مذهبية . كما نجد في النصوص التالية -

#### كتاب معاوية الى يزيد ابنه

قالوا كتبه اليه وقد بلغه مقارفته اللذات وانهما كه في الشهوات . ونصه كما في صبح الاعشى<sup>(١)</sup> . « اما بعد فقد ادت السنة التصريح الى اذن العناية بك ما جفع الامل فيك وباعد الرجاء منك ، اذ ملأت العيون بهجة والقلوب هبة ، وترامت اليك آمال الراغبين وهم المتنافسين وشحنت بك فتيان قريش و كهول اهلك . فما يسوغ لهم ذكرك الا على الجرة المهوغة<sup>(٢)</sup> . والكظ الجش . افتحمت البوائق وانقدت للعاير ، واعتضتها من سمو الفضل ورفيع القدر . فليتك يزيد ، اذ كنت لم تكن ! سررت يافعا ناشئا واثكلت كهلا ضالعا . فوازنه عليك يزيد ! ويا حرا صدر المشكل بك ! ما اشم فتيان بني هاشم واذل فتيان بني عبد شمس عند تفاوض المفاز ودراسة المناقب ! فمن لصلاح ما افسدت ورتق ما فتقت ؟ هيمات خمشت

(١) صبح الاعشى ٦ - ٣٨٧ (٢) الجرة ما يجره البعير والمهوغة ما يحمل على التقيوء اي لا يذكرونك الا بكل قبيح ، ومثلها الكظ الجش اي امتلاء الجوف بالطعام الزائد وهو النهم

الدُّرْبَة وجه التصبر بك . وابت الجنابة الاّ تحذراً على الاسن ، وحلاوةً على المناطق . ما اربح فائدة نالوها وفرصة انتهبوها ! انبه يزيد للعظة ، وشاور الفكرة ولا تكن الى سمعك اسرع من معناها الى عقلك ، واعلم ان الذي وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرقة السلطان مما حسن عندك قبجه واحلولى عندك مره ، امرٌ شركك فيه السواد وناقسكه الاعداء ، لا لأثرة تدعيها اوجبتك الامر ، واضعت بها من قدرك فامكنت بها من نفسك ، فكأنك شانى نفسك . فمن لهذا كله ؟

اعلم يا يزيد انك طريد الموت واسير الحياة بلغني انك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى - اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتخذون مصانع لعلكم تخلدون - واجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهراً . اعلم يا يزيد ان اول ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهي الجرحه العظمى والفجعة الكبرى ، ترك الصلوات المفروضات في اوقاتها وهو من اعظم ما يحدث من آفاتنا . ثم استحسان العيوب وركوب الذنوب واظهار العورة واباحة السر . فلا تأمن من نفسك على سرك ولا تعتد على فعلك فما خير لذّة تعقب الندم وتعفي الكرم ؟ وقد توقف امير المؤمنين بين شطرين من امرك لما يتوقعه من غابة الآفة واستهلاك الشهوة . فكن الحاكم على نفسك واجعل المحكوم عليه ذهنك ترشد ان شاء الله تعالى . وليبلغ امير المؤمنين ما يردّ شارداً من نومه ، فقد اصبح نصب الاعتزال من كل مؤانس ، ودرأة الاسن الشامته وفقك الله فاحسن «

ومن قرأ سيرة معاوية وعرف حرصه على ان يجعل الخلافة في يزيد يتعذر عليه الا ان يقف موقف المشكك بل المنكر لما روي عن لسانه .

وعندنا ان الكتاب موضوع في عصر متأخر وضعه بعض اعداء يزيد ونستدل على وضعه مما يلي -

١- ما فيه من تكلف المجاز غير المؤلف في ذلك العهد كقوله « فقد ادّت السنة التصريح الى اذن العناية » وقوله « وخمشت الدربة وجه التصبر بك » وابت الجناية الاتحدراً على اللسان »

٢- ان اكثره يجري مجرى الازدواج المتكلف مما هو اشبه بانشاء

### العصر العباسي

٣- ما فيه من الحمل على يزيد ووصمه بكل قبيح وقد وضع الكاتب كل ذلك عن لسان ابيه معاوية وهو الذي كان يرشحه للملك ويقدمه الى العالم الاسلامي ولياً لعهدده . ولم يتورع واضعه عن ان يضع على لسان معاوية قوله لابنه « فليتك يزيد اذ كنت لم تكن - سررت يافعاً ناشئاً واثكت كهلاً ضالماً - فواحزنه عليك يزيد ويا حراً صدر المتكلم بك - ما اشمتم فتيان بيني هاشم - فمن لصلاح ما افسدت - واجهرت الفاحشة - سلبك السكر معرفة مواطن الشكر - » وغير ذلك من الاقوال التي لا يصح ان رجلاً بدهاء معاوية بصرح بها .

٤= هلهلة الكتاب او عدم احتباكه . فليس في نسيجه متانة الانشاء في الصدر الاول كما يتبين لك من الجمل التالية « اعلم يزيد ان ما سلبك السكر » . الى آخر قوله « ما يحدث من آفاتنا » . وكذلك « واعلم ان الذي وطأك وسوسة الشيطان » الى قوله « فمن لهذا كاه ؟ » . فانك اذا تأملت هذه العبارات وجدت ضعفاً في الارتباط ورخاوة في التنسيق لانراهما عادة في اقوال معاوية واهل عصره . ولا ينبغي ذلك ان يوجد مثل هذا الضعف في بعض اقوال ذلك العصر ولكنه قليل . فاذا قرنا ذلك بما بيناه من

الاسباب السالفة الذكر لم يكن لنا محيص عن رفض هذه الرسالة او على الاقل الوقوف ازاءها موقف الحذر والتشكيك . وكذلك يجب ان يكون موقفنا ازاء الرسالة التالية -

(١) رسالة ابي بكر الى علي يوم نطق عن المباينة له

قالوا انه ارسلها على لسان ابي عبيدة وذكروا ما انضم الى ذلك من كلام عمر بن الخطاب وما كان من جواب علي عنها ، وقد نقل حديثها عن لسان علي بن محمد التوحيد وفي ذلك يقول « سمرنا ليلة عند القاضي ابي حامد احمد بن بشر بيغداد فتصرف في الحديث كل متصرف ، وكان غزير الرواية لطيف الدراية ، جرى حديث السقيفة ، فركب كل منا مركباً وقال قولاً وعرض بشيء ونزع الى فن ، فقال ( اي القاضي ) هل فيكم من يحفظ رسالة لابي بكر الصديق ( رضه ) الى علي بن ابي طالب ( كرم الله وجهه ) وجواب علي عنها ومباينته اياه عقيب تلك المناظرة ؟ فقال الجماعة لا والله ، فقال هي والله من بنات الحقائق ومخبات الصنادق ، ومنذ حفظتها ما رويتها الا لابي محمد المهلب في وزارته فكتبها عني بيده « . . . . . فقال احدهم . . . » ايها القاضي فلو اتممت المنة علينا بروايتها اسمعناها فنحن اوعى لك من المهلب ووجب ذماماً ، فاندفع يحدتهم ويروي لهم ما كتب ابو بكر وسواه ويقع حديثه في عشر صفحات كبيرة فليراجع<sup>(٢)</sup> والذي يتأمل هذه الرسالة وما انضم اليها تأمل الناقد المدقق لا يرى

(١) تجدها في كتاب نهج البلاغة شرح ابن ابي الحديد مج ٢ ص ٥٩٣ - ٥٩٧

ونهاية الارب للنوري ٧ ص ٢٣٧ - ٢٤٧ وصبح الاعشى ١ ص ٢٣٧ - ٢٤٧

(٢) قلنا قوله بصرف قليل عن نهج البلاغة وصبح الاعشى

الا القول بانها موضوعة<sup>(١)</sup> . بل هي اشبه ان تكون مقامة او حكاية صنفها التوحيدى او بعض الادباء رداً على ما ذهب اليه بعضهم من اولوية علي بالخلافة ، وان ييعة ابي بكر وعمر فاسده . فسادها ولحمتها اثبات صحة الامر لابي بكر ودحض مزاعم المنكرين ، كقوله مخاطباً علياً « ولئن كان عرض لك رسول الله ( صلعم ) في هذا الامر فلم يكن معرضاً عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت عن سواك . وان تلجج في نفسك شيء فاهل بالحكم مرضي<sup>٢</sup> . والصواب مسموع والحق مطاع . ولقد نقل رسول الله ( صلعم ) الى الله عز وجل وهو عن هذه العصابة راض وعليها حذر ، يسره ما يسره هاويسوه ما ساءها ويكيده ما كادها ، ويرضيه ما ارضاها ويسخطه ما اسخطها . اما تعلم انه لم يدع احداً من اصحابه واقاربه وسجرائه الا ابانه بفضيلة ، وخصه بمزية ، وافرده بحالة » . الى ان يقول . . . « وبعد فهذه المهاجرون والانصار عندك ومعك في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، ان استقالوني لك ، واثاروا عندي بك . فانا واضع يدي في يدك وصائر الى رأيهم فيك . وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والقاتح لمغالقتهم ، والمرشد لضاقتهم ، والرادع لغوايتهم فقد امر الله تعالى بالتعاون على البر والنقوى والتناصر على الحق . ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن » الخ .

وفي الرسالة ما وضع على لسان عمر ويراد به التهجم على علي والتقص من كرامته كقوله = « ما هذه الخنزوانة<sup>(٣)</sup> التي في فراش رأسك ؟

(١) نوّه بوضعها ابن ابي الحديد والنويري . وللاستاذ حسن السندوبي في مقدمة كتاب المقابسات ص ٤٠ — ٤٤ تعليق على الرسالة يذهب فيه هذا المذهب (٢) الكبرياء

ما هذا الشجاعة المعترض في مدارج انفاسك ؟ ما هذه القذاة التي تغشّت ناظرك  
وما هذه الوَحْرَة<sup>(١)</sup> التي اكلت شراسيفك<sup>(٢)</sup> . وما هذا الذي لبست  
بشبيهه جلد النمر ، واشتملت عليه بالشحناء والنُّسُكِر « . . . الى ان يقول  
« وانك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ومعادن الرسالة ولا يجحد  
حقك فيما آتاك الله ، ولكن لك من يزاحمك بمنكب اخنم من منكبك ،  
وقربي امن من قرباك ، وسن اعلى من سنك ، وشبية اروع من شبيبتك  
وسيادة لها اصل في الجاهلية وفرع في الاسلام ، ومواقف ليس لك فيها جمل  
ولا ناقة ، ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقية ، ولا تضرب منها بذراع  
ولا اصبع ، ولا تخرج منها يازل ولا هبع<sup>(٣)</sup> »

اما لغة الرسالة واسلوبها فما عرف به العصر العباسي بعد القرن الرابع  
اذ يكثر فيها الازدواج والسجع والتبسط والبديع كقوله لابي عبيدة حين  
اوفده الى عليّ « وقل له البحر مغرقة ، والبر مفرقة ، والجو اكلف ،  
والليل اغدق ، والسماء جلواء ، والارض صلعاء ، والصعود متعذر ،  
والهبوط متعسر ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل عنوف عسوف ، والعجب  
قداحة شرّ ، والضغن رائد البوار ، والتعريض شجار الفئنة ، والقحقة  
ثقوب العداوة » والكلام طويل وكله على هذا النمط .

وقد تأخذ الكاتب نشوة البديع فيقول — « والله ما اشتاق الى ربه  
( تعالى ) ولا سأله المصير الى رضوانه وقربه ، الآ بعد ان ضرب المدي ،  
واوضح الهدى ، وأبان الصؤى ، وأمن المسالك والمطارح ، وسهل المبارك  
والمهايع ، والآ بعد ان شدخ يافوخ الشرك ( باذن الله ) وشرم وجه النفاق

(١) الوحرة نوع من الدبابات السامة ويراد بها هنا الحقد الاكال (٢) مقط

الاضلاع (٣) هبع الحمار واليازل الجمل

( لوجه الله سبحانه ) وجدع انف الفتنة ( في ذات الله ) وتفل في عين  
الشیطان ( بعون الله ) وصدع بملء فيه وبیده بأمر الله ( عز وجل ) «  
والفاظ الرسالة الفاظ لغوي حفظ كثيراً من الاوضاع الغريبة فصار  
يتنطس في استعمالها كقوله :

اي ذكي	فوادك مشهوم
اصدقاؤك	سجراؤك
علامات الطرق	ابان الصوى
والرفع اصل الفخذ من باطن	ولسنا بجلدة رُفغ البعير
مرّ نفسيرها	الخنزوانة في فراش الراس
==	الوحرة التي تأكل الشراسيف
==	تخرج منها ييازل وهبع
اي يمص جلدك	يمضّ اهالك
قلبه وصرعه	هور ليلها
باطراف قوس	مشدود باطراف ليطة
حافظت عليها	أزمت على فاسي

وقس على ذلك كثيراً من هذه الاوضاع التي كان للغويين من اصحاب  
المقامات وسواهم ولع شديد بحفظها واستعمالها .

.....

ومن امثلة هذه الكتب المشكوك فيها ما روي عن عبد الملك بن مروان  
وقد بلغه تعرّض الحجاج بن يوسف للإمام أنس بن مالك . فكتب الحجاج  
يقول <sup>(١)</sup> — « اما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتى



جزت حدَّ قدرك وعدوت طورك . وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم زيبب  
الطائف لا غمزنك كبعض غمزات الليوث للثعالب ، ولار كضنك ركضة  
تدخل منها في وجارك . اذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون  
الحجارة على اكتافهم ويحفرون الآبار المناهر<sup>(١)</sup> بايديهم . فقد نسيت  
ما كنت عليه انت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة . وقد بلغ  
امير المؤمنين استطالة منك على انس بن مالك خادم رسول الله (صاعم)  
جراًة منك على امير المؤمنين ، وجرأة بمعرفة غيره ونقاته وسطواته على من  
خالف سبيله ، وعمد الى غير محجته ، ونزل عند منخطه . واظنك اردت ان  
تروزه بها فتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها ، فان سوغتها مضيت قد ما  
وان غصصت بها وليت ذبراً . فعليك لعنة الله من عبد اخفش العينين ، اصك  
الرجلين ممسوح الجاعرين<sup>(٢)</sup> . وايم الله لو ان امير المؤمنين علم انك اجترمت  
منه جرماً وانتهكت له عرضاً فيما كتب به الى امير المؤمنين ، لبعث اليك من  
يسجك ظهراً لبطن حتى ينتهي بك الى انس بن مالك فيحكم فيك بما احب  
ولم يخف على امير المؤمنين نبؤك ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون »

ولغة الكتاب شبيهة بما كان يكتب في العصر الاموي على اثنائيل الى  
الشك فيه لاسباب تاريخية سياسية . فان الحجاج كان سيف عبد الملك بن مروان  
بل رافع لواء الامويين وموطد ملكهم وهو الذي ذكره الوليد في بعض  
خطبه فقال ان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول الحجاج جلدة ما بين عيني .  
الا وانه جلدة وجهي كله<sup>(٣)</sup> . فلا يعقل ان يكتب اليه ما روي من الفاظ  
السباب والتحقير كقوله « قد نسيت ما كان عليه آباؤك من اللؤم والدناءة »

(١) العقد في المناهل) والتصحيح من صبح الاعشى (٢) الجاعران مضرب

الفرس بذنبه على الفخذين (٣) البيان والتبيين ١ - ١١٤

وقوله «عليك لعنة الله من عبد اخفش العينين اصكّ الرجلين ممسوح الجماعتين» الى آخر هذه الاقوال السخيفة التي يستبعد جداً ان تصدر عن ملك الى امير جيشه . واغلب الظن انها من صنع بعض الناقمين على الحجاج كاحد الخوارج او احد صنائع سليمان بن عبد الملك ومن اليهم .  
ففي النثر المروي عن صدر الاسلام كثير من الخطأ والوضع والتشويش ، على ان ذلك ليس من المتعذر تمييزه اذا جربنا على قاعدة النقد والتجريح فطرحنا منه ما يناقض الازواض التاريخية والاجتماعية والانشائية لذلك العهد ، وترددنا في قبول ما يشتم منه رائحة التحزب والدعاية . واذا ذكرنا ان التدوين كان شائعاً في القرن الهجري الاول ، وان الرواية متصلة بين العهدين العباسي والاموي لم يبق امامنا مانع كبير من قبول كثير من النصوص المتحدرة اليها من صدر الاسلام

والذي يظهر لنا من دراسة تلك النصوص ان النثر المرسل منذ انبثاق الاسلام الى عهد عبد الحميد الكاتب لم يطرأ عليه تغير يذكر . فاقوال النبي والصحابة وخطب الامويين ورسائلهم جميعها مرتبطة بمزايا لغوية متشابهة ومطبوعة بطابع انشائي عام ، من ايجاز وبعد اشارة وبساطة في التركيب وعدم تبسط في المعاني . اما السجع او الازدواج فكان محصوراً في بعض مجالس الوعظ والقصاصين ، ولم يصبح الزي الانشائي الا في العصر العباسي وما بعده وسنرى ذلك فيما نثرت هنا من نثر القرن الاول وقد اخترنا لذلك طائفة من اشهر اقوالهم وجعلناها - نعمة للفائدة - في ثلاثة ابواب رئيسية :

باب الخطب السياسية والادارية

باب الرسائل والعهود والوصايا

باب الاقوال الروحية

## أصله من الخطب

### السبابة والدارية

خطبة رُوح بن زنباع في المدينة لما نعي اليهم معاوية وابطأ الناس في مبايعة يزيد<sup>(١)</sup> —

« ايها الناس انا لا ندعوكم الى لحم وجمام و كلب ولكننا ندعوكم الى قريش ، ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به وهو يزيد بن معاوية . ونحن ابناء الطعن والطاعون وفضلات الموت ، وعندنا ان احببتم واطعتم من المعونة والفائدة ما شئتم » . — (فبايع الناس)

### خطبة الامام علي بن ابي طالب

يوم اغار سفيان بن عوف الغامدي على الانبار<sup>(٢)</sup> —

« اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذلة ، وشمأه البلاء ، وألزمه الصغار ، وسيم الخسف ، ومنع النصف<sup>(٣)</sup> . ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً سرّاً وعلاناً ، وقلت لكم اغزؤهم قبل ان يغزؤكم فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا . فتوا كلمتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شئت عليكم الغارات . هذا اخو زامد<sup>(٤)</sup> وقد وردت خيله الانبار

(١) البيان والتبيين ١ — ١٤٧ (٢) البيان والتبيين ١ — ١٧٠ وتروى في

الكامل للمبرد ١ — ١٣ مع اختلافات قليلة وكذلك في العقد الفريد ٣ — ١٦٣

(٣) النصف الانصاف (٤) سفيان المذكور وهو من رجال معاوية وكان قد

دفعه الى هذه الغارة

وقتل حسان ( او ابن حسان ) البكري ، وازال خيلكم عن مسالحها وقتل  
منكم رجالاً صالحين . وقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة  
والاخرى المعاهدة فينتزع احجالها وقلبها ورعنها<sup>(١)</sup> ، ثم انصرفوا وافرین ما كالم  
رجل منهم كلاً<sup>(٢)</sup> . فلو ان امرأة مسلماً مات من بعدها اسفاً ما كان عندي  
ملوماً ، بل كان عندي بها جديراً . فياعجباً من جدّ هؤلاء القوم في باطلهم  
وفشلكم عن حقكم . فقبجاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى وفيئاً ينهب  
يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون . فاذا  
امرتكم بالسير اليهم في الحرّ قلتّم حرارة القيظ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحرّ ،  
وان امرتكم بالمسير في البرد قلتّم امهلنا حتى ينسلخ عنا القرّ ، كل هذا فراراً  
من الحرّ والقرّ . فاذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرون فانتم والله من السيف افرّ .  
يا اشباه الرجال ولا رجال ، ويا احلام الاطفال وعتول ربات الحجال ، وددت  
ان الله اخرجني من بين ظهرائكم ، وقبضني الى رحمته من بينكم . والله  
لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفتكم . والله حرت ندما ووريتم  
صدري غيظاً ، وجرّ عتموني الموت انفاً وفسدتم عليّ رأيي بالعصيان  
والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له  
بالحرب . لله ابوهم وهل منهم احد اشدّ لها مراساً واطول تجربة مني ؟ لقد  
مارستها وما بلغت العشرين ، فها وقد نيفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن  
لا يطاع

...

(١) اي الخلاخيل والاسورة والاقراط

(٢) اي ما جرح جرحاً

خطبة له بعد ما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً من اجلب على عثمان<sup>(١)</sup> —

« يا اخوتاه ! اني لست اجهل ما تعلمون ، ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون<sup>(٢)</sup> على حدّ شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم ، وهام هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم اعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ماشاؤا وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه ؟ وان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة . انّ الناس من هذا الامر — اذا حرك على امور — فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا ذلك . فاصبروا حتى يهدأ الناس ، وثقع القلوب مواقعها وتوخذ الحقوق مسمحة . فاهدأوا عني وانظروا ما يأتيكم به امري . ولا تفعلوا فعلة تضعع قوة وتسقط منة » وتورث وهناً وذلة . وسأمسك الامر ما استمسك ، واذا لم اجد بدءاً فأخر الدواء الكي »

...

والامام علي خطب واقوال كثيرة جمعها الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة على ان البعض من اهل النقد والتجريح يرون فيها ما لا تصح روايته ، ويستندون في ذلك الى اسباب شتى من سياسية ومذهبية وانشائية ولهم في ذلك كلام لا مجال لذكره الآن . ولا بد من النظر الدقيق في مثل هذه المرويات ، فان الزام الناقد نفسه ما لا يلزم من التجريح هو في الغالب اسلم عاقبة من قبوله الاشياء على علاقتها او من التساهل في غربلتها ونخلها

(١) نهج البلاغة

(٢) المجلبون على عثمان الذين اعانوا الثوار عليه

خطبة الحجاج في الكوفة يوم قدمها اميراً من قبل عبد الملك وكانت نفوس اهلها يومئذ تنثر بكره الامويين - ( وقد اهلنا مقدمتها الشعرية ) - قال <sup>(١)</sup> :

« يا اهل الكوفة اني لأرى رؤوساً قد ابنت وحن قاطفها واني لصاحبها  
وكأني انظر الى الدماء بين العمائم واللمحي

اني والله يا اهل العراق ما يقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كبتغاز  
التين . وقد فررت عن ذكاء ، وفنشت عن تجربة . وان امير المؤمنين اطال  
الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها ، فوجدني امرها عوداً واصلحها  
مكسراً ، فرما كم بي لانكم ظلما اوضعتم في الفتنة ، واضطجعتم في مرقد  
الضلال . والله لاحزمتكم حزم السامة ، ولا ضربتكم ضرب عزائب الايل  
فانكم لكاهل « قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان  
فكفرت بانعم الله فاذاقها لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .  
واني والله ما اقول الا وفيت ، ولا أتهم الا امضيت ، ولا اخلق الا فريت .  
وان امير المؤمنين امرني باعطائكم اعطياتكم ، وان اوجهكم لمحاربة  
عدوكم مع المهلب بن ابي صفرة . واني اقسم بالله لا اجد رجلاً تخلف بعد  
اخذ عطائه بثلاثة ايام الا ضربت عنقه »

.....

ثم التفت الى غلامه وقال يا غلام اقرأ عليهم كتاب امير المؤمنين  
فقرأه فلم يقل احد شيئاً ، فقال « أسلم عليكم امير المؤمنين فلم تردوا عليه ؟  
والله لا وؤدبناكم غير هذا الادب . اقرأ يا غلام كتاب امير المؤمنين » .  
فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد احد الا وقال وعلى امير  
المؤمنين السلام

(١) نلخصها عن العقد وعن البيان والتبيين (س) ٢ - ٢٤٦

وله وقد مات ولده محمد واتاه البريد بوفاة اخيه محمد ففرح اهل العراق وقالوا انقطع  
 ظهر الحجاج وهيض جناحه فخرج فصعد المنبر ثم خطب الناس فقال (١) —  
 « ايها الناس محمدان في يوم واحد . اما والله ما كنت احبُّ انهما معي  
 في الحياة الدنيا لما ارجو من ثواب الله لهما في الآخرة . وأيم الله ليوشكنَّ  
 الباقي مني ومنكم ان يفنى والجديد ان يبلى ، والحىُّ مني ومنكم ان يموت  
 وان تُدال الارض منا كما أدلنا منها ، فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا  
 كما مشينا على ظهرها واكلنا من ثمارها وشربنا من مائها ، ثم نكون كما قال  
 الله تعالى ، « ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون »

.....

وله يخاطب اهل البصرة ويحضهم على طاعة عبد الملك (٢)  
 « اتقوا الله ما استطعتم فهذه لله ، وفيها مثوبة » . ( ثم قال ) « واسمعوا  
 وأطيعوا ، فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان . والله  
 لو امرتُ الناس ان يأخذوا في باب واحد واخذوا في غيره لكانت دماؤهم  
 لي حلالاً . عذيري من هذه الجراء يرمي احدثهم بالحجر الى السماء ويقول  
 يكون الى ان يقع هذا خير ! والله لاجعلنهم كأمس الدابر . عذيري من  
 هذيل انه زعم انه آمن عند الله ، ما هو الا رجم الاعراب ! والله لو ادركته  
 لقتلته . »

.....

ومن خطب الحجاج بن يوسف خطبة له في البصرة يقول فيها :  
 ان الله كفانا مؤنة الدنيا وامرنا بطلب الآخرة ، فليته كفانا مؤنة  
 الآخرة وامرنا بطلب الدنيا . مالي ارى علماءكم يذهبون ، وجهالكُم لا  
 يتعلمون ، وشيراركم لا يتوبون ؟ مالي اراكم تحرصون على ما كفيتم

(١) العقد ٢ — ١٨٦ (٢) العقد ٢ — ١٨٦

وتضعون ما به أمرتم؟ ان العلم يوشك ان يُرفع ، ورفعه ذهب العلماء ،  
 ألا واني اعلم بشراركم من البيطار بالفرس ، الذين لا يقرأون القرآن الا  
 هجراً<sup>(١)</sup> ، ولا يأتون الصلاة الا دُبراً<sup>(٢)</sup> . الا وان الدنيا عرض حاضر ،  
 يأكل منه البرّ والفاجر . الا وان الآخرة اجل مستأجر يحكم فيه ملك  
 قادر . ألا فاعلموا وانتم من الله على حذر ، واعلموا انكم ملاقوه ليجزي  
 الذين اساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى . الا وان الخير كله  
 بخذافيه<sup>(٣)</sup> في الجنة ، الا وان الشر كله بخذافيه في النار . الا إن من  
 يعمل مثقال ذرة شراً يره ، واستغفر الله لي ولكم

#### كتاب الطعاج الى قتيبة بن مسلم والي خراسان<sup>(٤)</sup>

اما بعد فان وكيع بن حسان كان بالبصرة منه ما كان ، ثم صار اصلاً  
 بسجستان ، ثم صار الى خراسان . فاذا اتاك كتابي هذا فاهدم بناءه  
 واحلل لواءه

#### كلام الاصف الى ابي موسى الاشعري يوم التمسك<sup>(٥)</sup>

يا ابا موسى ان هذا مسير له ما بعده من عزّ الدنيا او ذلها آخر الدهر  
 أدعُ القوم الى طاعة علي ، فان ابوا فادعهم ان يختار اهل الشام من  
 قريش العراق من احبوا ، ويختار اهل العراق من قريش الشام من احبوا .  
 واياك اذا لقيت ابن العاص ان تصالحه بنية ، وان يُتعديك على صدر المجلس ،

(١) هجراً فحماً او استهزاء (٢) دبراً اي آخرها

(٣) خذافيه اي باسره (٤) نهاية الارب للتويزي ٦ - ٤٢

(٥) نهاية الارب للتويزي ٧ - ٢٣٩



فانها خديعة ، وان يضمك واياه بيت ، فيمكن لك فيه الرجال ، ودعه  
فليتكلم لتكون عليه بالخيار ، فالبادي مستغلق<sup>(١)</sup> ، والمجيب ناطق «  
(فما عمل ابو موسى الا بخلاف ما قال الاحنف فلقية الاحنف بعد ذلك  
فقال له) « ادخل والله قدميك في خف واحدة »

خطبة زياد بن ابيه بالبصرة<sup>(٢)</sup> وهي المعروفة بالبراء

« اما بعد فان الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والنفي الموفي باهله على النار  
ما فيه سفاهوكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الامور العظام ينبت فيها الصغير  
ولا يتحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما  
اعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الاليم لأهل معصيته  
في الزمن السرمدي الذي لا يزول . أتكونون كن طرفت عينيه الدنيا ،  
وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون انكم  
احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من ترككم الضعيف يقهر  
ويؤخذ ماله ؟ ما هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة<sup>(٣)</sup> في النهار المبصر ،  
والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ؟  
قرّبتم القرابة وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على المختلس . كل  
امرى منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا . ما انتم  
بالعلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم ،  
حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوسا في مكائس الريب .

(١) اي ليس له خيار في رد ما يقول (١) عن البيان والتبيين (س) ٢-٤٧  
والعقد ٢-١٨٣ وفي الروايتين اختلاف قليل (٣) يقصد بذلك اعمال الفسق  
التي كانوا يأتونها . (وفي رواية والصفقة المسلوبة) (٢)

حرام عليّ الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدماً واحراقاً . اني رأيت  
آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به اوله - اين في غير ضعف ، وشدة  
في غير عنف . واني اقسم بالله لا اخذنّ الوليّ بالمولى ، والمقيم بالظاعن ،  
والمقبل بالمدير ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقي الرجل منكم اخاه فيقول ،  
انجُ سعدٌ فقد هلك سعيد<sup>(١)</sup> ، او تستقيم لي قناتكم « . . . . . الى ان يقول . .  
» فاياني ودلج الليل فاني لا أوتي بمدلج الاّ سفكت دمه ، وقد اجلتكم في  
ذلك بمقدار ما يأتي الخبر من الكوفة ويرجع اليكم ، واياي ودعوى  
الجاهلية<sup>(٢)</sup> ، فاني لا اجد احداً دعا بها الاّ قطعت لسانه . وقد احدثتم أحداثاً لم  
تكن ، وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن احرق  
قوماً احرقناه ، ومن نكب بيتنا تقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً .  
فكفوا عني السنتكم وايديكم اكفّ عنكم يدي ولساني ، ولا تظهر  
من احد منكم ربة بخلاف ما عليه عامتكم الاّ ضربت عنقه . وقد كان  
بيني وبين اقوام احنّ فجعلت ذلك دبر اذني وتحت قدمي ، فمن كان منكم  
محسناً فليزدد احساناً ، ومن كان منكم مسيئاً فليزغ من اساءته . اني لو  
علمت ان احداً قتل السلال من بغضي لم اكشف له قناعاً ، ولم اهتك له ستراً  
حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره . فاستأنفوا اموركم واعينوا  
على انفسكم فربّ مبتس بقدمنا سيئراً ، ومسرور بقدمنا سيئس  
ايها الناس انّا اصبحنا لكم سائتة وعنكم زادة ، نسوسكم بسلطان  
الله الذي اعطانا ، ونذود عنكم بفي<sup>(٣)</sup> الله الذي خولنا . فلنا عليكم  
السمع والطاعة فيما احببنا ، والكم عاينا العدل فيما ولىنا . فاستوجبوا عدلنا

(١) اشارة الى المثل اسعدام سعيد وقد مر ذكره في باب الامثال

(٢) اي الاعتزاز الى القبيلة والاعتزاز بها (٣) النبي ، الخراج والغنيمة

وفيانا بمناصحتكم لنا ، واعلموا اني مهما قصرت عنه فلن اقصّر عن ثلاث -  
 لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو اتاني طارقا بليل - ولا حابسا عطاء  
 ولا رزقا عن ابانه - ولا بجمراً<sup>(١)</sup> لكم بعثا . فادعوا الله بالصالح لائمتكم  
 فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ، ومتى يصلحوا  
 تصلحوا ، ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم فيشدد ذلك غيظكم ، ويطول له  
 حزنكم ولا تدر كواله حاجتكم ، مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شراً  
 لكم . أسأل الله ان يعين كلاً على كل . واذا رأيتموني انفذ فيكم الامر  
 فانفذوه على اذلاله<sup>(٢)</sup> . وأيم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل  
 امرئ منكم ان يكون من صرعاي «

#### خطبة سعيّد بن العاص في الكوفة

وكان قد قدمها اميراً في خلافة عثمان قال<sup>(٣)</sup>

« والله لقد بعثت اليكم واني لكاره ، ولكنني لم اجد بداً اذ أمرت  
 ان اتمروا ألا ان الفتنة قد اطلعت خطمها وعينها . والله لا ضربن وجهها حتى  
 افمها او تعيني ، واني لرائد نفسي اليوم »

#### خطبة عمرو بن سعيّد في مجلس معاوية

يوم عقد البيعة ليزيد - قال بعد ان حمد الله واثني عليه<sup>(٤)</sup>

« اما بعد فان يزيد بن معاوية امل تأملونه واجل تأملونه . ان استصفتم  
 الى حملته وسعكم ، وان احتجتم الى رأيه ارشدكم ، وان افتقرتم الى ذات يده

(١) اجمر الخيل جمعها (٢) على اذلاله . على حالة ديون تبديل (٣) الطبري

(الجملة الاولى) ٢٨٥٢ (٤) الامالي ٢-٧٣

اغناكم . جذع قارح<sup>(١)</sup> سوبق فسبق ، وموجد فوجد ، وقورع ففاز  
سهمه ، فهو خلف امير المؤمنين ولا خلف منه »

### خطبة يزيد بن الوليد :

لما قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك - قال<sup>(٢)</sup>  
« ايها الناس والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ، ولا حرصاً على الدنيا ولا  
رغبة في الملك . وما بي اطراء نفسي ، واني لظلوم لها ، ولقد خسرت ان لم  
يزحمني ربي - ولكنني خرجت غضباً لله ودينه ، وداعياً الى الله وسنة نبيه ،  
لما هدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور التقوى ، وظهر الجبار العنيد ، المستحل  
لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، مع انه والله ما كان يوؤمن يوم  
الحساب ، ولا يصدق بالثواب والعقاب . وانه لابن عمي في النسب ،  
وكفني في الحساب . فلما رأيت ذلك استخرت الله في امره وسألته ان لا يبكاني  
الى نفسي ، ودعوت الى ذلك من اجابني من اهل ولايتي ، حتى اراح الله منه  
العباد وطهر منه البلاد ، بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي

ايها الناس ان لاكم علي ان لا اضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة  
ولا اكري نهراً<sup>(٣)</sup> ، ولا اكنز مالا ولا اعطيه زوجاً ولا ولداً ، ولا اتقل مالا من  
بلد الى بلد حتى اسد فقر ذلك البلد وخصاصة اهله بما يغنيهم . فان فضل فضل  
نقلته الى البلد الذي يليه من هو احوج اليه منه . وان لأجركم في ثغوركم  
فافتنكم وافتن اهاليكم ، ولا اغلق بابي دونكم فياً كل قويكم ضعيفكم  
ولا احملي على اهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم واقطع نسلهم . ولكم

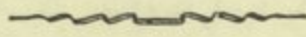
(١) الجذع الحديث السن من الجمال والقارح الكبير اي يجمع بين الفتوة والخبرة

(٢) البيان والتبيين (س) ٢-١١٥ (٣) اكري اي احفر حفراً جديداً

عندي اعطياتكم في كل سنة وارزاقكم في كل شهر ، حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين فيكون اقصاهم كادناهم . فاذا انا اوفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكافئة ، وان انا لم اوف لكم فلکم ان تخلعوني الا ان تستنيوني ، فان انا ثبت قبلتم مني ، وان عرفتم احداً يقوم مقامي ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما اعطيتكم ، فاردتم ان تبايعوه فانا اول من بايعه ودخل في طاعته

ايها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

*Handwritten marginal notes in Arabic script, likely a commentary or continuation of the speech. The text is dense and difficult to read due to cursive script and fading.*



قال - يا ايها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

(١) (١٠٤٠٠) (١٠٤٠٠) (١٠٤٠٠) (١٠٤٠٠) (١٠٤٠٠)

## اهتملة من الرسائل

### والعهد والوصايا

كتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص بشأن ما عرضه صاحب الاسكندرية من دفع الجزية على ان ترد لهم السبايا قال<sup>(١)</sup> -

« اما بعد فانه جاءني كتابك تذكر ان صاحب الاسكندرية عرض ان يعطيك الجزية ، على ان ترد عليه ما أصيب من سبايا ارضه . ولعمري الجزية قائمة تكون لنا ولن بعدنا من المسلمين احب الي من فيء يقسم ثم كأنه لم يكن . فاعرض على صاحب الاسكندرية ان يعطيك الجزية على ان تخيروا من في ايديكم من سبيهم بين الاسلام وبين دين قومهم . فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومهم وضع عليه من الجزية ما يوضع على اهل دينه . فاما من نفرق من سبيهم بارض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإننا لا نقدر على رد دمهم ، ولا نجب ان نصلحه على امر لا نفي له به »

### كتاب محمد بن ابي بكر الى الامام علي - قال<sup>(٢)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله علي امير المؤمنين من محمد بن ابي بكر سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله غيره - اما بعد فاني قد انتهي الي كتاب امير المؤمنين ففهمته وعرفت ما فيه ، وليس احد من الناس بارضى مني برأي امير المؤمنين ، ولا اجهد على عدوه ولا أرف بوليّه مني . وقد

(١) الطبري (الجملة الاولى) ٢٥٨٢ (٢) الطبري (الجملة الاولى) ٣٣٩٥

خرجت فعسكرت وآمنت الناس، إلا من نصب لنا حرباً وظهر لنا خلافاً  
وانا متبع امر امير المؤمنين وحافظه، وملتجئ اليه وقائم به. والله المستعان على  
كل حال والسلام عليك»

## وصية معاوية لابنه يزيد

قيل دعا معاوية وهو على فراش الموت، وابنه يزيد غائب، مسلم بن عقبة  
المرثي والضحاك بن قيس الفهري، فقال ابلاغني يزيد وقولاً له<sup>(١)</sup> —  
« انظر الى اهل الحجاز فهم اصلك وعترتك ، فمن اتاك منهم فاكرمه  
ومن قعد عنك فتمده . وانظر الى اهل العراق فان سألوك عزل عامل لهم  
في كل يوم فاعزله عنهم ، فان عزل عامل اهوت عليك من سل مائة الف  
سيف ، ثم لا تدري على ما انت عليه منهم . ثم انظر الى اهل الشام فاجعلهم  
الشعار دون الدثار<sup>(٢)</sup> . فان رابك من عدوك ريب فارمهم بهم ، فان اخفرك  
الله بهم فاردد اهل الشام الى بلادهم ، ولا يقيسوا في غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير  
ادبهم . لست اخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وحسين  
بن علي . فاما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه<sup>(٣)</sup> الورع ، واما الحسين فاني  
ارجوان يكفيه الله بمن قتل اياه وخذل اخاه ، واما ابن الزبير فانه خب<sup>(٤)</sup>  
ضب ( فان ظفرت به فقطعه ارباً<sup>(٥)</sup> )

(١) البيان والتبيين ١—١٩٨ (٢) الشعار ما يلي الجسد من الثياب والدثار ما  
فوقه (٣) اي غلبه او جعله عليلاً (٤) ما بين قوسين فهو، كما يقول الجاحظ، من غير  
روايته

(١) بين زياد والحكم بن عمرو

بعث زياد الحكم بن عمرو على خراسان فاصاب مغنماً فكتب اليه زياد :

ان امير المؤمنين معاوية كتب اليّ يا مرني ان اصطفي له كل صفراء  
ويضاء فاذا اتاك كتابي هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه  
واقسم ما سوى ذلك !

فكتب اليه الحكم : اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين ،  
ووالله لو ان السموات والارض كانتا رثقاً على عبد فائق الله تعالى لجعل الله  
له منها مخرجاً والسلام

ثم امر المتادي فنادى في الناس : ان اغدوا على غنائمكم ؟ فغدوا  
فقسمها بينهم

كتاب الحجاج الى قطري بن الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم (٢)

كتب الحجاج بن يوسف الى قطري بن الفجاءة : سلام عليك . اما  
بعد فانك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية ! قد علمت حيث تجرئمت  
ذلك انك عاص لله ولولاة امره ، غير انك اعرابي جلف امي تستطعم الكسرة  
وتشتفي بالتمر ، والامور عليك حسرة . خرجت لتنال شبة فلحق بك طعام  
صلوا بمثل ما صليت به من العيش ، يهزون الرماح ويستنشقون الرياح على  
خوف وجهد من امورهم ، وما اصبحوا ينتظرون اعظم مما جهلوا معرفته ! ثم  
اهلكهم الله بنزحتين والسلام .

(١) البيان والتبيين (س) ٢ - ٢٣٥ (٢) البيان والتبيين (س) ٢ - ٢٤٨



## رد قطري بن الفجاءة على الحجاج

فاجابه قطري بن الفجاءة :

من قطري بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف : سلام على الهداة من  
الولاية الذين يرعون حريم الله ويرهبون نعمة ، فالحمد لله على ما اظهر من دينه  
واظلع به اهل السفالة وهدى به من الضلالة ، ونصر به عند استخفافك بحقه ،  
كثبت اليّ تذكر اني اعراي جلف امي استطعم الكسرة واشتني بالتمره !  
ولعمري يا ابن ام الحجاج انك لميت في جبتك ، مطلقم<sup>(١)</sup> في طريقتك ،  
واه في وثيقتك ، لا تعرف الله ولا تجزع من خطيئتك . بستت واستيستت  
من ربك . فالشيطان قرينك لا تجاذبه وثاقتك ولا تنازعه خناقتك . فالحمد لله  
الذي لو شاء ابرز لي صفحتك واوضح لي طلعتك . فوالذي نفس قطري  
بيده لعرفت ان مقارعة الابطال ليست كتصدير المقال ، مع اني ارجو ان  
يدحض الله حجتك وان يمنحني مهجتك .

كتاب المهلب الى اطارت بن عبد الله<sup>(٢)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاننا لقينا الازارقة<sup>(٣)</sup> المارقة بمجد وجد  
فكانت في الناس جولة ، ثم تاب اهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وابدان  
شداد وسيوف حداد . فاعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الامل  
فصاروا دريئة رماحننا<sup>(٤)</sup> ، وضرائب سيوفنا ، وقتل الله اميرهم ابن الماحوز ،  
وارجو ان يكون آخر هذه النعمة كالولها والسلام .

.....

(١) مطلقم اي مضطجع (٢) الكامل ٢ - ١٩٩ (٣) الازارقة من الخوارج

(٤) دريئة الرماح حلقة تستعمل للطعان . اي صاروا مطاعن لرماحنا

كتاب سليمان بن عبد الملك الى الوليد وجراب الوبير :

قال ثعلب اشتكى الوليد بن عبد الملك وباغته قوارص وتقريض من سليمان ابن عبد الملك وتمنّى لموته لما له من العهد بعده، فكتب الوليد اليه يعتب عليه . وهذا جواب سليمان قال<sup>(١)</sup>

« قد فهمت ما كتب به امير المؤمنين . فوالله لو كنت تمنيت ذلك تأملاً لما يخطر في النفس ، اني لاول لاحق به واول منعي الى اهله ، فعلام اتمنى ما لا يلبث من تمنّاه الا ريث ما يجلّ السفر بمنزل ثم يظعنون عنه . وقد بلغ امير المؤمنين ما لم يظهر على لساني ، ولم ير في وجهي ، ومتى سمع من اهل النسيمة ومن لا روية له ، اسرع ذلك في فساد النيات والتقطع بين ذوي الارحام »

فكتب اليه الوليد -

« قد فهم امير المؤمنين كتابك فما احسن ما اعتذرت به وحنوت عليه وانت الصادق في المقال الكامل في الفعال . وما شيء اشبه بك من اعتذارك وما شيء ابعد منك من الذي قيل فيك والسلام »

(٢) عهد معاوية وعمرو بن العاص ( كتب سنة ٣٨ هـ )

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس ، من بعد قتل عثمان بن عفان وحمل كل واحد منهما صاحبه الامانة . ان بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح في امر الله

(١) ذيل الامالي ٢٢٥ (٢) طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ٢ ص ٢

والاسلام، ولا يخذل احدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة، ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابداً ما جئنا، فيما استطعنا. فاذا فتحت مصر فان عمراً على ارضها وامارته التي امره عليها امير المؤمنين. وبيننا التناصح والتوازر والتعاون على ما نأبئنا من الامور. ومعاوية امير على عمرو بن العاص في الناس وفي عامة الامر، حتى يجمع الله الامة فانهما يدخلان في احسن امرها، على احسن الذي بينهم في امر الله الذي بينهما من الشرط في هذه الصحيفة

### رسالة هشام الى خالد بن عبد الله والي العراق

( كتبها عبد الله بن سالم ١٦٩ هـ )<sup>(١)</sup> وكان قد اوغر صدر هشام عليه افراطه في الدالة واحتجان الاموال وكفر ما اسداه اليه . قال بعد البسملة -

« اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين عنك امر لم يحتمله لك الا لما احب من رب الصنيفة قبلك<sup>(٢)</sup> ، واستتمام معروفه عندك ، وكان امير المؤمنين احق من استصلح ما فسد عليه منك . فان تعد لمثل مقاتلك وما بلغ امير المؤمنين عنك رأى في معاجلتك بالعقوبة رأيه . ان النعمة اذا طالت بالبعد ممتدة ابطرتة فاساء حمل الكرامة واستقل العافية ، ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه ويديه ورهطه وعشيرته ، فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية النبي والسلطان ذللاً منقاداً وندم حسيراً ، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهرآ له . ولو اراد امير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول جلسائك : والله ما زادني ولاية العراق شرفاً ، ولا ولا في امير المؤمنين شيئاً لم يكن من قبلي ممن هو دوني يلي مثله : ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في اهل العراق في تلك المضايق التي لقي ، اعلمت

(١) الكامل ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ (٢) اتمام الاحسان اليك

انك زجل من بجيلة، فقد خرج طليح اربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك  
 وخزائنك حتى قلت اطمعوني ماء، دهشاً وبعلاً<sup>(١)</sup> وجبناً، فما استطعتهم الا بامان  
 ثم اخفرت ذمتك ( منهم رزين واصحابه ) . ولعمري ان لو حاول امير المؤمنين  
 مكافأتك في خطلك ، بجلسك ، وججودك فضله اليك وتصغير ما انعم به عليك  
 فخل العقدة ونقض الصنية ، وردك الى منزلة انت اهلها ، كنت لذلك مستحقاً  
 فهذا جدك يزيد بن اسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين ، وعرض له دينه  
 ودمه فما اصطنع الا عنده ، ولا ولاه ما اصطنع اليك امير المؤمنين وولاك ،  
 وقبله من اهل اليمن ويوتاتهم من قبيله اكرم من قبيلتك ، من كندة وغسان  
 وآل ذي يزن وذي كلاع وذي رعين في نظرائهم من يوتات قومهم ، كلهم  
 اكرم اولية واشرف اسلافاً من آل عبد الله ابن يزيد . ثم آثرك امير  
 المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم ، وهذه البيوتات تعلقك  
 وتغمرك ، وتسكتك وتقدمك في المحافل والجامع عند بداية الامور  
 وابواب الخلفاء . ولولا ما احب امير المؤمنين من ردّ غربك<sup>(٢)</sup> ، لعاجلك بالتي  
 كنت اهلها ، وانها منك لقريب مأخذها سريع مكرورها . وان الله  
 عزّ وجلّ لما رأى احسان امير المؤمنين اليك ، وسوء قيامك بشكره  
 قلب قلبه فاسخطه عليك ، حتى فحمت امورك عنده ، وآيسه من شكرك ما ظهر  
 من كفرك النعمة عندك ، فاصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة  
 وحلول الحزني ، فتأهب لتوازل عقوبة الله بك فان الله عليك اوجد ، ولما  
 عملت اكره ، فقد اصبحت وذنوبك عند امير المؤمنين اعظم من ان يبكتك  
 الا راتباً بين يديه<sup>(٣)</sup> . وعنده من يقرّرك بها ذنباً ذنباً ، ويبكتك بما اتيت امرأ  
 امرأ ، فقد نسيته واحصاه الله عليك . ولقد كان لامير المؤمنين زاجر عنك

(١) بعلاً اي خوفاً (٢) الغرب الحدة والنشاط (٣) اي منتصباً بين يديه

فيما عرفك به من التسرع الى حماقتك في غير واحدة . والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك امير المؤمنين ما افسدت من مال الله وضيعت من امور المسلمين ، وسلطت من ولاة السوء على جميع اهل كور عمك ، تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان<sup>(١)</sup> حابساً لاكثرها رافعاً لاقليها ، مع مخابث مساويك التي قد اخرا امير المؤمنين ثقبرك بها ، ومناصبتك امير المؤمنين في مولاه حسان وو كيله في ضياعه واحوازه في العراق ، واقدامك على ابنه بما اقدمت به . وسيكون لامير المؤمنين في ذلك نبا ان لم يعف عنك ، ولكنه يظن ان الله طالبك بامور اتيتها ، غير تارك لتكشيفك عنها ، وحملك الاموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة ، وتوجيهك اخاك اسد الى خراسان مظهرأ العصبية بها ، متجاملأ على هذا الحلي من مضر . فاذا خلوت او توسطت ملاء فاعرف نفسك ، وخف رواجع النبي عليك وعاجلات النقم فيك ، واعلم ان ما بعد كتاب امير المؤمنين هذا اشد عليك وافسد لك . وقيل امير المؤمنين خلف منك كثير في احسابهم وبيوتاتهم واديانهم ، وفيهم عوض منك ، والله من وراء ذلك

—\*\*—

(١) النيروز والمهرجان من اعياد الفرس وقد جرت العادة ان تقدم فيها هدايا للحكام

## امثلة من العظات الاخلاقية

ويظهر فيها البلب الى الازواج

من خطبة قطري بن الفجاءة وهي طويلة نثبت منها ما يلي<sup>(١)</sup>

« اما بعد فاني احذر كم الدنيا فانها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات ،  
ورافت بالقليل ، وتحيبت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور ،  
لا تقوم نضرتها ، ولا تؤمن ببيعتها ، غرارة ضرارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة  
بائدة ، اكالة غوالة » ٠٠٠ الى ان يقول

« فانية فان من عليها ، لا خير في شيء من زادها الا التقوى من اقل  
منها استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه  
ويبكي عينه . كم واثق بها قد فجعته ، وذو حلم ننبه اليها وقد صرعته ، وذو  
احتيال فيها قد خدعتة ، وكم ذي ابهة فيها قد صيرته حقيراً ، وذو نخوة  
ردته ذليلاً »

« حينها بعرض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اهتضام  
وملكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجارها محروب »  
وذكر الذين قالوا من اشد مناقرة ثم قال -  
« حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا ، وانزلوا فلا يرعون ضيفانا ،  
وجعل الله لهم من الضريح اكنانا ، ومن الوحشة الوانا ، ومن الرفات جيرانا

(١) نهاية الارب ٧ ص ٢٥٠ - ٢٥٤ وصبح الاعشي ص ٢٢٣ - ٢٢٥

وهم في جيرة لا يجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضيما ، ان اخصبوا لم يفرحوا ،  
وان قسطوا لم يقنطوا . جمع وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناوئون لا يزورون  
ولا يزارون ، حلما قد ذهبت اضعفانهم ، وجهلاء قد ماتت احقادهم ،  
لا يرجى نفعهم ، ولا يخشى دفعهم « - الى ان يقول - « فاحذروا ما  
حذركم الله ، وانتفعوا بمواعظه . عصمنا الله واياكم بطاعته ، وورزقنا واياكم  
اداء حقه »

### من حكم الامم بن قيس<sup>(١)</sup>

« ان يهلك من قصد ، ولن يفتقر من زهد . من آمن الزمان خانه ، ومن  
تعظم عليه اهانه . دعوا المزاح فانه يورث الضغائن  
احتملوا لمن ادل عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر اليكم  
اطع اخاك وان عصاك ، وصله وان جفاك  
واعلم ان كفر النعمة لوئم ، وصحبة الجاهل شوئم  
ما اقبح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الود .  
لا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ، ولا الى البخل اسرع  
منك الى البذل

ولما خطب زياد بن ابيه بالبصرة قام الاحنف فقال<sup>(٢)</sup> -

لله الامير ! قد قلت فاسمعت ، ووعظت فابلغت . ايها الامير انما السيف  
بجده ، والقوس بشده ، والرجل بمجده ، وانما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد  
العطاء ، ولن نثني حتى نبثلي ، ولا نحمد حتى نعطي »

(١) الامالي ٢-٢٢ (٢) نهاية الارب ٧-٣٣٧

(١) فطنة ابن حمزة بالمدينة واليك فحبة منها

« يا اهل المدينة اولكم خير اول . وآخركم شر آخر . انكم اطعمتم قراءكم وفقهاءكم ، فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج بثأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ، فاصبتم عن الحق ناكبين ، امواتاً غير احياء وما تشعرون يا اهل المدينة — يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، ما اصح اصلكم واسقم فرعكم . كان آباؤكم اهل اليقين ، واهل المعرفة بالدين والبصائر الناقدة واقلوب الواعية ، وانتم اهل الضلالة والجهالة . استعبدتكم الدنيا فاذا تلتكم ، والاماني فاضلتكم . فتح الله لكم باب الدين فافسدتموه ، واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه . سراعاً الى الفتنة ، بطاء عن السنة . عمي عن البرهان ، صم عن العرفان . عيب الطمع ، خلفاء الجزع . نعم ما ورثكم آباؤكم لو حفظتموه ، وبشما تورثون ابناءكم ان تمسكوا به . نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كانت عدد آباءكم قليلاً طيباً ، وعددكم كثير خبيث . اتبعتم الهوى فارداكم ، والهوى فاسهاكم ، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزددجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون »

(٢) كلمة ابن الفريفة في المزاح

المزاح من ادنى منزلته الى اقصاها عشرة ابواب . المزاح اوله فرح وآخره ترح . المزاح نقائص السفهاء ، كالشعر نقائص الشعراء ، والمزاح يوغر صدر الصديق ، وينفر الرفيق ، والمزاح يبدي السرائر ، لانه يظهر المعايير ، والمزاح يسقط المروءة ، ويبدي الخنى . لم يجر المزاح خيراً ، وكثيراً



ما جرّ شراً . الغالب بالمزاح واتر ، والمغلوب به نائم . والمزاح يجلب الشتم صغيرة ، والحرب كبيرة . وليس بعد الحرب الا عفو بعد قدرة . «  
 وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال <sup>(١)</sup> « يُنشق احدكم اخاه مثل الخردل ، ويفرغ عليه مثل المرجل ، ويرميه مثل الجنديل . ثم يقول :  
 انما كنت امزح .

### قول ابي الدرر « لاهل الشام »<sup>(٢)</sup>

« يا اهل الشام مالي اراكم تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، وتقولون ما لا تدركون . ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا ، واملوا بعيدا ، وجمعوا كثيرا ، فاصبح املهم غرورا ، وجمعهم بورا ، ومساكنهم قبورا »

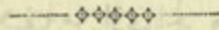
### صفة الامام العادل لمحمد البصري<sup>(٣)</sup>

اعلم يا امير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصف كل مظلوم ، ومقزع كل ملهوف . والامام العدل يا امير المؤمنين كالراعي الشفيق على ابله الرقيق ، الذي يرتاد لها اطيب المراعي ، ويذودها عن مراتع المهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكثفها من اذى الحر والقر  
 والامام العدل يا امير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح

(١) مجاني الادب ٣ - ١٢٠ (٢) مجاني الادب ٢ - ٢٤

(٣) بتصرف طفيف عن نهاية الارب للنويري ٦ - ٣٧

بصلاحه وتفسد بفساده - هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله  
ويُسمعهم ، وينظر الى الله ويرىهم ، وينقاد الى الله ويقودهم . فلا تكن  
يا امير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله  
فبدد المال وشرّد العيال فافقر اهله وفرق ماله . واعلم يا امير المؤمنين ان الله  
انزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف اذا اتاها من يليها  
وان الله انزل القصاص حياة لعباده ، فكيف اذا قتلهم من يقتصّ لهم ؟  
واذكر يا امير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة اشيائك عنده وانصارك عليه  
فتزوّد له ولما بعده من الفزع الاكبر . واعلم - ان لك منزلاً غير منزلك  
الذي انت فيه ، يطول فيه ثوابك ، ويفارقك احبابك . يسلمونك في  
قره فريداً وحيداً ، فتزوّد له ما يصحبك يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه  
وصاحبه وبنيه . فالآن يا امير المؤمنين وانت في مهل قبل حلول الاجل ،  
وانقطع الامل ، لا تحكم يا امير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا  
تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون في مؤمن الا ولاة  
فتبوء باوزارك واوزار مع اوزارك . وتحمل اثقالك واثقالاً مع اثقالك



# الاسلوب المتوازن

او

المزدوج غير المسجّع

وهو السائد في النثر الادبي منذ عهد عبد الحميد حتى عهد ابن العميد

اي

من اوائل القرن الهجري الثاني الى القرن الرابع

و يتناول البحث فيه

١ - النثر في اواخر العهد الاموي و صدر العهد العباسي

٢ - عبد الحميد الكاتب و رسائله

٣ - الجاحظ و اسلوبه

٤ - امثلة من الاسلوب المتوازن بعد عهد الجاحظ



## النثر في اواخر العصر الاموي

### و صدر العصر العباسي

حاولنا فيما سبق من الفصول ان نبين ما كان عليه نثر صدر الاسلام ، وانه ظلّ - حتى استقرت طريقة عبد الحميد - أميل الى البساطة والايجاز . ولا ينكر انه قد كان في ذلك العهد ازدواج ( او مجمع ) كقول الحسن البصري بردّ علي من هنا بغلام وولد له <sup>(١)</sup> -

« نحمد الله على هبته ، ونستزيده من نعمته ، ولا مرجأ بن ان كنت غنياً اذهلني ، وان كنت فقيراً اتعيني ، لا ارضى له بسعي سعيًا ، ولا بكدي له في الحياة كدًا ، اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي ، وانا في حال لا يصل اليّ من همه حزن ، ولا من فرحه سرور »  
وعلى هذا النمط قول الاحنف في الولد <sup>(٢)</sup> -

« هم عماد ظهورنا ، وثمره قلوبنا ، وقرّة اعيننا ، بهم نصول على اعدائنا وهم الخلف منا لمن بعدنا . فكن لهم ارضاً ذليلة ، وسماءً ظليلة . ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فأعتبهم . لا تمنعهم رفدك فيملؤا قربك ، ويكرهوا حياتك ، ويستبطنوا وفاتك »

وقول الحسن بن علي <sup>(٣)</sup> -

« اعلوا ان الحكمة زين ، والوقار مروءة ، والصلة نعمة ، والاكثر

صَلَفٌ ، وَالْعَجَلَةُ سَفَهٌ ، وَالسَّفَهُ ضَعْفٌ ، وَالغَلَقُ وَرَطَةٌ ، وَمَجَالِسَةُ أَهْلِ الدُّنَاءَةِ  
شَيْنٌ ، وَمَخَالَطَةُ أَهْلِ الْفُسُوقِ رِبِيَّةٌ»

وهذا الكلام من قبيل الوعظ والحكم وقد مرّ معنا ان الازدواج  
والتبسط يكثران في كلام الوعاظ والحكماء من اهل الصدر الاول ، على  
انهما لم يكونا الطابع العام الذي وسم به كلامهم

وهنا لا بد لنا من القول ان ظهور عبد الحميد لم يحوّل النثر العربي  
بجأة من حال الى حال ، بل ان هذا الكاتب انما اقرّ طريقة التبسط  
والازدواج وطبع فن الرسائل بها ، فاخذ الاسلوبان الموجز البسيط ،  
والمتبسط المزدوج يتنازعان السيادة ، وبقي هذا التنازع حِقْبَةً من الزمن  
بدليل ما نجده من الميل الى الايجاز في صدر الدولة العباسية حتى كان جعفر بن  
يحيى البرمكي يقول لكتّابه « لو استطعتم ان تكون كتبكم كالثوقيات  
فافعلوا»<sup>(١)</sup>.

ومن امثلة هذا الاسلوب عند كتّاب العباسيين كتاب طاهر بن الحسين  
قائد المأمون الى ابي عيسى ابن الرشيد ، و كان مع الامين . قال طاهر لكتّابه  
اكتبوا الى ابي عيسى كتاباً تقرّبون به اليه وتباعدون ، ولا تطعموه ولا  
ولا تؤسوه . فقالوا ان رأى الامير ان يعلمنا كيف ذلك ويحدّه لنا  
فقال اكتبوا<sup>(٢)</sup>

« بسم الله الرحمن الرحيم - حفظك الله وابقاك وامتع بك : وعزير<sup>٣</sup>  
عليّ ان اكتب الى صغير منكم او كبير<sup>(٣)</sup> بغير التأخير . وقد بلغني عنك  
ممالأة للخلوع<sup>(٤)</sup> . فاذا كان ذلك منك ميلاً على امير المؤمنين فقليل

(١) ادب الكتاب للصولي ١٣٤ (٢) ادب الكتاب ١٥١

(٣) اي من البيت العباسي المالك (٤) اي الامين

ما اكتبك به كثير، وان كنت كما قال الله - الا من اكره وقلبه مطمئن  
الى الايمان - فالسلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته»

وعلى هذا النمط ما حدث به عبد الله بن احمد بن يوسف عن ابيه قال<sup>(١)</sup>  
« دخلت على المأمون وفي يده كتاب ورد من عمرو بن مسعدة وهو يردد  
النظر فيه مرات ، ثم قال لي اظنك قد افكرت في تردادي النظر في هذا  
الكتاب . قلت قد افكرت في ذلك . قال اني عجبت من بلاغته واحتماله  
لمراده كتب « كتابي الى امير المؤمنين اعزه الله ومن قبلي من قواده  
واجناده في الطاعة والانتقاد على احسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت  
ارزاقهم واختلت احوالهم » - ألا ترى يا احمد الى ادماجه الخلة في الاجناد  
واعفائه سلطانه من الاكثار»

ويروي ابن خلكان خبر الكتاب مع مقدمة للرشد في البلاغة يقول  
فيها : البلاغة التباعد عن الاطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل  
من اللفظ على الكثير من المعنى<sup>(٢)</sup>

ومثله كتاب طاهر بن الحسين الى المأمون حين لقي عيسى بن ماهان  
وقتله ، وارسل رأسه الى المأمون قال<sup>(٣)</sup> -

« كتابي الى امير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه ، وخاتمه في  
يدي ، وعسكره مصرف تحت امري والسلام»

وما كتبه محمد بن عبد الملك الزيات الى عبد الله بن طاهر . قال ابن  
المدبير : امره الواثق ان يتلطف بعبد الله بن طاهر ويعلمه انه صرفه عن امر  
الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن عمه اسحق بن ابراهيم فكتب<sup>(٤)</sup> -

(١) ادب الكتاب للصولي ٢٣٤ (٢) وفيات الاعيان ١ - ٥٥٧

(٣) المثل السائر ٣٢٦ (٤) الرسالة العذراء ٤٤

« اما بعد فان امير المؤمنين رأى ان يخلع ما في يمينك من امر الجزائر  
والعواصم فيجعله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »  
ومن ذلك كتاب عبدالله بن طاهر الى الحسن بن عمر التغلبي قال <sup>(١)</sup> -  
« اما بعد فانه بلغني من قطع الفسقة الطريق ما بلغني ، فلا الطريق  
تحمي ولا اللصوص تكفي ، ولا الرعية ترضي ، وتطمع بعد هذا في الزيادة !  
انك لمنفسح الامل . وايم الله لتكفين من قبلك او لا وجهن اليك رجلاً  
لا تعرف مرة من جشم ولا عدباً من رهم <sup>(٢)</sup> ! ولا حول ولا قوة الا بالله .  
.....

فمن هذه الامثلة وسواها يتضح لنا ان طريقة عبد الحميد لم تقض حالاً  
على الاسلوب القديم ، بل ظلت حقبة طويلة تسير معه جنباً الى جنب حتى  
استقرت السيادة اخيراً لها واصبحت الزي الانشائي في الاوساط الادبية .  
ومن مزاياها الظاهرة ما يلي -

### التوازن

اي تعادل الفقرات على نحو السجع ، ويختلف عن السجع بعدم التقيد  
بالقوافي . ويرى البيانون ان حسنه قائم ( كحسن السجع ) على ما يلي -  
١ - ان تكون الفواصل على زنة واحدة كقول بعضهم <sup>(٣)</sup> « اصبر على  
حرّ اللقاء ، ومضض النزال ، وشدة المصاع <sup>(٤)</sup> ، ومداومة المراس » قال  
العسكري « فلو قال على حرّ الحرب ومضض المنازلة لبطل رونق التوازن »  
٢ - ان لا تكون فاصلة الجزء الاول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء  
الثاني ، فقد عيب على احد الكتبة قوله « وصل كتابك فوصل به ما يستعبد

(١) عن نهاية الارب ٦-٤٧ (٢) مرّة وجشم وعدي ورهم من بطون العرب

(٣) الصناعتين ٢٠٣ (٤) المصاع المجالدة



الحرّ وان كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر وان كان سالف ودك لم يبق شيئاً منه<sup>(١)</sup> . ( فالعبودية ) التي هي فاصلة الجزء الاول بعيدة عن مشاكلة ( منه ) التي هي فاصلة الجزء الثاني

٣- ان تكون العبارات قصيرة متساوية ، والأفليكن الاخير اطول

من الاول

وسيجي كل ذلك معنا في الكلام على السجع .

...

وقد يسمى هذا الاسلوب الازدواج ويسميه الرماني السجع العاطل<sup>(٢)</sup> .

ويجعله القلقشندي في مرتبتين - « الاولى ان براعى الوزن في جميع الكلمات او في اكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزناً ويسمى التوازن ، وهو احسنها واعلاها<sup>(٣)</sup> كآلية : « وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم »

فكل كلمة في الجزء الاول من فعل ومفعول ونعت تقابل عديلتها في

الجزء الثاني

والمرتبة الثانية ان لا يراعى التوازن الا في الكلمتين الاخيرتين كآلية -

« من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً ، خالدن فيها وساء لهم يوم القيامة حملاً »

وفي التوازن يقول ابن الاثير « وللکلام بذلك طلاوة ورونق ، وسببه

الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء . واذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان<sup>(٤)</sup> »

(١) الصناعتين ٢٠٣ (٢) صبح الاعشى ٢-٢٧٣

(٣) صبح الاعشى ٢-٢٧٣ (٤) المثل السائر ١٦٩

ويظهر لنا من مطالعة ما جادت به اقلام المنشئين في العهد الواقع بين عبد الحميد وابن العميد ان التوازن كان الطابع العام لنثر ذلك العهد . ولا يعني ذلك اننا لا نجد شيئاً من السجع او البديع فيه، بل ان السجع والبديع لم يبلغا في تلك المدّة ما بلغاه بعدها من السيادة والتحكم في الاوساط الادبية، فلم يكونا لذلك منهجاً عاماً يتقيد به الادباء ويتجارون فيه : حتى ان العسكري وهو من اهل القرن الرابع يقول « واعلم ان الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو ان تجعلها مزدوجة فقط ، ولا يلزمك فيها السجع فان جعلتها مسبوقة كان احسن ، ما لم يكن في سجعك استكراه وتنافر وتعقيد »

ولايضاح ذلك ثبت فيما يلي قطعاً شتى لبعض من كبار المترسلين في ذلك العهد . وقد تركنا الاستشهاد باقوال الثلاثة المقدّمين فيهم وهم عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ لاننا سنعرض لهم عرضاً خاصاً في غير هذا المقام .

### نماذج الاسلوب المتوازن في القرنين الثاني والثالث للهجرة

من ذلك ما كتبه عبد الله بن طاهر الى اسحق بن ابراهيم من خراسان الى بغداد ان يوجه اليه باقلام قصبية قال بعد بالبسملة<sup>(١)</sup> —

« اما بعد : فاننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوشي ، فخلت محل الانساب ، وجرت مجرى الالقاب ، وجدنا الاقلام القصبية اسرع في الكواغد وامرّ في الجلود ، كما ان النجربة منها اسلس في القراطيس ، والين في المعاطف . ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردي ما يوجد منها ، فاحببت ان نتقدم في اختيار افلام قصبية ، وتنفوق في انقائها

قبلك ، وطلبها من مظانها ومرامياها من شطوط الانهار ، وأرجاء الكروم ، وان  
تتيمم باختيارك منها الشديدة المحس ، الصلبة المعض ، النقية الجلود ، الغليظة  
الشحوم ، المكتنزة الجوانب ، الضيقة الاجواف ، الرزينة الوزن ، فانها ابقى على  
الكتاب ، وابد من الحفاء ، وان تقصد بانقائك الدقاق القضان ، اللطاف المنظر  
المقومات الاود ، الملس العقد ، فلا يكون فيه التواء عوج ولا امت<sup>(١)</sup> . وضم  
الصافية التشور ، الخفيفة الاتن<sup>(٢)</sup> ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الاناييب ،  
البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، يكاد اسفلها يهتز  
من اعلاها ، لاسواء رؤوسها باصولها ، المستحكمة ببسائها القائمة على سوقها ، قد  
تشربت الماء في لحائها ، وانتهت في النضج منهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها  
وابان ينعبها ، ولم تؤخر الى الاوقات المخوفة عاهاتها من خصر الشتاء ، وعفن  
الانداء . فاذا استجمعت عندك امرت بقطعها ذراعاً ذراعاً قطعاً دقيقاً لتحرز  
معه من ان يتشعث رؤوسها ، وتتشق اطرافها ، ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها  
من الاوعية وعبأيتها الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها  
وحفظها وابصالها ، اذ كان مثلها يتوانى فيه لقلة خطرها . واكتب معه بعدتها  
واصنافها ، واجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا توان  
ولا ابطاء . ان شاء الله

فاجابه اسحق - ووجه اليه بالاناييب

اتاني كتاب الامير بما امر به ، ولخصه من البعثة اليه بما شا كل نفعه ،  
وضاهى صفته ، من اجناس الاقلام . فتيممت بغيته قاصداً لها ، واستنهجت  
معالم سوءه آخذاً بها ، فانفذت منها حزماً نشأت بلطيف السقيا ، وحسن

(١) الامت الانخفاض والارتفاع

(٢) كذا في الاصل ولعلها المتن

التعهد والبقيا . لم تعجل باخذاجها ، ولا بودرت قبل انضاجها<sup>(١)</sup> . فهي مستوية  
 الاناييب معتدلتها ، مثقفة الكعوب مقومتها . لا يرى فيها امت زور ، ولا  
 وسم صعر . وقد رجوت ان يجدها الامير عند ارادته ، وحسب بغيته .  
 ان شاء الله

### كتاب سهل بن هرون

وهو كاتب المأمون ومن ائمة هذه الصناعة - قال<sup>(٢)</sup>  
 « لو ان رجلين خطبا او تحدثا ، او احتجا او وصفا ، وكان احدهما جميلاً  
 بهياً ولباساً نبيلاً وذا حسب شريف ، وكان الآخر قليلاً قميئاً ، وباذ الهيئة  
 دميماً ، وخامل الذكر مجهولاً ، ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة وفي  
 درب واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع - وعامتهم يقضي للقليل  
 الدميم على النبيل الجسيم ، وللباذ الهيئة على ذي الهيئة ، ويشغلهم التعجب منه  
 عن مناوأة صاحبه - ولصار التعجب على مساواته له سبباً للتعجب به  
 والاكثر في شأنه علة للاكثر في مدحه ، لان النفوس كانت له احقر  
 ومن يئانه اياس ، ومن حسده ابعد . فلما ظهر منه خلاف ما قدره وتضاعف  
 حسن كلامه في صدورهم ، كبر في عيونهم ، لان الشيء من غير معدنه اغرب  
 وكلما كان ابعد في الوهم كان اظرف ، وكلما كان اظرف كان اعجب ،  
 وكلما كان اعجب كان ابداع . وانما ذلك كنوادر الصبيان وملح المجانين فان  
 استغراب السامعين لذلك اعجب ، وتعجبهم منه اكثر . والناس موكلون  
 بتعظيم الغريب . واستظراف البديع . وليس لهم في الموجود الراهن ولا فيما  
 تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي معهم في الغريب القليل ، وفي

(١) الاخذاج هنا القطف قبل الاوان (٢) صبح الاعشي ١ - ٦٨

النادر الشاذ . وعلى هذا السبيل يستطرفون القادم اليهم ، ويوحدون الى النازح عنهم ، ويتركون من هو اعم نفعاً . واكثر في وجوه العلم تصرفاً ، واخف مؤونة واكثر فائدة .

وهذا الكلام مماثل للاسلوب الذي عرف به الجاحظ ويشبه ان يكون سهل من رواد هذه الطريقة وان الجاحظ جراه . وسنبحث بعد في هذا الاسلوب وفي مقام الجاحظ الانشائي وعلاقته بمن سبقوه

### اسلوب الحسن ابن سهل

ويقرب من اسلوب سهل بن هرون ما نقله القاضي من كلام الحسن بن سهل قال<sup>(١)</sup> - كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضي - « اما بعد فاني احتجت لبعض اموري الى رجل جامع لحصال الخير ذي عفة ونزاهة طعمة ، قد هذبته الآداب ، واحكمته التجارب ، ليس بظنين في رأيه ، ولا بمطمعون في حسبه . ان اوثمن على الاسرار قام بها ، وان قلّد مهماً من الامور اجزأ فيه . له سن مع ادب ولسان ، تقعه الرزانة ، ويسكنه الحلم قد فرّ عن ذكاء وفطنة ، وعض على قارحة من الكمال . تكفيه اللحظة وترشده السكينة . قد ابصر خدمة الملوك واحكمها ، وقام في امورهم فخدم فيها ، له اناة الوزراء ، وصوله الامراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بجرمان غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال بملاوة لسانه وحسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لاثمة ، وامارات العلم له شاهدة ، مضطلعاً بما استنهض ، مستقلاً بما حمل . وقد آثرتك بطلبه ، وحبوتك بارتياحه ، ثقة بفضل اختيارك ، ومعرفة بحسن تأتيك »

## اسلوب احمد بن اسمعيل

ويجري احمد بن اسمعيل هذا المجري . ومن ترسله ما كتبه الى بعض  
الكتاب وقد نال رتبة فنقص اخوانه في الدعاء<sup>(١)</sup>  
«الكبر - اعزك الله - معرض يستوي فيه النبيه ذكرا ، والخامل  
قدراً . ليس امامه حجاب يمنعه ، ولا حاجز يحظره . والناس اشد تحفظاً على  
الرئيس المحظوظ ، واكثر اجتلاءً لافعاله ، وتبعاً لمعائبه ، وتصفحاً لاخلاقه ،  
وتنفيراً عن خصاله منهم عن خامل لا يُعبأ به ، وساقط لا يُسكتر له ،  
فيسير عيب الجليل يقدر فيه ، وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل الذم  
يسرع اليه . والحال التي جددها الله لك ، وان كنت اراها دون حقتك ،  
وناقصة عن هممتك ، وارضاً عند سمائك ، حال الحاسد عليها كثير ، وآمال  
المنافسين اليها تسير . والمودة تقتضي النصيحة ، والمعة تدعو الى صدق  
المشورة . وليس يجرس النعمة ويحوطها ، ويحسم الاطماع ويصرفها ، الا  
ترك ما اراك تستعمله في ترتيب المكتبة ، وتمييز المخاطبة ، والمخاضة<sup>(٢)</sup>  
في الفاظ الدعاء ، والبخل بيسير الثناء ، وتطبيق<sup>(٣)</sup> اخوانك ومعاملتك في  
ذلك ، حتى صار عندك كأنه نسب لا تعداه ، ونعت لهم لا تتخطاه . فاما  
اخوانك فليس من حقتك ان تحطهم حال رفعتك ، وان ينقصهم دولة  
زادتك ، كما ليس من حقتك عليهم ان يغالطوك فيمسكوا عن خطابك ،  
ويتحاموا عن عتابك»

.....

ومما يمثل الاسلوب الكتابي في صدر الدولة العباسية ما كتبه ابراهيم  
بن العباس الصولي عن الخليفة المتوكل الى اهل حمص وكانوا قد وثبوا

(١) ادب الكتاب ص ١٥٥ و ١٥٦ (٢) كذا في الاصل (٣) اي اصابتهم

بعاملها فاخرجوه ، ثم وثبوا بعامل آخر ، فامرہ المتوكل ان يكتب اليهم كتاباً يحذّرهم فيه ويختصر ، فكتب<sup>(١)</sup> -

« اما بعد فان امير المؤمنين يرى حق الله تعالى فيما قوم به من أود ، او عدل من زيغ ، او لم به من شعث ، ثلاثاً يقدم بعضهم امام بعض ، فأولاهن ما يستظهر به من عظة وحجة ، ثم ما يشفعه به من تجدير وثنيه ، ثم التي لا ينفع حسم الداء غيرها

اناة فان لم تغن عقب بعدها وعيد فان لم يجد أجدت عزائه »

وعن اسحق بن ابراهيم الموصلي قال وصف رجل رجلاً فقال<sup>(٢)</sup>  
« كان والله سمحاً سمحاً ، مبرئ سهلاً ، بينه وبين القلب نسب ، وبين الحياة سبب ، انما هو عيادة مريض ، وتحفة قادم ، وواسطة قلادة »

### كتاب عن المنصور الى ملوك الافاق من المسلمين

عند قبض الافشين على بابك . وهو طويل نقل منه ما يلي<sup>(٣)</sup> -

« والحمد لله الذي توجه لا امير المؤمنين بصنعه ، فيسر له امره ، وصدق له ظنه ، وانجح له طلبته ، وانفذ له حيلته ، وبلغ له محبته ، وادرك المسلمون بثأرهم على يده ، وقتل عدوهم ، واسكن روعتهم ، ورحم فاقبتهم ، وأنس وحشتهم ، فاصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين في ديارهم ، متمكنين في اوطانهم بعد القتل والخوف ، والتشريد وطول العناء ، وثنابح البلاء ، فاما اللعين بابك وكفرته ، فانهم كانوا يغزون اكثر مما يُنزون ،

(١) راجع ذلك في صبح الاعشى ٦-٣٠٨

(٢) راجع الامالي بولاق ١-٢٥٤

(٣) راجع نصه الكامل في صبح الاعشى ٦ ص ٤٠٠ - ٤٠٤

ويَنالون اكثر مما يُنال منهم ، ومنهم المتخرفون عن الموادة ، المتوحشون عن المراسلة ، ومن أدبوا من تتابع الدول ، ولم يخافوا عاقبة تدر كهم ، ولا دائرة تدور عليهم . وكان مما وطأ ذلك ومكّنه لهم انهم قوم ابتدوا امرهم على حال تشاغل السلطان ، وتتابع من الفتن ، واضطراب من الحبل ، فاستقبلوا امرهم بعزّة من انفسهم ، وضعف ممن باراهم ، فأجلوا من حولهم لتخلص البلاد لهم ، ثم اخربوا البلاد ليعزّ مطلبهم ، وتشتد المؤونة وتعظم الكلفة ، ويقووا في ذات ايديهم ، فلم يتواف اليهم قواد السلطان الا وقد تواف اليهم القوة من كل جانب ، فاستفحل امرهم ، وعظمت شوكتهم ، واشتدت ضرورتهم واستجمع لهم كيدهم ، وكثر عددهم واعتدادهم ، وتمكنت الهيبة في صدور الناس منهم ، وتحقق في نفوسهم ان كل ما بعدهم الكافر ويمنيهم اخذ باليد . وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى ، وبدون هذا ما يخذع الاريب ويُسْتنزل العاقل ويُعتقل الفطن ، فكيف بمن لا فكرة له ولا روية عنده ؟

فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانتهم مصارعهم ، سلّطهم الله عليهم كيد واحدة ، يخطفونهم بسيوفهم ، ويتنظّمونهم برماحهم ، فلا يجدون ملجأ ولا مهربا ، ثم امكنهم من اهل اليهم واولادهم ، ونسائهم وحرّمهم ، وصيروا الدار دارهم ، والحلّة محلّتهم ، والاموال قسما بينهم ، والاهل اماء وعبيدا . وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء واعطاهم من الرحمة والثواب ، وما اعد لاولئك من الخزي والعقاب ، وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسلم من ذل الغلبة ، ولا فيمن نجا فعان في الحياة بعض العوض ، ولا فيمن أُصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى اطلقه وسد مذاهبه وتركه ملدداً بين الذل والخوف ، والغصّة والحسرة ، حتى اذا ذاق طعم



ذلك كله وفهمه ، وعرف موقع المصيبة ، وظن مع ذلك كله انه على طريق  
من النجاة ، فاضرب الله وجهه ، واعمى بصره ، وسد سبيله ، واخذ بسمعه  
وبصره ، وحازه الى من لا يرق له ، ولا يرثي لمصرعه ، فامثل ما امر به  
الافشين ( حيدر بن كاس ) مولى امير المؤمنين في امره ، فبث له الجبائل  
ووضع عليه الارصاد ، ونصب له الاشرار حتى اظفره الله به اسيراً ذليلاً  
موثقاً في الحديد ، يراه في تلك الحالة من كان يراه رباً ، ويرى الدائرة عليه  
من كان يظن انها ستكون له . فالحمد لله الذي اعز دينه ، واظهر حجته ،  
ونصر اوليائه واهلك اعداءه ، حمداً يقضى به الحق ، وثم به النعمة ، وتصل  
به الزيادة . والحمد لله الذي فتح على امير المؤمنين وحقق ظنه ، وانجح سعيه  
وحاز له اجر هذا الفتح وذخره وشرفه ، وجعله خالصاً لتامه وكاله باكمل  
الصنع واحسن الكفاية ، ولم ير بؤساً فيه ما يقذي عينه ، ولا خلا من سرور  
يراه ، وبشارة تتجدد له عنه ، فما يدري امير المؤمنين ما متع فيه من الامل  
او ما ختم له من الظفر ، فالحمد لله اولاً ! والحمد لله آخراً ! والحمد لله على  
عطاياه التي لا تحصى ، ونعمه التي لا تُنسى ، ان شاء الله تعالى .

### من رسائل ابن المعتز<sup>(١)</sup>

لا يزال الاخوان يسافرون في المودّة ، حتى يبلغوا الشقة ، فاذا بلغوها  
القوا عصا التسيار ، واطأنت بهم الدار ، واقبلت وفود النصائح ، وامنت  
خبايا الضمائر ، فخلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلق

وله

سار فلان في جيوش عليهم اردية السيوف ، واقصة الحديد ، وكان

(١) راجع زهر الاداب للحصري ج ١ ص ٩١ و ١٦٥ و ١٦٦ .

رماحهم قرون الوعول ، وكان دروعهم زبد السيول ، على خيول تأكل  
الارض بجوافرها ، وتمتد بالنقع سرادقها ، قد نشرت في وجوها غرر<sup>(١)</sup> كأنها  
صحائف الرق ، وامسكها تحجيل كأنه أسورة اللجين ، وقرطت عذراً كأنها  
الشنف ، تلتقف الاعداء اوائله ولم تنهض اواخره ، قد صب عليهم وقار  
الصبر ، وهبت معهم ريح النصر ،

وكتب الى عبد الله بن سليمان بن وهب في يوم عيد :

اخرتني العلة عن الوزير اعزّه الله ، فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب  
عني ، ويعمر ما اخلته العوائق مني ، وانا اسأل الله تعالى ان يجعل هذا العيد  
اعظم الاعياد السالفة بركة على الوزير ، ودون الاعياد المستقبلية فيما يجب<sup>(٢)</sup>  
ويحب له ، ويقبل ما توسل به الى مرضاته ، وبضاعف الاحسان اليه ، على  
الاحسان منه ، ويمتعه بصحبة النعمة ، ولباس العافية ، ولا يزيه في مسرة  
تقصاً ، ولا يقطع عنه مزيداً ، ويجعلني من كل سوء فداه ، ويصرف عيون  
الغير عنه وعن حظي منه

وله في البلاغة والقرآن<sup>(٣)</sup>

البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ومجلى الشبهة ، وموجب  
الحجة ، والحاكم عند اختصاص الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من  
سلطان الرسل الذي انقاد به المستصعب ، واستنقذ الأصيل<sup>(٤)</sup> وهبت الكافر ،  
وسلم الممتنع ، حتى اشيب الحق بانصاره<sup>(٥)</sup> وخلي ربع الباطل من عماره ، وخير  
البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ، ليسرع الى الفهم تلقية ، وموجزاً ليخف  
على اللفظ تعاطيه ، وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ،

(١) زهر الآداب ١-٩١ (٢) الأصيل المائل العنق كبيراً (٣) أشب تجمع وقوي

وظاهر غير خفي ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ورهن المتكفين ، وتحير الكذابين ، وهو المبالغ الذي لا يمل ، والجديد الذي لا يخلق<sup>(١)</sup> ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والمأحي لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعي الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة الخالدة ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة . ان اوجز كان كافيا ، وان اكثر كان مذكرا ، وان اوما كان مقنعا ، وان اطال كان مفهما ، وان امر فناصحا ، وان حكم فعادلا ، وان اخبر فصادقا ، وان بين فشافيا ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج تسفي به القلوب ، حلوا اذا تدوقت العقول ، بحر العلوم ، ودبوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المشوسمين ، وروح قلوب المؤمنين

وقد يصل به الازدواج الى السجع كقوله وهو من باب العظات<sup>(٢)</sup>

وعد الدنيا الى خلف ، وبقاؤها الى تلف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد امانها الفجع ، طواحة طراحة ، آسية جراحة ، كم راقد في ظلها قد ايقظته ، وواثق بها قد خانته ، حتى يلفظ نفسه ، ويودع دنياه ، ويسكن رمسه ، وينقطع عن امله ، ويشرف على عمله ، وقد رجح الموت بجياته ، ونقص قوى حركاته ، وطمس البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ، وصار نخط من رماد تحت صفائح انضاد . وقد اسلمه الاحباب ، وافترش التراب ، في بيت قد نجرته المعاول ، وفرشت فيه الجنادل . ما زال مضطربا في امله حتى استقر في اجله ، ومحت الايام ذكره ، واعتادت الالحاظ فقره

(١) زهر الاداب ١ - ١٥٨ (٢) لا يخلق لا يبلى

قلنا ان النثر العربي في هذا الطور يمتاز بميله الى التوازن . ونزيد على ذلك ان الكتاب كانوا خلافاً لاهل اللغة ورواة الادب القديم يعنون بركة الالفاظ ودمايتها فاحدثوا في النثر العربي من اللين والرشاقة ما لفت نظر الادباء حتى قال الجاحظ « ما رأيت امثل طريقة من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً حوشياً ولا ساقطاً سوقياً<sup>(١)</sup> » . وقد جراه ابن الاثير فقال « ان ارباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار الفاظها وسبروا وقسموا فاختراروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا التبيح منه فلم يستعملوه<sup>(٢)</sup> » . ومثل ذلك قول عبد الرحيم بن شيبث القرشي « واكثر المطبوعين يميلون الى الكياسة وهو لعمرى حقيق بالليل اليه لبعده عن الكلفة<sup>(٣)</sup> »

### الرسالة العذراء

ولابن المدبر رسالة تسمى العذراء « في موازين البلاغة وادوات الكتابة<sup>(٤)</sup> » حاول فيها ان يبين اصول البلاغة في كتابة الدواوين . وهي تقع في نحو ٥٠ صفحة ومعظمها من الاسلوب المتوازن كتوله في فضيلة الخط « ومن فضيلة الخط انه لسان اليد ، ورسول الضمير ، ودليل الارادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ، وسلاح المعرفة ، ومحادثة الاخلاء على التنائي ، وانس الاخوات عند الفرقة ، ومستودع الاسرار ، وديوان الامور ، وترجمان القلوب ، والمعبّر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر ، ومورث الآخر مكارم الاول ، والناقل اليه مآثر الماضي ،

(١) البيان والتبيين (س) ١ - ١٢٨ (٢) المثل السائر ٤٠

(٣) معالم الكتابة ٧٤ (٤) راجع المقتبس مج ٤ وقد نشرها

حديثاً الدكتور زكي مبارك (مصر ١٩٣١)

والخلد له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسرّ القلب ، والمخاطب عن الناصت ،  
والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الابطم ، والمتكلم عن الاخرس ،  
الذي تشهد له آثاره بفضائله ، واخباره بمناقبه »

نتناول الرسالة ما يجب على الكاتب ممارسته ومعرفته من اصول  
الكتابة وادواتها واحوال المكتوب اليهم وما الى ذلك من مطالبها . وفيها  
بحث في البلاغة مداره على التفنن في استعمال الالفاظ والمعاني . واهم ما في  
ذلك تخير الالفاظ المناسبة للتمام ، وانه يجب ان تكون رائعة سهلة المخرج غير  
حوشية او متكلفة او مخيفة ومما جاء فيها من ذلك قوله <sup>(١)</sup> -

« فاجعل هذا الاصل ميزاناً تزن به مذهبك في رسائلك وبلاغتك ، ولا  
تخاطبن خاصاً بكلام عام ، ولا عاماً بكلام خاص . فمتى خاطبت احداً بغير  
ما يشاكله فقد اجربت الكلام بغير مجراه وكشفته . فلا تخرجن كلمة حتى  
تزنها بميزانها فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها ، وتجنب ما قدرت  
الالفاظ الوحشية ، وارفع عن الالفاظ السخيفة ، واقتضب كلاماً بين  
الكلامين » وقال خالد بن صفوان <sup>(٢)</sup> : ابلغ الكلام ما لا يحتاج الى كلام ،  
واحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ، ولا القروي المخدج ، الذي صحته  
مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على السن القائلين ، وخفّ على آذان السامعين  
ويزداد حسناً على مرّ السنين ، بتجلية الرواة وثنية السراة »  
ومما جاء فيها <sup>(٣)</sup> -

ولا يستحق (الكلام) اسم البلاغة . حتى يسابق معناه لفظه ولفظه  
معناه ، ويكون اللفظ اسبق الى الاسماع من معناه الى القلوب »

والمعاني وان كانت كامنة في الصدور فانها مصورة فيها ، ومتصلة بها ،  
وهي كالآلي المنظومة في اصداقها ، والنار المخبوءة في اجارها ، فان اظهرته  
من اكنانه واصدافه تبين حسنه ، وان قدحت النار من مكانها واجارها  
انتفعت بها ، والا بقيت محجوبة مستورة . وانما يستثار الكامن منها ،  
ويستخرج المستسر من جواهرها ، بقدر حذق المستنبط ، وصواب  
حركات المستخرج ، وقصد اشارته ، ولطف مذاهبه . وكذلك ليس كل  
ناطق ولا كاتب بوضع عن المعنى ولا يصيب اشارته . وكما كان الكلام  
افصح ، والبيان اوضح ، كان ادل على حسن وجه المعنى .  
وقد شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر .  
واذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ،  
ولا النظام متسقاً »



## عبد الحميد بن يحيى الكاتب

واسلوبه

نوطنة تاريخية - منشأه

يوخذ من اقوال المؤرخين ان عبد الحميد فارسي الاصل . قال الاصحفي في عرض كلامه عن بلاد فارس<sup>(١)</sup> « واما من يصلح من الفرس للدواوين من الكتاب والعمال والادباء فان منهم عبد الحميد بن يحيى . وكان له في بني امية ولاء ينسب اليهم ، وكان من كتابته واستقلاله ما اغنى عن ذكره واشتهاره » . وينسبه ابن خلكان فيقول<sup>(٢)</sup> « ابو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي » ويعين الطبري اسم وليه اذ يقول<sup>(٣)</sup> « وكتب لمروان عبد الحميد مولى العلاء بن وهب العامري » . ويرجمون انه شامي المنشأ . فابن النديم يقول انه من اهل الشام<sup>(٤)</sup> وعلى ذلك زبدان<sup>(٥)</sup> . ولم يرد لذلك ذكر في اليعقوبي او الطبري والمسعودي واما ابن خلكان فغير صريح في امر منشأه ففي اول ترجمته له يتابع ابن النديم ثم يتناسى ذلك ويقول « وكان من اهل الانبار وسكن الرقة » .

(١) مسالك الممالك ١٤٥ (٢) وفيات الاعيان ١-٤٣٥ (٣) الطبري

المجلة الثانية ٨٣٩ (٤) الفهرست ١١٧ (٥) تاريخ اداب اللغة ١-٣١٥

ولا نعلم عمن استقى ابن خلكان روايته هذه ولكننا لا نرى صعوبة في التوفيق بينها وبين ما ذكره ابن النديم بقولنا - وهو ما ترجمه - ان اصله فارسي من الانبار ثم انقل به ذووه الى الرقة فالشام وهنا نشأ ونبغ

### الدبوان الذي فهم

يقول ابن عبد ربه ان عبد الحميد - ويسميه عبد الحميد الاكبر - كتب لعبد الملك بن مروان ثم ليزيد ابنه وانه لم يزل كاتباً لبني امية الى ايام مروان بن محمد واتقضاء دولة بني امية<sup>(١)</sup> . وفي رواية ابن عبد ربه شيء من الارتباك فانه يذكر الخلفاء الذين بين عبد الملك وبين مروان ويذكر كتابهم - كجناح كاتب الوليد، وعبد الحميد الاصغر كاتب سليمان، والليث بن رقية كاتب عمر بن عبد العزيز - ثم يعود الى عبد الحميد الاكبر في ايام يزيد وما بعده . اما غيره من الادباء والمؤرخين فيذهبون الى انه كان كاتب مروان مختصاً به والارجح انه تخرج في الكتابة على يد سالم مولى هشام بن عبد الملك، ثم التحق بمروان ايام ولايته على ارمينيا . ولما صار مروان خليفة انتقل معه الى الشام وفي سبيله مات

وكل المصادر تصفه بكرم النفس والمرؤة وحسن الرأي ولهم في ذلك حكايات فلتراجع<sup>(٢)</sup>

(١) العقد ٢ - ٢٠٦ (٢) لتحقق ذلك راجع خبره مع مروان وابن المقفع في وفيات الاعيان ١ - ٤٣٥ و ٤٣٦ وفي الطبري الجملة الثالثة ص ٢٦ والمسعودي



## مؤلفه الادب

اجمع المؤرخون على انه صاحب طريقة جديدة في الانشاء العربي . قال الطبري « وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكين<sup>(١)</sup> » . وقال المسعودي « صاحب الرسائل والبلاغات وهو اول من اطال الرسائل واستعمل التعميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده<sup>(٢)</sup> » وقال ابن النديم « وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزوما وهو الذي سهّل سبل البلاغة في الترسل<sup>(٣)</sup> » . وقد سبقهما ابن عبد ربه الى ذلك اذ قال « وكان عبد الحميد اول من فتق اكلام البلاغة وسهّل طرقها وفك رقاب الشعر<sup>(٤)</sup> » وعلى هذا الفرار جرى ابن خلكان ولكنه نقل ما قاله المسعودي فلا لزوم لاعادته .

على ان ابا هلال العسكري يأتينا بشيء جديد فيقول « ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الاولى . ألا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي خوفاً لها الى اللسان العربي<sup>(٥)</sup> »

فمؤرخو الادب منذ القرن الثالث مجمعون على ان الرجل ذو طريقة في الانشاء، ويذهب بعضهم الى ان هذه الطريقة فارسية الاصل . فما هذه الطريقة

(١) الجملة الثانية ٨٣٩ (٢) مروج الذهب ٦-٨١ (٣) الفهرست ١١٧

(٤) العقد ٢-٢٠٦ (٥) الصناعتين ٥١ . ومما تحسن الاشارة اليه انه في نسخة

اخرى من نفس الطبعة (الاستانة ١٣٢٠) تجرد عبد الله بن المقفع بدل عبد الحميد ولعله

خطأ ندورك على آلة الطبع

وهل هي فارسية لا تمت بقرابة الى النثر العربي القديم ؟ . ذلك ما نحاول

الجواب عليه الان فنقول -

عاصر عبد الحميد كاتب آخر لا يقل شهرة ومكانة عنه ، وهو عبد الله ابن المقفع . وقد عرف ابن المقفع بشدة اتصاله بالادب الفارسي وكثرة نقله عنه وقد شهد له بذلك ابن النديم فقال « وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة وأحد النقلة في فن اللسان الفارسي الى العربي ، مضطلاً باللغتين ، فصيحاً بهما<sup>(١)</sup> » . وعليه فقد كان الاولى ان يكون هو صاحب الرسوم الفارسية في الانشاء العربي ومع ذلك لم يذكر بها كما ذكر عبد الحميد . ونرجح ان ذلك ناشئ عما رأوه من الفرق في اسلوبيهما . فابن المقفع ميل في كتابته الى ارسال الكلام دون ان يتقيد بازدواج او توازن ، فلا يخرج بذلك عن الاسلوب العام في القرن الاول كما بينا سابقاً . واما عبد الحميد في طريقته يجري مجرى الازدواج والتبسط وبذلك يخرج عن مجرى الانشاء العام لعهده . واليك قطعتين لهما في معنى واحد نعرضهما للمقابلة :

قال عبد الله<sup>(٢)</sup> -

« اعرف اهل الدين والمروءة في كل كورة وقربة وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك وبطانتك وثقاتك ، ولا يقذفن في رؤعك انك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك ، فانك لست تريد الرأي للافتخار به ولكن تريد للانفعا به . ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلهما عند اهل الفضل ان يقال لا ينفرّد برأيه دون استشارة ذوي الرأي

انك ان تلمس رضى جميع الناس تلمس ما لا يدرك ، وما حاجتك

(١) الفهرست ١١٨ (٢) نقل قوله من الدررة اليتيمة ١٩ و ٢٠ و ٥٨

الى رضى من رضاه الجور، والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة؟ فعليك  
بالتماس رضى الاخير منهم وذوي العقل فانك متى تصب ذلك تضع عنك  
مؤونة ما سواه

اذا تراكت الاعمال عليك فلا تلتمس الروح في مدافعتها والروغان  
منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها، وان الصبر عليها هو يخفها، وان الضجر  
منها هو يراكمها عليك. فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض  
اصحاب الاعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيبرد عليه شغل آخر ويأتيه  
شاغل من الناس يكره تأخير فيكدر ذلك بنفسه تكديراً يفسد ما كان  
فيه وما ورد عليه، حتى لا يحكم واحداً. منها فان ورد عليك مثل ذلك  
فليكن معك رأيك الذي تختار به الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك  
فاشغل به حتى تفرغ منه، ولا يعظمن عليك فوت ما فات وتأخير ما تأخر  
اذا عملت الرأي معمله، وجعلت شغلك في حقه»

وقال عبد الحميد بهذا المعنى<sup>(١)</sup>

«ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك، ودخلاؤك في سرك،  
اهل الفقه والورع من خاصة اهل بيتك، وعامة قوادك، ممن قد حسنته  
السن بتصاريف الامور، وخبطته فصالها بين فراسن البزل منها، وقلبتة  
الامور في فنونها، وركب اطوارها، عارفاً بحاسن الامور، ومواضع  
الرأي وعين المشورة، مامون النصيحة، منطوي الضمير على الطاعة. ثم  
أحضيرهم من نفسك وقاراً يستدعي لك منهم الهيبة، واستئناساً يعطف اليك  
منهم المودة، ولا يغلبن عليك هوائك فيصرفك عن الرأي، ويقتطعك دون  
الفكر. وتعلم انك - وان خلوت بسر فالحق دونه ستورك، واغلفت

(١) صبح الاعشى ١ - ٢٠٠ - ص ٢٠٠ - ص ٢٠٠ - ص ٢٠٠ - ص ٢٠٠

عليه ابوابك - فذلك لا محالة مكشوف للعامة ، ظاهر عنك ، وان استترت  
بربماً ولعل ، وما أرى اذاعة ذلك . «  
« اياك وان يظهر منك تبرم بطول مجلسك ، او تضجر من حضرك ،  
وعليك بالثبوت عند سورة الغضب ، وحمية الانف ، وملال الصبر في الامر  
لتسبج به ، والعمل تأمر بانفاده ، فان ذلك سُخف شائن ، وخفة مُردية ،  
وجهالة بادية ، وعليك بثبوت المنطق ، ووقار المجلس ، وسكون الريح ،  
والرفض لحشو الكلام ، والترك لفضوله »

فمن مقابلة هاتين القطعتين يتضح لك ان اسلوب عبد الحميد اكثر ميلاً  
الى التوازن . فهل التوازن هو الرسم الذي اخذه عن الفرس حتى قيل فيه ما  
قيل ؟ يجوز ذلك اذا صح امران : ١ - اذا كان التوازن هو اسلوب  
النثر الفارسي العام ايام عبد الحميد او ما قبله ٢ - اذا كان التوازن غير  
معروف في النثر العربي القديم . اما الاول فليس لدينا من النصوص الفارسية  
القديمة ما يحملنا على القول به ، وليس فيما ذكره مؤرخو الادب الفارسي  
ما يشعر بوجوده

واما الثاني فغير صحيح ، لان التوازن بل الازدواج موجود في النثر  
العربي منذ اقدم ازمانه . فهو كثير في القرآن وفي ما روي من اقوال الجاهلية  
وكثير في الادب الاخلاقي في العصرين الراشدي والاموي . فبعد الحميد لم  
ينقل رسمه عن الفارسية ولكنه اتخذه اسلوباً عاماً لرسائله فجعله بذلك طريقة  
انشائية مقررة . واما الذي نقله عن الفارسية مما لم يكن شائعاً في الترسل  
العربي سابقاً فهو التحميدات الطويلة والتبسط في عرض الفكر . وقد اصاب  
الاستاذ محمد كرد علي اذ قال يصف رسائله<sup>(١)</sup>

« واكثر ما بدا في تضاعيفها الاطالة في غير ما املال من تجميع وترصيع ولم تكن هذه الطريقة في الكتابة فيما بلغنا مألوفة في عامة دور الامويين ، لان هؤلاء عرب الخاق ، وكتائبهم على شاكلتهم يحاولون بالايجاز في مكشوباتهم ان يتركوا للقارى شيئاً من المعاني يفسرها بما يريد »  
ثم يقول :

« ومن المحقق ان عبد الحميد اقتبس هذه الطريقة من الامم المجاورة ، لاسيما الفرس ممن لم تكن حضارتهم ابتدائية كالعرب ، بل فيها المطول المسهب ، والمتشعب المتعب . ولقد احتاج العرب بعد توسعهم في الملك الى تقرير المسائل على جليتها لا يعثورها لبس ولا اشكال . ومن مواجب الحضارة الاسهاب ، ومن دواعي البداوة الاقتضاب . فبعد الحميد اذن تشيع بروح الدولة وروح حضارتها التي بلغت في ايامه اعلى قممها ، ورسم يراعته صورة ما احاط به واقتضاه الحال » . - الى ان يقول -

« فهو مخترع طريقة ، وكاتبٌ وصافٌ على الحقيقة ، استجمع كل شروط البلاغة فعده امير المنشئين غير مدافع ، واستطاب الناس الى يومنا هذا اسلوبه المعجب المطرب »

### رسائل عبد الحميد واسلوبه

يظهر مما ذكره الذين ترجموا له انه ترك رسائل كثيرة . قال ابن النديم ولرسائله مجموع في نحو الف ورقة<sup>(١)</sup> . ولم تصلنا جميع رسائله ولكن مما وصلنا نستدل ان له فيها القصير والطويل . واسلوبه العام هو الاسلوب

التوازن، وقد يندفع في بعض حماساته فيسلك سبيل السجع ، كقوله الى بعض  
من خرج عن الطاعة<sup>(١)</sup> —

اما بعد : بلغني كتابك تذكر انك تحمل المرء على الجرء ، فسترد عليك  
جنود الله المقرَّبون ، واولياؤه الغالبون ، ويرد عليك مع ذلك حزبه المنصور  
من الكهول ، على الفحول ، كأنها الوعول ، تخوض الوحول ، طوال السبال  
تختضب بالجريال<sup>(٢)</sup> ، رجال هم الرجال ، بين رامج وناشب ، ليس معهم الا  
كلب محارب ، ولا ينكلون عن الاصحاب . قد ضربوا بضرب الهام ،  
واعتادوا الكرم والاقدام ، ليسوا بذوي هينة ولا اجمام ، يقضون بالسيوف  
ويخالطون الزحوف ، في اعنتهم الحتوف ، يزارون زئير الاسود ، ويشون  
وثوب الفهود ، ليس فيهم الا شاك محبتك ، في الحرب مجرب ، قد شرب  
على ناجذ<sup>(٣)</sup> الحرب واكل ، ذو شقشقة وكلكل<sup>(٤)</sup> ، كأنما أشرب وجهه نقيع  
الحناء ، قد رمم الحرب ورضعها ، وغذته والفاها ، فهي امه وهو ابنها ، يسكن  
اليها ويأنس بقربها ، فهو بطلبها أرب ، وعلى اهلها حرب<sup>(٥)</sup> ، لا يروعه ما يروع ،  
ولا يزيغه ما يزيغ العمر الجبان ، حين يشدد الوغي ، وتخطر القنا ، وتقلص  
الشفاه ، وتسفر الكفاة ، فعند ذلك تسلك المرء ، وتكشف عن الجرء .  
فتأهب لذلك أهبتك ، واخطب له خطبتك ، من المساكين والحوكة ، ثم  
كيدوني جميعاً فلا تنظرون ، فما اسرنا اكثرناك الجوع ، وحشدك الخيول  
فانك لا تكشِف جمعاً ، ولا تسرب خيلاً ، الا وثقنا بان سيمدنا الله من  
ملائكته ، ويزيدنا من نصره ، بما قد جرت به سنته ، وسلفت به عادته ،

(١) صبح الاعشى ٨ — ٢٦٨ (٢) الجريال صبغ احمر ويراد به هنا الدم

(٣) ناجذ . سن

(٤) الكلكل صدر البعير والشقشقة هديره

(٥) ارب ماهر . وحرب شديد

وهو كناية عن شدة الوطأة

ويقتزن التوازن في رسائله عموماً بما يلي :

١ - الاطناب والتبسُّط

٢ - كثرة العطف والترادف

٣ - رشاقة الالفاظ

٤ - عدم تكلف السجع والبديع

وسنشرح ذلك في كلامنا على رسائله : وأهمُّها اثنان - رسالته الى

الكتاب ، ورسالته الى عبد الله بن مروان واليك شيئاً عنهما :

### رسالته الى الكتاب

تقع في نحو اربع صفحات من كتاب صبح الاعشى<sup>(١)</sup> . وهي مجموعة وصايا بليغة يوصي بها الكتاب ، وتدور على ما يجب على الكاتب معرفته وممارسته من آداب الكتابة ، وحسن العشرة ولزوم التعاون ، والاتِّصاف بالاخلاق الحميدة . وقد اصبحت هذه الرسالة نموذجاً للآداب الكتابية . قال القلقشندي « اصل هذه الآداب التي ترجع اليه وينبوعها الذي تفجرت منه رسالة عبد الحميد الكاتب التي كتبها الى الكتاب يوصيهم فيها<sup>(٢)</sup> » . وقد كانت الكتابة صناعة يرتزق بها وكان اربابها طبقة خاصة تربطهم روابط الفن وآدابه . وفي صبح الاعشى فصول تقع في نحو ١٥ صفحة بسط فيها واضعها ما قيل في ذلك وهي حريّة بان تراجع<sup>(٣)</sup> لبلاغتها ، ولان رسالة عبد الحميد كما قيل سالفاً اصلها وينبوعها ، وتتناول هذه الفصول حسن

(١) صبح الاعشى ١ ص ٨٥ - ٨٩

(٢) صبح الاعشى ١ ص ٦٩ - ٨٤

السيرة وشرف المذهب وعشرة الملوك والعطاء ومعاملة الاكفاء والنظراء .  
ومن امثلة ذلك ما قيل في باب عشرة السلطان -  
« فان من شروط هذه الخدمة ان يتصرف صاحبها في كل ما يصرف  
فيه ، ويسرع الانقياد الى كل ما يدعى اليه ، ولا يكتر من الدعاء لرئيسه  
والثناء عليه والشكر على ما يوليه من العوارف فان مثل ذلك يستثقل »  
ومنها : « ان لا يحضر سلطانه في ملابسه التي جرت العادة ان ينفرد بها  
كالوشي ونحوه ، الا ان يكون هو الذي يشرفه بها ، وان يقتصد في لباسه  
فينحط عما يلبسه سلطانه ويرتفع عما يلبسه السوقة ، ويصرف عنايته الى  
التنظف والتعطر ، وقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره ، حتى لا تقع  
عين رئيسه على دنس في اثوابه ، ولا يجد منه كريه رائحة في حال دنوه منه  
وبواصل استعمال الطيب والبخور الفائق والتضمخ بالمسك ، فان الملوك ترى  
ان من اغفل تعهد نفسه كان لغيرها اشد اغفالا »  
ومنها : « ان يتجنب التفاصيل والتعمق في مخاطبة رئيسه ، والافتخار عليه  
بالبلاغة والبيان : لما في ذلك من الترفع عليه في الكلام . بل يجعل ما يلقيه  
اليه ضمن الفاظ تدل على معانيها بسهولة مع غض من صوته ، وخفض من  
طرفه ، وسكون من اعضائه : لانه انما يتسامح بالاتيان بالفصاحة والذهب  
بمذهب الجزالة للخطباء الذين يثنون على الملوك في المواقف العامة ضرورة  
احتياجهم الى استعمال الفاظ تقع في الاسماع احسن المواقع »  
ومنها ما ورد في باب عشرة الاكفاء والاتباع :  
« وهم وان كانوا اصحاب الكاتب ومروؤوسيه واتباعه ، فاسم الكتابة  
يجمع بينه وبينهم ، ومعاشرتهم داخلية في باب التكرم ، والتفضيل ،  
والاستئثار بمحاسن الافعال ومكارم الشيم »



ثم قال بعد ذلك : « وينبغي ان يخصهم بالنصيب الاوفر من اكرامه ،  
والقسم الاغزر من ملاحظته واهتمامه ، ويفرض لهم من التقديم والاختصاص  
ونفقُ الاحوال والشؤون ، والذي ينتهي اليه امل المرؤوس من الرئيس :  
ليجعل خدمتهم له بذلك خدمة مِقة ومودة ، لا خدمة خوف ورهبة ، وان  
يجب خدمته اليهم بترك مناقشتهم ، والتضييق عليهم ، وانالتهم من الترفيه  
في بعض الاوقات ما يجدون به السبيل الى الاخذ بنصيبٍ من لذاتهم واطوارهم  
التي تميل النفوس اليها ، وتتهافت عليها ، فانهم متى لحقهم التعب والنصب ،  
اعترضهم الضجر والملال ، فقصروا في الاعمال ، وتهاونوا بالاشغال ، فلا  
بدَّ لهم من راحة تصفو بها اذهانهم ويزول عنها الكلال ، ولا يفسح لهم في  
مواصلة الراحة والاخلال بما يلزمهم ، فان ذلك يحمل على سوء العادة وقبح  
المذهب . وعليه ان يحفظ لهم حقوق الصبغة والخدمة وبوجودهم من الاعانة  
ما فيه صلاح حالهم ، فانه يستعبدونهم بذلك ويستخلص مودتهم اذ القلوب مجبولة  
على حب من احسن اليها »

اما رسالة عبد الحميد فيبدأها بمخاطبة الكتاب وتبيان شرف صناعتهم

فيقول -

« اما بعد ، حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم  
وارشدكم ! فان الله عزوجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين ، صلوات الله  
عليهم اجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين اصنافاً ، وان كانوا في الحقيقة  
سواءً ، وصرّفهم في صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات الى اسباب  
معايشهم ، وابواب ارزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل  
الادب ، والمروءة ، والعلم ، والرواية . بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم  
امورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلادهم . لا يستغني

الملك عنكم ، ولا يوجد كافٍ الا منكم ، فوقعكم من الملوك موقع  
اسماعهم التي بها يسمعون ، وابصارهم التي بها يبصرون ، والسننهم التي بها  
ينطقون ، وابديهم التي بها يبطنون . فامتكم الله بما خصكم من فضل  
صناعتكم ! ولا نزع عنكم ما اضافه من النعمة عليكم !»

ثم يحضهم على الخير والمروءة وحسن النظر في الامور - فيقول  
«وليس احد احوج الى اجتماع خلال الخير الممدودة ، وخصال الفضل  
المذكورة الممدودة ، منكم ايها الكتاب ، اذا كنتم على ما يأتي في هذا  
الكتاب من صفتكم فان الكتاب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه  
الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليماً في موضع الحلم ، فهِماً في  
موضع الحكم ، ومقدماً في موضع الاقدام ، ومحجماً في موضع الاحجام ،  
مؤثراً للعفاف ، والعدل والانصاف ، كئوباً للاسرار ، وفيماً عند الشدائد  
عالملاً بما يأتي من النوازل ، ويضع الامور مواضعها ، والطوارق اما كتبها .  
قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه ، فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار  
يكتفي به . يعرف بفريزة عقله ، وحسن ادبه ، وفضل تجربته ، ما يرد  
عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيعد لكل امر عذته  
وعتاده ، وبهي لكل وجه هيأته وعادته»

وينبههم الى ما يجب اتقانه وتجنبه - فيقول:  
«ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار ، واعرفوا غريبها  
ومعانيها ، وايام العرب والعجم ، واحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على  
ما تسمو اليه هممكم . ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب  
الخراج ، وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها ، وسفساف الامور  
ومحاورها ، فانها مآذة للرقاب ، مفسدة للكتاب ، ونزوها صناعتكم عن

الدناءات ، واربوأ بانفسكم عن السعاية والتميمة وما فيه اهل الجهالات ،  
واياكم والكبر والصلف والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة من غير إحنة ،  
وتحأبوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو اليق باهل  
الفضل والعدل والنبيل من سلفكم»

.....

ثم يتناول ما يجب عليهم من حسن التعاون والنصيحة ولطف السياسة  
وبعد النظر - فيقول :

« وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله  
ويثوب اليه امره ، وان اقعده احدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه ،  
فزوروه وعظّموه وشاوروه ، واستظهِروا بفضل تجربته ، وقدم معرفته . وليكن  
الرجل منكم على من اصطنعه واستظهِر به ليوم حاجته اليه احفظ منه على  
ولده واخيه . فان عرضت في الشغل محمدا فلا يضيفها الا الى صاحبه ، وان  
عرضت مذمة فليحملها هو من دونه . وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير  
الحال ، فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفراء ، وهو لكم  
افسد منه لها .

فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه الرجل ، يبدل له من نفسه ما يجب  
له عليه من حقه ، فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه ، وشكره ، واحتماله ،  
وصبره ، ونصيحته ، وكتمان سره ، وتديير امره ، ما هو جزاء لحقه .  
ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة اليه ، والاضطرار الى ما لديه  
فاستشعروا ذلكم - وفقكم الله - من انفسكم في حالة الرخاء ، والشدة ،  
والحرمان ، والمواساة ، والاحسان ، والسرءاء ، والضرءاء ، فنعمت الشيعة هذه  
لمن وُسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة ! فاذا ولي الرجل منكم او صير

اليه من امر خلق الله وعباده امر ، فليراقب الله عز وجل ، وليؤثر طاعته ،  
وليكن على الضعيف رفيقاً ، وللمظلوم منصفاً ، فان الخلق عيال الله ، واحبهم  
اليه ارفقهم بعباله . ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مكرماً ، وللغني  
موفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألماً ، وعن ابدانهم متخلفاً ، وليكن في  
مجلسه متواضعاً حليماً ، وفي سمات خراجة ، واستقصاء حقوقه رفيقاً . واذا  
صحب احدكم رجلاً فليختبر خلأته ، فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على  
ما يوافقه من الحسن واحتال لصفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة ، واجمل  
وسيلة . وقد علمت ان سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة  
اخلاقها ، فان كانت رموحاً لم يهجنها اذا ركبها ، وان كانت شوباً اتقأها  
من قبل يديها ، وان خاف منها شروداً توقأها من ناحية رأسها ، وان كانت  
حرونأً قمع برفق هواها في طريقها ، فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له  
قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم  
وخدمهم وداخلهم .

والكاتب بفضل ادبه ، وشريف صنعه ، ولطيف حيلته ، ومعاملته لمن  
يحاوره من الناس ويناظره ، ويفهم عنه او يخاف سطوته ، اولى بالرفق بصاحبه  
ومداراته ، وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تُشير جواباً ، ولا تعرف  
صواباً ، ولا تفهم خطاباً ، الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها . ألا  
فامعنوا رحمكم الله في النظر ، واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر  
تأمّنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة ، والاستئصال والجفوة ، وبصير منكم  
الى الموافقة ، وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله تعالى «

ويأخذ من هنا مجزئهم على الاعتدال وتجنب متالف السرف -

فيقول :

« ولا يجاوزنَّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه  
ومشربه وبنائه وخدمه ، وغير ذلك من فنون امره ، قدر حقه . فانكم مع  
ما فضلكم الله به من شرف صنعتم خدمة لا تحملون في خدمتكم على  
التقصير ، وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير . واستعينوا على  
عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم ، وقصصته عليكم . واحذروا  
مثالف السرف ، وسوء عاقبة الترف ، فانهما يعقبان الفقر وبذلان الرقاب ،  
وبفضحان اهلها ولا سيما الكتاب ، وارباب الآداب ، وللأمور اشباه  
وبعضها دليل على بعض ، فاستدلوا على مؤتلف اعمالكم بما سبقت اليه  
تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة ، واصدقها حجة ،  
واحدها عاقبة »

وينقدم اليهم بتجنب الاكثار من الكلام والوصف بقوله

« واعلموا ان للتدبير آفة متلفة - وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ  
عمله ورويته ، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه ،  
وليوجز في ابتدائه وجوابه ، وليأخذ بمجامع حججه ، فان ذلك مصلحة لفعله  
ومدفعه للشاغل عن اكاره . وليضرع الى الله في صلة توفيقه ، وامداده  
بتسديده ، ومحافة وقوعه في الغلط المضرب بيدنه وعقله وادبه ، فانه ان ظن منكم  
ظاناً ، او قال قائل ، ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته ، انما هو  
بفضل حيلته ، وحسن تدييره ، فقد تعرض بظنه او مقالته الى ان يكفه  
الله عز وجل الى نفسه ، فيصير منها الى غير كاف ، وذلك على من تأمله  
غير خاف »

ويختم الرسالة بهذه الكلمات البليغة في التواضع وعدم الاعتداد بالنفس  
 « ولا يقل احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لعبء التدبير من مرافقه  
 في صناعته ، ومصاحبه في خدمته ، فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من  
 رمى بالعجب وراء ظهره ، ورأى ان صاحبه اعقل منه واحمد في طريقته . وعلى  
 كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار  
 برأيه ، ولا تزكية لنفسه ، ولا تكاثر على اخيه او نظيره ، وصاحبه او  
 عشيره ، وحمد الله واجب على الجميع : وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل  
 لعزته ، والتحدث بنعمته »

.....

ومن التأمل في هذه الرسالة يُستشف ما في نفس صاحبها من اخلاق  
 كريمة ، ويلاحظ ان التوازن فيها مقرون برشاقة بعيدة عن التكلف الصناعي  
 وليس فيها من الاطناب والازدواج ما نجده في بعض رسائله الاخرى ولا  
 سيما في رسالته الكبرى التالية :

#### رسالته الى عبد الله بن مروان

وقد كتبها اليه عن لسان ابيه الخليفة مروان بن محمد وكان قد ارسله لقتال الضحاك  
 ابن قيس الشيباني الخارجي وذلك ١٢٩ هـ . والرسالة تقع فيما يقارب الاربعين صفحة  
 من صفحات صبح الاعشى<sup>(١)</sup> فلا منسع لاثباتها هنا ، على اننا نلتفت النظر فيما يلي الى  
 نقاطها الرئيسية والى ما يتجلى فيها من اسلوب عبد الحميد - اما نقاطها الرئيسية فهي -

١ - وصف الخارجي واصحابه

٢ - رغبة امير المؤمنين مع علمه بمكان ولي العهد في الدين والخلق في  
 ان يقدم له لطائف العظات والنصائح مؤدياً بذلك حق الله الواجب عليه في

(١) صبح الاعشى ج ١٠ ص ١٩٥ - ٢٣٣

ارشاده وقضاء حقه وما ينظر به الوالد الشفيق لولده - ومن ذلك قوله :  
 « وقد تقدم امير المؤمنين اليك ، آخذاً بالحجة عليك ، مؤدياً حق الله  
 الواجب عليه في ارشادك وقضاء حقتك ، وما ينظر به الوالد المعني الشفيق  
 لولده ، وامير المؤمنين يرجو ان ينزّهك الله عن كل قبيح يهش له طمع ،  
 وان يعصمك من كل مكروه حاق باحد ، وان يحصنك من كل آفة استوات  
 على امرى في دين او خلق ، وان يبلغه فيك احسن ما لم يزل يعودده ويريه  
 من آثار نعمة الله عليك ، سامية بك الى ذروة الشرف ، متبجحة بك بسطة  
 الكرم ، لائحة بك في ازهر معالي الادب ، مورثة لك انفس ذخائر العز ،  
 والله يستخلف عليك امير المؤمنين ويسأل حياطتك ، وان يعصمك من زيغ  
 الهوى ، ويحضرك داعي التوفيق ، معاناً على الارشاد فيه ، فانه لا يعين على  
 الخير ولا يوفق له الا هو »

٣ - مسالك الحكمة واخلاص تقوى الله والاعتماد عليه وقراءة كتابه  
 والحذر من الاهواء التي هي خدع ابليس ، وهي سبب الوهن والهلاك -  
 ومن قوله في ذلك :

« اعلم ان للحكمة مسالك تفضي مضايق اوائلها بمن أمها سالكا ، وركب  
 اخطارها قاصدا ، الى سعة عاقبتها ، وامن سرحها ، وشرف عزها ، وانها لا  
 تُعار بسُخف الخفة ، ولا تُفسأ بتفريط الغفلة »

وقوله -

« واعلم ان كل اهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويعترض غفلتك :  
 لانها خدع ابليس ، وخواتل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرهما مجانباً  
 لها ، وتوقها محترساً منها ، واستعد بالله عز وجل من شرها ، وجاهدها اذا  
 ناصرت عليك بعزم صادق لا ونية فيه ، وحزم نافذ لا مثوية لرأيك بعد

اصداره ، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ، ومضائة صارمة لا اناة معها  
ونية صحيحة لا خلجة شك فيها «

الى ان يقول -

« فحاول بلوغ غاياتها محرزاً لها بسبق الطاب الى اصابة الموضوع ، محصناً  
اعمالك من العجب : فانه رأس الهوى ، واول الغواية ، ومقاد الملكة ، حارساً  
اخلاقك من الآفات المتصلة بمساوىء الالقاب وذميم ثنائزها ، من حيث انت  
الغفلة ، وانتشر الضياع ، ودخل الوهن . فتوق غلوب الآفات على عقلك  
فان شواهد الحق ستظهر باماراتها تصديق آرائك عند ذوي الحجا ، وحال  
الرأي وفحص النظر . فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقى لسان الصدق  
بالحذر لما تقدم اليك فيه امير المؤمنين ، متحرزاً من دخول الآفات عليك من  
حيث امنك ، وقلة ثقتك بحكمها »

ثم يتقدم اليه بمجوامع خلال هي غاية في البلاغة

٤ - من يجب ان يكون بطانته واهل سره وكيف يعاملهم ويسلك  
معهم . ومن أهم ما يتصف به هنا -

ان يختارهم من اهل الورع والحنكة - ان لا يصرفه الهوى عن  
استشارتهم - ان يسلك امامهم مسلك الوقار والرزانة ، وضبط النفس عن  
الغضب ، والبعد عن المضاحك وعنفوان الحدائث والصلف والمداعبة وكثرة  
تحريك الجوارح ، والاقبال على اهل السعابة

٥ - « ان لا تنظر في المسائل قبل ان ترفع الى كاتبك ، وتصفح  
وجوه جلسائك وتفقد مجالس قوادك »

٦ - « لا تظهر لأحد انك بحاجة موحشة ، او انك قاصر الفهم عن

تناول الامور »



٧- «تجنب سخائف العادات والخرافات ( وهو بالحقيقة تابع لما ذكره قبلاً من الوفاق وسكون الريح ) واستكثر من فوائد الخير فانها تنشر المحمودة »  
 ٨- «قس بين منازل اهل الفضل وبين منازل اهل النقص وانظر بصحة ايهم تنال من مؤونة الجميل وتستجمع اقوابل العامة على التفضيل »

.....

٩ - في لقاء العدو -

« حصن جندك ، واشكم نفسك بطاعة الله في مجاهدة اعدائه ، وارج نصره ، وتنجز موعوده ، متقدماً في طلب ثوابه على جهادهم ، معتزماً في ابتغاء الوسيلة اليه على لقاءهم : فان طاعتك اياه فيهم ، ومراقبتك له ورجاءك نصره مسهل لك وعوره ، وعاصمك من كل سبة ، ومنجيك من كل هوة ، وناعشك من كل صرعة ، ومقيلك من كل كبوة ، وداري عنك كل شبهة ، ومذهب عنك لطلخة كل شك ، ومقويك بكل ايد ومكيدة ، ومعزك في كل معترك قتال ، وموئيدك في كل مجمع لقاء ، وكالك عند كل فتنة مغشية ، وحائطك من كل شبهة مردية ، والله وليك وولي امير المؤمنين فيك ، والمستخلف على جندك ومن معك »

١٠ - « حاول ان تنال الظفر بحسن الحيلة دون اوراق الدماء . واعلم ان الظفر ظفران احدهما وهو اعم منفعه ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة »

١١ - سياسة الجواسيس - « وأذك العيون على العدو متطلعاً لعلم احوالهم التي يتقلبون فيها ، ولا تبدرن منك فرط عقوبة الى احد من العيون بل ابسط آمالهم »

- ١٢ - حسن اختيار القواد والحراس  
 ١٣ - حسن اختيار القضاة في العسكر  
 ١٤ - تفويض القيادة بأمر الجنود رياضة منك لهم على السمع والطاعة  
 لامرائهم واوعز الى القواد ان لا يذللوا الجند  
 ١٥ - تعبئة الجند للقاء العدو في مقدمة وميمنة وميسرة وساقية  
 وكيفية ذلك  
 ١٦ - حفر الخنادق حول الجند او الحصن  
 ١٧ - « وكلّ بخزائنك ودواوينك رجلاً ناصحاً ذا ورع حاجز  
 ودين فاصل »

.....

« اذا تدانى الصفان فاكثر من ذكر الله والتوكل عليه والتفويض اليه  
 وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل الواقعة ، وقوم  
 موقوفون يحضونهم على القتال ويمرحضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل  
 الشهداء وثوابهم ، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ونعيم اهلها وسكانها ،  
 ويقولون : اذكروا الله يذكركم ، واستنصروه ينصركم ، والتجئوا اليه  
 يمنعكم . وان استطعت ان تكون انت المباشر لتعبئة جنديك ، ووضعهم  
 مواضعهم من رأيك ، ومعك رجال من ثقات فرسانك ذوو سن وتجربة  
 ونجدة على التعبئة التي امير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابك ، فافعل  
 ان شاء الله تعالى . »

« أَيَدِكَ اللهُ بِالنَّصْرِ ، وَغَلَبَ لَكَ عَلَى الْقُوَّةِ ، وَاعَانَكَ عَلَى الرَّشْدِ ،  
 وَعَصَمَكَ مِنَ الزَّيْغِ ، وَأَوْجِبَ لِمَنْ اسْتَشْهَدَ مَعَكَ ثَوَابَ الشَّهْدَاءِ وَمَنَازِلَ  
 الْأَصْفِيَاءِ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ »

## مزايا الرسالة الانشائية

## ١ - الاطناب والتبسط

خذ القطعة التي اولها « اعلم ان للحكمة مسالك نفضي<sup>(١)</sup> » وهي سبعة اسطر في اكثر من سبعين كلمة فقد تلخص بما يلي -

اعلم ان للحكمة مسالك نفضي مضايق اوائلها الى سعة عاقبتها وقد تلقنتك اخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، بل تأثلت منها اكرم نبعاتها واحرزت منفس ذخاؤها ، فاقعد ما احرزت ونافس فيما اصبت

ولا يفقد الكلام بهذا التلخيص غير نخامة الاطناب . والا فالمعاني واحدة لم تتغير تغيراً يذكر . ومن ذلك قوله ( ص ٢٠٨ ) في ثمانية اسطر تلخص بما يلي :

هذه جوامع خصال لخصها لك امير المؤمنين ، واهداهها اليك مرشداً نخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى ، ونئل انفس الحظوظ . والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الامل ، فانه الموفق للتغير ويده الملك وهو على كل شيء قدير

وفي صفحة ٢٠٩ كلام يقع في نحو ١٢ سطراً ويستطاع تلخيصه في نحو اربعة او خمسة اسطر . وقل ذلك في كثير من قطع الرسالة والتبسط على ما فيه من روعة وجلال ولا سيما في مثل هذا المقام يجب الاعتدال فيه ما امكن . واذا تساوت الاسباب فالايجاز ابلغ

(١) راجعها في صبح الاعشى ١٠ - ١٩٦

## ٢ - نوازن المجل

وهو من المزايا العامة في كلامه . فكأنه يزن عباراته وزناً تكافؤاً فيه  
كفتا الميزان . كقوله ( ص ١٩٨ )

فهي واقية لك سخطه ربك ، داعية اليك رضا العامة عنك ، ساترة عليك  
عيب من دونك .

وقوله ص ١٩٩

من ذلك ان تملك امورك بالتقصد ، وتداري جنحك بالاحسان ، وتصون  
سرك بالكتمان ، وتداوي حقك بالانصاف ، وتذلل نفسك بالعدل ، الخ

.....

وفي الصفحة نفسها نحو ١٣ سطراً فيها نحو ١٧ عبارة على اتزان واحد .  
تبدأ الاولى بقوله « واناتك فوقها الملل وفوت العمل » ثم تتلوها العبارات  
الاخري بين طويلة وقصيرة كلها تبدأ بالمفعول يتبعه الامر كقوله .  
« ومضاءتك فدرعها روية النظر ، واكنفها باناة الحلم ، وخلوتك فاحرسها  
من الغفلة واعتماد الراحة ، وصمتك فانف عنه عي اللفظ » . ويجري على هذا  
النمط فيصدر سائر العبارات بمثل هذه الالفاظ

واستماعك - وعطاءك - وحياءك - وحلمك - وعقوبتك -  
وعفوك - واستئناسك - وتعهدك - وعزماتك - الى آخر الكلام -  
وانك لتكاد تجد ذلك عاماً في اكثر رسائله

## ٣ - التراوف

وهو من قبيل الاطناب كقوله ( ص ٢٠١ )  
فاذا قدح لاح شرره ، وتلهب وميضه ، ووقد تضرمه

وقوله (ص ١٩٧)

لأنها خُدع إبليس ، وخواتل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرهما  
مجانباً ، وتوقها محتسباً منها ، واستعد بالله عزوجل شرهما .

وقوله (ص ٢٠٠)

وياك ان يغمز فيك احد من حامتك وبطانة خدمتك بضعفة يجذبها  
مساغاً الى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ، ولا تخلو من لائمه ، ولا تأمن  
سوء الأحدثه فيه ، ولا يرخص سوء القالة به ان نجم ظاهراً ، او  
علن باديا

وقوله (ص ٢٠٦)

وان تربه او احداً من اهل مجلسك ان بك حاجة اليه موحشة ، او ان  
ليس بك عنه غنى في التدبير ، او انك لا تقضي دونه رأياً

وقوله (ص ٢٠٧)

«وعليك بثبوت المنطق ، ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرفض  
لحشو الكلام . والترك لفضوله ، والاغرام بالزيادات في منطقتك ، والترديد  
للفظك ، من نحو اسمع وافهم عني . . . او ما يلهج به من هذه الفضول المقصرة  
باهل العقل ، الشائنة لذوي الحجا في المنطق ، المنسوبة اليهم بالعي » .

.....

اما ما ذكرنا له من رشاقة الالفاظ وعدم تكلف السجع والبديع  
فظاهر في كلامه لا يحتاج الى اثبات او ايضاح

## ترسل الجاحظ

### توطئة تاريخية

ابو عثمان عمر الجاحظ شخصية بارزة في تاريخ الادب العربي . والمحققون على انه عربي من كنانة ولقب بالجاحظ لان عينيه كانتا جاحظتين<sup>(١)</sup> . ولد بالبصرة سنة ١٥٠ هـ وفيها نشأ وتادّب « وقد سمع من الاصمعي وابي عبيدة واي زيد الانصاري واخذ النحو عن الاخفش ، وكان صديقه ، واخذ الكلام عن النظام وتلقّم الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد<sup>(٢)</sup> » . وبقي بالبصرة دهرًا ثم رحل الى دار الخلافة بغداد وتصدّر مجالس الادب وكان « ينقلد خلافة ابراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل<sup>(٣)</sup> » ثم عين رئيساً لذلك الديوان ولكنه لم يلبث فيه الا ثلاثة ايام ثم استعفى فأعفي<sup>(٤)</sup> . ومن شهادة معاصريه ومن جاء بعده نستدل ان الرجل كان ذا منزلة اديبة عالية . ومن هذه الشهادات ما نقل عن ابي الفرج الاصبهاني في حديث له عن عبدالله بن جعفر الوكيل قال « كنت يوماً عند ابراهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة يرزّد النظر اليها فقلت له ما شأن هذه الرقعة كأنه استعجم عليك شيء منها ؟ فقال هذه رقعة ابي عثمان الجاحظ ، وكلامه يعجبني وانا اردّده على نفسي لشدة اعجابي<sup>(٥)</sup> »

ومن ذلك ما روي من حديث ثابت بن قرّة اذ قال<sup>(٦)</sup> « ما احسد هذه

(١) وفيات الاعيان ١-٥٥٣ (٢) معجم الادباء ( باقوت ) ٦ - ٥٦

(٣) معجم الادباء ( باقوت ) ٥ - ٦٢ (٤) معجم الادباء ٦ - ٥٨

(٥) معجم الادباء ٦ - ٦٧ (٦) معجم الادباء ٦ ص ٦٩ - ٧١

الامة العربية الآ على ثلاثة انفس اولهم عمر بن الخطاب ( ويتلو ذلك وصفه )  
والثاني الحسن البصري ( ويصفه ) والثالث ابو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين  
وشيخ المتكلمين ومدرسه المتقدمين والمتأخرين . ان تكلم حكي سبحانه البلاغة  
وان ناظر ضارع النظام في الجدل . « الى ان يقول . . . » وشيخ الادب ولسان  
العرب ، كتبه رياض زاهرة ورسائله افنان مثمرة ، ما نازعه منازع الآ رثاه آفا  
ولا تعرض له معرض الآ قدم له التواضع استبقاء ، الخلفاء تعرفه ، والامراء  
تصفه وتنادمه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة تسلم له ، والعامه تحبه ، جمع بين  
اللسان والقلم والفتنة والعلم ، وبين الرأي والادب ، وبين النثر والنظم ،  
وبين الذكاء والفهم ، طال عمره ، وفشت حكمته ، وظهرت خلته ووطى  
الرجال عقبه ، وتهادوا اربه ، وافتخروا بالانتساب اليه ، ونجحوا بالاعتداء  
به ، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب .

وقال ابو الفضل ابن العميد :

« ثلاثة علوم ، الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة انفس : اما الفقه فعلى  
ابي حنيفة ، واما الكلام فعلى ابي الهذيل ، واما البلاغة والفصاحة واللسان  
والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ<sup>(١)</sup> »

وقد عرف الى كل ذلك بالظرف والمفاكحة ، واخباره في ذلك كثيرة  
تجدها مفصلة في معجم الادباء لياقوت وفي وفيات الاعيان لابن خلكان  
وطبقات الادباء للانباري وغيرها من كتب التراجم ، ونكتفي هنا بمثل منها  
ننقله من معجم الادباء عن لسان رجل اندلسي قصد بغداد طالباً لقاء الجاحظ  
قال<sup>(٢)</sup> - « خرجت لا اعرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألت عنه  
ف قيل هو بسر من رأى ( سامراً ) فاصعدت اليها ، ف قيل لي انحدر الى البصرة

(١) معجم البلدان ٦ - ٧٤ (٢) معجم البلدان ٦ - ٧٥

فانحدرت اليه وسألت عن منزله ، فأرشدت ودخلت اليه ، فاذا هو جالس  
 وحواليه عشرون صديقاً ليس فيهم ذو لحية غيره ، فدهشت فقلت أيكم ابو عثمان ؟  
 فرفع يده وحرّكها في وجهي وقال من اين ؟ قلت من الاندلس . فقال طينة  
 حمقاء . فما الاسم ؟ قلت سلام . قال اسم كلب القرّاد - ابن من ؟ قلت  
 ابن يزيد قال بحق ما صرت - ابو من ؟ قلت ابو خلف . قال كنية قرد  
 زبيدة - ما جئت تطلب ؟ قلت العلم . قال ارجع بوقت فانك لا تفلح .  
 قلت له ما انصفتني فقد اشتمتُ على خصال اربع جفاء البلدية وبعد الشقة  
 وغرّة الحدانة ودهشة الداخل . قال فترى حوالي عشرين صديقاً ليس فيهم  
 ذو لحية غيري ، ما كان يجب ان تعرفني بها ؟ . قال فاقمت عليه عشرين  
 سنة »

فالجاحظ ادب فكه ، وهو فوق ذلك معتزليّ ذو طريقة خاصة في  
 الاعتزال ، وقد طرق ابواباً شتى من العلم فالّف فيها كثيراً من الكتب  
 والرسائل حتى بلغ فهرست مؤلفاته ما يقارب المئة والستين <sup>(١)</sup> . على ان كثيراً  
 منها فصول كتبت في مواضيع خاصة وهي اشبه بما نسميه اليوم مقالات  
 او رسائل - ككتاب افتخار الشتاء والصف ، وكتاب الترييع والتدوير .  
 وكرسائله في فضائل الاتراك ، ومدح النبيذ ، وفي الكرم ، وفي القضاة  
 والولاة ، وفي العفو والصلح - الى غير ذلك مما لا نطلق عليه اليوم عادة  
 اسم الكتاب

(١) ذكر باقوت له نحواً من ١٢٠ مؤلفاً في معجم الادباء ٦ ص ٧٥ - ٧٨  
 وفي صدر كتاب الحيوان قائمة باسماء مؤلفاته . وقد عني الاستاذ حسن السندوي في كتابه  
 ادب الجاحظ بجمع له قائمة كاملة في ١٥٩ كتاباً فلتراجع



## مذهبه النظري في بلاغة الانشاء

ويظهر ذلك فيما يلي -

١ - مطابقة العبارة لمقتضى الحال . قال « ينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني ، ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات ، واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات . فان كان الخطيب متكلماً ( اي من اصحاب علم الكلام ) تجنب الفاظ المتكلمين ، كما انه ان عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً او مجيباً او سائلاً ، كان اولى الالفاظ به الفاظ المتكلمين اذ كانوا لتلك العبارات افهم ، والى تلك الالفاظ اميل ، واليها احن ، وبها اشغف <sup>(١)</sup> » .

ومن قوله في ذلك « وكلام الناس في طبقات كما ان الناس انفسهم طبقات . فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقيح والسمج والخفيف والثقيل ، وكله عربي ، وبكل قد تكلموا ، وبكل قد تمارحوا وتعايوا <sup>(٢)</sup> » . ثم يقول « وانا اقول انه ليس في الارض كلام هو امتع ولا اضع ، ولا آتق ولا الذ في الاسماع ، ولا اشد اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا افتق للسان ، ولا اجود تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء ، والعلماء البلغاء . وقد اصاب انقوم في عامة ما وصفوا ، الا اني ازعم ان سخييف الالفاظ مشا كل لسخييف المعاني ، وقد يحتاج الى السخييف

(١) البيان والتبيين (س) ١-١٢٩ (٢) البيان والتبيين (س) ١-١٣٣

في بعض المواضع ، وربما امتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم ، ومن الالفاظ الشريفة الكريمة المعاني ، كما ان النادرة الباردة جداً قد تكون اطيب من النادرة الحارة جداً ، وانما الكرب الذي يخيم على القلوب ، ويأخذ بالانفاس ، النادرة الفاترة التي لاهي حارة ولا هي باردة ، وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط . وانما الشأن في الحار جداً والبارد جداً .

### ٢ - البيان او وضوح الدلالة<sup>(١)</sup>

فما جاء له - « قال بعض جهابذة الالفاظ وتقاد المعاني : المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في اذهانهم ، والمتخاجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة اخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على اموره وعلى ما يبلغه من حاجات نفسه ، الا بغيره . وانما تحيا تلك المعاني في ذكركم لها ، واخبارهم عنها ، واستعمالهم اياها . وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم ، وتجلبها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً ، وهي التي تخلص الملتبس ، وتحل المتعقد وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوحشي مألوفاً ، والغفل موسوماً ، والموسوم معلوماً . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل ، يكون اظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة اوضح وافصح ، وكانت الاشارة ابين وانور ، كان انفع وانجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه

ويدعو اليه ، ويحث عليه . وبذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب  
ونفاضلت اصناف الاعجم .

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب  
دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائنًا ما كان  
ذلك البيان ، ومن اي جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الامر والغاية التي  
اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام : فبأي شيء بلغت الافهام  
واوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع «

### ٣ - الابهام وعدم التكلف

قال « واحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في  
ظاهر لفظه » . ثم يقول . . « فاذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا ، وكان  
صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن  
التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة <sup>(١)</sup> » .  
وله ايضا :

قال بعضهم وهو من احسن ما اجتبيناه ودوتناه : « لا يكون الكلام  
يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه  
اسبق من معناه الى قلبك <sup>(٢)</sup> »

وفي كلامه عن شبيب بن شيبه يقول « ويقال انهم لم يروا قط خطيبًا  
بلديًا ، الا وهو في اول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلًا مستصفاً ايام  
رياضته كلها ، الى ان يتوقع وتستجيب له المعاني ويتمكن من الالفاظ ، الا

(١) البيان والتبيين (س) ١- ٨٣ (٢) البيان والتبيين (المطبعة العلمية) ١- ٤٩

شبيب بن شيبه فانه ابتداءً بجلاوة ورشاقة وسهولة وعدوبة ، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصارع بكثيره<sup>(١)</sup>»

وقد انتقد قول اياس « فالزيادة من الخير خير » بقوله « وليس كما قال (اي اياس) . للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستئثار والملال ، فذاك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الاسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه<sup>(٢)</sup> »

### انشاء الجاحظ

ولا تقصد نثره المرسل في اخباره او كتبه العلمية فهو بذلك لا يخرج عن طريقة العلماء والمؤرخين العامة ، ولكننا نقصد نثره الادبي او ترسله الذي ينصرف فيه الى التعبير عن خواجج نفسه او آرائه . وقد عرف بمزايا انشائية خاصة ، وهو ولئن لم يتدعها صار علماً فيها ، وصارت تنسب اليه واهمها الافنان ، والاستطراد ، والتوازن ، وقصر العبارة

### كثرة الافئتان

وذلك ظاهر في رسائله المختلفة التي طرق فيها شتى المواضيع فتراه فيها يجمع بين الحقائق وشواذ الاعراض وغرائب الاطوار ومستملح النكات ويقرن ذلك بما لا يحصى من الاستشهادات ، مما يدل على سعة اطلاع . خذ كتابه البيان والتبيين مثلاً فتراه مجموعة من الاقوال المختلفة في البلاغة والخطابة ، وما الى ذلك من اخبار وشواهد وتراجم ونوادير يكثر فيها التناذر

(١) البيان والتبيين (س) ١ - ١٠٦ (٢) البيان والتبيين (س) ١ - ٩٦

والاستطراد، فبجنيء متداخلة كثيرة الفروع، كقوله تحت عنوان باب آخر<sup>(١)</sup> «وكانوا يمدحون شدة المعارضة وقوة المنّة وظهور الحجّة وثبات الجنان وكثرة الريق والعلوّ على الخصم، ويهجون بخلاف ذلك» ثم يأتي على ذلك بكثير من الشواهد الشعرية وفي احد هذه الشواهد يذكر لقمان بن عاد عرضاً فيتناوله بمحديث لا دخل له بالموضوع<sup>(٢)</sup>، ويستطرد منه الى كلام آخر في انجاب الامهات وبذكر حديث ابي حمزة الضبي. وكأنه يشعر بخروجه عن الموضوع فيقول معتذراً «وهذا الباب يقع في كتاب الانسان من كتاب الحيوان وفي فضل ما بين الذكر والانثى تماماً، وليس هذا الباب مما يدخل باب كتاب البيان والتبيين، ولكن قد يجري السبب فيجري معه بقدر ما يكون تنشيطاً لقارئ الكتاب، لان خروجه من الباب اذا طال لبعض العلم كان ذلك ارواح على قلبه، وازيد في نشاطه ان شاء الله<sup>(٣)</sup>»

ولو اتسع المقام لاتينا بشواهد كثيرة من البيان والتبيين وكتاب الحيوان وسواهما على خروجه من باب البحث واستطراده في شتى الابواب. وقد اتخذ الباقلاني ذلك وسيلة لنقده فقال

«قد يزعم زاعمون ان كلام الجاحظ من السميت الذي لا يؤخذ فيه والباب الذي لا يذهب عنه، وانت تجد قوماً يرون كلامه قريباً، ومنهاجه معيباً ونطاق قوله ضيقاً، حتى يستعين بكلام غيره، ويفزع الى ما يوشح به كلامه من بيت سائر، ومثل نادر، وحكمة ممهدة منقولة، وقصة عجيبة مأثورة. واما كلامه في اثناء ذلك فسطور قليلة، والفاظ يسيرة. فاذا احوج الى تطويل الكلام - خالياً عن شيء يستعين به فيخلطه بقوله من قول غيره - كان كلاماً ككلام

(١) البيان والتبيين (س) ١ - ١٥٥ (٢) البيان والتبيين (س) ١ - ١٦٢

(٣) البيان والتبيين (س) ١ - ١٦٣

غيره فان اردت ان تحقق هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن ، وفي الرد على  
النصارى ، وفي خبر الواحد وغير ذلك مما يجري هذا المجرى هل تجد في ذلك  
كلامه ورقةً تشتمل على نظم بديع او كلام مليح ؟ على ان متأخري الكتاب  
قد نازعوه في طريقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم  
من ابرّ عليه اذ باراه <sup>(١)</sup> . وفي هذا الكلام مع ميل صاحبه الى تحقير شأن  
الاسلوب الجاحظي - تعظيماً لنظم القرآن - نرى ما اشتهر به هذا الاسلوب  
من الافتنان في شتى المواضيع والاستطراد الى ذكر الملمح والنكات مما جعل  
له مقاماً خاصاً بين الكتّبة . وهذا الباقلاني نفسه في مقام آخر من كتابه  
يذكر من برع في صنعة الرسائل وتقدّم في شأوها حتى جمع فيها بين طرق  
للمقدمين وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة وانشأ لنفسه منهاجاً  
ثم يقول « فسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة طريقة السجع وتارة طريقة  
الاصل <sup>(٢)</sup> » . فهو يعترف ان الجاحظ امام طريقة ليست هي طريقة المتقدمين  
ولا طريقة السجاعين . وهذه الطريقة على ما نرى هي التي تقرن التنادر او  
الافتنان عنده بعبارة قصيرة شديدة الاتزان كثيرة الاستطراد وسنرى ذلك  
في الكلام على رسائله -

على ان هذه الطريقة كما ذكرنا آنفاً لم يبتدعها الجاحظ بل اخذ فيها اخذ  
من تقدّمه من كتاب الدولة العباسية ولا سيما سهل بن هرون . وفيه يقول  
الجاحظ « كان سهل سهلاً في نفسه ، عشيق الوجه حسن الشارة ، بعيداً من  
القدامة تقضي له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرقة الذهن قبل المخاطبة ، وبدقة  
المذهب قبل الامتحان ، وبالنبيل قبل التكشف <sup>(٣)</sup> »

(١) اعجاز القرآن ص ١١٥ (٢) اعجاز القرآن ص ٥٨

(٣) البيان والتبيين (س) ١ - ٨٧

وكان الجاحظ في أول أمره ينشئ الرسالة ويعزوها إلى سهل أو ابن المقفع واضراهما ترويحاً لها<sup>(١)</sup>. وهذا دليل على تعظيمه له وتأثره منه. وقد ذكرنا في أول هذا الفصل شيئاً من نثر سهل وتبيناً فيه توازن الجمل التي عرف بها نثر الجاحظ. وزيادة للإيضاح نضيف إلى ما ذكرنا شيئاً من كتابه إلى بني عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه في الجمل وهو كتاب طويل نقل منه ما يلي<sup>(٢)</sup>

«وعبتموني حين ختمت على سلّ عظيم ، وفيه شيء غين من فاكهة نفيسة ، ومن رطبة غريبة ، على عبد نهم ، وصبي جشع ، وأمة لكعاء ، وزوجة خرقاء . وليس من أصل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة ، أن يستوي في نفيس المأكل ، وغريب المشروب وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ، والناعم من كل فن ، واللباب من كل شكل ، التابع والمتبوع والسيد والمسود ، كما لا تستوي مواضعهم في المجلس ، ومواقع اسمائهم في العنوانات ، وما يستقبلونه من التحيات . وكيف لا وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقده انقادره ، ولا يكثر ثرن له أكثراث العارف . ومن شاء اطعم كلبه الدجاج المسمن ، وعلف حمارة السمم المقشّر . فاذا تأملت هذه العبارات وقابلتها بما سنقل لك من نثر الجاحظ رأيت الشبه العظيم في تقطيع الجمل وتوازن الفقرات واشباع المعاني

ومثلها ما وصف به بلاغة يحيى بن خالد البرمكي وجعفر بن يحيى إذ قال<sup>(٣)</sup>

«ان سجعاً عي الخطب ، ومجهرى القريض ، عيال على يحيى بن خالد بن برمك

(١) التبيين والاشراف للمعدي ٧٦ (٢) راجع العقدة (بولاق) ٣-٣٣٥ (٣) راجع مقالة سهل بن هرون للاستاذ محمد كرد علي في مجلة الجمع العلمي العربي . مج ٧ ص ١٢

وجعفر بن يحيى . ولو كان كلام يتصور درأ ، ويجعله المنطق السريّ جوهرآ  
لكان كلامهما ، والمنتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في  
بديته ، وتوقيعاته في كتبه فذمّين عيّين ، وجاهلين أميين . ولقد عمرت  
معهم ، وادركت طبقت المتكلمين في ايامهم ، وهم يرون ان البلاغة لم  
تستكمل الاّ فيهم ، ولم تكن مقصورةً الاّ عليهم ، ولا انقادت الاّ لهم وانها  
محض الانام ، ولباب الكرام وملح الايام ، عشق منظر ، وجوده مخبر ،  
وجزالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو  
فاخرت الدنيا بقليل ايامهم ، والمأثور من خصالهم كثير ايام سواهم ، من  
لدى آدم ابيهم ، الى النفخ في الصور ، وانبعث اهل القبور - حاشا انبياء  
الله المكرّمين ، واهل وحيه المرسلين - لما باهت الآبهم ، ولا عوّلت في  
الفخز الاّ عليهم . ولقد كانوا - مع تهذيب اخلاقهم ، وكريم اعراقهم ، وسعة  
آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعسول فواقهم ، وبهاء اشراقهم ، وتقاوة  
اعراضهم ، وتهذيب اغراضهم ، واكتمال خلال الخير فيهم ، الى ملء الارض  
مثلهم - في جنب محاسن المأمون كالنفثة في البحر ، والحردلة في المهمة  
«الفقر»

ولا يهمننا ما في هذا الكلام من المصانعة السياسية ولكن يهمننا ما فيه  
من المزايا الانشائية التي تبرز ايضاً في نثر الجاحظ . ولم يكن سهل السابق  
الوحيد للجاحظ في هذا الاسلوب : فقد رأينا في الكلام على الاسلوب المتوازن  
ان اكثر الكتاب ، منذ ايام عبد الحميد الى ان استقرت سيادة السجع في القرن  
الرابع وما بعده ، كانوا يسلكون هذا المسلك : على ان الجاحظ طبعه بطابع  
شخصيته الفنّانة فلا بدع ان يكون له المقام الاول فيه .



## رسائله واقواله

للجاحظ رسائل وغرر كثيرة ولا يتسع المقام للكلام على كل منها فنكتفي هنا برسالتين من رسائله الطولى ويبيع بعض منتخبات من بليغ اقواله التي توضح لنا اسلوبه وتعرفنا بشخصيته .

### رسالة الشكر<sup>(١)</sup>

قصدها مدح وزير المتوكل وشكر نعمه لديه، فصدّرها بذكر حقيقة الشكر وبيان مقاصده، وذكر له خصلاً أربع ملا بها أكثر من ثلاث صفحات وهي (١) - العلم بموقع النعمة من المنعم عليه (٢) - الحرية الباعثة على حبّ المكافأة واستحسان المجازاة (٣) الديانة بالشكر والاخلاص للنعيم في تصفية الود (٤) وصف الاحسان باللسان البين حتى يصير حديثاً مأثوراً واليك بعض ما قاله في الخصلة الرابعة فهو يجلو لك شيئاً من اسلوبه - « واذا لم يكن اللفظ راعاً، والمعنى بارعاً، وبالنوادير موشحاً، وبالملح مجلواً، لم تصغ له الاسماع، ولم تشرح له الصدور، ولم تحفظه النفوس، ولم تنطق به الافواه، ولم يخلد في الكتب، ولم يقيد بالدرس، ولم يجذل به قائل، ولم يلتذّ به سامع . ومتى لم يكن كذلك كان كلاماً ككلام اللغو، ومعاني السهو، وكالعمبر الذي لا يفهم، والمستغلق الذي لا يعلم » ويجري على هذه الطريقة من توازنٍ وقصر عبارة فيقول وليس - ابقاك الله - شيء احوج الى الحدق، ولا افقر الى الرفق

(١) راجعها في صبح الاعشى ١٤ ص ١٢٣ - ١٨٢

من الشكر النافع ، والمدح الناجع ، الذي يبقى بقاء الوشم ، ويلوح كما يلوح النجم : كما انه لا شيء احوج الى وسع الطاقة ، والى الفضل في القوة والى البسطة في العلم ، والى تمام العزم - من الصبر . وعلى ان الشكر في طبقات متفاوتة ، ومنازل متباينة ، وان جمعها اسم ، فليس يجمعها حكم ، فربما كان كلاماً تجيش به الصدور وتمجُّه الافواه ، وتجدف به الالسنه ، ويستعمل فيه الرأي المقتضب ، والخطاطر المختار ، والكلام المرتجل ، فيرمى به على عواهنه ، وتبنى مصادره على غير موارده ، لا يتعذر فيه الشاكرون لانفعا المنعمين ، كما تعذر المنعمون لانفعا الشاكرين ، وليست غاية القائل الا ان يعدَّ بليغاً مفوهاً ، او يستزيد به الى نعمه السالفة نعماً آففة ، او ليس الا ليغترَّ كريماً ، او يختدع غنياً ، لا ينفقد ساعات القول ، ولا يتعرف اقدار المستعنين ؟ وليست غايته الا الكسب والعرص ، والانفعا والترنح وعلى هذا يدور شكر المستأكلين ، واحماد المتكسبين »

ويتناول الفرق بين الشكر اللفظي الذي لا غاية لصاحبه الا ان يعدَّ بليغاً مفوهاً ، والشكر القلبي الدال على صدق الهجة وخلوص النية ، ثم يأخذ بطريقته المعهودة فيقول عن لسان حكيم بصف عمر بن الخطاب « ولكن العجب العجيب ، والنادر الغريب ، الذي تهباً في عمر بن الخطاب (رضه) واتسق له : وذلك انه غير عشر حجج يفتح الفتوح ، ويدوخ البلاد ، ويمصر الامصار ، ويدون الدواوين ، ويفرض الفروض ، ويرتب الخاصة ، ويدبر العامة ، ويجبي الفبي ، وترمي اليه الارض بافلاذ اكباده ، وانواع زخرفها ، واصناف كنوزها ، ومكنون جوهرها ، ويقتل ملوكها ، وبلي ممالكها ، ويحلُّ ويعقد ، وبولي ويعزل ، ويضع ويرفع ، وبلغت خيله افرقية ودخلت خراسان - كل ذلك بالثديير الصحيح والضبط والانتقان ، والقوة

والاشراف ، والبصر النافذ ، والعزم المتمكن « . . . الى ان يقول « ثم غير  
بعد ذلك سنه كلها على وتيرة واحدة ، وطريقة مطردة ، لا ينحرف عنها ولا  
يغيرها ، ولا يسأمها ، ولا يزول عنها : من خشونة في المأكل والملبس ،  
وغلظ المركب ، وظلف النفس عن صغيرها وكبيرها ، ودقيقها وجليلها ،  
وكل ما يفاخر الناس عليه ، لم يتغير في لقاء ولا حجاب ، ولا في معاملة ولا  
في مجالسة ، ولا في جمع ولا في منع ، ولا قبض ولا بسط ، والدنيا ينصب  
عليه صبا ، وتدفق عليه تدفقا ، والخصلة من خصاله ، والخلة من خلاله ،  
تدعو الى الرغبة ، وتفتح باب الالفه ، وتنقض المبرم ، وتفيد المروءة ،  
وتفسح المنة ، وتحل العقدة ، وتورث الاغترار بطول السلامة ، والاتكال  
على دوام الظفر ، ومواتاة الايام ، ومتابعة الزمان »

ويجري في اكثر رسالته على هذا النمط لا ينفك عنه حتى يصل الى  
المدح فيقول - « فجمعت - والحمد لله على النعمة فيك - بين التواضع  
والتجب ، وبين الانصاف وقلة التزبد ، فلا يستطيع عدو معلن ، ولا كاشح  
مسر ، ولا جاهل غبي ، ولا عالم مبرز ، يزعم انه رأى في شمائلك  
واعطافك - عند تابع النعم وتظاهر المنن - تغيراً في لقاء ولا في بشر  
عند المساءلة ، ولا في انصاف عند المعاملة ، واحتمال عند المطالعة الامر واحد  
والخلق دائم ، والبشر ظاهر ، والحجج ثاقبة ، والاعمال زاجية ، والعيون  
ناطقة بالمحبة ، والصدور مأهولة بالمودّة ، والداعي كثير ، والشاكي قليل »  
ويتخلل الرسالة اقوال لبعض مشاهير الرجال كسهل بن هرون ويحيى  
بن خالد يحيى بها استطراداً او استشهاداً وقد يكون في ذلك طول لا لزوم  
له كقوله في ختام الرسالة « قال يحيى بن خالد لجعفر بن يحيى حين تقلد الوزارة  
وتكلف النهوض بأعباء الخلافة

« اي بني ، اني احاف عليك العجز لعظيم ما تقلدت ، وجسيم ما تحملت اني لست آمن ان نُنفسَخ تحت ثقلها نَفْسَخ الجمل تحت الحمل الثقيل . قال جعفر : لكنني ارجو القوة ، واطمع ان اسنقل بهذا الثقل وانا مبتهل غير مبهور ، واجيء قبل السوابق وانا ثاني . ( اي : وانا ثاني عناني ، لاني لم اجهد فرسي ركضا ) . قال يحيى : ان لكل رجاء سببا ، فما سبب رجائك ؟ قال : شهوتي لما انا فيه ، والمشتهي للعمل لا يجد من الم الكد ما يجده العسيف الاسيف . قال يحيى : ان نهضت بثقلها فهذا ، والا فلا . وانا اسأل الله ان يصرف شهوتك الى حب ذلك ، وهواك الى الاحتفاظ بنعمتك ، بشكر المصلحين ، والتوكل على رب العالمين »

(١)

## رسالة التريبع والنور

وهي رسالة هزلية ألفها الجاحظ ساخرةً برجل اسمه احمد عبد الوهاب كان مفطر القصر جعد الاطراف قصير الاصابع طويل الظهر قصير عظم الفخذ ، وهو الى ذلك كبير السن ومربع الجسم ، تحسبه لسعة ما بين جنبيه واستفاضة خاصرته مدورا . وكان يدعي الرشاقة والسبادة والجمال واعتدال الشباب . قال الجاحظ في مقدمتها :

« و كان ادعاؤه لاصناف العلم على قدر جهله بها ، وتكلفه للابانة عنها على قدر غباوته عنها ، و كان كثير الاعتراض ، لهجاً بالراء ، شديد الخلاف كلفاً بالمجازبة ، مع اضلال الحجة والجهل بموضع الشبهة ، والخطرفة عند قصر الزاد . . . لا ينطق عن فكر ، وثيق باوّل خاطر ، لا يفصل بين اعتزام الغمر ، واستبصار الحق ، بعد اسماء الكتب ولا يفهم معانيها ، ويمسك

(١) راجع مجموعة رسائل الجاحظ ص ٨٢ وهي تقع في ٦٦ صفحة متوسطة

العلماء من غير ان يتعلق منهم بسبب ، وليس في يده من جميع الآداب الا  
الانتمال لاسم الادب . فلما طال اضطبارنا حتى بلغ المجهود منا ، وكدنا نعتاد  
مذهبه ونألف سبيله ، رأيت ان أكشف قناعه وابدي صفحته للحاضر والبادي  
وسكان كل ثغر وكل مصر ، بان اسأله عن مائة مسألة اهزأ فيها وأعرف  
الناس مقدار جهله . »

ثم يخاطبه فيقول :

« اطال الله بقاءك ، واتم نعمته عليك ، وكرامته لك ، قد علمت  
حفظك الله انك لا تحسد على شيء حسدك على حسن القامة ، وضمخ الهامة ،  
وعلى حور العين وجودة القد ، وعلى طيب الاحدوثة والصنيعة المشكورة ،  
وان هذه الامور هي خصائصك التي بها تكلف ، ومعانيك التي بها تلهج :  
وانما يحسد ابقاك الله المرء شقيقه في النسب ، وشفيعه في الصناعة ، ونظيره في  
الجوار ، على طارف قدره او تالد حظه ، او على كرم في اصل تركيبه ،  
ومجاري اعراقه . وانت تزعم ان هذه المعاني خالصة لك مقصورة عليك ،  
وانها لا تليق الا بك ولا تحسن الا فيك ، وان لك الكمل والناس البعض ،  
وان لك الصافي ولهم المشوب : هذا سوى الغريب الذي لا نعرفه ، والبديع  
الذي لا نبلغه : فما هذا الغيظ الذي انضجك ، وما هذا الحسد الذي اكمدك ،  
وما هذا الاطراق الذي قد اعتراك ، وما هذا الهم الذي قد اضناك »

ويستمر على ذلك ثم يقول له هازئاً -

« وقد علموا ابقاك الله ان لك ، مع طول الباد رآكباً ، طول الظهر  
جالسا ، ولكن بينهم فيك اذا قمت اختلاف ، وعليك لهم اذا اضطجعت  
مسائل . ومن غريب ما أعطيت ، وبديع ما أوتيت ، انا لم نر مقدوداً واسع  
الجمرة غيرك ، ولا رشيقاً مستفيض الخاصرة سواك : فانت المديد وانت

البسيط وانت الطويل وانت المنقارب ، فياشعراً جمع الاعاريض ، وبأشخصاً  
جمع الاستدارة والطول «

ويندفع بهزئه اندفاع السيل ويتنادر في ذلك ويتفنن ما شاء . ومن  
مداعبته قوله في استدارته -

« والناس وان قالوا في الحسن كانه طاقة ربحان ، و كانه خوط بان ،  
و كانه قضيب خيزران ، و كانه غصن بان ، و كانه رمح رديني ، و كانه  
صفيحة يمانية ، و كانه سيف هندواني ، و كانه جدل عنان - فقد قالوا كانه  
المشترى ، و كان وجهه دينار هرقلي ، و ما هو الا البحر ، و ما هو الا الغيث ،  
و كانه الشمس و كانه دارة قر ، و كانه الزهرة و كانه درة و كانه غمامة  
و كانه مهابة : فقد تراهم وصفوا المستدير والعريض باكثر مما وصفوا به  
القضيف والطويل «

وقال :

« وجدنا الافلاك وما فيها ، والارض وما عليها على التدوير دون التطويل  
كذلك الورق والتمر والحب والتمر «

وقال :

« والرمح وان طال فان التدوير عليه اغلب لان التدوير قائم فيه  
موصولاً ومفصلاً ، والطول لا يوجد فيه الاً موصولاً ، وكذلك الانسان  
وجميع الحيوان

ويقول في ادعائه -

واشهد بعد انك تخاشن عمرو بن بحر الجاحظ وتعاقله ، ثم تظارفه  
وتطاوله ، وتغني مع مخارق ، وننكر فضل زر زور ، وتستجهل النظام ،  
وتستبرد الاصمعي ، وتستغبي قيس بن زهير ، وتستخف الاحنف بن قيس ،

وتبارز ابا الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه، ثم تخرج من حد الغلبة الى حد المراء، ومن حد الاحياء الى حدود الموتى . هذا وليس لك مساعد، ولا معك شاهد واحد، ولا رأيت احداً يقف في الحكم عليك، او ينظر تحقيق دعواك، ولا رأيت مبصراً يخليك من التأنيب، ولا مؤنباً يخليك من الوعيد، ولا متواعداً يخليك من الايقاع، ولا موقعاً يرثي لك، ولا شافعاً يشفع فيك»

ومن قوله فيه -

«واين الحسن الخالص، والجمال الفائق، والملح المحض، والحلاوة التي لا تستحيل، والتام الذي لا يجيل، الا فيك او عندك او لك او معك، خالصة لك ومقصورة عليك، لا تليق الا بك، ولا تحسن الا فيك، فلك منه الكل وللناس البعض، ولك الصافي وللناس المشوب . هذا سوى الغريب الذي لا نعرفه، والبديع الذي لا نبلغه : لا بل ابن الحسن المصمت، والجمال المفرد والتقد العجيب، والكمال الغريب، والملح المنثور، والفضل المشهور، الا لك وفيك . وهل على ظهرها جميل حسيب او عالم اديب الا وظلمك اكبر من شخصه، وظنك اكثر من علمه، واسمك افضل من معناه، وحلمك اثبت من نجواه، وصمتك افضل من فخواه، وهل في الارض حلیم سواك، وهل اظلت الخضراء ذاهجة اصدق منك، وهل حملت النساء اجل منك، ولربما رأيت الرجل حسناً جميلاً، وحلواً مليحاً، وعتيقاً رشيقاً، ونخماً نبيلاً، ثم لا يكون موزون الاعضاء، ولا مقدود الاجزاء، وقد تكون ايضاً الاقدار متساوية، وغير متقاربة ولا متفاوتة، وقد يكون قصداً ومقداراً عدلاً، وان كانت دقائق خفية لا يراها الا الالهي، ولطائف غامضة لا يعرفها الا الذكي : فاما الوزن المحقق والتعديل المصحح، والتركيب الذي لا يفضحه

التفرس ولا يحصره التعنت، ولا يتعلم جادبه<sup>(١)</sup>، ولا بطمع في التموه ناعته  
فهو الذي خصصت به دون الانام، ودام لك على الايام

وقوله في المزاح

«واعلم جعلت فداك اني لم ارد بمزاحك الا ضحك سنك، ولا كانت  
غايبي فيك الا لانفق عندك، وقد كنت خفت الا اكون وقفت على حدّه  
واشفقت من المجاوزة لقدره. والمزاح باب ليس المخوف فيه التصير، ولا يكون  
الخطأ فيه من جهة النقصان، وهو باب متى فتحه فاتح، وطُرق له مطرق لم يملك  
من سده مثل الذي يملك من فتحه، ولا يخرج منه بقدر ما كان قدم في نفسه  
لانه باب اصل بنائه على الخطأ، ولا يخالطه من الاخلاق الا ما يخف، ومن  
شأنه التزيّد وان يكون صاحبه قليل التحفظ، ولم نر شيئاً ابعث من شيء، ولا  
اطول له صحبة، ولا اشدّ خلافاً ولا اكثر خطأً من الجدّ والمزاح والمناظرة  
والمرء»

اما السؤالات التي يطرحها عليه فتتناول كل انواع المعلومات من  
تاريخية وجغرافية وفلكية وادبية وطبيعية وعقلية وفقهية وسحرية وسواها مما  
يدل على واسع اطلاعه. وفي كلها ترى السخرية اللاذعة - واليك ما قاله له  
بعد ان غمره بسيول سؤالاته

«وقد تعجّب ناس من اطالتي، ومن كثرة مسألتي، وتعجبي من تعجبهم اشد  
والذي كان من افكارهم اعظم، ولو رغبوا في العلم رغبتى، ورأوا فيه مثل رأيي  
وكانوا قرأوا كتابي اليك في شيبتي وايام شباب رغبتى لاستقلوا من ذلك  
ما استكثروا، ولا استقصروا منه ما استطالوا: فان اذنت لي اظهرته وان تجد  
علي اعلته. وستقول ما دعاك الى التنويه بذكري، وتعريف الناس مكاني



وقد تعرف حشمتي وانقباضي، ونفردني واستيحاشي؟ . ولولا انك - جعلت فداك - مسؤول في كل زمان، والغاية في كل دهر، لما نفرَدتْك بهذا الكتاب ولما اطمعت نفسي في الجواب، ولكنك قد كنت اذنت في مثلها لهرمس ثم لافلاطون ثم لارسطاطالس، ثم اجبت معبد الجهني وغيلان الدمشقي وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وابراهيم بن سيَّار وعلي بن خالد الاسواري، فترية كَفِّك والناشئ تحت جناحك<sup>(١)</sup> احق بذلك واولى، وقد كان يجب ان تكون على ذلك احرص، وبه اعني

وقوله في الصفحات الاخيرة من الرسالة .

« وقد اختلفوا في العقل باكثر من اختلافهم في العلم، فمنعني من ذكره لك غموضه عليك واستتاره عنك، وعلت اني لا اقدر ان اصوره لك دون دهر طويل، ولا اضمك معناه دون ترتيب كثير: هذا الكتاب مرضٍ مع ما فيه من الاخلاط من اشكال وازداد، ومن الجد والهزل، ومن الحطة والاطلاق ومن الاستئناف والتقطع، ومن التحفظ والتضييع، ومن الثبوت والتهاون اذا اريد به تقريع معجب، او تكشيف موه، او امتحان مشكل، او تخجيل وقاح او قمع ممار، او مازحة ظريف، او مساءلة عالم، او مدارس حافظ، او تنبيهاً على الطريق، او تجديداً للذهن . والعقل حفظك الله اطول رقدة من العين، واحوج الى الشخذ من السيف، وافقر الى التعهد واسرع الى التغير، وداؤه اقل واطباؤه اقل وعلاجه اعضل: فمن تداركه قبل التفاقم ادرك اكثر حاجته، ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئاً من حاجته . ومن اكثر اسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب، ثم في الخواطر الغث والسمين والفاسد والصحيح، والمسرع اليك، والبطيء عنك والدقيق الذي لا يكاد يفهم، والجليل الذي

(١) اي الجاحظ نفسه

لا يلقى الفهم . والمطالب طرق ، ولدرك الحقائق ابواب ، فمن اخطأ فانظر  
 كان أسوأ حالاً ممن لم يخطئها ولم ينتظر . وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر ،  
 وعلى قدر التفرغ تكون البيئته  
 والكيس كل الكيس ، والحذق كل الحذق ان لا تعجل ولا تبطئ  
 وان تعلم ان السرعة غير العجلة ، وان تعلم ان الاناة خلاف الابطاء ، وان تكون  
 على يقين من درك الحق اذا وفيته بشرطه ، وعلى ثقة من ثواب النظر اذا  
 اعطيته حقه

هذه جملة العذر في هذه الرسالة ، وجملة الحجة فيما قد منا من الافتنان  
 والاطالة : فان كنا اصبنا فالصواب اردنا ، والى غايته اجرينا ، وان كنا  
 قد اخطأنا فما ذلك عن فساد من الضمير ، ولا عن قلة احتفال بالتقصير : ولعل  
 طبيعة خانت ، او لعل علة حدثت ، او لعل سهواً اعترض ، او لعل  
 شغلاً منع

## لمع من غرر اقواله

في الالفاظ والمعاني<sup>(١)</sup>

« ومتى شا كل ابقاك الله ذلك اللفظ معناه ، واعرب عن فواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك القدر لققا ، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع و بانتفاع المستمع ، واجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحجي عرضه من اعتراض العيائين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة .

ومتى كان اللفظ ايضاً كريماً في نفسه متخييراً في جنسه ، وكان سليماً من الفضول ، بريئاً من التعقيد ، حبيب الى النفوس ، واتصل بالاذهان والتحم بالعقول ، وهشتت اليه الاسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفت على السن الزواة ، وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للتعلم الربيض

فان اراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصالحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يخصص وينصح ولا يغش ، وكان مشغوقاً باهل الجماعة ، شينفاً<sup>(٢)</sup> لاهل الاختلاف والفرقة ، جمعت له الحظوظ من اقطارها ، وسيقت اليه القلوب بازمتها ، وجمعت النفوس المختلفة الالهواء على محبته ، وجلبت على تصويب ارادته ، ومن اعاره الله من معرفته نصيباً ، وافرغ عليه من محبته ذنوباً<sup>(٣)</sup> حنت اليه المعاني . وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد اغنى المستمع من كد التكلف ، وراح قارئ الكتاب من علاج التفهم .

(١) البيان والتبيين (س) ٢-٦ (٢) الشنف المبغض المتكره

(٣) الذنوب الدلو الملائى

ولم اجد في خُطب السلف الطيّب ، والاعراب الاتحاح الفاظاً مسخوطة  
ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً ردياً، ولا قولاً مستكرهاً . واكثر ما نجد ذلك  
في خطب المولدين البلديين ، المتكلفين ومن اهل الصنعة المتأدين . وسواء  
كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، او كان من نتاج التخيّر  
والنفكر»

(١)  
الخطابة عند العرب

« وكل شيء للعرب فهو بديهية وارتجال و كأنه الهام ، وليست هناك  
معاونة ولا مكابدة، ولا اجالة ففكرة ولا استعانة ، وانما هو ان يصرف وهمه  
الى الكلام والى رجز يوم الخصام ، او حين يمتح على رأس بئر ، او يحدو ببعير  
او عند المقارعة والمناقلة، او عند صراع او في حرب ، فما هو الا ان يصرف  
وهمه الى جملة المذهب ، والى العمود الذي اليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا  
وتثال عليه الالفاظ اثيالاً، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه احد من ولده .  
وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يشكفون ، وكان الكلام الجيد  
عندهم اظهر واكثر، وهم عليه اقدر واقهر، وكل واحد في نفسه انطق، ومكانه  
من البيان ارفع ، وخطباؤهم اوجز، والكلام عليهم اسهل ، وهو عليهم  
ايسر من ان يفتقروا الى تحفظ ، او يحتاجوا الى تدارس ، وليس هم من  
حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا الا ما علق في  
قلوبهم واتعم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ  
ولا طلب»

## (١) وصف قريش

«قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتديبرها ، وكيف ايجازها وتحسيرها ، وكيف رجاحة احلامها اذا خف الخليم ، وحادّة اذهانها اذا كلّ الحديد ، وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللاأواء ، وكيف وفاؤها اذا استحسن الغدر ، وكيف جودها اذا حبّ المال ، وكيف ذكرها لاحاديث غد ، وقلة صدودها عن جهة القصد ، وكيف اقرارها بالحق ، وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ، ودعاؤها اليه ، وكيف سماحة اخلاقها ، وصونها لاعراقها ، وكيف وصلوا قديمهم بمحدثهم ، وطريفهم بثليدهم ، وكيف اشبه علانيتهم سرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر احدهم ، الا على قدر بعد غوره ؟ وهل غفلته الا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه الا كيقين غيره ؟»

ومنها :

«بل قد علم الناس كيف جمالها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف سرورها ونجابتها ، وكيف بيانها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبدايتها فالعرب كالبدن وقريش روحها ، وقريش روح وبنو هاشم سرّها ولبّها ، وموضع غاية الدين والدنيا منها ، وهاشم ملح الارض وزينة الدنيا ، وحي العالم ، والسنام الاضخم ، والكاهل الاعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم ، وشمّالان<sup>(٢)</sup> ذو الهضاب في الحلم ، والسيف الحسام في العزم مع الاناة والحزم ، والصفح بعد المقدرة ، وهم الانف المقدم

والسنام الاكرم ، وكالماء الذي لا ينجسه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالنجم للخيران ، والبارد للظمان ، وكالذهب الذي لا يعرف بالنقصان « ٠٠٠٠ وبعد ان يعدد جماعة من اهل المآتي الشهيرة فيهم يقول -

« والانصار انصارهم ، والمهاجر من هاجر اليهم او معهم ، والصديق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحواري حواريهم ، وذو الشهاداتين لانه شهد لهم ، ولا خير الا لهم او فيهم او معهم ، او يضاف اليهم . وكيف لا يكون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ، وإمام الاولين والآخرين ، ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذي لم يتم لني نبوة الا بعد التصديق به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عم برسالته ما بين الحافقين ، واظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون »

### (١) وصف الكتاب

« الكتاب نعم الذخر والعقدة ، والجلس والعمدة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة . . . والكتاب وعاء مليء علما ، وظرف حشي ظرفا ، واناة شجن مزاحا . ان شئت كان اعبي من باقل ، وان شئت كان ابلغ من سبحان وائل ، وان شئت سرتك نوادره ، وشجتك مواعظه ، ومن لك بواعظ مله ، وبناسك فاتفك ، وناطق اخرس ، ومن لك بشيء يجمع الاول والآخر والناقص والوافر ، والشاهد والغائب ، والرفيع والوضيع ، والغث والسمين ؟ . وبعد فما رايت بستانا يحمل في رُدن ، وروضة تنقل في حجر ،

ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء : ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك  
ولا ينطق الا بما تهوى ، آمن من الارض ، واكتم للسر من صاحب السر  
واحفظ للوديعه من ارباب الوديعه ؟

ولا اعلم جاراً آمن ، ولا خليطاً انصف ، ولا رفيقاً اطوع ، ولا معلماً  
اخضع ، ولا صاحباً اظهر كفاية وعناية ، ولا اقل املاً ولا ابراماً ولا ابعده  
من مرء ، ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال ، من  
كتاب : ولا اعمّ بياناً ولا احسن مؤاتاة ولا اعجل مكافاة ، ولا شجرة اطول  
عمرأ ولا اطيب ثمراً ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكاً ولا اوجد في كل  
إبان ، من كتاب : ولا اعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه  
وامكان وجوده ، يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول  
الصحيحة ومحمود الازهار اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة  
والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال  
السائرة والامم البائدة ما يجمعه كتاب

والكتاب هو المجلس الذي لا يطربك ، والصديق الذي لا يقيلك ،  
والرفيق الذي لا يملك ، والمستمع الذي لا يستزبدك والجار الذي لا  
يستبطنك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك  
بالمكر ، ولا يخدعك بالنفاق «

## نماذج من الاسلوب المتوازن

بعد عصر الجاهظ

تقدّم معنا ان الجاهظ كان امام هذا الاسلوب وان لم يكن السابق الى ابتداعه . ونضيف الي ذلك انه لم يكن آخر من استعملوه في ترسلهم . فقد جرى مجراه فيه جماعة من كتاب العصر العباسي نذكر منهم محمد بن يحيى الصولي ( المتوفى ٣٣٥ هـ ) صاحب كتاب ادب الكتاب فهو اذا ترك العنان لنفسه في الترسل جرى ترسله في هذا الاسلوب كقوله<sup>(١)</sup>

« وليس هذا الكتاب والفوائد فيه معمولاً لتابع غير متبوع ، ولا خامل دون نبيه ، ولا محروم دون محظوظ ، ولا ينبغي لمن رفعته حال ، وساعده جد ، وهو يؤنس من نفسه تقصيراً في الادب ، وتخلّفاً عن صناعة الكتابة ، ان يغترّ بحظه ، واقبال الايام عليه في وقت ، فانها دول متقلّبة ، واحوال متصرّفة . ولينلاف ما ضيع ، ويستدرك ما فرط ، ولا يتكل على كفاءته ، مشغلاً بلذاته ، ومريحاً قلبه وجسمه ، مستعيراً<sup>(٢)</sup> في كل وقت عليهم ، ومتكلاً على كفاءتهم ، بنام ويسهرهم ، ويفرغ ويشغلهم : فان هذا الفعل انما يحسن بالروءاء اذا اشرفوا على العلم ، واستقلوا بالصناعة ، وعرفوا ما يحتاجون اليه من امر الكتبة وحفظوه . »

« وقد قال بعض الحكماء : كل شيء يمكن ان يستعار الا اللسان »

(١) ادب الكتاب ٢٥ (٢) كذا في الاصل ولعلها مستعزاً



وقال -

« من خدم السلطان بلا علم واستقلال ، وتجربة وكمال ، كان بمنزلة راكب فيل صعب ، وسابح في بحر قد جفَّ : ومع ذلك فإن الأتباع إذا احسوا من الرؤساء بتفويض اليهم ، على قلة علم منهم ، واضطرار الى كفاءتهم ، ولم يحس الأتباع منهم حسن مجازاة على جميل افادتهم ، وسوء مكافاة على قبيح افعالهم ، حتى يستوي عندهم محسنهم ومسيئهم ، وخائئهم وامينهم ، وكافئهم وعاجزهم ، انتقل الامين عن مرّ الوفاء الى حلاوة الخيانة ، وازداد الخائن بصيرة فأثر الاضرار ، وقصر الكافي عن اتعاب النفس وكدة الانتصاح ، فقد يرى الامين صنيعه فيخون ، ويرى الخائن جرماً فيعف ، فيضطرب عند ذلك الجبل ، وينشر الامر ، وتنعكس مساوى قوم محاسن آخرين »

ومنهم علي بن عبد العزيز الجرماني المتوفى ٣٩٢ هـ . ففي كتابه « الوساطة بين المتبني وخصومه » ينزع هذا المنزع واليك امثلة منه - قال في كلامه على رشاقة الالفاظ في الشعر المحدث<sup>(١)</sup> -

« ومتى سمعتني اختار للمحدث هذا الاختيار ، وابعثه على التطبّع ، واحسن له التسهيل ، فلا تظنّ اني اريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث الموءّث ، بل اريد النمط الاوسط ، ما ارفع عن الساقط السوقي وانحط عن البدوي الوحشي ، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه ، ولم يبلغ نجرف هيمان<sup>(٢)</sup> بن خفاقة واضرابه : نعم ولا آمرک باجراء انواع الشعر كله مجرى واحداً ، ولا ان تذهب بجميعه مذهب بضه ، بل ارى لك ان تقسم الالفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك

(١) الوماطة ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ (٢) نصر وهيمان كاتبان

كوعيدك، ولا هجاءك كاستبائك، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك  
 مثل نصريحك، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف اذا تغزلت،  
 ونفخيم اذا افتخرت، وتصرّف للمديح تصرّف مواقعه: فان المدح بالشجاعة  
 والبأس يشمى عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس  
 كوصف المجلس والمدام: فلكل واحد من الامرين نهج هو املك به وطريق  
 لا يشاركه الاخر فيه

وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصود على الشعر دون الكتابة،  
 ولا بمختص بالنظم دون النثر، بل يجب ان يكون كتابك في الفتح او  
 الوعيد، خلاف كتابك في التشويق والتهنئة واقتضاء المواصلة، وخطابك اذا  
 حذرت وزجرت، انغم منه اذا وعدت ومنيت، فاما الهجوم فابلغه ما جرى  
 مجرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه  
 وسهل حفظه، واسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس. فاما القذف والافحاش  
 فاسباب محض وليس للشاعر فيه الا اقامة الوزن، وتصحيح النظم. واذا اردت  
 ان تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب وعظم غنائه في تجسين الشعر،  
 فتصفح شعر جرير وذو الرمة في القدماء والبحتري في المتأخرين، وتابع نسيب  
 ميثمي العرب، ومنغزلي اهل الحجاز كعمر وكثير وجميل ونصيب  
 واضرابهم، وقسمهم بين هو اجود منهم شعراً وافصح لفظاً وسبكاً ثم  
 انظر واحكم وانصف

وملاك الامر، في هذا الباب خاصة، ترك التكلف ورفض العمل  
 والاسترسال للطبع وتجنب الحمل عليه والعنف به. ولست اعني بهذا كل  
 طبع، بل المهذب الذي قد صقله الادب، وشحذته الرواية، وجلتة الفطنة  
 وألهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور امثلة الحسن والقبح

وقال في اختياره لغرر المتنبي<sup>(١)</sup>

«قد وفينا لك بما اقتضاه شرط الضمان ، وزدنا وبرأنا اليك مما يوجهه عقد الكفالة ، وافضلنا ولم تكن بغيثنا استيفاء الاختيار ، واستقصاء الانتقاد فيقال هلاً ذكرت هذا فهو خير مما ذكرت ، وكيف اغفلت ذلك وهو مقدم على ما اثبت ، وانما دعوناك الى المقاصدة ، وسمناك في ابتداء خطابك الحاجة والمحاجة ، فلزمننا طريقة العدل فيها ، والنقطننا من عروض الديوان اياتاً لم نذهب ان شاء الله في اكثرها عن جهة الاصابة ، فان وقع في خلالها البيت والبيتان ، فلأن الكلام معقود به المعنى لا يتم بدونه ، وما يتقدمه وما يليه مفترق اليه ، او لغرض لا تعظم الفائدة بذكره ، ويضيق هذا القدر من الخطاب عن استقصاء شرحه ، او لسهو عارض التمييز ، وغفلة لا بست الاختيار وقد جعلنا لك ان تحذف منه ما احببت ، وابجنا لك ان تسقط ما اردت ، فان الذي يفضل نقدك منه ، ووافقنا رأيك عليه ، ينجز وعدك ، ويبلغ غايتك وبقي ما وقعت الموافقة عليه بيننا وبينك ، ثم طالع بقية شعره وتصفح فضالة ديوانه ، لتعلم اننا لم نقصد استيعاب عيوبه ، واخذ صفوته ولبابه ، ولعلك اذا رأيت هذا الجد في السعي ، والعنف في القول ، نقول انما وقفت موقف الحاكم المسدد ، وقد صرت خصماً مجادلاً ، وشرعت شروع القاضي المتوسط ثم اراك حرباً منازعاً ، فان خطر ذلك ببالك ، وحدتتك به نفسك فاشعرها الثقة بصدقي ، وقرّر عندها انصافي وعدلي ، واعلم اني رسول مبلغ وسامع مؤدب ، واني كما اناظرك اناظر عنك ، وكما اخاصمك اخاصم لك ، فان رأيتني جاوزت لك موضع حجة ، فردني اليها ، ونهني عليها ، فما ابرئ نفسي من الغفلة ، ولا ادعي السلامة من الخطأ»

وفي ذكره ما انكروه من شعر المتنبي يقول<sup>(١)</sup>

فقال الخصم قد خلط هذا الرجل في احتجابه ، وجمع بين امور مختلفة  
 ودلنا على بعده عن تحصيل المعاني ، وذهابه عن مقابيس النحو ، واجرى كلامه  
 الى غاية توجب قلب اللغة ، ونقض مباني العربية ، لانه جعل الشعراء بزعمه  
 امراء الكلام ، وابع لهم التصرف على غير ضرورة . وهذه القضية ان سبقت  
 على اطراد قياسها ، زال نظام الاعراب ، وجاز للشاعر ان يقول ما شاء ، وان  
 يتناول ما اراد عن قرب ، فيثقل كل مخفف ، ويخفف كل مثقل ، ويحذف  
 ويزيد ، ويغير الجموع ، ويتحكم في التصريف ، ويتعدى كل ذلك الى  
 حركات الاعراب ، ويتجاوزها الى ترتيب الحروف . فاذا كان هذا ممتنعاً  
 محظوراً ، ومتعذراً مجبوراً ، فلا بد من حد يقف عنده الشاعر ، وينتهي اليه  
 الفرق بين النظم والنثر ، فيزول هذا الاساس الذي مهده ، والاصل الذي  
 قرره ، ويرجع الى ما قالت العلماء فيه ، وما اجيز للمضطر من التسهيل ، وفضل  
 به النظم من التسامح : وهو ابواب معروفة ، ووجوده محصور اكثرها ،  
 ومعظم ما يوجد فيها رد الكلمة الى اصلها ، والى ما اوجب التيسر الاعم لها  
 مثل صرف ما لا ينصرف ، ومثل قصر ما يمد ، ومثل اظهار التضعيف ،  
 ونحو هذا وشبهه . وقد يجيء عن العرب شواذ لا تجعل اصولاً ، ولا يلزم لها  
 قياس ، لان ذلك لو ساغ واستمر لانقلبت اللغة ، وانقضت الحقائق : وهم  
 الى الحذف فيه اميل ، وبالتخفيف اولع «

والكتاب معظمه من هذا الاسلوب -

وعلى هذا النمط يجري معاصره أبو هلال العسكري المتوفى ٣٩٥ هـ .  
فالتوازن بارز في كتابه «الصناعتين» ولا سيما اذا تبسط مترسلاً كقوله -  
يصف الكلام الجيد<sup>(١)</sup>

فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة ، والسهولة والرصانة ، مع  
السلاسة والنضاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف  
التأليف ، وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب ، قبله ولم يرده ،  
وعلى السمع المصيب ، استوعبه ولم يمجّه . والنفس تقبل اللطيف ، وتنبو عن  
الغليظ ، وتقلق من الجاسي البشع ، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن  
الى ما يوافقها ، وتنفر عما يصاده ويخالفه . والعين تألف الحسن ، وتقذى  
بالقيح ، والانف يرتاح للطيب ، وينفر للنتن ، والشم يتلذذ بالحلو ، ويمج  
المر ، والسمع يتشوق للصواب الرائع ، وينزوي عن الجهير الهائل ، واليد  
تنعم باللين ، وتنادى بالحسن ، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن  
الى المألوف ، ويصغي الى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم  
ويتأخر عن الجافي الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب ، الا الفهم المضطرب  
والرؤية الفاسدة»

ففي هذا الوصف تجد تعادل الفقرات والاطناب على اتمهما . وكل  
الترسل في الصناعتين على هذا النمط ، بل كل قول للكاتب غير منقول عن  
سواه لا نستثني من ذلك تعريفه للاشياء كقوله في التوشيح<sup>(٢)</sup> -

«وهو ان يكون مبتدأ الكلام ببنى عن مقطعه ، واوله يخبر بآخره ،  
وصدره يشهد لعجزه . . . وخير الشعر ما تسابق صدوره واعجازه ، ومعانيه  
والفاظله ، فتراه سلساً في النظام ، جارياً على اللسان ، لا يتنافى ولا يتنافر ،

كأنه سبيكة مفرغة ، ووشي منمنم ، او عقد منظم ، من جوهر متشاكل ،  
 متمكن القوافي غير قلقة ، وثابتة غير حرجة ، الفاظه متطابقة ، وقوافيه  
 متوافقة ، ومعانيه متعادلة : كل شيء منه موضوع في موضعه ، وواقع في  
 موقعه . فاذا نُقض بناؤه ، وحلَّ نظامه ، وجعل نثرًا ، لم يذهب حسنه ،  
 ولم تبطل جودته في معناه ولفظه ، فيصلح نقضه لبناء مستأنف ، وجوهره  
 لنظام مستقبل «

ومن اقواله التي تدل على اسلوبه الانشائي ما كتبه في فصل الى بعض  
 اهل الادب قال <sup>(١)</sup> —

« قُرْبِكَ أَحَبُّ إِلَى الْحَيَاةِ فِي ظِلِّ الْيَسْرِ وَالسَّعَةِ ، وَمِنْ طَوْلِ الْبَقَاءِ  
 فِي كِنْفِ الْخَفْضِ وَالذَّعَةِ ، وَمِنْ أَقْبَالِ الْخَيْبِ مَعَ ادْبَارِ الرَّقِيبِ ، وَمِنْ  
 شَمُولِ الْخُصْبِ بَعْدَ عُمُومِ الْجَدْبِ ، وَأَقْرُّ لِعَيْنِي مِنَ الظُّفْرِ بِالْبَغِيَةِ بَعْدَ  
 إِشْرَافِي عَلَى الْخَيْبَةِ ، وَأَنْسَرُّ لِنَفْسِي مِنَ الْأَمْنِ بَعْدَ الْخَوْفِ ، وَالْإِنْصَافِ بَعْدَ  
 الْحَيْفِ ، وَاسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَطِيلَ بَقَائِكَ ، وَيُدِيمَ نِعْمَتَكَ ، وَيَرْزُقَنِي عَدْلَكَ  
 وَوَفَاءَكَ ، وَيَكْفِينِي نَبْوَتَكَ وَجَفَاءَكَ »

.....

ومما رواه لغيره كتاب لبعضهم يصف رجلاً قال <sup>(٢)</sup>

« اما بعد فانك قد كتبت تسأل عن فلان كأنك قد هممت بالقدوم  
 عليه ، او حدثت نفسك بالوفود اليه ، فلا تفعل . فان حسن الظن به لا ينفع  
 الا بخذلان الله تعالى ، وان الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء  
 التوكل على الله تعالى ، والرجاء لما في يديه لا ينبغي الا بعد اليأس من  
 رحمة الله تعالى : لا يرى الا ان الإقتار الذي نهى الله عنه هو التبذير

الذي يعاقب عليه ، والاقتصاد الذي امر به هو الاسراف الذي يغضب منه وان الصنعة مرفوعة ، والصلة موضوعة ، والهمة مكروهة ، والثقة منسوخة والتوسع ضلالة ، والجود فسوق ، والسخاء من همزات الشياطين ، وان مؤساة الرجل اخاه من الذنوب الموبقة ، وإفضاله عليه احدى الكبائر المرهقة ، وان الله تعالى لا يغفر ان يوثر المرء على نفسه<sup>(١)</sup> ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن آثر على نفسه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيئاً ، كأنه لم يسمع بالمعروف ، الا في الجاهلية الذين قطع الله دابرهم ، ومحا معالمهم ، ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم ، وحظر عليهم ان يختاروا مثل اختيارهم . يظن ان الرجفة لم تأخذ اهل مدّين الاسخاء كان فيهم ، ولم تهلك عاداً بالريح العقيم الا لتوسع كان فيهم ، فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الامسك ، ويعذر نفسه في العقوق ، ويلوي ماله عن الحقوق ، خيفة ان ينزل به قوارع العالمين<sup>(٢)</sup> ، ويأمرها بالبخل خشية ان يصيبه ما اصاب القرون الاولى ، فأقم رحمك الله من مكانك ، واصطبر على عسرتك ، عسى الله ان يبدلنا ويايك خيراً منه زكاة ، واقرب رجماً

.....

ومن هذه الطبقة ابو حبان التوميري ( توفي في مستهل القرن الخامس )  
 - وهو من كبار الادباء ، وقد اصاب الاستاذ السندوبي اذ قال فيه<sup>(٣)</sup> -  
 « وكان من خصائصه احتذاء الجاحظ في التفنن في كل شيء مطبوعاً  
 على ذلك الى الحد الاقصى . غير انه أولع بوضع الاحاديث والاسماء ووقائع  
 التاريخ في الصورة الروائية ، فلا يكتفي بايراد الحادث على ما عرف وتناقله

(١) اي يوثر احداً على نفسه (٢) القوارع جمع قارعة وذلك الامر العظيم  
 ينزل بالانسان فيهلك (٣) كتاب المقابسات ١٧

الرواة ، بل يعرض له ويرسل صيباً مدراراً من فائض بلاغته ، وزاخر  
 بيانه ، فاذا هو قصة ذات وقائع وأشخاص وابطال ، تروع اذا مثلت ،  
 وتروق اذا قرئت ، وتملك المشاعر والقلوب اذا استمعت . ومع ما يدخله  
 عليها من أصباغ ، وما يظلمها به من الوان ، فهو لا يعدو في النتيجة ان يمثل  
 الحقيقة في اصدق مظاهرها . فهو الكاتب القصصي الماهر الذي اهدته الينا  
 الأعصار الاول . وله طبع دافق ، وفكر سابق ، وعقل فياض بالحكمة  
 وفصل الخطاب . ومن اخصّ مزاياه انه يمزج الادب بالحكمة ، والتصوف  
 بالفلسفة . ويولد من بين هذا المزيج مذهباً خاصاً له لم يسبق اليه .

وفي كتاب النثر الفني للاستاذ مبارك بحث ضاف في نفسية التوحيدي  
 وادبه . ويصف اسلوبه عرضاً فيذكر من صفاته الازدواج على طريقة الجاحظ  
 والاستطراد الممتع كما تراه في كتاب الصداقة والصدق<sup>(١)</sup>

فالرجل كان يجري على طريقة الجاحظ ومن ادلة ذلك رسالته الى ابي  
 الفتح ابن العميد ومنها<sup>(٢)</sup> - « اقول وخير القول ما عقد بالصواب ، وخير  
 الصواب ما تضمن الصدق ، وخير الصدق ما جلب النفع ، وخير النفع  
 ما تعلق بالمزيد ، وخير المزيد ما بدا عن الشكر ، وخير الشكر ما بدا عن  
 اخلاص ، وخير الاخلاص ما نشأ عن انفاق ، وخير الانفاق ما صدر عن  
 توفيق -

« لما رأيت شبابي هرماً بالفقر ، وفقري غنيً بالقناعة ، وقناعتي عجزاً عند  
 اهل التحصيل ، عدلتُ الى الزمان اطلب اليه مكاني فيه ، وموضعي منه ،  
 فرأيت طرفه نايماً ، وعنانه عن رضاي مثنياً ، وجنانه في مرادي خشناً ،  
 وارنفاقي في اسبابه سبياً ، والشامت بي على الحدثان متادياً ، طمعت في

(١) النثر الفني ١ - ١٣٨ و ١٣٥ (٢) كتاب المقابسات ١٠٥



السكوت تجلدا ، وانحلت القناعة رياضة ، وتألفت شاردا حرصي متوقفا ، وطويت منشور آمالى متنزها ، وجمعت رجائي ساليا ، وادّرت الصبر مستمرا ، ولبست العفاف ضنا ، واتخذت الانقباض صناعة ، وكنت بالعلاء مجتهدا . هذا بعد ان تصفحت الناس فوجدتهم احد رجلين : رجلا ان نطق نطق عن غيظٍ ودمنة ، وان سكت سكت عن ضغن وإحنة ، ورجلا ان بذل كدرا بامتثانه بذله ، وان منع حسن باحتياله بخله ، فلم يطل دهري في اثنائه متبرحا بطول الغربة ، وشظف العيش ، وكلب الزمان ، وعجف المال ، وجفاء الاهل ، وسوء الحال ، وعادية العدو ، وكسوف البال ، متمرقا من الحنق على لثيم لا اجد مصرفا عنه ، منقطعاً من الشوق الى كريم لا اجد سبيلا اليه ، حتى لاحت غرة الاستاذ فقلت « -

ويأخذ هنا بوصف ابي الفتح والاسهاب بذكر محامده والتفنن في التزلف اليه فيمزج بين السجع والازدواج ويلقى من صنوف العبارات ما لا يتسع له هذا المقام

ويلتزم التوحيدى هذا الاسلوب المزدوج في اكثر كتاباته القصصية والفلسفية والوصفية كقوله في الناموس الالهى ووضعه بين الخلق<sup>(١)</sup> - قال « لا بد في وضع الناموس الالهى الذي يتوجه به افاضة الخير ، وترتيب السياسة وما يورث سكون البال ، ويحسم مواد الشر ، وبوطد دعائم السنن ويبعث على تشریف النفوس وتزيين الاخلاق ، ويقرب الطريق الى السعادة المطلوبة ، ويواصل اسباب الحكمة ، ويشوق الارواح الى طلب الحق ، واثار العقد ، ويقدم دواعي العدل والنصفة والرحمة والمكرمة ، من الاخبار التي تنقسم بين ما هو صدق محض ، وبين ما هو صدق ممزوج ، وتكون

الالفاظ التي تدور بها ، واللغات التي ترجع اليها ، كثيرة الوجود ، سمجة عند التأويل . وانما وجب ذلك لان الناس في اصل جبلتهم ، وبدء خلقهم واول سنخهم ، قد افترقوا مجتمعين ، واجتمعوا مفترقين ، واختلفوا مؤتلفين واختلفوا مختلفين ، وأحاسيسهم متوقدة ، وظنونهم جوالة ، وعقولهم متفاوتة واذهانهم عاملة ، وآراؤهم سائجة ، وكل منهم منفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ونظر وفكر ، واصل وفرع واختبار ، والف وحادثة ، وضراوة ونفرة واستحسان واستقباح ، وتوق ووقفه ، واقدام وجسارة ، واعتراف وشهادة وبهت ومكابرة»

وعلى هذا النسق من الاستطراد والازدواج تجد القصص والاسمار التي وضعها على لسان غيره ، كحديث ابي بكر وعلي وقد مر ذكره ، وحديث الهندسة والزندقة ، والمنطق اليوناني والنحو العربي وما الى ذلك من طرائف الاخبار

.....

والذي يظهر مما ذكرناه من الامثلة ان السجع على تعاضم شأنه وسيادته في القرن الرابع الهجري لم يقض على الازدواج غير المسجع (الاسلوب المتوازن) ، بل تجارياً معاً في حلقات الادب حتى الى ما بعد ذلك القرن . فهذا الثعالبي (المتوفى ٤٢٥) تجده في كتابه بئمة الدهر<sup>(١)</sup> على ميله الى التأنيق السجعي لا يتقيد به دائماً بل يعتمد احياناً الاسلوب الآخر كاقواله التالية

(١) هو كتاب تراجم لمشاهير اهل عصره ومن تقدمهم قليلاً ويقع في اربعة اجزاء

وبعد من كتب الادب النفيسة والمراجع الثمينة

في أبي فراس<sup>(١)</sup>

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، ادباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً  
وبلاغة ، وبراعة وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ،  
والسهولة والجزالة ، والعدوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع  
وسمة الظرف ، وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبدالله  
بن المعتز : وابو فراس يعد اشعر منه عند اهل الصنعة ونقده الكلام «

في ابن لسلك ابي الحسن البصري<sup>(٢)</sup>

فرد البصرة ، وصدر ادبائها ، وبدر ظرفائها ، في زمانه ، والمرجوع  
اليه في لطائف الادب وظرائفه طول ايامه ، وكانت حرفة الادب تمسه  
وتجشمه ، ومحنة الفضل تدركه فتحده ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه .  
وانفق في ايامه هبوب الريح للتنبي وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار  
ابي ريش الياهي ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظ  
دونه ، وسعادتهما من الادب بما شقي به . وحصل ابو الحسن على ثلبيهما ،  
والتشفي بذيئهما . واكثر شعره ملح وظرف ، وخفيفة الارواح . تأخذ من  
القلوب بجماعها ، وتقع من النفوس احسن مواقعها ، وجلها في شكوى  
الزمان واهله ، وهجاء شعراء اهل عصره «

في ابي القاسم الاصبهاني<sup>(٣)</sup> :

« شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فيه ، مرغوب في ديباجة كلامه ،  
متنافس في سحر شعره ، ولم يقع الي ديوانه بعد ، وانما حصلت من افواه  
الرواة على قطرة من سبج غرره ، وغيض من فيض ملحه «

(١) اليتيمة ١ - ٢٢ (٢) اليتيمة ٢ - ١١٦ (٣) اليتيمة ٣ - ١٤٦

في أبي بكر التوامزي<sup>(١)</sup> :

« باقعة الدهر ، وبحر الادب ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف  
 وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة ، والبلاغة المفيدة ، ويحاضر باخبار العرب  
 وايامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة  
 ويأتي بكل فقرة ودرّة ، ويبلغ في محاسن الادب كل مبلغ ، ويغلب على  
 كل محسن ، بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارته ، ونعمة نعمته ، وبراعة  
 جدّه ، وحلاوة هزله »

في بديع الزمان الهذلي<sup>(٢)</sup> :

يترجم له في نحو ثلاث صفحات يجمع فيها بين نوعي الازدواج المسجع  
 وغير المسجع جمعاً يدل على ما اشرنا اليه من ان الاسلوب الاخير بقي يجاري  
 الاول الى اوائل القرن الخامس . قال :

« هو احمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همدان ، ونادرة الفلك  
 وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء  
 القريحة وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم  
 يدرك قربنه في ظرف النثر وملحه ، وغرر النظم ونكته ، ولم يرو ولم يرو  
 ان احداً بلغ مبلغه من لب الادب وسره ، وجاء بمثل اعجازه وسحره ، فانه  
 كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها انه كان ينشد القصيدة التي  
 لم يسمها قط وهي اكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ، ويؤديها من اولها الى  
 آخرها لا يخرم حرفاً ، ولا يخل معنى »

ثم يقول :

« وكان مع هذا كله مقبول الصورة ، خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الطرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلو الصداقة ، مر العداوة ، وفارق همدان سنة ثمانين وثلاثمائة ، وهو مقبل الشيبية غض الحداثة وقد درس على ابي الحسين بن فارس واخذ عنه جميع ما عنده واستنفذ علمه ، واستنزف بجره ، وورد حضرة صاحب ابي القاسم فتزوّد من ثمارها ، وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان واقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية ، والتعيش في اكنافهم ، والاقتباس من انوارهم »

ويجري على هذا النمط الى ان يقول :

« ونصرفت به احوال جميلة ، واسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة الا دخلها وجنى وجبي ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا ملك ولا امير ، ولا وزير ولا رئيس الا استمطر منه بنوء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسّم ، والقي عصاه بهراة واتخذها دار قراره ، وجمع اسبابه ، وما زال يرتاد للوصلة بيتاً يجمع الاصل والفضل والطهارة والستر ، والقديم والحديث حتى وفق التوفيق كله وخار الله له في مصاهرة ابي علي الحسين بن محمد الحشنامي وهو الفاضل الكريم الاصيل الذي لا يزداد اختباراً ، الا يزيد اختياراً ، فانتظمت احوال ابي الفضل بصهره وتعرفت القرّة في عينه ، والقوّة في ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخرة ، وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ اشدّه واربى على اربعين سنة ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه ، في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، فقامت عليه نوادب الادب ، وانثلم حد القلم ، وفقدت عين الفضل قرّتها ، وجبهة الدهر غرّتها

وبكاه الافاضل مع الفضائل ، وورثاه الاكارم مع المكرم ، على انه مامات  
من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الايام نظمه ونثره ، والله يتولاه  
بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه : وانا كاتب من ظرف ملح ، وانفـظ  
غرره ، ما هو غذاء القلب ونسيم العيش ، وقوت النفس ، ومادة الانس»

والذي يتحرى المصنّفات الادبية ما بعد القرن الخامس الهجري يرى  
انه برغم سيادة السجع التي امتدت الى عهد قريب مناس ، وبرغم ما ظهر في  
النهضة الاخيرة من اندحاره امام بساطة النثر المرسل ، لا يزال الازدواج  
المطلق حياً ، وكثيراً ما يظهر في اقوال الخطباء والمرسلين . نعم فقد ما كان  
له من السيادة في صدر الدولة العباسية ولم يُتَّح له بعد ذلك ان يكون اسلوب  
الترسل العام ولكنك تجده في كل قرن وفي كثير من حلقات النثر المرسل  
ولا سيما اذا فاضت عواطف الفؤاد وانقذت فتطلبت الاتزان في العبارات  
والتعادل في المعاني

وفي ترسل ادبائنا المتأخرين شواهد كثيرة على توازن العبارات او  
ازدواجها وستناول ذلك في كتاب خاص نعرض فيه المتاحي النثرية في  
الادب الحديث

# الاسلوب المسجع

---

١ - نظرة خاصة في خصائصه ومواطنه

٢ - الرسائل الديوانية ورجالها

٣ - الرسائل والمصنّفات الادبية

٤ - المقامات والخطب الروحية





## الاسلوب المسجع

نظرة عامة في خصائصه

### السجع ومزنته عند القدماء

عرفنا ان السجع قديم يرجع الى العهود الجاهلية وانه لم يخل منه عصر من عصور الادب ولا نستثني من ذلك عصر صدر الاسلام . الا ان اهل ذلك العصر لم يبلغوا به حد الصناعة المحكمة الاصول ، ولم يجعلوه منهاج الترسّل العام كما فعل الادباء في القرن الرابع الهجري وما بعده .  
 ففي القرن الرابع اخذ هذا الاسلوب الانشائي يسيطر على الادب المشور واقتربت سيطرته بسيطرة البديع فكانت البلاغة العربية منذ ذلك الحين الى عهد غير بعيد عنا عبارة عن حسن التسجيع مقروناً بالتوفّر على المحسنات اللفظية والمعنوية . وعلى ذلك قال ابو هلال العسكري<sup>(١)</sup>  
 « لا يحسن مشور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً ولا تكاد تجد بليغ كلاماً لا يخلو من الازدواج ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن لانه في نظمه خارج من كلام الخلق وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في اوساط الآيات فضلاً عما تزوج في الفواصل منه » . . .  
 « واما ما زوج بينه بالفواصل فهو كثير مثل قوله تعالى - فاذا فرغت فانصب ، والى ربك فارغب - وقوله سبحانه - فاما اليتيم فلا نقهر ، ولما السائل فلا ننهر - » . . .

ثم يذكر السجع في كلام النبي وكرهه لكلام الكهان ويعلق على ذلك بان النبي لم يكره السجع لكونه مسجعاً وانه هو استعماله في كلامه « بل ربما غير الكلمة للموازنة بين الالفاظ واتباع الكلمة اخواتها كقوله (ص) - اعينه من الهامة ، والسامة ، وكل عين لامة - وانما اراد ملمة

وقوله - ارجعن مازورات ، غير ماجورات وانما اراد موزورات من الوزر قال العسكري « واذا سلم ( اي السجع ) من التكلف وبرئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام احسن منه »

ويجري ضياء الدين بن الاثير مجري العسكري في التذليل على فضل السجع وانه اعلى درجات الكلام ويستند في ذلك الى القرآن والحديث ويأتي بكثير من الامثلة فليراجعها من اراد<sup>(١)</sup> وشروط السجع البليغ عنده ما يلي<sup>(٢)</sup> -

١ - ان تكون الالفاظ حلوة حادة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة  
٢ - ان تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه اختتما

ويتفق جميع البيانين على ان افضل السجع هو القصير الفقرات المتساوي الفصول ، ويشلوه ما كان الفصل الثاني اطول من الاول طولاً لا يخرج به عن حد الاعتدال . ويعيب ابن الاثير ما كان فيه الفصل الثاني اقصر من الاول<sup>(٣)</sup> . والحقيقة ان هذا العيب نسبي فاذا لم يخرج عن حد الاعتدال لم يعد عيباً . وقد استشهد العسكري على ذلك بما جاء في الحديث النبوي - رحم الله من قال خيراً فغنم او سكت فسلم - وقوله (ص) للانصار -

(١) و (٢) المثل السائر ص ١١٤ - ١١٨ وص ١٤٧ - ١٥١

(٣) المثل السائر ص ١٥٠

« انكم لتكثرن عند الفزع وتقلون عند الطمع<sup>(١)</sup> وجاراه القلقشندي<sup>(٢)</sup> واستشهد من القرآن بالآيتين - « اذ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ اَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلَمَ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَلَكِنَّ اللهُ سَلَّمَ اِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » واذ يُرِيكَهُمُ اذِ التَّقِيْمِ فِي اَعْيُنِكُمْ قَلِيْلًا وَيَقَلِّلُكُمْ فِي اَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا وَالى اللهُ تُرْجَعُ الْاُمُوْر » . فالاولى عشرون كلمة والثانية تسع عشرة .

وقد اعجب العرب السجع حتى استعملوه في منظوم كلامهم وسمى اهل الصنعة هذا النوع من الشعر المرصع<sup>(٣)</sup>

### اقتران السجع بالبديع

والبديع كالسجع قديم في النثر العربي، على انه لم يجعل فنا الا في صدر العصر العباسي . وقد رافق الاسلوب المسجع واقترن به فصار السجاعون يفتنون في غرائب افتنان الشعراء . ولايضاح ذلك ثبت هنا ما استخراج عبد الرحمن بن علي اليزدادي من هذه الغرائب البديعية في رسائل الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير المتوفى ٤٠٣ . قال :

« ثم استخراجت من هذه الرسائل انواعاً لم يكن وجدها قدامة فيما فتش من كلام الفصحاء وتوالت تسميتها بما شاكلها من النعوت وعددها اربعة عشر وهي<sup>(٤)</sup>

المجنع - كقوله : صام عن جواب ما نفذ اليه ، ونام عما لزمه في حق

(١) الصناعتين ٢٠٢ (٢) صبح الاعشى ٢٠ - ٣٧٨

(٣) الصناعتين ٢٠٣ (٤) كمال البلاغة ص ١٩ - ٢٢

الاعتماد عليه ، و كذلك : قد طال مقام فلان فتجاوز كل طول ، وأقفل  
باب رجوعه فلا يرجى له قفول .

المتزوج - كقوله : فاني مؤمل غمام ، غير جهام ، ومعمل حسام  
غير كهام ، و كذلك : فمن مرّ على ارجاء بحره الهياج ، ونظر في لألاء  
بدره الوهاج .

الممن - كقوله : وراض صعباً ساء خلقه ، وانهض صبيحاً تبدل فلقه ،  
وحلّ عقداً تولى الدهر شدّه ، وشب ضراماً أصلد الزمان زنده ، و كذلك  
يخال انه مكتفٍ بجاهه وعرضه ، ومثعزّز بسمائه وارضه ، ولا يشعر اني  
كلّ لبعضه ، وطول في عرضه .

المباغز - كقوله : فانه معتكف مقيم ، على ضامن كريم ، والكريم  
اذا ضمن لم يخلف ، واذا نهض لفضيلة لم يقف ،

ابراع الفرائن - كقوله : لاسيما اذا كان فيما بدر منه ساهيا ، ولما  
كتب عليه سوء الاتفاق ماحيا ، و كذلك : فافاض في وصف ما تلاّأ من  
غزر افعاله ، وابرت على كل جميل بجماله

المجانس - كقوله : وكيف يعرض عمن تعرض رفاهة العيش  
باعراضه ، وتقبض الارزاق بانقباضه ، واضاء نجم الاقبال اذا اقبل ، وأهلّ  
هلال الجدة اذا تهلل .

المتضاد - كقوله : من اعدته نكابة الايام ، اقامته اغانة الكرام ،  
ومن ألبسه الليل ثوب ظلماته ، نزعه النهار عنه بضياته .

المتوأم - كقوله : قاصم الاصلاب ، وقاسم الاسلاب ، و كذلك  
خالمت خيله ، وسالت سيله .

المخلب - كقوله : اثرت فيه خجلة العثار ، ونهكته ذلة الاعتذار

المرود - كقوله : ومن رام ان يفري فيها كما يفري ، ويسري  
بنجومها كما يسري .

المنشابه - كقوله : وهاجر بهجره ، واصراً على صرمة ، ومال الى  
الملال ، ولم يصل نار الوصال

مساواة الصورة - كقوله : التردّد بين الرخاء والبأس ، والرجاء  
واليأس ، و كقوله : اذا حالف ، فاحسبه قد خالف ، واذا اعار ، فاحسبه  
قد اغار

المعكوس - كقوله : شيمته رفع الخامل الوضيع ، ووضع الفاضل  
الرفيع ، وقوله : فاعلم انه لا يسوئني ما يسرك ، ولا يسرني ما يسوئك واني  
لا اكره ما تحبه ، ولا احب ما تنكره

.....

وذكر عبد الرحيم بن شيت القرشي في كتابه معالم الكتابة القاب  
السجع فعدّد منها نحو ثلاثين نوعاً نذكر منها ما يلي (١) -

الربيع - وهو كل كلمتين جاءتا على صيغة واحدة في اللفظ والخط  
لا تختلف احدهما الاخرى الا باول الحروف او بترتيب الحروف كقوله  
تعالى « ويل لكل همزة لمزة » . وكقول القائل : الدنيا دار ممر والآخرة  
دار مقر . وكقولهم فلان ارفع القوم عمادا وافرغهم معادا

الترصيع - ومنه ترصيع اللغو وهو كل كلمتين جاءتا في النثر على  
صورة واحدة لا يفرق بينهما الا بالشكل والنقط كقوله وانا فيما فعلته نابغ  
لا تابع ، وعائد لا عائد ، وحابس لا خائس

الاطلام - وهو ان يلم الكاتب في صدر كلامه بكلمة فيبني عليها فصلا

ثم يعكس هذه الكلمة في اول الفصل التالي كقوله - افاض الله عليك نعمه  
واضاف اليك قسمه

التوشيح - كقوله ان فلاناً يميل الى الخير واتيانه ، وعن الشر  
واستحسانه ( فلفظ يميل يحتمل ان يكون الى الشيء وعنه وهذا هو التوشيح )

التنميم - كقوله فلان عال عالم ، وقاض قاض ، وغال غالب  
التكرير - ومنها تكرير القافية كقوله - لا زال عالي المنار ، حامي

الذمار ، عزيز الجار ، هامي النعم : وافي الجد ، نامي الحمد ، جديد الجد ،  
وافز القسم

او تكرير اللفظة كقوله : باسم الايام ، باسم الايادي ، باسم الخدام  
ماضي الامر ، ماضي العزم ، ماضي الحسام

الهرم - ان نثقف صفة بصفة اخرى على طريق الاستدراك كقوله  
هو سبب الخلائق الا انه جعد الانامل

الجعير - وهو ان نشكر شيئاً لا نتحقق فيه الانكار بل هو على حكم  
المبالغة - مثاله : وقلبي قلق لما بلغني من تأملك ، ولا والله مالي بقلبي منذ

بلغني ذلك عهد : وعندني من الالم ما لا استطع التعبير عنه ، ولا والله  
ما اعرف الالم بعدم الاحساس بالحال التي احدها عندي الوجد

التفسير : ان يكون في صدر الكلام جملة يفسرها ما بعده - كقوله  
قد جعلت لك عيني وقلبي حرساً وسكناً ، ومع ذلك فما اجد عليك شيئاً

عندي مؤثماً .

الاستفهام - وهو ان تكون الكلمة تقتضي معنيين فتستخدم فيهما  
جميعاً كقوله : انا على عهدك الذي تعلمه لم احل من امرك عقداً ، ولا مكاناً

آس منك فيه فقدأ - ( فقد استعمل احل في المعنيين )

الاستفراغ - وهو ان يكون في قضية فيخرج منها الى اخرى ويفيد بذلك معنى من مدح او ذم كقوله : ادام الله سعادة الحضرة حتى يوجد لها سبب في الفضائل ، وحتى يقلع فلان عما فيه من الرذائل . وفي قلبي من حرّ الشوق اليها ما يقع ذكرها منه موقع الماء الزلال ، وفي حشاي من الوجد بها ما في صدر فلان من الغيظ عند التماس النوال

النعيب - هو ان يعلق معنى بمعنى ومثاله : وانت ابدأ تردّ على قولي حتى كأني الومك فيما طُبعت عليه من النوال ، او اسومك ان تكون وانت من سادات الكرام من البخال

الترديد - هو ان تردّ آخر الكلام على اوله ومثاله : وسيدنا سريع الى من يحدّثه الى الخير ، متقاعد عن الانحدار الى الشر غير سريع ، مربع الجانب للآوي اليه وللواشي منيع غير مربع .

وهناك الاحتراس والتورية والمقابلة والموازنة والنقسيم والاعتراض وسواها ، ناهيك بالاستعارة والجناس والطباق من انواع الصناعة البيانية المشهورة التي اولع بها الادباء والتي نراها مفصلة في كتب البيان والبديع .

.....

والمهم هنا ان نعرف ان صناعة السجع وصلت في العصر العباسي الى حدّ عظيم من التألق واصبحت في ذلك العصر وفي العصور التي تلتها الزي الانشائي العام فسيطرت الاناقة البديعية على دواوين الانشاء في الدول المختلفة واصبحت المقياس الاعلى في حلقات الادب بل تعدّت ذلك الى التاريخ والعلم كما سنرى بعد .

وعلى هذا المقياس تناول القلقشندي وهو من منشي القرن التاسع

الهجري خمس نسخ او رسائل من « تذكرة اليب » لمحمد بن المكرم  
وانتمدها فقال<sup>(١)</sup>

« وليس منها ما هو حسن الترتيب ، رائق الالفاظ ، بهج المعاني ، بليغ  
المقاصد ، غير النسخة الاخيرة المعقودة بين الملك الاشرف وبين الملك « دون  
حاکم » . اما سائر النسخ المتقدمة فانها مبتذلة الالفاظ ، غير راتقة الترتيب ،  
لا يصدر مثلها من كاتب عنده ادني ممارسة لصناعة الكلام . والعجب من  
صدور ذلك في زمن « الظاهر بيبرس » و « المنصور قلاوون » وهما من هما  
من عظماء الملوك ! وكتابة الانشاء يومئذ بيد بني عبد الظاهر الذين هم بيت  
الفصاحة وروؤوس ارباب البلاغة . ولعل ذلك انما وقع ، لان الفرنج  
كانوا مجاورين للمسلمين يومئذ ببلاد الشام ، فيقع الاتفاق والتراضي بين  
الجهتين على فصل فصل ، فيكتبه كاتب من كل جهة من جهتي المسلمين  
والفرنج بالفاظ مبتذلة غير راتقة ، طلباً للسرعة ، الى ان ينتهي بهم الحال في  
الاتفاق والتراضي ، الى آخر فصول الهدنة ، فيكتبها كاتب الملك المسلم على  
صورة ما جرى في المسودة ، ليطابق ما كتب به كاتب الفرنج . اذ لو عدل  
فيها كاتب السلطان الى الترتيب ، وتحسين الالفاظ وبلاغة التركيب ، لاختل  
الحال فيها عما وافق عليه كاتب الفرنج اولاً ، فينكرونه حينئذ ، ويرون  
انه غير ما وقع عليه الاتفاق ، تصورهم في اللغة العربية ، فيحتاج الكاتب  
الى ابقاء الحال على ما توافق عليه الكاتبان في المسودة . وباجملة فانما ذكرت  
النسخ المذكورة — على تخافة لفظها ، وعدم انسجام ترتيبها — لاشتغالها على  
الفصول التي جرى فيها الاتفاق فيما تقدم من الزمان ، ليستمد منها الكاتب  
ما لعله يحضر بباله من مقاصد المهادنات ، اغنانا الله تعالى عن الحاجة اليها » .



ومن شعروا بوطأة هذا الاسلوب المتكلف فثاروا عليه الكاتب المشهور ابن خلدون فقال<sup>(١)</sup> - « وقد استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملته من باب الشعر وفنه، لم يفتقرا الا في الوزن . واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة ، واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وسلطوا الاساليب فيه ، وهجروا المرسل وناسوه وخصوصاً اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه » . ثم ينتقد ابن خلدون هذا الاسلوب وينعته بالبعد عن البلاغة وانه غير مطابق لمقتضيات الحال . الى ان يقول :

« وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء العجمة على سنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال ، فعجزوا عن الكلام المرسل لبعده امدده في البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا المسجع يلققون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ، ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والاتقاف البديعة ، ويفعلون عما سوى ذلك »

وقد نشأ ابن خلدون في القرن الثامن الهجري وتوفي في مستهل القرن التاسع . ومن كلامه يدرك الباحث ما بلغه السجع من التأثير في الاسلوب الانشائي . وليس غرضنا هنا ان نحلل انتقاد ابن خلدون ونرى اوجه الصواب والخطأ فيه ولكن ان نشير الى حالة النثر في ايامه

ولم تكن ثورة هذا المورخ والاديب الكبير كافية للقضاء على سيطرة السجع : فان المترسلين الذين نشأوا بعد ابن خلدون جروا على منهاج اسلافهم

فدخل العصر العثماني وقد اتسعت الشقة بين هذا الاسلوب الترسلي المتكلف وبين ما كان عليه الانشاء (رسائل وخطباً) في صدر الاسلام . وسنرى فيما نعرضه من نصوص النثر العباسي وما تلاه ، ان الترسل العربي اخذ لتحكم الصناعة فيه تضعف روحه وفارقت تلك المزايا القديمة وهي - الایجاز ، والإحكام ، وارسال الكلام على السجية ، وانصرف الكتاب عن ابتكار المواضيع التي توحىها الى الادب مشاهد الطبيعة وحر كات الحياة والعمران ، الى ابتكار المعاني البيانية والتنافس في نسج الحلل اللفظية

وكرت القرون على الانشاء وهذا حاله : الخلف يقلد السلف مثقيداً بما وضع له من قواعد لغوية وبيانية ، جارياً وعيناه الى الوراء في سبيل الحياة الادبية . وزاد الطين بلة انهيار العنصر العربي في الشرق واتباع دول العجمية لم يكن لها من علاقة بالادب العربي الا ما كانت تقتضيه الغيرة الدينية او المصلحة السياسية ، حتى قامت الدولة العثمانية فاعتمدت لسانها التركي : ومع انها ظلت على احترامها الديني للغة العربية فقد اخذت هذه اللغة في ايامها تضعف واخذ الانشاء ينحط ، فلم يكده يدخل القرن الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد حتى اصبح الترسل رث الدباجة ركيك العبارة

واتصل هذا الضعف بكتب العلم والتاريخ والادب لم ينج منه الا افراد قلائل ممن عنوا بدراسة الادب القديم وحافظوا على تراثهم اللغوي المجيد وصحب ذلك انحطاط عام في المعرفة وفي اسباب العمران . ولا ينكر ان الانحطاط بدا قبل العصر العثماني ، ولكن الدولة العثمانية كانت جواراً ملائماً له فاتسعت دائرته حتى وصل الادب العربي فيه الى احط دركاته

وسنرى كيف حدثت النهضة الاخيرة في الانشاء حتى بلغ ما بلغه في القرن العشرين ، وكيف غلب السجع والتأنق البياني على امرهما بعد سيادة مئات من السنين

### مواطنه

يظهر السجع في الادب العربي في اربعة مواطن رئيسية وهي :

- ١ - الرسائل الدبوانية اي المنشورات الاميرية وما اليها
  - ٢ - الرسائل الادبية - ويدخل فيها النفثات الادبية الخاصة من اخوانيات ومناظرات واوصاف وخطب وحكايات وما يجري مجراها
  - ٣ - المقامات - وهي معروفة
  - ٤ - مقدمات الكتب
- وقد تجدد السجع عالماً في بعض كتب التاريخ والاخبار والتراجم كالشيخة للثعالبي واليمينى للعتبي وقلائد العقيان للفتح بن خاقان والحريدة للعماد الاصبهاني وريحانة الالباء للخفاجي وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه وسلك الدرر للمرادي

فلتتقدم الآن الى البحث في كل باب من هذه الابواب

## الرسائل الديوانية

ويمتاز الانشاء فيها ببسط الكلام . وهو يتناول التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف ومكائبات العمال والملوك والامراء وما الى ذلك . ويختلف اسلوبها بحسب اغراضها

ففي التهنئات مثلاً يذهب الكاتب الى بسط الكلام في شكر الله وتعظيم النصر وذكر ما يتصف به المدوح من عزم واقدام وجلد ، ووصف جيشه وعدته وعدده والتهويل بذكر العدو ووصف جمعه وعدده وغير ذلك مما تقتضيه عظمة النصر وحال المدوح

وفي تقليد وظيفة تعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب ويراعى فيه امور عامة ، منها - الاستهلال بذكر الرتبة او الحال وقدر النعمة ولقب صاحب التقليد واسمه . جاء في كتاب حسن التوسل في صناعة التوسل<sup>(١)</sup> - « ويحسن ان يكون الكلام منقسماً في التقليد على اربعة اقسام متقاربة المقادير -

فالربع الاول : الخطبة ( اي مقدمه الرسالة )

والربع الثاني : ذكر موقع الإِنعام في حق المقلد وذكر الرتبة وتفخيم امرها

والربع الثالث : في اوصاف المقلد وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعد صيت وسمعة وشجاعة الخ

والربع الرابع : في الوصايا -

وسترى امثلة ذلك كله في الكلام على المنشئين . ولكي تعلم الفرق بين

(١) حسن التوسل ١٥٦ و ١٥٧

الايجاز الكتابي وبين الانشاء الديواني نقل لك مرة اخرى كتاب طاهر الى المأمون لتقابله بما هو في معناه من انشاء ضياء الدين بن الاثير وقد كتبه لاطهار الفرق بين الايجاز والاطناب

قال طاهر - « كتابي الى امير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه في يدي وعسكره مصرّف تحت امري والسلام »

فتوسع به ابن الاثير وقال :

« اصدر كتابه هذا وقد نصر بالفتنة القليلة على الفئة الكثيرة ، وانقلب باليد الملاهي والعين القريزة ، وكان انتصاره بجدّ امير المؤمنين لا بجدّ نصله - والجدّ اغنى من الجيش وان كثرت أمداد خيله ورجله - وجيء برأس عيسى بن ماهان وهو على جسد غير جسده ، وليس له قدم فيقال انه يسعى بقدمه ، ولا يد فيقال انه يبطش بيده . ولقد طال وطوله مؤذن بقصر شأنه ، وحسدت الضباع الطير على مكانها منه وهو غير محسود على مكانه . واحضر خاتمه وهو الخاتم الذي كان يجري على نقش اسطره ، وكان يرجو ان يصدر كتاب الفتح بختمه فحال ورود المنية دون مصدره . وكذلك البغي مرتعه وويل ، ومصرعه جليل ، وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كليل : وقد نطق الفأل بان الخاتم والرأس مشيران بالحصول على خاتم الملك ورأسه . وهذا الفتح اساس لما يُستقبل بناؤه ، ولا يستقر البناء الا على اساسه والعساكر التي كانت على امير المؤمنين حرباً صارت له سلماً ، واعطته البيعة علماً بفضله وليس من تابع تقليداً ممن هو تابع علماً . وهم الآن مصرّفون تحت الاوامر ، ممتحنون بكشف السرائر ، مطيفون باللواء الذي خصه الله باستفتاح المقالداً واستيطاء المناير . وكما سرّت خطوات القلم في اثناء هذا

القرطاس ، فكذلك طلائع الرعب قبل الطلائع في قلوب الناس . وليس في البلاد ما يفلق بمشيئة الله باباً ، ولا يحسر نقاباً . وعلى الله اتمام النعم التي افتتحها ، واجابة امير المؤمنين الى مقترحاته التي اقترحها والسلام .  
وهذا الكتاب يشتمل على ما اشتمل عليه كتاب طاهر بن الحسين من المعنى الا انه فصل ذلك الاجمال . والذي نراه ان تفصيل ابن الاثير او اطنابه نموذج لما وصل اليه الانشاء الديواني بعد ان ساد التائق البياني وانصرف الكتاب الى المحسنات اللفظية

.....

وقد اصبح للانشاء البياني مع الزمان قواعد مقررة منها ما يلي ( ملخصة عن صبح الاعشى الجزء السادس )

١ - براعة الاستهلال او التعميدات « بان يأتي في صدر المكاتب بما يدل على عجزها . فان كان الكتاب بفتح اتي في اوله بما يدل على التهنية ، او بتعزية اتي في اوله بما يدل على التعزية ، او في غير ذلك من المعاني اتي في اوله بما يدل عليه ليعلم من مبدئ الكتاب ما المراد منه . وفضلاء الكتاب واثمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء<sup>(١)</sup> »

٢ - ان يأتي الكاتب في المكاتب المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة تكون بساطاً لما يريد فاذا كان الكلام في الجهاد او الفتح او جباية الخراج او غير ذلك كانت المقدمات مشتملة على الغرض المطلوب . اما الامور التي لا تشتمل على المقاصد الجليلة كرقاع التحف والهدايا فلا يجعل لها مقدمة تكون امامها<sup>(٢)</sup>

٣ - ان يراعي مواقع آيات القرآن وايات الشعر في المكاتب وليس

(١) صبح الاعشى ٦ - ٢٧٦ (٢) صبح الاعشى ٦ - ٢٧٨ و ٢٧٩

لهم في ذلك قاعدة خاصة ، بل مذاهبتهم مختلفة ومقاصدهم متباينة بحسب  
الاعراض<sup>(١)</sup>

٤ - ان يراعى في المكتوبات ما يعمل فيه على اليجاز او على التبسط  
والاطناب ، ولذلك اما كن معروفة عند الكتاب ذكرها القلقشندي في  
صبح الاعشى<sup>(٢)</sup>

٥ - استعمال البديع او المحسنات اللفظية والمعنوية وقد مرّ معنا شيء  
مما ذكره من هذه البدائع الفنية فلا لزوم لاعادتها هنا .

وقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد كلاماً للشيباني في ما يجوز في  
الكتابة وما لا يجوز ، وهو يجمع بين مراعاة طبقات الخطّاطين وبين ما يجب  
استعماله او تجنبه من الالفاظ والعبارات . واكثره داخل في باب البلاغة  
فنقتصر هنا على الاشارة اليه<sup>(٣)</sup>

ومن الكتب التي تبحث في قواعد الكتابة الديوانية كما كان يفهمها  
كتاب العصر العباسي وما بعده - « معالم الكتابة » وقد مرّ ذكره  
و « حسن التوسل في صناعة التوسل » لشهاب الدين الحلبي . و « مواد البيان »  
و « التعريف بالمصطلح الشريف » وسواها . وكل هذه الكتب مما اعتمد عليه  
صاحب صبح الاعشى وهي حريّة بالمرّاجعة والدرس

وقد كانوا في العصر العباسي يتخيرون للانشاء الديواني بلغاء الكتاب  
لما يترتب عليه من التبعات الجسيمة . وكان لاولئك الكتاب منه رزق واسع  
وجاه عريض فاقبلوا عليه وتغالوا في الافتنان به . ولا يظهر انه طرأ على

(١) راجع ذلك في صبح الاعشى ٦ ص ٣٠٦ - ٣١٢ (٢) راجع تفصيل

ذلك في صبح الاعشى ٦ ص ٣١٥ - ٣٢٢ (٣) العقد ٢ - ٢١٣ و ٢١٤

الاسلوب الديواني بعد العباسيين تغير يذ كر . فقد ظلت اللغة العربية طيلة العصر المغولي لغة السياسة والعلم والدين ، فنبغ في اثناثة جملة سالحة من اشهر جملة الاقلام . وكانت حواضر مصر والشام مراكز العلوم والآداب العربية فتكاثرت فيها المدارس . وفي هذا العصر وضع عدد من اهم الكتب اللغوية والتاريخية والادبية والموسوعات العامة يضيق المقام عن استيعاب اسمائها فلترجع في مظانها . والذي يهنا هنا ان نلفت النظر الى ان الانشاء العربي ظل في كل ذلك العهد ، بل والى ما بعده ، قليل ، على مكانته التي كانت له قبلاً وبكفيك للدلالة على ذلك ان نذكر بعضاً من مشاهير ادبائه ومجدي الانشاء فيه - فمنهم

ابن خلكان - ( المتوفى ٦٨١ هـ ) وقد اشهر بكتابه وفيات الاعيان  
القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ( المتوفى ٦٩٢ ) وهو مؤرخ وكان مترسلاً  
على طريقة القاضي الفاضل  
ابن الطقطقي - ( المتوفى ٧٠١ ) صاحب كتاب الفخري  
جمال الدين الوطواط ( ٧١٨ ) = غرر الخصائص الواضحة ، ومباهج الفكر  
وله رسائل طبعت بمصر ١٣١٥

ابن فهد - ( ٧٢٥ ) صاحب ديوان الانشاء عند الظاهر بيبرس  
عمر بن الوردي ( ٧٤٩ ) وهو الاديب الشاعر المعروف  
صلاح الدين الصفدي ( ٧٦٤ ) صاحب الوافي بالوفيات وغيره وقد تولى  
ديوان الانشاء في صفد ومصر ثم في حلب وهو من اعظم الكتاب  
لسان الدين بن الخطيب ( ٧٧٦ ) اديب الاندلس ومن اشهر مؤرخيها  
وستأتي ترجمته بعد



ابن خلدون (٨٠٨) وهو اشهر من ان يعرف  
 ابو العباس القلقشندي (٨٢١) صاحب صبح الاعشى واحد كبار المنشئين  
 نبي الدين بن حجة الحموي (٨٣٧٠) كان رئيس ادباء عصره وقد تولى  
 الانشاء في مصر وله مؤلفات نثرية وشعرية  
 ابن عربشاه (٨٥٤) صاحب (عجائب المقدور) و (فاكهة الخلفاء) وقد  
 تولى ديوان الانشاء لمحمد الاول العثماني في آسيا الصغرى  
 شمس الدين النواجي (٨٥٩) صاحب حلبة الكميت

.....

وجاء العصر العثماني وحال الانشاء كما ذكرنا لكن الدولة العثمانية  
 احتفظت عموماً بلسانها التركي للمخاطبات والمكاتبات فأدى ذلك مع الزمان  
 الى ضعف الانشاء العربي في دواوين الحكومة حتى في البلدان العربية. ولا  
 ينكر ان العثمانيين كانوا احياناً يقرّبون العلماء وينشطونهم ، وقد ظهر من  
 هؤلاء جماعة تذكر في ميادين العلم والتاريخ والادب مثل :

ابن اياس	٩٣٠ هـ	صاحب بدائع الزهور
طاش كبري زاده	٩٦٨	= مفتاح السعادة
العالمي	١٠٠٣	= الكشكول
الحسن البوريني	١٠٢٤	= تراجم الاعيان وشرح ابن الفارض
المقري	١٠٤١	= نفح الطيب
حاجي خليفه	١٠٦٨	= كشف الظنون
الخفاجي	١٠٦٩	= طراز المجالس ، وشفاء الغليل

صاحب الصبح المنبي	٥١٠٢٣	البديعي
خلاصة الأثر	١١١١	المحيي
الاديب الرحالة المشهور	١١٤٣	عبد الغني النابلسي
صاحب تاج العروس	١٢٠٥	الزبيدي
سلك الدرر	١٢٠٦	المرادي

و كثيرين سواهم -

.....

ولكن ذلك لم يجعل دون تدرُّج الانشاء الديواني نحو الضعف الذي استولى عليه في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما سنرى فيما تثبتته من مشور ذينك القرنين . وهذا الضعف يظهر في وجهين :

١ - في تكلف السجع والبديع تقليداً لمن تقدم من كبار المترسلين

٢ - في الركاكة والاسفاف الى ذرقة العامة

وتأيداً لذلك ثبتت النصوص التالية وما هي الا نماذج لمئات غيرها من

مخلفات القرنين الماضيين تجدها في مظانها التاريخية<sup>(١)</sup>

(١) من احب الاطلاع عليها فليراجع الكتب التالية - تاريخ الامير حيدر ، تحقيق الاستاذين اسدرستم وفواد بستاني - الاصول التاريخية للدكتور اسدرستم - المجلة البطريركية السورية - كتاب الانس المفيد نشر دي سامي - كتاب الشيخ ظاهر العمر لمخايل الصباغ - محركات سياسية لفيليب وفريد الخازن - وسواها

## أمثلة من الرسائل الديوانية

في العهد العثماني المتأخر<sup>(١)</sup>

## ١ - تعريف السلطان مصطفى بولادة ابنه سليم

سنة ١١٧٥ هـ او ١٧٦١ م

« دستور مكرم ، مشير مفخّم ، لنظام العالم ، مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهمات الانام بالرأي الصائب ، ممدد بنيان الدولة والاقبال ، مشيد اركان السعادة بالاجلال ، المتخوف بعواطف الملك المتعال ، وزير يوالي صيدا نعمان باشا ادام الله تعالى اجلاله ، وقدوة القضاة والحكام ، معدن الفضل والكرم ، مولانا قاضي صيدا زيد فضله

وبعده نعلمكم في هذا التوقيع الرفيع السلطاني الواصل اليكم ، بان حضرة واهب الوجود ، تقدّست ذاته عن الوالد والمولود ، بارادته الالهية ، ومشيبته الازلية : فمن عطاياه السنية جعل يرسم العادة ان تكون من هذه الدولة سلاطين عظام ذو انصاف وخواقين كرام ، وزينها بنقش الزينة الزائدة وعلى تخت سلطنتها وتاج مجدها بتزايد الامن والامان ، والحماية الى عباد الرحمن وجعله وسيلة في قطع عروق ارباب البغي والظفيان ، باتصال جوهر نسبها الجليل ، وبزود سلالتها الطاهرة بالتناسل السليل ، مستلزمًا في ذلك ترتيب نظام العالم ، ومستحكما رباطات سعود بني آدم ، ومن حين ما تيسر جلوسنا على هذا التخت المانوس العالي القوى السلطاني الى الان

نعم ان العطايا كيف كانت فهي من الرب الكريم » يهب لمن يشاء

(١) نثبت هذه الرسائل بنصوصها الاصلية دون تحوير ما في اللغة والعبارة

الاناث<sup>(١)</sup> ويهب لمن يشاء الذكور» . فقبل الآن نلنا من مواهبه الربانية هبة الله ، والآب اشرق في طالع سلطنتنا نجلاً طالعه في كوكب السعادة والاقبال ، التي كانت ساير الاقطار تسترصد موقعه ، وتترقب ظهوره ومرته ، فالآن انارت نوراً ، واشرقت العطية السبحانية ، وتلالت انوار المنحة الصمدانية في اليوم السابع والعشرين من جماد الاول . نهار الخميس المبارك بزغ الكوكب المنير من سلالتنا سلطان سليم ، اقرن الله تعالى شاناه في البقاء والتكريم ، وجعله متعافياً في مهده ، راضعاً حليب المسرة من نهده ، فاقتضى اننا اشهرنا ، واظربنا بشار البهجة والافراح ، وعلام السرور والانشراح الى جميع من هم تحت ذرى حمايتنا وسلطنتنا داخل وخارج مملكتنا ، وقد اشهرنا هذه المسرات العظيمة اولاً في مقر تخننا وعتبتنا العلية واجربنا مراسيمنا في اعلام الافراح الى جميع ممالكنا المحروسة ، ومسالكتنا المانوسة ، والى كافة العباد ، بانهم يجدون الله تعالى على هذه النعمة الكبرى والعطية المفخرة ، كون انها نعمة من باري جليل ، يجب لها انواع المسرات والتبجيل ، فلزم اصدار بشارتنا لكم عن يد افتخار الاماجد والاكرام قبجي باشى دام مجده ، وفي وصوله اليكم تعملون دعا في دوام سلطنتنا ، وامتداد عمر سلياتنا ، انتم وساير العباد والزهاد ، وتشهرون ذلك في المحافل والمساجد بالدعا على المعتاد القديم ، وتزينوا الاسواق والمصادر ، والحصون والقلاع ، وتشهروا ذلك باطلاق المدافع والشنك بالبندق واظهار انواع المسرات من غير اذية ولا مضرة على الرعية ، واتبعوا مضمون فرماننا هذا واعتمدوا عليه غاية الاعتماد<sup>(٢)</sup> «

(١) كذا وفي الآية اناثاً (٢) راجع الرسالة في تاريخ الامير حيدر ٥٥

## ٢ - كتاب السلطان عبد الحميد الاول الى امارة البندقية

سنة ١١٨٧ هـ او ١٧٧٣ م

- قال بعد مقدمة يصف فيها عظمته وسعة املاكه (١) -

« انا الشاه العالي السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد بن السلطان الشريف احمد خان من ذرية السلطان عثمان شاه ، جلّ الاله الذي علاه وولاه ، قد ابرزت هذا الدستور المكرم الى نحر الامراء المسيحيين الذي اليهم تلجى بالصحيح ، اشراف واعيان عبادة المسيح ، السادات الشريف قدرهم ، والجليل ذكركم ، العالي مقامهم ، والجليل احترامهم ، اية امرآ البندقية ، جعل الله لهم النهاية السعيدة ، والهداية المفيدة ، على سبيل الخلاص الى الحياة العتيدة

اما بعد فاننا نوضح اليكم بانه قد درج بالوفاه ، الى سعادة مولاه ، السيد العظيم اخي الاكبر السلطان مصطفى ، نعمده الخالق بنور مجده الفائق ، واسبغ عليه انعامه الالهية ومراحمه الازلية ، فبموجب حقوق الخلافة المستقيمة ، والقوانين القديمة ، والعهود المستديمة ، ارتقينا بالاختيار ، بكل عدل واختيار ، الى سدة العز وتخت الانتصار ، في نهاية الجمعة السعيدة في عاشر ذي القعدة سنة ١١٨٧ اي في ستة ايام خلت من كانون الثاني سنة ١٧٧٣ مسيحية ، دُرَج اسمنا في السكة الملوكية ، وانذرنا في جميع حدود حكمنا في قيامنا وعدلنا ورفعنا الظلم الكليم الكثيف ، باسراق حملنا اللطيف وبموجب العوايد الاقدام ، المحفوظة من سلفائنا الكرام ، وجب اننا نعلن

جلوسنا السعيد على سدة الملوكية ، باصحاب الدولة العلية ، المرتبطون معنا بالصدقة الحقيقية ، بكتابائنا الى السيد المعظم ، والامير المفخم ، المشهور بالعز واليقين ، بين دول المسيحين ، اعني به بولص دينارخان ، والى امرا البندقية ذو المناقب الملوكية ، ختم الله نهاية حياتهم النقية ، بالسعادة الابدية ، والى سايز الاراكنة الاكرام ، صاحب الدولة المشهورة ، في البلدة المذكورة ، لكي يحصلوا على افراح جلوسنا السعيد ، وقيامنا المجيد ، وكما يقتضي لناهمهم الحميد ، بموجب العهذنامات الانفاقية ، والشروط القانونية ، المرتبطة مع بلاطنا الملوكي في بابنا العالي ، يقدروا بوضوحوا سرورهم ، ويشهدوا حبورهم الى ارباب الدول التي في حكمهم ، لكي يثبتوا على حفظ العهود والشروط ، وعلى اتصال العمل بها ، وقيام جميع الشرطنامات القديمة من كل حكمتنا السعيد ، ولا يبدي من طرفهم شيء يفسد السلامة ، ومن جلاتنا الملوكية لا يمكن اننا نضع شيئاً حديثاً ضد ما ذكر ، ومهما كان قليلاً ، وذلك ان لكي الحجة والصدقة الخالصة ، المستحيلة من الطرفين تنما وتزداد دائماً لاجل راحة والطمأنينة لرعايا الجهتين»

٣ - فرمان السلطان الى الشيخ ضاهر العمر<sup>(١)</sup>

سنة ١١٨٨ هـ او ١٧٧٤ م

«قدوة الاماجد والاعيان الشيخ ضاهر العمر زيد قدره نعرفك بعد وصول امرهما يوننا هذا يكون معلومك بانك من قديم الزمان من المنتعمين بنعيم الدولة العلية ، ومحقق صدق عبوديتك ببرهان الخدمات الصادقة ، و كنت صاحب الشهرة والشان بصدق النية وخلوص الطوية ، يشار اليك

بالبان ، و كنت تؤدّي الاموال الميرية قبل كل انسان ، وقطّ ما عرّجت  
 عن صدق الخدامة ، وطرق الاستقامة ، الا منذ ازمة قريبة لحدوث بعض  
 اسباب ، وبجسب البشارة لاجل حفظ النفس اظهرت خمس سنوات التردد  
 والوحشة . ولكن في هذا الوقت وصل الى سدننا الملوكية عرض حالك  
 بواسطة دستور مكرم ، مشيد مفخم ، نظام العالم ، ناظم منظم الامم ،  
 المدبر الجمهور بالفكر الثاقب ، ومتمم مهمات الانام بالرأي الصائب . مهد  
 ببيان الدولة والاقبال ، مشيد اركان السعادة والاجلال ، مرتب مراتب  
 الكرام ، مكمل ناموس السلطنة العظام ، المتخوف بعواطف الملك العلام ،  
 الصدر الاعظم قوي الهمم ، دام الله اجلاله ، وضاعف بالتأييد اقتداره ،  
 واقباله

وكان مفهوم عرض حالك لسدننا الملوكية بانك اذا حصلت  
 على العفو عما جرى منك من الحركات الغير مستحسنة صرت منظور بنظر  
 الرحمة ، وملحوظ بعين الشفقة . فتضع قلادة الطاعة في رقبة العبودية ،  
 فبناء على شوايع اطاعتك وثبوت عبوديتك ( واتباعاً ) لقوله تعالى « فمن عفا  
 واصلح اجره على الله <sup>(١)</sup> » ، واقتداءً للحديث النبوي « فمن اقال نادماً اقاله  
 الله يوم القيامة » وجذا هذا كونه من الشيم السلطانية ، والسجاي الملوكية ،  
 بشرط ان تسلك من بعد الآن سلوك الطاعة والعبودية ، ولا تنحرف عن  
 منهج الاستقامة المرضية ، ولو باقل الامور واصغرها ، ولا تصرف وجهك عن  
 تنظيم قطر الرعية وتحصيل الاموال الميرية سابقاً ولاحقاً ، ومن كل الوجوه  
 اصرف سعيك في تحصيل رضانا ، الكاين عنه النمو والسعادة

(١) الآية « فمن عفا واصلح فأجره على الله »

فعلى هذه الشروط المذكورة اجرينا قلم مضى ما مضى عن صفائح  
ذنوبك الى يومنا هذا كل شيء صدر منك ومن ارفاقتك . ومن توابعك  
ولو احقك وعشايرك ، فصاروا مشمولين بالعمو السلطاني ، فاشكروا نعمة  
الله ان كنتم اياه تعبدون ، واعدوا هذه الرحمة السلطانية من النعم العظيمة ،  
وقدموا شكراً الى يوم القيامة . وان دمت على طاعة الاحكام الجليلة  
السلطانية ، قائماً بالخدمة المرضية مظهرآ حسن الصداقة والطوية ، فلا تشاهد  
من طرفنا السلطاني الا اللطف والعناية ، وكن امين البال ، مطمان الاحوال ،  
وهمايوننا هذا اربطه على عضدك اليمين ، والاظهار بانعطافنا نحوك ارسلنا هذا  
الخط الهاميويني صحبة افتخار الاماجد الكرام ، قبوجيلار كتخواسينا احمد  
هاشم دام مجده ، وليكن معلوماً عند الجميع ان سلطنتنا المخلاة البنيان ،  
المشيده الاركان ، قائمه على اساس الرحمة . فان صدر بحسب البشرية اجرا  
الذنوب من البيوت العتق واتبعوه بالتوبة والالتابة ، وتعلقوا باذيال المغفرة ،  
فالعمو عنهم من خصايص جدادنا الكرام ، ونحن اقتداءً بهم قد عفونا عن  
ذنوبك لكبر سنك وشيخوختك ، وشفقة منا على الرايا والبرايا ، فعليك راي  
الله وامانه وراى الرسول وراينا السعيد ، فاحفظ همايوننا هذا قرط جوهر  
في عنقك ، واعتمد على علامتنا السلطانية ، والحذر ثم الحذر من الخلاف «

٤ - من محفل الديوان المخصوصي بمصر

الى الاقاليم المصرية<sup>(١)</sup> سنة ١٢١٤ هـ او ١٧٩٩

« النصيحة من الايمان ، قال الله تعالى في محكم القرآن : فلا تبغوا  
خطوات الشيطان : وقال تعالى : لا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في



الارض ولا يصلحون : فعلى العاقل ان يدبر الامور قبل وقوع المخذور ،  
نخبركم يا معشر المؤمنين انكم لا تسمعون كلام الكذابين فتصبحوا على  
ما فعلتم نادمين ، وقد حضر الى محروسة مصر المحمية امير الجيوش الفرنسية  
حضرة ابونا بارتة محب الملة المحمدية ، ونزل بعسكر في العادلية ، سليماً من  
العطب والاسقام ، شاكراً لله موحداً للملك العلام ، ودخل الى مصر من  
باب النصر يوم الجمعة عاشر محرم سنة ١٢١٤ من هجرته عليه السلام ، في  
موكب كبير عظيم بشنك جليل نفيم ، وعسكر كثير جسيم ، وصحبته  
العلماء الازهرية والسادات البكرية ، والعناية والدموراشية ، والخضوية  
والاحمدية ، والرفاعية ، والقادرية ، والوجقات السبعية السلطانية ، وارباب  
الاقلام الديوانية واعيان التجار المصرية . وكان اليوم يوماً مشهوداً عظيماً لم يقع  
نظيره في المواكب السابقة قديماً ، وخرجت سكان مصر جميعاً لملاقاته  
فوجدوه هو الامير الاول ابونا بارتة بذاته وصفاته وظهر لهم ان الناس  
يكذبون عليه ، وشرح الله ( صدره للاسلام ) ، ونظر الله بعين لطفه اليه  
والذي اشاع عنه هذه الاخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة .  
ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعية ، وتدمير اهل الملة الاسلامية ، وتعطيل  
اموال الديوانية : لا يجبون راحة العباد . قد ازال الله دولتهم من شدة ظلمهم  
وقد بلغنا ان الالفى توجه الى الشرقية ، مع بعض المجرمين من عربان والقبائل  
الفجرة المفسدين يسعون في الارض بالفساد وينهبون اموال المسلمين ، ان  
ربك لبالمرصاد ، ويزورون على الفلاحين مكاتيب الكاذبة ، ويدعون ان  
عساكر السلطان حاضرة ، والحال انها ليست بحاضرة ، فلا اصل لهذا الخبر  
ولا صحة ( له ولا اثر ) . وانما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر ، مثلما  
يفعل ابراهيم بيك في غزه ، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان

ويدعي انها من طرف السلطان ، ويصدقوه اهل الارياف خسفا العقول ،  
ولا يقرون بالعواقب فيقعون بالمصائب « - ائخ الكتاب وهو طويل -

.....

فمن الرسائل المار ذكرها يتضح ما كان عليه الانشاء العربي الديواني  
في القرن الثامن عشر . وهو عادة عبارات ركيكة التسجيع واهية التركيب  
وكثيراً ما تُسَفَّ الى دركات العامية ، كرسائل نحر الدين المعني الى دوق  
تسكانا<sup>(١)</sup> ، ورسالة عثمان باشا للامير يوسف بالعمفو عن الشيخ ظاهر  
العمر<sup>(٢)</sup>

ولم تُخصر هذه الركاكة في مصر وسوريا وما اليهما من الاقطار العربية  
التي كانت تحت تأثير تركيا المباشرة ، بل تعدتُهما حتى الى الاقطار النائية كما  
تشهد بذلك مراسلات سلطان مراکش وامام عمان وشريف مكة واليك  
امثلة منها<sup>(٣)</sup> -

### كتاب سلطان مراکش

الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر<sup>(٤)</sup>

« صدر هذا المكتوب العلي الامامي الكريم المرواني الخليلي الهاشمي  
الفاطمي الحسيني عن الامر النبوي الشريف العلوي الذي دانت لطاعته  
الكريمة ممالكه الاسلامية وانقادت لدعوته الشريفة الاقطار المغربية وخضعت  
لاوامره العلية جبابة الملوك السودانية واقطارها القاصية والدانية الى الملك

(١) راجع المجلة البطريركية السنة ٧ ج ٦ و ٧ (٢) راجع كتاب ظاهر  
العمر لخائيل الصباغ ص ١٦٤ - ١٦٧ (٣) تجد هذه المراسلات في الانس المفيد  
(لدي سامي) مج ١ ص ٤١٣ - ٥١٤ (٤) الانس المفيد ٤١٣

الذي له بين ملوك النصرانية والملل المسيحية الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة السامية  
المعظم سلطان فرانصة السلطان لويز بن السلاطين الكبار الذين لهم المكنة  
السامية المنار

اما بعد حمد الله مولى الحمد ومستحقه والصلاة والسلام على افضل البرية  
من خلقه والرضى عن آله الباذلين بهمجهم في نصرتهم والقيام بحقه ومواصلة  
الدعاء لهذا المقام العلي الامامي المرواني العلوي الحسيني النبوي بنصر متصل  
الدوام دائم الاتصال وتأيد كفيل بالسعد المتوالي في الحال والاستقبال  
فكتابنا هذا اليكم من حضرنا العلية مدينة مرا كش المحروسة بالله  
الحمية ولا زايد بحمد الله الا ما سناه لاياتنا الشريفة من عوايد النصر  
والاقبال وصنابع الله الجميلة المنعمة السبجال المنثالة في البكر والاصال لله  
المنة والشكر

هذا موجه اليكم التعريف انه لما ورد خديمكم المرعي المحوظ الرزيلي  
علي مرسي ثغر أسف المحروس بالله واسلم كتابكم المصحوب معه لخدأنا  
الذين بالثغر بادروا بوصوله الينا في الفور فوقفنا منه على جميع ما اودعتم فيه  
من تقرير المحبة وتأسيس الهدنة بين الجانبين الى ما اشترتم اليه في شأن الاسارى  
الفرانصيين الذي رغبت من مقامنا العلي تسريحهم فاخذنا في ذلك اتم الاخذ  
واكمله الى ان استوفى ذلك على احسن وجه واجمله واجبناكم عن فصول  
كتابكم كلها فوجهنا به وبالنصارى المذكورين صحبة خديمتنا الوجيه الاثير  
النفيل النبيه القايد يحيى بن محمد الجناتي قصد ان يلتقي مع خديمكم المذكور  
ان تآتى له الاجتماع معه في البرء وان تعذر عليه ذلك يبعث لخددينا من يقوم  
مقامه ممن هو مثله وبمثابته في اغراضكم ليسلم له النصارى المذكورين ويتكلم  
معه في اغراض الجانبين ثم ان خديمتنا المذكور لما بلغ الثغر اسف حرسه الله

فقد خديمكم من المرسي فسأل عنه فقيل له قد اقلع منذ اربعة ايام فاقتصر بعض الخدام اثره في البحر فلم يجد له اثرآ. هذا وقد كان خديمكم على علم ويقين ان خدينا المذكور قادم اليه وفي اثناء الطريق فقلق قبل وصوله والخديم الذي يكون بصدد اغراض ضيفه لا يستنزه شيء عن قضاياها ولا ينبغي له الانزعاج قبل استيفائها. فعرفناكم بالواقع لتوقنوا اننا لم نقصر في اغراضكم المتلقاة لدينا بالقبول وبه وجب الكتب اليكم»

ومثله في الركاكة الكتب المتأخرة التي صدرت من مراکش الى  
لويس السادس عشر<sup>(١)</sup>

كتاب امام عمان الى فنصل فرنسا في بغداد<sup>(٢)</sup>

سنة ١٢٠٠

« اشرف ما نتهاداه اهل الوداد واكمل ما نتعاطاه اهل المحبة والاتحاد دعاء لا تحصيه الاقلام وتحيات على ممر الدهور والاعوام يهدى ويتحف ويحلى ويزف بانواع المعالي والتحف الى جناب العالي الجاه والجناب محبنا ومودنا الاكرم المكرم المحتشم سلمه الله تعالى من شر المحن وكفاه الله شر ما ظهر وبطن بجاه محمد سيد اهل المنن. ثم ان تحرك الخاطر العاطر بالسؤال عن حال من لا حال عن المحبة والاتحاد فمن حمد الله وكرمه في نهاية الاعتدال كثيرون السؤال عنكم وعن احوالكم لا زلتم سالمين بجاه رب العالمين

ثم في ابرك الساعات واشرف الاوقات ورد علينا مشرفكم الشريف الحاوي المعنى اللطيف فاسر الخاطر وابهج الناظر حيث انه انبا عن صحة ذاتكم واعتدال

(١) راجعها في الانيس المقيد ٤٤٠ — ٤٤٧ (٢) الانيس المقيد ٤٤٨

اوقاتكم وحمدنا الله سبحانه وتعالى على سلامتكم وماذكرتم صار عندنا  
مفهوماً ومعلومًا وعماذكرتم لما كنتم في حضرة السلطان المعظم بالولاية  
وبلغكم ما وقع وصار علينا من امر المركب ولا جاز له هذا الامر ونحن  
نعرف يقيناً بان لا يجوز اليه ولا يعجبه الامور التي تصدر على غير الحساب  
وجنا بكم لما تكلمتم في حقنا بكلام الحسن الجميل الطيب فذلك من حسن مجيبتكم  
وطيب مرضعكم فجزاكم الله عنا كل الخير . وانتم غير خفي عليكم مجتنا مع  
الفرس من قديم الزمان في الحال والمال والرجال والبنادر كلها واحدة  
والقلوب شواهد . وانشاء الله تعالى متى وصلت مراكب السركار الى بندرنا  
المعمور عرفنا الوكيل خلفان بن محمد بانه يقوم لهم بجميع اللوازم الذي يحتاجون  
اليه من قليل او جليل . ولا يحتاج الى توصية . وبحول الله وقوته ما تسمعون  
من جنابنا الا الاخبار التي تسر الخاطر . وعماذكرتم ان السلطان المعظم امر  
بتوصيل المركب المشور الجديد مع لوازمه . فباعزيزنا انه الى هذا الآن  
بعده لم يصل وانشاء الله تعالى متى وصل بالسلامة فهو مقبول ونجعله علماً بين  
العدو والصديق . ولا كان يحتاج الى كل هذا التصديع حيث ان المال والحال  
واحد والضرر والنفع واحد ، ولكن ما نحسبه على باب التصديع بل اننا نحسبه  
على باب المحبة والشفقة ، ولا زلتم محضراً لكل خير انشاء الله تعالى . ونحن  
عرفنا وذكرونا الى الوكيل خلفان بن محمد عن الرجل المتوفي بمسقط ولا بد  
ان يذكر لكم . والمرجو ان لا تقطعوننا من اخبار سلامتكم واخبار السركار  
ومن عندنا الاولاد يقرونكم الداء . والسلام خير ختام «

(١) كتاب شريف مكة غالب الى مدير الحدود العامة بمصر

سنة ١٢١٣

« . . . وبعد فانه وصل الينا كتابك وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قنجاتنا وانك ارسلت هجائاً برفع العشور عن البن وبذلت الهمة في شأن التصرف في نفاذ بيعه فهذا ما نؤمله من حميد الحركات ووفاء المصادقات، فاجب ذلك عندنا وافر السرور ومزيد الود والحبور. وتأملنا في كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما اوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد عن تمؤه غياهب الشك في كل مراد

ووجب الآن علينا تكوين اسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة وشهنا الان الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمورة في هذا الاوان، ولا امكن لنا خروج هذا المقدار الا باشد علاج مع سلب اطمينان التجار لان كثرة اكاذيب الاخبار اوجبت لديهم مزيد الارتياب والاعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا العربان المختلفة زواياتهم على ممر الازمان. واما نحن فقد جاتنا منكم قبل هذا المكاتيب التي اوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والاكاذيب فحاطرنا مستقر بالطمانينة من قبلكم لما ثبت عندنا من الفاظ كتبكم »

والكتاب طويل وكله على هذا النسق العامي الذي يدل على ما بلغت لغة الدواوين من الانحطاط، بعد ان كان رجالها في العصور السابقة ينتخبون من امهر الكتاب

ظلت هذه الركاكة عامّة في كثير من الدواوين الاميرية حتى منتصف القرن التاسع عشر للميلاد : بذلك على ذلك مكاتبات ابراهيم باشا المصري وسائر الحكام الذين كانوا في مصر وسوريا في النصف الاول من القرن المذكور<sup>(١)</sup>

.....

اما تكلف السجع فقد تأخر الى عهد اسماعيل باشا المصري فكانوا يلتزمون في الاوامر الرسمية والمنشورات الدورية وسواها واليك امثلة منها :

### رد مجلس الشورى على مظنة العرش

في ٢٦ نوفمبر ١٨٦٦ . وعباراته كما يقول ناشره<sup>(٢)</sup> —

« تعطينا صورة من الروح التي تسود المجلس ومن اسلوب الكتابة في ذلك العصر وما تحويه من العبارات الطويلة والسجع المتكلف والتملق البالغ لولي الامر » . ومن فقراته ما جاء في وصف اسماعيل باشا —

« ونفتحنا النفحات الالهية ، واسعفتنا العناية الربانية ، بالحضرة الاسماعيلية واعطى القوس باربها ، لطفاً من الله بهذه الديار ومن فيها ، وتولأها العزيز ابن العزيز ذلك الجناب الانخم ، والداوري الاكرم ، فقام بتنظيم امورها على ساق وقدم ، وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تجديد ما انهدم ، واحياء ما انعدم ، واخذ يداوي تلك العلل ، ويبيد ما تجلّل بعد ابيه من الخلل ، وسعى في مقاصد ابيه وجده ، باذلاً في موجبات التقدم والتمدن الوطني غاية جهده »

(١) تجد امثلة كثيرة من هذه المكاتبات في الاصول التاريخية للدكتور اسد رستم وفي محررات سياسية لنيليب الخازن وسواها (٢) الرافعي في مجلة الهلال مج ٤٠ ص ٢٠٠ وهو منقول عن مضبطة المجلس

ومنها ذا كراً حسنات الخديوي في انشاء مجلس شورى -  
 « لما يعلمه من ان جمع الآراء في امور العالمين ، والمداولة في مصالح  
 الرعية مع عقلاء الوطنيين ، من مقتضيات حسن النظام ، وموجبات كمال  
 الائتام وتمام راحة الانام »

وختم الجواب بالشكر -

« ائلك الحضرة العلية ، والتباهي بتلك المنقبة البهية ، ورفع اكفنا آناه  
 الليل واطراف النهار بالدعوات ، في اجل الاوقات واسعد الحالات ، ان يخذ  
 عز قطرنا هذا بدوام سعود افندينا الانغم ، وولي عهده حضرة محمد توفيق  
 باشا الاعز الاكرم ، وكذا بقية الانجال الفخام ، ولا يحرم جمعنا من حسن  
 انظارهم ، ونفائس محاسن افكارهم ، بجاه خاتم الرسل الكرام ، عليه افضل  
 الصلاة وأتم السلام »

.....

على ان هذا السجع المتكلف لم يلبث ان ضعف امره وذلك ان البلدان  
 العربية كانت قد بدأت بنهضة اجتماعية علمية انتهت باحياء الاسلوب المرسل  
 والقضاء على ما كان يسود الانشاء من تكلف لفظي وثميق بدعي . واذا  
 قابلت رد المجلس الذي مر ذكره برد المجلس نفسه بعد ١٣ سنة (اي ١٨٧٩)  
 اتضح لك ما نذهب اليه - واليك هذا الرد<sup>(١)</sup>

« نحن نواب الامة المصرية ووكلاؤها المدافعون عن حقوقها ، الطالبون  
 لمصلحتها التي هي في نفس الامر مصلحة الحكومة ، نرفع الى مقام الحضرة  
 الخديوية الفخيمة الشكر الجميل ، حيث عنيت بتشكيل مجلس شورى  
 النواب الذي هو اساس المدينة والنظام . وعليه مدار العمران ، وهو السبب



الموجب لنوال الحرية ، التي هي منبع التقدم والترقي ، وهو الباعث الحقيقي على بث المساواة في الحقوق التي هي جوهر العدل وروح الانصاف «  
... الى ان يقول ...

« ونعلن من صميم الفؤاد سرورنا ، وكمال ابتهاجنا بما تشرفت به مسامعنا من خطاب جلالتم الذي انبا عما انطوت عليه تلك السريرة الطاهرة الزكية من الميل الغريزي الى اصلاح الامة المصرية ، والرغبة الخالصة في صعودها على معارج التقدم ، وترقيها الى ذروة السعادة ، ونيها الحرية في تصرفاتها قولاً وفعلاً ، حيث ابانت عظمتكم ان الغرض من اجتماع هذا المجلس هو المذاكرة مع نظار حكومتكم في المسائل المتعلقة بالمالية والاشغال الداخلية .

فبعث فينا ذلك الخطاب روح العصر الجديد ، واحيا آمال هذه الامة التي لا تزال راجية ان ننال شرفها التليد ، الذي شهدت به التواريخ وانبات به الآثار ، بمساعي الحضرة الخديوية وهممها العالية وانا لانا لو جهداً في دقة النظر والعناية بما فيه منفعة الوطن ومصالحة الحكومة ، قياماً باداء واجباتنا التي هي في الحقيقة مقاصد ولي النعم فليحي الخديوي المعظم ، وانجالة الكرام ، ولتحي الحرية تحت ظل رعايته وحمايته آمين «

.....

وهذا التحسن في عبارة الانشاء الدبواني اخذ بعم جميع الاقطار العربية حتى اصبح اليوم لا يختلف عن الانشاء العام في الاوساط الادبية

## نخبة من امرأء الانشاء الديواني

ظهر في تاريخ الادب عدد كبير من كتاب الدواوين الذين اشتهروا باناقة الانشاء كابن العميد ، والصاحب ، والصايي ، والبيضا ، وقابوس ، والثعالبي ، والحوارزمي ، والقاضي الفاضل ، وعماد الدين الاصبهاني ، وابن الاثير ، وابن نباتة ، وسواهم ممن تقدم ذكرهم في الفصل السابق<sup>(١)</sup> ولما كان الانشاء الديواني في كل القرون على نسق واحد لم يتغير تغيراً يذكر الا في عصر الانحطاط اللغوي الذي مرّ معنا ذكره<sup>(٢)</sup> رأينا ان فنختار من مشاهير رجاله اربعة يمثلون هذه الطبقة خير تمثيل ، وهم

ابن العميد	من اهل القرن الرابع	وزير بني بويه في فارس
الصايي	== == == ==	كاتب الخلافة في بغداد
القاضي الفاضل	== == == ==	وزير الدولة الايوبية بمصر
ابن الخطيب	== == == ==	وزير غرناطة واديب الاندلس

وستترجم لهم ونحاول عرض مزاياهم واثبات نصوص وافية من آثار

اقلامهم

وقد مرّ معنا انه نشأ بعد هؤلاء جملة من مشاهير الكتاب ولكنهم انما جروا على منهاج من تقدمهم ، وليس في الترجمة لهم والاستفاضة في ذكر آثارهم الا الاطالة التي لا فائدة منها

(١) راجع ص ٢٣٤ و ٢٣٥ (٢) اي العهد العثماني المتأخر راجع ص ٢٣٦

## ابو الفضل ابن العميد

توفي ٣٦٠ هـ

## نوطته تاريخية

يرجع ابن العميد الى اسرة فارسية من مدينة قم . وكان ابوه وزيراً  
وكاتباً فنشأ الولد في بيت ادب وكتابة . قال الثعالبي <sup>(١)</sup> « ولم يرث ابن  
العميد الكتابة عن كلاله بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق  
- التي اباه بذلك الكسب يكتسب -

لان اباه ابا عبد الله الحسين في الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله  
مدونة بخراسان . وذكر ابو اسحق الصابي في الكتاب التاجي ان رسائل  
عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه ابي الفضل . وعندني ان هذا  
الحكم من ابي اسحق فيه حيف شديد على ابن العميد والقاص لا يجب  
القاص » اه .

وفي سنة ٣٢٨ هـ تولى الوزارة لركن الدولة البويهى فحمل عنه اعباء  
الادارة وخاض معه غمرات السياسة والحرب . وبقي كذلك حتى توفاه الله  
وذلك سنة ٣٦٠ هـ

.....

وقد اجمع الذين ترجموا له على الاشادة بفضله وتنظيم فنه : نذكر منهم  
قيّم كتبه مسكويه صاحب تجارب الامم ، و ابا منصور الثعالبي صاحب بتيمة

الدهر، وابن خلكان صاحب وفيات الاعيان، حتى ان ابا حيان التوحيدي - وهو الذي ألف فيه وفي الصحاح ابن عباد كتاباً سماه مثائب الوزيرين ضمنه معابيهما<sup>(١)</sup> - لم يتالك عند ما قارب الفراغ من كتابه عن ان يقول فيهما<sup>(٢)</sup> «ولولا ان هذين الرجلين كانا كبيرين زمانهما، واليهما انتهت الامور، وعليهما طلعت شمس الفضل، وبهما ازدانت الدنيا، وكانا يبحث بنشر الحسن منهما نشراً، والقيح يوثر عنهما اثراً، لكنك لا اتسكع في حديثها هذا التسكع، ولا انجي عليهما بهذا الحد، ولكن النقص مما يدعي التمام اشنع، والحرم من السيد المأمول فاقرة، والجهل من العالم منكر» الى ان يقول - «ولو اردت مع هذا كله ان تجد لهما ثالثاً في جميع من كتب للجبل والديلم الى وقتك هذا المؤرخ في الكتاب لم تجد» .

ولا يسعنا - برغم التحرس الذي لا بد منه ازاء ما يذكرونه من مناقب الغطاء - الا ان نرى في حياته ما يلي -

١ - انه كان بعيد النظر حسن التدبير . وتبين حسن تديره فيما رووه من اعماله الوزارية وخدماته السياسية ، كالذي ذكره صاحب تجارب الامم من حديث السلار المرزبان يوم اسره ركن الدولة ودفعه الى ابن العميد ليحفظ به : وكان ابن العميد قد تحقق ان الديلم يرسلون المرزبان وقد اعدوا العدة لتحريره من ايدي اسريه ، فاحبط بدهائه عملهم . واليك وصفه هو لهذه الحادثة قال<sup>(٣)</sup> -

« لما كنا بين الري واصبهان تحقق عندي مراسلة الديلم اياه واجتماعهم

(١) وفيات الاعيان ٢ - ٨٨ (٢) معجم الادباء (باقوت) ٢ - ٣٠٢ و ٣٠٣

(٣) تجارب الامم مجلد ٢ ص ١٣٣ - ١٣٥

على ان يأخذوه قهراً ويحلوا قيوده ويفتكوا بي ، وظهر ذلك حتى كادت  
المكاشفة تقع . فلما خفت فوت التدبير سايرته وهو في عمارته وحادثته ، وهو  
ينتظر في ذلك اليوم ان يتم له ما يريد ، وجعلت اقاربه والين له فاظهر التوجع  
والتألم مما حصل فيه . فلما اطعمته في نفسي ( وكان لا يطمع في ذلك من قبل )  
أمال الي رأسه وقال : انت مقبل فان كنت صادقاً فابدأ بجمل قيودي وعلي  
لك كيت وكيت . وضمن الضمانات التي تبذل في مثل ذلك الوقت .  
فاوهمته اني لا اعرف شيئاً من مواطاة الديلم له وقلت : اخشى الا يساعدي  
من معي على ذلك . فقال : غفر الله لك انت لا تعرف الصورة . جميع من  
معك قد عملوا على فك قيودي والفتك بك ، وانا اريد ذلك الساعة ان شئت .  
فقلت : يكفيني ان اثق بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناصحك وتابعك حتى  
يتم لك ما تريده »

ثم يأخذ في سرد ما قاله وفعله حتى حصل على ثقة السلار الى ان يقول  
« وقت عنده وليس عنده شك في حصول الملك له بمواطاتي ، انه قد  
اقبل جدّه وتمت سعادته بتمام تدويري . وشاع في اصحابه ومن كان واطاه اناً  
في تدبير ، فسكنوا بعد ان كانوا هموا بما هموا به . وسرت آمنة حتى حصلت  
باصبهان فلما تمكنت من الرجال والتدبير بدأت بالقبض على اولئك القواد  
واستظهرت على المرزبان بثقاي حتى حصلته في القلعة بقيوده »

.....

ومما يدل على بعد نظره ما رواه ، بعد ان زار اذربيجان ونفقده احوالها  
ورأى زكاء ارضها وكثرة ريعها واحتمالها للعمارة وسوء تدبير متوليها ابراهيم  
السلار ، فكتب الى ركن الدولة بالواقع وطلب منه عزل ابراهيم عنها لكن

ركن الدولة ابي لغرض في نفسه فكظم ابن العميد الامر واخذ يحدث مسكويه بالشدّة التي قاساها هو وعسكره في سفرته وقلة جدواها وثمرتها ثم قال<sup>(١)</sup>

«ولكني سا ضرب لك مثلاً لما نحن فيه وتأمله الآن لتتذكّره فيما بعد . اما شهدت من يغزل الابرسم ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصوالمجة من الزجاج ؟ قلت : بلى . قال : اما تعلم ان الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الآلة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك ان يتابع اذنان تلك المغازل ويتعاهدها بالقتل ؟ فنحن قد احكمنا الآلة . والمغازل دائرة ، والابرسم ممدود ، والقتل مستمر به ، فاذا فارقتنا الموضع ابتدأت القوّة التي في الدوران تضعف وليس لها من يدها بحركة ، فيبتدىء في الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ، ثم تبتدىء في الانتكاس ونقلب راجعة بعكس ما كانت تدور ، ثم لا تجد ايضاً من يتعاهدها فيتساقط اولاً اولاً حتى لا يبقى منها شيء »  
قال مسكويه :

«فكان هذا المثل كان وحيّاً فانه ما اخطأ شيئاً من صورة ابراهيم بعد خروجنا وانتهى امره بعد ذلك التظم الذي نظم له الى ان طمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئاً بعد شيء الى ان اسر وحبس في بعض تلك القلاع كما سنحكى فيما بعد ان شاء الله »

وقد وصف حسن تديره في فصل سابق فليراجع<sup>(٢)</sup>

٢ - سفر معارف

كان ابن العميد مغرمّاً باقتناء الكتب شديد الحرص على مطالعتها

(١) تجارب الامم ٢ - ٢٣٠ (٢) تجارب الامم ٢ - ٢٨٠ و ٢٨١

ذكر مسكويه ان الخراسانيين ثاروا على ركن الدولة وهاجموا الري فدافعهم ابن العميد مدة ثم تهنقرو الى دار الامارة فدخلوا المدينة ينيبون . قال<sup>(١)</sup> :  
 « واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفورة  
 جامعة الى ان اتى الليل وانصرفوا . وكان الى خزانة كتبه فسلمت من بين خزائنه  
 ولم يتعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلاً لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا  
 كوزاً واحداً يشرب فيه ماء ، فانفذ اليه ابن حمزة العلوي فرشاً وآلة .  
 واشتغل قلبه بدفاتره ولم يسكن شيء اعز عليه منها ، وكانت كثيرة فيها كل  
 علم ، وكل نوع من انواع الحكم والاداب يحمل على مائة وقرية وزيادة . فلما  
 رأني سألتني عنها فقلت : هي بحالها لم تمسها يد . فسرتني عنه وقال : اشهد  
 انك ميمون النقية . اما سائر الخزائن فيوجد منها عوض ، وهذه الخزانة هي التي  
 لا عوض منها . ورأيتك قد اسفر وجهه وقال : باكر بها في غد الى الموضع  
 الفلاني ، ففعلت . وسلمت باجمعها من بين جميع ماله »

وفي ثفننه العلمي يقول المؤرخ المذكور<sup>(٢)</sup> -

« ثم كان يختص بفرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها احد كعلوم  
 الحيل التي يحتاج فيها الى اواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغربية  
 وجر الثقل ومعرفة مراكز الاثقال ، واخراج كثير مما امتنع على القدماء من  
 القوة الى الفعل ، وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل  
 في الحروب مثل ذلك ، واتخاذ اسلحة عجيبة وسهام تنفذ امدأ بعيداً وتؤثر  
 آثاراً عظيمة ، ومرأني تحرق على مسافة بعيدة جداً ، ولطف كفو لم يسمع بمثله  
 ومعرفة بدقائق علم التصاوير وتعاط له بديع . ولقد رايتك يتناول من مجلسه  
 الذي يخلو فيه بثقاته واهل انسته التفاحة وما يجري مجراها ، فيعبث بها ساعة

(١) تجارب الامم ٢ - ٢٢٤ (٢) تجارب الامم ٢ - ٢٧٨

ثم يدحرجها وعليها صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمد لها غيره بالآلات  
المعدّة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتّى له مثلها»  
وله فصل في جملة فضائل ابن العميد جاء فيه<sup>(١)</sup>

«ومن ذلك انه كان اكتب اهل عصره واجمعهم لآلات الكتابة  
حفظاً للغة والغريب ، وتوسعاً في النحو والعروض ، واهتداء الى الاشتقاق  
والاستعارات ، وحفظاً للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني  
ابو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت اروي ابي ابا القاسم القصائد  
الغريبة من دواوين القدماء لان الاستاذ الرئيس كان يستنشه اذا رآه ، وكان  
لا يخلو اذا انشده من ردّ عليه في تصحيف او لحن مما يذهب علينا ، فكان ذلك  
يشق عليّ واحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الاستاذ الرئيس»  
ثم يقول :

« فاما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه ، والمعرفة باختلاف فقهاء  
الامصار فكان منه في ارفع درجة واعلى رتبة . ثم اذا ترك هذه العلوم واخذ  
في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها احد . فاما المنطق وعلوم الفلسفة  
والاهليات منها خاصة فما جسر احد في زمانه ان يدعيها بحضرتة الا ان يكون  
مستفيداً او قاصداً قصد التعلم دون المذاكرة . وقد رأيت بحضرتة ابا الحسن  
العامري رحمه الله ، وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه  
فيلسوف تام وقد شرح كتب ارسطاطاليس وشاخ فيها ، فلما اطلع على علوم  
الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه فيها وتوقّد خاطره وحسن حفظه للسطور  
برك بين يديه واستأنف القراءة عليه . وكان يعدّ نفسه في منزلة من يصلح  
ان يتعلم منه ، فقرأ عليه عدة كتب مستغلة ففتحها عليه ودرّسه اياها



ونما نحو مسكوبه في ذلك الثعالبي فوصفه بالضرب في الآداب  
بالسهام الفائزة، والاخذ من العلوم بالاطراف القاصية، وقال يدعى الجاحظ  
الاخير والاستاذ الرئيس<sup>(١)</sup>

وجارهما ابن خلكان فقال في ترجمته وكان متوسعا في علوم اللغة  
والنجوم . ولما مدحه المتنبى ضرب على هذا الوتر نفسه فقال من قصيدة  
معروفة -

من مبلغ الأعراب اني بعدهم      شاهدت رسطاليسَ والاسكندرا  
وسمعت بطليموس دارسَ كتبه      متملكاً متبدياً متحضراً  
ولقيت كلّ الفاضلين كأنما      ردّ الاله نفوسهم والاعصرا  
نُسقوا لنا نسق الحساب مقدماً      واتى فذلك اذ اتيت مؤخرأ  
قطف الرجال القول وقت نباته      وقطفت انت القول لما نورأ

### ٣ - منزلته الادبية والاجتماعية

لابن العميد في عالم الادب والاجتماع منزلة عالية لا تُنكر : على ذلك  
اجمع الادباء من مقرّظ مسكوبه والثعالبي ، وغير مقرّظ كابي حيّان  
التوحيدى . ولم يكن ذلك فقط لنفوذه السياسي والاداري : فكم من  
وزير او امير مات وادرج في مطاوي النسيان : بل لانه قرن المركز العالي  
بأدب عالٍ دفع معاصريه الى ان يلقبوه بالاستاذ الرئيس ، بل دفع الثعالبي  
الى القول انه اوجد العصر في الكتابة<sup>(٢)</sup> . وقال مسكوبه

« واما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة . ومن كان مترسلاً لم يخف  
عليه علوّ طبقته فيها، وكذلك شعره الذي جدّ فيه وهزل فانه في اعلى درجات

الشعر<sup>(١)</sup> . ويخطو ابن خلكان خطوة اخرى فيقول « واما الادب والترسل فلم يقارنه فيه احد في زمانه ، وكان كامل الرياسة جليل القدر من بعض اتباعه الصاحب بن عباد » . ويدل ذلك على منزلته وفود الادباء والعلماء عليه من مختلف الاقطار . قال ابن خلكان

« وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه باحسن المدائح<sup>(٢)</sup> » . ويكفيك من ذلك ان المتنبى قصده ومدحه ولم يكن بعد اتصائه بسيف الدولة يقصد غير الامراء ، وقد ابت عليه انفته ان يقصد الصاحب او يهتم بالوزير المهلبي ، وهما من هما في الادب والرئاسة

وكما ان للادب العالي بدأ في اعلاء المقام الاجتماعي كذلك للاخلاق والعبادات . وقد ذكرنا شيئاً من دهاء ابن العميد السياسي وحسن تديره ، على ان عارفيه ينعتونه ايضاً بمنابح تحببه الى الناس وتحملهم على احترامه . فن ذلك ما ذكره مسكويه اذ قال<sup>(٣)</sup> -

« وكان الاستاذ الرئيس (رضه) قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه ، فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره مع عبارة فصيحة والفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتحسس فيها ولا يتلثم . ثم رأيت بمحضرتة جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما احد منهم كان يتمتع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به . واطلاق القول بانه لم ير مثله ولا ظن انه يخلق . وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارة اخلاقه ونزاهة نفسه ، اذا دخل اليه اديب او عالم متفرد بفن ، سكت له واصفى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه الا قدر ما يفهم به

(١) تجارب الامم ٢ - ٢٧٧ (٢) الوفيات ٢ - ٨٣

(٣) تجارب الامم ٢ - ٢٧٧ و ٢٨٢

ما يورد عليه . حتى اذا طاوله و اتت الشهور والسنون على محاضرتة ، وانفق له ان يسأله عن شيء او يجري بحضرتة نُبذ منه فرغب اليه في اتمامه ، تدفق حينئذٍ بجره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه بارع في ذلك الفن والمعنى وما اكثر من خجل عنده من المعجبين بانفسهم ، ولكن بعد ان يمد لهم في الميدان ، ويرخي من اعنتهم ويمسك عنهم مدة ، حتى ينفد ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه «

ويختتم قوله فيه بهذه العبارة - ولعل من يطلع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده بظن انا عرفناه شهادة او ادعينا له اكثر من قدر علمه ومبلغ فضله : لا والذي انطقنا بالحق ، واخذ علينا الا نقول الا به «

### فنه الانشائي

ابن العميد من اهل القرن الرابع الهجري وهو قرنٌ اخرج نخبة شهيرة من ارباب الاقلام كابي اسحق الصابي وابي بكر الخوارزمي والصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمداني وابي هلال العسكري وابي حيان التوحيدي وابي الفرج البغدادى وقابوس بن وشمكير وابي الفضل الميكالي وسواهم . وقد نبغ فيه من اهل اللغة والادب والتاريخ والعلم في الشرق وفي الاندلس اعلام لا يتسع المقام لذكرهم

ويمتاز هذا القرن عما سبقه باستقرار السجع في الانشاء الديواني وشيوعه في حلقات الادب حتى اصبح الزي الانشائي السائد . على ان هذه السيادة لم تكن فجائية ، وليس هناك حد زمني فاصل بين عهدي الازدواج المسجع والازدواج غير المسجع ، ولكن لفتة عمومية الى الرسائل الديوانية والادبية

في هذا القرن ، واليهما في القرون السابقة ، كافية لاثبات ما يتجلى لنا من غلبة السجع وشيوعه بين منسئي القرن الرابع في هذا القرن اصبح الانشاء الادبي فناً ذا اصول . واهمُّ مزاياه كما هو معروف التزام السجع والبديع والتأنق في تحليته بالشعر والامثال . ويظهر انه كان لابن العميد يد تذكرو في ذلك حتى عدّه البعض امام الكتاب في عصره<sup>(١)</sup> ( ذكرنا آنفاً طرفاً من اقوالهم فيه فليراجع ) . وقد ذهب الزمان باكثر رسائله فلم يبق لنا منها الا نتف مبثوثة في كتب الادب ، وليست وحدها كافية لتقدمه على سواه . على ان الذي اهاب بنا الى ذلك امورٌ منها :

١ - ان المؤرخين القدماء من معاصرين وغير معاصرين قد اجمعوا

على تقديمه

٢ - ان نثره صلةٌ وصل بين عهد السجع المتأنق والعهد الذي سبقه .

.....

اما النقاد الحديثون فعلى اختلاف بين في الحكم عليه . فمنهم من يرى فيه الصنعة والتزييق وان الادب في نظره ضرب من ضروب التسلية والتلهي والترفيه واظهار البراعة والغلو والاعراق والبعد عن الحقيقة في التصوير والامعان في التزييق<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من يرى عكس ذلك فيقول<sup>(٣)</sup> : « فاننا حين نقرأ نثره نجد انفسنا امام عظمة عقلية يختر لها الجايز ساجدين . وهو حين يكتب لا يطالعك بفته كما كان يفعل معاصروه ، وانما يطالعك بقلبه وروحه وعقله بحيث تبدو كل كلمة من كلماته وكأنها قلب يخفق او روح يشور . فليست الكتابة عند ابن العميد زخرفاً براقاً يلهو به ولا ثروة لغوية

(١) عنوان المرقصات والمطربات ٦ (٢) ابن العميد (مردم) ص ٤٨

(٣) النثر الفني في القرن الرابع ١ - ٢٠٢

يكأثر بها الكتاب، ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية او وجدانية يرمي بها كما يرمي البركان باقباس الهلاك . وقد يرقّ فتحسب نثره نجوى حبيبين في هدأة الليل . وهو في رفته وجزالته وغضبه وحنانه عبقرى لا يعبث برجع الحديث المعاد ، وانما يجددّ بابداع الرأي الصائب والقول الرصين «

فالتأمل يرى بين التقدين بونا شاسعا يتعذر معه التقريب بينهما . ولعل ذلك لما فيها من الاندفاع الى ابداء حكم عام . فلنترك ذلك لها ولنتقدم الى درس رسائله الديوانية والادبية وفي دراستها نرى ما يلي -

١ - انه على تصنعه معتدل يبرز السجع في كلامه لكنه لا يتقيد به دائماً تقيد المثاقين الذين عاصروه او اتوا بعده ، بل قد ترى في رسائله احيانا ما يذكر كرك باسلوب العهد السابق كقوله<sup>(١)</sup> في شهر رمضان -

« اسأل الله ان يعرفني بركته ، وبلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمته ، وارغب اليه في ان يقرب على الفلك دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حر كته ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرتة ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ، ويرد عليّ غرة شوال ، فهي اسنى الفرر عندي ، واقرها لعيني ، ويطلع بدره ، ويريني الايدي متطلبة هلاله ببشر ، ويسمعني النعي لشهر رمضان ، ويعرض علي هلاله اخفى من السحر ، واظلم من الكفر ، وانحف من مجنون بني عامر ، وابلى من اسير الحجر ، واستغفر الله جلّ وجهه مما قلت ان كرهه ، واستغفبه من توفيتي لما يذمه ، واسأله صفحاً بفيضه ، وعفواً يوسعه : انه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور «

فهو يمزج السجع بغير السجع مزجاً معتدلاً<sup>(١)</sup> . اما سجمه فاكثره من القصير الفقرات الحسن الازدواج

وهالك قوله من رسالة كتبها الى بعض اخوانه : ففي القسم الاول منها يأخذ بالجمع لا يجيد عنه ، ثم لا يلبث ان يمزج السجع بغير السجع فيجري فيهما بين قوافٍ وفواصل حتى يصل الى آخر الرسالة . وفي هذه الرسالة يكثر من الطباق والاطناب مع شيء من الاستعارة والتشبيه ، ولكن ابن ذلك من اسراف الصاحب وقابوس والمعري والقاضي الفاضل وعامد الدين الاصبهاني ولسان الدين بن الخطيب وسواهم من السجّاعين الذين قرنوا السجع بالبديع قرناً خرجوا به عن حد الاعتدال وتجاوزوا فيه مطالب البلاغة ؟ - قال (١) :

« انا اشكو اليك جعلني الله فداك دهرأ خوؤناً غدوراً ، وزماناً خدوعاً غروراً ، لا يمنح ما يمنح الأريث ما ينتزع ، ولا يبق فيما يهب الا ريث ما يرتجع ، يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع ، ويخلو ماؤه جرعا ثم يمتنع . وكانت منه شيمة مألوفة ، وسجية معروفة ، ان يشفع ما يبرمه بقرب انقراض ، ويهدي لما يبسطه وشك انقباض ، وكنا نلبسه على ما شرط ، وان حاف فيه (٢) وقنط ونرضى على الرغم بحكمه ، ونستئم بقصده وظله ، ونعتد من اسباب المسرة ان لا ييجي محذوره مصمتاً بلا انفراج ، ولا يأتي مكروهه صرفاً بلا مزاج وتعلل بما نخلسه من غفلاته ، ونسترقه من ساعاته ، وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة ، وشريعة متبعة ، واعد لكل صالحة من الفساد حالاً وقرن بكل خلة من المكروه خلالاً

وبيان ذلك جعلني الله فداك انه كان يقنع من معارضته الاثمين ، بتفريق ذات البين ، فقد اثنتي ممنواً فيك بجميع ما اوغره ، وما اطوبه من البلوى منك اكثر مما انشره ، واحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه ،

(١) زهر الاداب ٢-٢٤٤ (٢) في الاصل خاف منه

والزمته جرماً لم يكن قدره بما يحيط به وقدرته ترنبي اليه ، ولو أنك اعنته  
وظاهرته ، وقصدت صرفه وآزرته ، وبعثي بيع الخلق وليس فيمن زاد ،  
ولكن فيمن نقص ، ثم اعرضت عني اعراض غير مراجع ، واطرحتني  
اطراح غير مجامل ، فهلا وجدت نفسك اهلاً للجميل حين لم تجدني هناك ،  
وانفذت من حل ما عقدت من غير جريمة ، ونكث ما عهدت من غير  
جريرة . فاجبني عن واحدة منها

ما هذا التغالي بنفسك والتعالي على صديقك ، ولم نبذني بند النواة ،  
وطرحتني طرح القذاة ؟ ولم تلفظني من فيك ، وتمجتي من حلقك ، وانا الحلال  
الخلو ، والبارد العذب ؟ وكيف لا تخطرنني ببالك خطرة ، وتصيرني من  
اشغالك مرة ، فترسل سلاماً ان لم تُجشم مكاتبة ، وتذكرني فيمن تذكر  
ان لم تكن مخاطبة ؟ واحسب كتابي سيرد عليك فتنكره حتي تثبت ،  
ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتي تُثذكر : فقد صرت عندك  
من محاسن النسيان صورته من صدرك واسمه من صحيفة حفظك ، ولعلك  
تتعجب من طمعي فيك وقد توليت ، واستمالي لك وقد ابيت ، ولا عجب  
فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال ، ويلين من هو اقسى منك قلباً فيعود الى  
الوصال

٢ - يتكلف البديع احياناً كقوله<sup>(١)</sup> :

« وصل كتابك فصادفني قريب العهد بانطلاق ، من عنت الفراق ،  
واوقفني مستريح الاعضاء والجوانح من جوى الاشتياق ، فان الدهر جرى على  
حكمه المألوف في تحويل الاحوال ، ومضى على رسمه المعروف في تبديل  
الاشكال ، واعتقني من محالتك عمقاً لا تستحق به ولاء ، وابرأني من عهدتك

براءة لا تستوجب معها دركا ولا استثناء ، ونزع من عنقي ربقة الذل في  
 اخائك ، يدي جفائك ، ورشاً على ما كان يضطرم في ضميري من نيران  
 الشوق بالسلو ، وشناً على ما كان يلهب في صدري من الوجد ماء اليأس ، «  
 . . . الى ان يقول :

« وكشف عن عيني ضبابات ما القاه الهوى على بصري ، ورفع عنها  
 غيابات ما سدله الشك دون نظري ، حتى حُدر النقب عن صفحات شيمك ،  
 وسفر عن وجوه خليقتك ، فلم اجد الا منكراً ، ولم الق الا مستكبراً ،  
 فوليت منها فراراً ، وملئت رعباً ، فاذهب فقد القيت جلك على غاربك ،  
 ورددت اليك ذمم عهدك »

وله من هذه الرسالة

« واما عذرك الذي جزمت بسطه فاتقبض ، وحاولت تمهيدته وتقريره  
 فاستوفز واعرض ، ورفعت بضعبه فانخفض ، وقد ورد ولعبه وجه يوشتر  
 قبوله على رده ، وتزكيتيه على جرحه ، فلم يف بما بدلته من نفسك ، ولم يقم  
 عند ظنك به . اني وقد غطيت التذم وجهه ، ولف الحياء راسه ، وغض الحجل  
 طرفه ، فلم يتمكن من استكشافه ، وولى فلم تقدر على ايقافه ، ومضى يعثر  
 في فضول ما يغشاه من كرب حتى سقط »

٣ - يتغارب في اشاراته التاريخية واللغوية والعلمية ولكن تغاربه في  
 الرسائل التي وصلت اليها قليل بالنسبة الى تغارب سواه . ومن هذا النمط  
 رسالة بعث بها الى ابي العلاء السروي في شهر رمضان قال فيها <sup>(١)</sup>  
 « كتابي جعلني الله فداك وانا في كد وتعب منذ فارقت شعبان ، وفي

(١) بيتيمة الدهر ٣ - ٨ وقد ذكر بعضها قبلاً



جهد ونصب من شهر رمضان ، وفي العذاب الادي دون العذاب الاكبر من  
الم الجوع ووقع الصوم ، ومرتهن بتضاعف حرور لو ان اللحم يصلى ببعضها  
غريضا اتى اصحابه وهو منضج ، ومنتحن بهواجر يكاد اوارها يذيب دماغ  
الضب ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنن ويزويه عن التبصر ، يقبض يده  
عن امسك ساق وارسال ساق : وممنو بايام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليل  
كابهام القطاة قصراً ، ونوم كلا ولا قلة ، وكسو الطائر من ماء الثاد دقة ،  
وكتصفيقة الطائر المستخر خفة ، واحمد الله على كل حال واسأله ان يعرفني  
فضل بركنه ، وبلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمته ، وارغب اليه في ان يقرب  
على القمر دوره ، ويقصر سيره ويخفف حر كته «

الى ان يقول :

« ويرينه مغمور النور مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد  
ودرجة مشتركة ، وينقض من اطرافه كما تنقض النيران من طرف الزند ،  
ويبعث عليه الارضة ، ويهدي اليه السوس ، ويغري به الدود ، ويطليه بالفار  
ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ويحتفه بالذرة ، ويجعله من نجوم الرجم ،  
ويرمي به مسترق السمع ، ويخلصنا من معاودته ، ويريننا من دوره  
ويعذبه كما عذب عباده وخلقته ، ويفعل به فعله بالكائنات ، ويصنع به صنعه  
بالالوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق اذا افتضح بضوئه ، وتهتك بطلوعه  
( ويرحم الله عبداً قال آمينا ) . واستغفر الله جل وجهه مما قلته ان كرهه ،  
واستغفريه من توفيقى لما يذمه ، واسأله صفحاً بفيضه ، وعفواً يسيغه ، وحالي  
بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارئة «

وله في ذلك فصل من رسالة الى احدكم قال فيه وقد ذكر دعواه في العلم<sup>(١)</sup>  
 « وهبك افلاطون نفسه فاين ما سنته من السياسة فقد قرأناه فلم نجد  
 فيه ارشاداً الى قطيعة صديق ؟ فاحسبك ارسطاطاليس بعينه : اين ما رسمته  
 من الاخلاق ؟ فقد رأيناها فلم نر فيه هداية الى شيء من العقوق  
 واما الهندسة فانها باخثة عن المقادير ، ولن يعرفها من يجهل مقدار نفسه ،  
 وقدر الحق عليه وله ، بل لك في رؤساء العربية منا ريج ومضطرب ، ولسنا  
 نشاحك ، لكن اتحب ان تتحقق بالغريب من القول ، دون الغريب من  
 الفعل ؟ وقد اغتربت في الذهاب بنفسك الى حيث لا تهتدي للرجوع عنه  
 واما النحو فلن ترفع عن حذق فيه ، وبصر به ، وقد اختصرته او جز  
 اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة ، وبرزى بك اسوة ،  
 فقلت الغدر والباطل وما جرى مجراهما مرفوع ، والصدق والوفاء وما  
 صاحبهما مخفوض

وقد نصب الصديق عندك ، ولكن غرضاً يرشق بسهام الغيبة ، وعلما  
 يقصد بالوقية ، ولست بالعروضي ذي اللهجة فاعرف قدر حذقك فيه ، الا  
 اني لا اراك تعرض لكامل ولا وافر ، ولبتك سمحت في بحر المجتث حتى  
 تخرج منه الى شط المنقارب »

.....

وفي رسائله الدبوانية ما يُشعر بثقته بنفسه وحنكته في مخاطبة الملوك  
 وسواهم . واليك بعضها -

## رسالة الى ابن بلما

عند استعصائه على ركن الدولة<sup>(١)</sup>

« كتابي وانا مترجح بين طمع فيك ، وبأس منك واقبال عليك واعراض  
 عنك فانك تُدلّ بسابق حرمة ، وتمت بسالف خدمة ، ايسرها يوجب رعاية  
 ويقضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بجادث غلول وخيانة ، وتبعهما بآنف  
 خلاف ومعصية : وادنى ذلك يحبط اعمالك ، ويمحق كل ما يرعى لك  
 لا جرم افي وقت بين ميل اليك ، وميل عليك ، اقدم رجلاً لصدملك ،  
 واوخر اخرى عن قصدك ، وابسط يداً لاصطلامك واجتياحك ، واثنى  
 ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، واتوقف عن امثال بعض المأمور فيك  
 ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنعة لديك ، وتأميلاً لفيتنك وانصرافك  
 ورجاء لمراجعتك وانعطافك : فقد يغرب العقل ثم يوؤب ، ويعزب اللب  
 ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي  
 ثم يُستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة  
 الى رخاء ، وكل غمرة فالى انجلاء

وكما انك اتيت من اساءتك بما لم تحتسبه اولياؤك فلا بدع ان تأتي  
 من احسانك ، بما لا ترتقبه اعداؤك . وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما  
 ركبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب ان تُتبه اندباهة تبصر فيها قبح ما  
 صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسمي في الابقاء والمطالمة ما صلح ،  
 وعلى الاستيناء والمطالوة ما امكن طمعاً في انابتك وتمكياً لحسن الظن بك ،

(١) ثبت هنا منها ما نقله التتالي في بئمة الدهر ٣ - ١٠ و١٢

فلست اعدم فيما اظاهرة من اعدار ، وارادفه من انذار ، احتجاً جاً عليك  
واستدرجاً لك فان يشاء الله يرشدك ، ويأخذ بك الى حظك ويسدك :  
فانه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير «

ومنها :

« وزعمت انك في طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها واذا كنت  
كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها . فنشدتك الله لما صدفت عما  
سألتك ، كيف وجدت ما زلت عنه ، وكيف تجد ما صرت اليه ؟ ألم تكن  
من الاول في ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عدي ، وماء  
روي ، ومهاد وطى ، وكن كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ،  
يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك  
من طوارق الحدثنان ؟

عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارفعت بعد الضعة ،  
وايسرت بعد العسرة ، واثربت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة وظفرت  
بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ووطى عقبك الرجال ، وتعلقت بك  
الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثرك ، وتشير ويشار اليك ، وبذكر  
على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك . فقيم الآن انت من الامر ، وما  
العوض عما عدت ، والخلف مما وصفت ، وما استغدت حين اخرجت من  
الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفك ، وغمست في خلافتها يدك ، وما الذي  
اظلك بعد انحسار ظلها عنك ؟ اظل ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من  
الهب ، قل نعم كذلك ، فهو والله اكشف ظلالك في العاجلة ، واروحها  
في الآجلة ، ان اقمب على المحايدة والعنود ، ووقفت على المشاقة والجحود «

ومنها :

« تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها ، والمس  
جسدك وانظر هل يحسّ ؟ واجسس عرقك هل ينبض ؟ وفشّ ما حنا  
عليك هل تجد في عرضها قلبك ، وهل حلي بصدرك ان تظفر بفوت سريح ،  
او موت مريح ؟ ثم قس غائب امرك بشاهده وآخر شأنك بأوله

.....

ومن دراسة هذه الرسالة يتبين لك فيها اهم مزاياه الانشائية وهي :

١ - عدم التقيد بالسجع مع شيوعه فيها

٢ - ميله فيها الى الترادف والاطناب كقوله

« فقد يغرب العقل ثم يوئوب ، ويغرب اللبّ ثم يثوب ، ويذهب

الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح » - وغير ذلك

٣ - لهجته الخطاوية البليغة كقوله سائلاً - كيف وجدت ما زلت

عنه وكيف تجد ما صرت اليه ، ألم تكن من الاول في ظل ظليل ونسيم

عليك الخ . . . - وكقوله آمراً -

« تأمل حالك ، والمس جسّدك ، وانظر هل يحسّ ، واجسس عرقك

هل ينبض الخ الكلام

٤ - طلاوتها وقصر فقراتها - قال ابن سعيد : -

« هذه الرسالة وان اطنبوا فيها وجعلها الثعالي واسطة لعقد ترسل ابن

العميد فانها من طبقة المقبول ، ولكن قد خامرها من تغافل الفكر في ترصيفها

واثارت ما انطوت عليه من المقاصد الماثلة بالاسماع ما يعلق باهداب

المطرب<sup>(١)</sup> »

(١) عنوان المرقصات والمطربات ٧

## رسالة الى عضد الدولة

وهي تدل على تلطف في اداء المعنى وبراعة في سلوك المقاصد ومنها<sup>(١)</sup>

« وقد يعدّ اهل التحصيل في اسباب انقراض العلوم وانقباض مددها ،  
وانتقاض مررها ، والاحوال الداعية الى ارتفاع جلّ الموجود منها ، وعدم  
الزيادة فيها الطوفان بالنار والماء ، والموتان العارض من هجوم الاوباء ، وتسلب  
المخالفين في المذاهب والآراء ، فان كل ذلك يخترم العلوم اختراما ، وينتهكها  
انتهاكا ، ويجتث اصولها اجتثاثا ، وليس عندي الخطب في جميع ذلك  
ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتوسع قدرته ، فان البلاء به  
لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته . والبلوى بمن هذه صورته  
تعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل ، كالامير الجليل ، الذي احله الله من  
الفضائل بملئى طرقها ، وبمجمع فرقها وهي نور ، نوافر مما لاقت حتى نصير  
اليه ، وشرّد نوازع حيث حاث حتى تقع عليه ، بتلفت اليه تلتفت  
الواقف ، وتشتوف نحوه تشوف الصب العاشق ، قد ملكتها وحشة  
المضاع ، وحيرة المرتاع »

رسالة الى عضد الدولة برهته بولميين<sup>(٢)</sup>

وفيها يظهر اسلوبه المسجع القصير الفقرات

اطال الله بقاء الامير الاجل عضد الدولة ، دام عزه وتأيدته ، وعلوه  
وتميده ، وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهناه  
ما احتضاه به على قرب البلاد ، من توافر الاعداد ، وتكثر الامداد ،

(١) اليتيمة ٣-١٢ (٢) زهر الآداب ٤-١٨٠

وثمَّ الاولاد ، واره من النجابة في البنين والاسباط ، ما اراه من الكرم في  
الآباء والاجداد ، ولا اخلى عينه من قرّة ، ونفسه من مسرّة ، ومجدّد  
نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة في عدده ، وفسح في امده ، حتى يبلغ  
غاية مهله ، ويستغرق نهاية امه ، ويستوفي ما بعد حسن ظنه : وعرفه الله  
السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعثا من نوره ، واستنارا من  
دوره ، وحنفاً بسريره ، وجعل وفدهما متلائمين ، وورودهما توأمين ، بشيرين  
بتظاهر النعم ، وتوافر القسم ، وموؤذنين بترادف بنين يجمعهم منخرق الفضاء<sup>(١)</sup>  
ويشرق بنورهم افق العلا ، وينتهي بهم امد النماء ، الى غاية نفوت غاية  
الاحصاء ، ولا زالت السبل عامرة ، والمناهل غامرة ، يصافح صادرهم بالبشر  
وآملهم القاصد بالنيل<sup>(٢)</sup>

(١) كذا في الاصل ولعله يعني الفضاء الواسع

(٢) في الاصل ( يصافح صادرهم بالبشر وآملهم بالنيل القاصد ) وليس لدينا رواية  
اخرى تعارضه بها فصححناه كما ترى اعلاه

## ابو الحسن الصابي

٣١٣ - ٣٨٤ هـ

### نشأته ونبوغه

لا نعرف عن حداثة هذا الكاتب المشهور إلا أنه لما ادرك سنّ العلم صرفه والده - وكان طبيباً - إلى درس الكتب الطبية . وكان غرضه أن يخرج طبيباً يعيش من هذه المهنة . لكن الفتى ( ابراهيم ) لم يكن ميالاً إلى الطب ميله إلى الادب ، فاضطرّ والده بعد لأي أن يجاربه في ذلك الميل . وفي ذلك يحدثنا الصابي عن نفسه قال <sup>(١)</sup> -

« كان والدي ابو الحسن يلزمني في الحدائث والصبي قراءة كتب الطب والتحملي بصناعته ، وبنهاني عن التعرض لغير ذلك . فقويت فيها قوة شديدة وجمل لي برسم الخدمة في البيمارستان عشرون ديناراً في كل شهر . وكنت اتردد إلى جماعة من الرؤساء خلافة له ونيابة عنه . وانا مع ذلك كاره للطب ، ومائل إلى قراءة كتب الادب كاللغة والشعر والنحو والرسائل والادب . وكان اذا احسّ بهذا مني يعاتبني عليه وبنهاني عنه ويقول يا بني لا تعدل عن صناعة اسلافك . فلما كان في بعض الايام ورد عليه ( والد المترجم ) كتاب من بعض وزراء خراسان يتضمن اشياء كثيرة كلفه اياها ومسائل في الطب وغيره سأله عنها . وكان الكتاب طويلاً بليغاً وقد تأنق منشئه وتغارب . فاجاب عن تلك المسائل وعمل جملاً لما يريد وانهذها على

(١) راجع الحديث في معجم الادباء ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠



يدي الى كاتب لم يكن في ذلك العصر ابلغ منه ، وسأله انشاء الجواب عنه قال ( صاحب الترجمة ) فمضيت وانشأت انا الجواب واطلته وحررتنه وجئت به اليه . فلما قرأه قال يا بني سبحان الله ما افضل هذا الرجل وابلقه ! قلت له هذا من انشائي . فكاد يطير فرحاً وضممني اليه وقبل بين عيني وقال قد اذنت لك الآن فامض فكن كاتباً »

ويؤخذ ضمناً من هذا الحديث ان الكتابة حتى المراسلات العادية بين الخاصة كانت قد اصبحت في زمن الصابي صناعة يتولاها طائفة من المنشئين ويجرون فيها على قواعد واصول متعارفة . والا فما الذي اضطر والده ان يعهد بالجواب الى منشىء معروف يدبج له الاجوبة التي اعدّها لترسل الى الوزير الخراساني ؟

على اثر تلك الحادثة تحوّل كاتبنا عن الطب وحصر مجهوده في صناعة الكتابة فاتقنها اتقاناً لفت نظر الخاصة في ذلك الحين . ويزيد على ذلك القفطي انه كان له يد طولى بالرياضيات ولا سيما الهندسة والهيئة<sup>(١)</sup> واتصل - وهو لا يزال حدثاً - بالوزير المهلبى وكان الوزير ادبياً وله مجلس انس يحضره الادباء . وهناك ظهرت براعته حتى قدمه الوزير . وقد نقل ياقوت عن المحسن ( ابن صاحب الترجمة ) حديثاً لا بأس من ابراده هنا وخلاصته - ان الوزير كان في مجلس انس له ، وعنده جماعة من الكتاب والادباء يشربون ، اذ حضر رسول الامير معز الدولة وطلب من الوزير ان يكتب عنه كتاباً الى صاحب كرمان يخطب فيه ابنته لختيار ابن الامير . فالتفت الوزير الى كتّابه وكان السكر قد فعل فعله فيهم فلم يتمكنوا من كتابته . قال الصابي « وراى الوزير مصغياً ماشوقاً . فقال تكثبه يا ابا اسحق ؟

قلت نعم . قال افعل . فممت الى صفة يشاهدني فيها واستدعيت دواتي ودرجاً منصورياً و كتبت الكتاب والجميع يلاحظوني ويعجبون من إقدامي . فلماً فرغت حملته اليه فوقف عليه ووجهه مهلّل . وقال للجماعة هنا كتاب حسن دالٌ على الكفاية المبرزة . قم يا ابا اسحق من موضعك واجلس هنا حيث اجلستك الكفاية . واوماً الى جانب ابي الغنائم ابنه « . انسخ الحديث <sup>(١)</sup> من تلك الساعة اخذ نجمه بالصعود وصار من المقرّبين عند الوزير حتى حسده سائر الكتاب والادباء . وما زال يرتقي حتى قلّد دواوين الرسائل والمظالم تقليداً سلطانياً كتب به عن المطيع لله الى اصحاب الاطراف ولا يذكر ياقوت السنة التي نبغ فيها الصابي وعُهد اليه بالديوان ولكننا نستدلّ من ابن خلكان انه تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ اي وهو في السادسة والثلاثين من عمره . ويظهر لنا من اخباره ان المهدي اصطنعه حدثاً فقرّبه اليه وما زال في خدمته حتى قلّد ديوان الرسائل ففاز بتلك المكانة العالية التي كان يتشوّف اليها كبار المنشئين . ومما يدلّ على نفوقه ان الرجل كان صابئاً مستضعفاً في جوّ مسلم قويّ . وكان بين المسلمين في ذلك العهد كثيرون من ارباب الاقلام واللغة فلم يلبث برغم ذلك ان بزّ معاصريه حتى شهدوا له ، وسلمه الخليفة ديوانه . ولما مات رثاه الشريف الرضي بقصيدة مشهورة مطلعها

أعلمت من حملوا على الاعواد رأيت كيف خبا ضياء النادي  
 جبل هوى لو خر في البحر اغتدى من وقعه متابع الازباد  
 ما كنت أعلم قبل دفنك في الثرى ان الثرى يعلو على الاطواد  
 فعاتبه الناس لكونه شريفاً يرثي صابئاً . فقال انما رثيت فضله <sup>(٢)</sup>

(١) راجع تفصيله في معجم الادباء ج ١ ص ٣٤٢ و ٣٤٣ (٢) وفيات الاعيان ١-١٨

وقال الثعالبي فيه - « اوجد العراق في البلاغة ومن به ثنى الخناصر في الكتابة، وتنفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة والصناعة<sup>(١)</sup> ». و كان الصاحب بن عباد - وهو من هو في الجاه والادب - يحبه اشد الحب ويتعصب له ويتعهد على بعد الدار بالمنح . و كان ( الصاحب ) يتعنى ان يقدم ابو اسحق اليه بعد ان نكس وينحاز الى جنبه فيكفل له الرغائب، ولكن الصابي ذهب مذهب المثني فلم يتواضع للاتصال بمجلة الصاحب . على انه مع انفته ان يصبح تابعا لمن كان قبلا من نظرائه لم يظهر التسامح والاستكبار كالمثني بل قرن رفضه باللين والدعة وكان يمدح الصاحب - عن بعد ويعظمه ويقبل منه الصلوات . وقد نقل الثعالبي فصلا من كتاب في ذكر صلة وصلت منه اليه، وفيه يظهر لينه وحسن موافاته قال - « ورد - اطال الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا - ابو العباس احمد بن الحسين وابو محمد جعفر بن شعيب حاجين فعرجا الي ملين ، وعاجا علي مسلمين . فحين عرفتهما ، وقبل ان ارد السلام عليهما مدت اليه يدها كما مدتها حسان بن ثابت الي رسول جيلة بن الهم ثقة منه بصلته ، وتشوقا الي تكريمته ، واعتيادا لاحسانه ، والفا لموارد انعامه ، وتيقنا ان خطوري بياله مقرون بالنصيب من ماله ، وان ذكره لي مشفوعة بجدواه . وقت عند ذلك قائما وقبت الارض ساجدا . وكررت الدعاء والثناء مجتهدا . وسالت الله تعالى ان يطيل له البقاء كطول يده بالعطاء ، ويمد له في العمر ، كما تمداد ظله على الحر ، وان يحرس هذا البدد ، القليل العدد ، من مشيخة الكتاب ومتحلي الآداب ما كنفهم به من ذراه ، وافاء عليهم من نداء ، واسامهم من مراتعه واعذب لهم من شرائه<sup>(٢)</sup> » .

ومما يظهر لك ما بلغه الصابي في اول عهده انه لما مات والده جاءه  
الوزير المهدي معزياً . قال الصابي « حين عرفت قدومه بادرت لتلقيه .  
واستعفيته من الصعود . فامتنع من الاجابة الى ذلك وجلس ساعة يخاطبني  
فيها بكل ما يقوي النفس ويشرح الصدر ، ويصف والدي ويقرظه لي  
ثم نهض واقسم علينا ان لا يتبعه احد منا ، وانفذ الي في بقية ذلك اليوم خمسة  
آلاف درهم . ولم يبق احد من اهل الدولة الا جاءني بعده معزياً<sup>(١)</sup> »  
وقد اتصلت شهرته بسيف الدولة ابن حمدان وكان له كما لسواه من  
الامراء رغبة في ان يمدحه كبار الادباء . فارسل اليه بذلك رسولاً ووصله  
واضاف الى ذلك رسماً كان ينفذه كل سنة<sup>(٢)</sup> .

وله مع المتنبى حديث ذكره ولده قال نقلاً عن لسان والده<sup>(٣)</sup> . « راسلت  
ابا الطيب المتنبى في ان يمدحني بقصيدتين واعطيه خمسة آلاف درهم ،  
ووسّطت بيني وبينه رجلاً من وجوه التجار . فقال ( اي المتنبى ) قل والله  
ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا اوجب علي في هذه البلاد  
احد من الحق ما اوجبت ، وان انا مدحتك لشكر لك الوزير يعني ابا محمد  
المهدي وتغير عليك لانني لم امدحه . فان كنت لاتبالي هذه الحال فانا اجيبك  
الى ما التمت وما اريد منك منالاً ، ولا عن شعري عوضاً

قال والدي فتنبهت على موضع الغلط ، وعلمت انه قد نصح فلم

اعاوده »

(١) معجم الادباء ١ - ٣٢٨

(٢) معجم الادباء ١ - ٣٢٩

(٣) راجع معجم الادباء ١ - ٣٤٦

## اقول نجمة ونكبته

وظلَّ الصابيُّ ينقلبُ في النعماءِ ، مكرِّمًا من الامراء والوجهاء حتى سنة ٣٥٢ وهي السنة التي مات فيها ولي نعمته الوزير المهدي . فاعتقل في جملة عمال المهدي ، ثم أطلق سبيله وأعيد الى عمله . ولم يزل « يطير ويقع » — كما قال الثعالبي — « وينخفض ويرتفع الى ان دفع في ايام عضد الدولة الى النكبة العظمى والطامة الكبرى » . كان ذلك في السنة ٣٦٧ وهو في الرابعة والخمسين من عمره وكان بين عضد الدولة البويهى امير فارس وبين بختيار بن معز الدولة صاحب الامر في بغداد منافسات على الرئاسة . وكان بختيار قد حمل الخليفة الطائع لله ان يجدد له الامر فانشأ لذلك الصابي كتاباً قال فيه —

« وقد جدّد له امير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالي السوامق التي تلتزم كل دان وقاص ، وعام وخاص ، ان يعرف له حق ما كرم به منها ، ويتزحزح عن رتبته الماثلة فيها » .

فلما اطلع عضد الدولة على هذه الجملة الاخيرة لم يشك في التعريض به فتعم ذلك واسرها في نفسه الى ان ملك بغداد وسائر المشرق . فلما استقرت فيها امر الصابي بتأليف كتاب في اخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه وشرح سيره في حروبه وفتوحه . فامتثل واخذ بتصنيفه ، ولكن بعضهم وثى به ورفع الى عضد الدولة ان الصابي سئل عن هذا الكتاب فقال — « باطيل أتمتها واكاذيب ألقها » . فرك ذلك كوامن الحقد في قلب عضد الدولة وامر بان يلقى تحت ارجل الفيلة . فاستشفع اليه بعض الوجهاء في امره ونلطفوا في استيهاب دمه حتى استجابه وامر باعتقاله

واستصفاً امواله . وبقى في السجن نحو اربع سنوات . ثم خرج وقد رزحت حاله ، وتهتك ستره <sup>(١)</sup> . ويذكر ياقوت هذا الخبر مفصلاً ومطوَّلاً مع شيء من الاختلاف ولكن بمجمل الحديث واحد <sup>(٢)</sup> . ويؤيد كل ذلك كتاب كتبه للصاحب بن عباد يشكو فيه حاله وما اصابه فيه <sup>(٣)</sup> . . . . . ومنه . . . . .

« فان نوب الدهر نتردد منذ سنون علي وعلى اهل صناعتنا المخومة بالعراق ، منيخة بنوازها ، ملقية بكلا كلها ، كالحلة بوجوهها ، كاشرة عن انايبها ، لتعاقب الايدي الوالية علينا ، وتدرجها في الاساءة الينا ، وتزايدها في الفظاظه بنا ، وتجاوزها المنزلة الى المنزلة في الاستئصال لاحوالنا ، وقد توفر قسطنطيني في تأثيرها بحسب ظني بعرضي ، وصوفي نفسي ، وبذلي دونها مالي ووقائتي اياهما بما ملكت يدي ، حيث لم اسئل المعونة احداً ولا سمحت ان استمخح مسوِّداً ولا سيِّداً ، راجعاً الى شيء مما يزجع اليه الناس من موروث تالد ، ومكتسب طارف ، حتى انتهت مفارمي الى نحو خمسمائة الف درهم لم يبق لي بعدها ضيعة ، ولا منزلة ، ولا باطن ولا ظاهر . فلما صارت صروف الدهر تتوغل بعد التطرف ، وتجحف بعد التحيف ، وصادف ما نجدد علي منها في الوقت اشلاء منهوكة ، واعظماً مبرية ، وحشاشة مشفية ، وبقية مودبة ، فارقنا الايثار ، وأطعت دواعي الاضطرار ، وجعلت اختار الجهات ، واعتماد الجنبات ، لأنحو منها ما لا يعاب سائله اذا سأل ، ولا يخيب آمله اذا امل ، فكان سيدي ادام الله عزه اولها اذا عددت ، واولاها اذا اعتمدت »

(١) راجع اخبار نكته في البيعة ٢ - ٢٧

(٢) معجم الادباء ج ١ ص ٣٣١ - ٣٣٦

(٣) رسائل الصابي ص ٢٨١

## اخلاق

من ينعم النظر في اخلاق الصابي وامياله النفسية يتراءى له من بينها مزيتان بارزتان هما تمسكه بمعتقده ، وحسن تأديبه في معاشرته . وتظهر المزية الاولى فيما رواه الثعالبي من « ان الخلفاء والوزراء ارادوه كثيراً على ترك مذهبه واعتناق الاسلام ، واداروه بكل حيلة وتمنية جليلة : حتى ان عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة ان اسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام <sup>(١)</sup> » وقد روى ذلك ايضاً ياقوت في ما كتبه عنه <sup>(٢)</sup> ، وابن خلكان <sup>(٣)</sup> في الوفيات . والجميع مجمعون على ثباته في معتقده برغم ما كان بلوح له من المجد في تركه واعتناق مذهب الدولة . وذكره القفطي بالغيرة على مصلحة اهله وطائفته <sup>(٤)</sup>

بل قد ذهب المؤرخون الى تشدده في تعاليم دينه وتعففه عن محرّماته . ولولا انه عرف في ذلك لما ذكره ذكرّاً خاصاً حتى قيل . بذل له عز الدولة بختيار الف درهم على ان يأكل الفول - وهو محرّم على الصابئة - فلم يفعل . وفي اليتيمة <sup>(٥)</sup> -

« سمعت ابا منصور سعيد بن احمد ببخارى يقول ان ابا اسحق الصابي كان من نساءك اهل دينه والمتشددين في ديانتهم في تصوّته عما يدعو اليه الهوى » وفيها عن ابي نصر سهل بن المرزبان قال « بلغني ان الصابي حضر يوماً مائدة المهلبى فامتنع عن الاكل لباقلاء كانت عليها ، لانه محرّم على الصابئة كيف ما كان - مع السمك والخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد - فقال له المهلبى لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء . فقال ايها الوزير لا اريد

(١) اليتيمة ٢ - ٢٤ (٢) معجم الادباء ١٠ - ٣٢٤ (٣) وفيات الاعيان ١ - ١٧

(٤) اخبار الحكماء ٥٤ (٥) اليتيمة ٢ - ٢٤

ان اعصي الله في ما كول . فاستحسن ذلك منه « . ولا يستدل بما ذكره  
ان الرجل كان يفعل ذلك رياءً او لغرض شخصي : فان مقامه في دار الخلافة  
والوزارة - محاطاً بكل المغريات له على تغيير دينه ، او اقله على عدم التشدد فيه ،  
ثم اباؤه ذلك - لدليل على ما في نفس الرجل من انفة مذهبية وكرامة  
شخصية نزهانه عن التساهل بمبدأ يدين به ( خطأ او صواباً ) للحصول على  
منافع مادية . والذي يذكر انه لم يلق من جراء ذلك غير اكرام الناس له  
واحترامهم شخصيته

وقد قرن تلك المزية بمزية اخرى قد تظهر لاول وهلة مناقضة لها اعني  
ما ذكرناه من حسن تأدبه في مجارته من يعيش معهم . ونعلم ذلك مما ذكره  
الذين دونوا سيرته . فقد ذكروا لنا انه مع محافظته على دينه بعاشر  
المسلمين احسن عشرة ويخدم الاكابر ارفع خدمة حتى كان يشاركهم  
في صيام رمضان<sup>(١)</sup> . ولما عطف عليه الوزير المهلبي ( كما ذكرنا سابقاً )  
وقدمه على من عنده من شيوخ الكدّاب والمتأدبين تقموا ذلك ولزم  
بعض منهم منزله وجداً وغضباً وظهر بعضهم الثعالل . قال الصابي « فلم  
ازل ابتلطف واداري وأغضي على قوارص تبلغني حتى صارت الجماعة  
اخواني واصدقائي<sup>(٢)</sup> » .

فالرجل قد قرن في نفسه الانفة بدمائة خلق متناهية اكسبته مودة  
الصغير والكبير وقرّبت اليه العدو والحسود . كان صبوراً على الاذى بعيداً  
عن التسامخ صادق الخدمة ناعم اللسان ، فنال بهذه الصفات وما يقترن بها من  
حذق فني ما ناله من المنزلة الرفيعة . ولو اردنا ان نجمع ظواهر تأدبه في  
كلمة واحدة لقلنا هي حسن المداراة او القوّة على التكيف وملاءمة البيئة .

(١) اليتيمة ٢ - ٢٤ ووفيات الاعيان ١ - ١٧ (٢) معجم الادباء ١ - ٣٤٢



وإذا روعي فيها الاعتدال ورجاحة الخلق كانت صالحة لصاحبها ولسواه  
وجاءت منطبقة على قول زهير

ومن لا يصانع في أمور كثيرة بضرس بانياب ويوطأ بمنسجم

والافهي الرياء والمداجاة وما اليهما من تراخي الاخلاق وضعف  
الارادة . ولم يكن صاحبنا كذلك بدليل ما اثبتناه من تعفنه عن المنافع  
المادية يكتسبها بنبذ ما يعتقد صوابه .

كان الصابي حكيماً مدارياً يضع الامور مواضعها فاذا نطق بلسان  
رؤسائه احل نفسه محلهم متناسياً امياله النفسية واغراضه الذاتية . ومن ذلك  
ما نراه في رسائله من مدح الاسلام وذم اعدائه كقوله من رسالة عن لسان  
المطيع الى ركن الدولة بنجر اسر الدمستق قائد الروم سنة ٣٦٢ - قال (١)  
« وامتثل ( اي عز الدولة ) امر امير المؤمنين في انجاد ابي تغلب بجمع كثير  
من الرجال الذين يصلحون للقاء الروم ، وبالابطال المختارة من طوائف  
الاعراب والاكراد - الى ان يقول - « وتوكلوا على رب العالمين ،  
واستنجدوا بشعار امير المؤمنين ، واثرؤا في الطغاة الكفرة ، والبغاة الفجرة  
اثراً بعد اثر . وظفروا بهم ظفراً بعد ظفر »

ثم يقول في موضع آخر من الكتاب نفسه «

« ووردوا ظاهر آمد فعرفوا صحة خبر الدمستق - لعنه الله -

وحصوله على افواه الدروب في خمسين الف رجل . وتلوّم اصحابنا بها  
يريحون ، والكفرة على مسافة منهم مقيمون . مرة تقدم بهم الآجال ،  
ومرة تحجم بهم الاوجال . ثم تداني الفريقان ، والنقت حلقنا البطان ، في  
يوم الجمعة الذي ختم الله به شهر الصيام ، وحتّم فيه بالظهور للاسلام .

فثبت الطغاة اغتراراً بوفور عددهم ، ومحاماةً عن صاحبهم وعظيم كفرهم «  
 - وهنا يصف الملحمة وصفاً شائقاً ويردف ذلك بقوله « واستلحمتهم  
 السيوف ، واحشمت فيهم الختوف . واخذ المسلمون منهم الثار ، وعجل الله  
 بارواحهم الى النار » .

فانت ترى انه في هذا الكتاب الذي يصف فيه انهزام الروم وهم يومئذ  
 اعداء المسلمين يضع نفسه موضع المسلم الحقيقي . وهو يقف هذا الموقف في  
 الكثير من رسائله كما كتب عن لسان بعض الامراء واصفاً النبي العربي  
 ورسالته قال <sup>(١)</sup> -

فكان آخرهم في الدنيا عصراً ، واولهم يوم الدين ذكراً ، وارجمهم عند  
 الله ميزاناً ، واوضحهم حجة وبرهاناً ، وابعدهم في الفضل غاية ، وابهرهم معجزة  
 وآية ، محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً ، الذي اتخذه الله صفيّاً وحبيباً ، وارسله  
 الى عباده بشيراً ونذيراً ، على حين ذهابٍ منهم مع الشيطان ، وصدوف عن  
 الرحمن ، ونقطيع للارحام ، وسفك للدماء الحرام ، واقتراف للجرائم ،  
 واستحلال للمآثم : انوفهم في المعاصي حميةً ، ونفوسهم في غير ذات الله ابيّةً ،  
 يدعون معه الشركاء ، ويضيفون اليه الاكفاء ، ويعبدون من دونه ما لا  
 يسمع ولا يبصر ، ولا يغني عنهم شيئاً . فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقذف  
 في اسماعهم فضائل الايمان ، ويقرأ على قلوبهم قوارع القرآن ، ويدعوهم الى  
 عبادة الله باللطف لما كان وحيداً ، وبالغنف لما وجد انصاراً وجنوداً ، لا يرى  
 للكفر اثرأ الاطمسه ومحاه ، ولا رسماً الا ازاله وعفاه ، ولا حجة موهبة الا  
 كشفها ودحضها ، ولا دعامة مرفوعة الا حطها ووضعها ، حتى ضرب الحق  
 بجرانه ، وصدع ببيانه ، وسطع بمصباحه ، ونصع باوضاحه

(١) الرسائل ص ١٥-٧ اراجع مثل ذلك ايضاً ص ٤٤ و ٨٢ و ١١٨ و ١٥٧ و ١٦١ وسواها

## اسلوبه الانشائي وادبه

ظهر الصابي في عصر نبغ فيه ابن العميد والصاحب بن عباد ، وهما من  
 هما في الكتابة والوجاهة ، فعرف الادباء والامراء فضله وعهد اليه كما ذكرنا  
 سابقاً بديوان الانشاء في بغداد . قال الثعالبي في اليتيمة « ومدحه شعراء  
 العراق في جملة الرؤساء وسار ذكره في الافاق ، ودوت له من الكلام  
 البهي النقي ما تناثر درره وتكاثر غرره » . وهذا الوصف العام قد يصدق  
 على كل كاتب كبير : على ان للصابي على ما يظهر منزلة ممتازة ولا سيما في  
 السلطانيات . وفي ذلك يقول ابن الاثير في المثل السائر <sup>(١)</sup>

« وكيف اضع من الصابي وعلم الكتابة قد رفعه ، وهو امام هذا الفن  
 والواحد فيه . ولقد اعتبرت مكاتباته فوجدته قد اجاد في السلطانيات كل  
 الاجادة واحسن كل الاحسان . ولو لم يكن له سوى كتابه الذي كتبه عن  
 عز الدولة بختيار بن بويه الى سبكتكين عند خروجه عليه ومحاصرته اياه  
 بالعصيان لاستحق به فضيلة التقدم . وكيف وله من السلطانيات ما اتى فيه  
 بكل عجيبة ، لكنه في الاخوانيات مقصر ، وكذلك في كتب التعازي »

.....

ولقد حاول ابن الاثير نقد الصابي فضعه في وجهين - تكرار العبارات  
 وعدم ملائمة التعميد لغرض الكتاب . فالاول كقوله :

« ولا تخلفه العصور بمرورها ، ولا تهرمه الدهور بكرورها »

وقوله عن النبي :

« لم ير للكفر اثر الا طمسه ومحاه ، ولا رسماً الا ازاله وغفاه »

وقوله في الدولة العباسية ، ولم تزل على سالف الايام وتعاقب الاعوام

تعتلُّ طوراً، ونصح أطواراً، وتلتاث مرةً وتسنقل مراراً، من حيث اصلها  
راسخ لا يتزعزع، وبنائها ثابت لا يتضعع  
ومثل ذلك كثير في كلام الصابي: فقرات متساوية المعاني يوثق بها  
لاطراد الكلام او لاقامة الوزن. وقد اصاب ابن الاثير في انتقاده لكن الصابي  
لم ينفرد بتكرير الابعاج بين المنشئين. واذا رجعت الى خطبهم ورسائلهم  
وجدتهم سواءً في ذلك. بل هذه رسائل ابن الاثير نفسه تجد فيها كثيراً مما  
عابه على الصابي. فقد نقلنا له فيما سبق قوله «اجاد كل الاجادة واحسن  
كل الاحسان». وانظر الى قوله في تقليد يفاخر بسجعه ويقول انه  
السمع الذي يثبت على المحك «فانه ياخذ في انشاء هذا التقليد الذي جعله  
حايفاً لقرطاسه واستدام سجدته على صفحته حتى لم يكد يرفع من رأسه»<sup>(١)</sup>  
وقوله:

« طوق بوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ويشير اليك بان الانعام  
قد اطاف بك اطافة الاطواق بالاعناق»<sup>(٢)</sup>  
وقوله: «ولك انت من هذا الدعاء حظ على قدر مملك من العناية التي  
جذبت بضعك، ومملك من الولاية التي بسطت من ذرعك، فخذ هذا الامر  
اخذ من لم يتعبه بالنسيان، وكن في رعايته ممن اذا نامت عيناه كان قلبه  
يقظان»<sup>(٣)</sup>

ولو استعرضت كلام عبد الحميد والجاحظ وابن العميد والصاحب  
وسواهم من ائمة الانشاء لوجدت التكرار صفة ملازمة لهم ولا تقصد بذلك  
مدحاً او ذمماً، ولكن نفيًا لما قد يتبادر الى الذهن من كلام ابن الاثير ان  
التكرار من مزايا الصابي دون سواه.

(١) المثل السائر ١٤١ (٢) المثل السائر ١٤٣ (٣) المثل السائر ١٤٤

واما تحميداته وموافقتها لغرض الرسائل ففيها يجيد الصابي احياناً  
ويسيء احياناً . فمن اجادته تحميده في رسالته عن عزّ الدولة الى ركن  
الدولة . فقد جعل حمد الله هناك مقروناً بقدرته على كبت الاعداء وتذليل  
صعاب الخطوب وتنوير الدياجي ورد الطغاة . وكل ذلك موافق لمقام  
الكلام<sup>(١)</sup> . ومثل ذلك ما كتبه عن نفسه الى الامير عضد الدولة<sup>(٢)</sup> . وغير  
ذلك من التحميدات التي جاءت موافقة لغرض الكتاب

ومن اساءاته في هذا الباب ما انتقده ابن الاثير فاصاب اذ قال « انه  
كتب كتاباً يتضمن فتح بغداد وهزيمة الاثراك عنها . بجاءً بثحميدة لا تناسب  
الكتاب ولكنها تصلح ان تكون في صدر مصنف من مصنفات اصول  
الدين<sup>(٣)</sup> — واليك قوله في هذه التحميدة : —

« الحمد لله رب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العليّ  
المجيد ، الذي لا يوصف الا بسلب الصفات ، ولا يُنعت الا برفع النعوت  
الازلي بلا ابتداء ، الابدي بلا انتهاء ، القديم لا منذ امدٍ محدود ، الدائم لا  
الى اجل معدود ، الفاعل لا من مادةٍ استمدّها ، ولا بآلةٍ استعملها ، الذي لا  
تدركه الاعين بلحاظها ، ولا تحده الالسن بالفاظها ، ولا تخلقه العصور  
بمرورها ، ولا تهزمه الدهور بكرورها ، ولا تضارعه الاجسام باخطارها ،  
ولا تجانسه الصور باعراضها ، ولا تجاربه اقدم النظر ولا الاشكال ، ولا  
تزاحمه مناكب القرناء والامثال ، بل هو الصمد الذي لا كف له ، والفدّ  
الذي لا توأم معه ، والحي الذي لا تخزمه المنون ، والقيوم الذي لا تشغله  
الشؤون ، والتقدير الذي لا توؤده العضلات ، والخبير الذي لا نعيه  
المشكلات »

(١) راجع الرسائل ٥٣ (٢) الرسائل ٧٤ (٣) المثل السائر ٤١٠

وإذا تجاوزت ما ذكره ابن الاثير من هذه المآخذ على الصابي  
وراجعت رسائله ناظراً فيها نظر المنعم المدقق رأيتك يشارك كبار المنشئين  
في مزايا انشائية عامة . منها -

### صحة التقسيم ونوازن الفقرات

كقوله <sup>(١)</sup> « ولا يقبل على ذي هيئة لهيئة ، ولا يعرض عن دميم  
لدمامته ، ولا يزيد شريفاً على مشروف ، ولا قوياً على ضعيف ، ولا قريباً  
على اجنبي ، ولا ملياً على ذمي ، ما جمعها التخاصم ، وضمهما التحاكم . ومن  
احس منه بنقصان بيان ، او عجز عن برهان ، او قصور من علم ، او تأخر في  
فهم ، صبر عليه حتى يستنبط ما عنده ، ويستشف ضميره ، وينقع بالانقاع  
غلته ، ويزيح بالابضاح علقته »

ومثل ذلك قوله من كتاب الى الرعية يحذرهم من شيطان الفتنة <sup>(٢)</sup>  
« حقيق على كل ناظر لنفسه ، وحافظ لدينه ، ان يتحرز من الوقوع في  
اشراكه المبثوثة ، وحبائله المنصوبة ، وخطا طيفه المحجن ، التي تجذب القلوب  
وتفتال الالباب . وان يتهم هواجس فكره ، ووساوس صدره . ويعرضها  
على نظره وفحصه ، وتأمله وبجته . فاذا خلصت من الشوائب ، وسلمت من  
المعائب ، وضائق على الشيطان فيها حيله ، وانحسرت عنها غيله ، وخولف  
فيها الهوى الذي قليلاً ما يشاكلها ويضاهيها ، وكثيراً ما يخالفها وينافها ،  
كان اتيانه ما يأتيه منها ، عن نية لاشك معها ، ووثيقة لاطعن عليها ،  
ويقين من السلامة في اولها وأخراها ، والسعادة بفاتحتها وعقبها »

واكثر رسائله على هذا النسق .

## الاطناب والتكبير

وقد اشرنا الى ذلك في ذكرنا لنقد ابن الاثير فلا حاجة الى بسطه الان وهو ظاهر في رسائله ظهوره في اكثر انشاء الطبقة الاولى من ذلك العصر ومن اراد امثلة خاصة فليراجع الصفحات التالية من رسائله<sup>(٢)</sup> ونجتزئ منها هنا بما يلي - كقوله ص ١٩

« في حماية البيضة ، وحياطة الحوزة ، وذبّ العداة ، وقمع الطغاة ، وكبح الجامح ، وبعث الجانح ، وتقويم الزائغ ، وتسديد الزائغ »  
وقوله ص ٤١ - « والله في ذلك كله ناصرنا وخاذله ، ومظفرنا وقاتله ، ومعلينا ومسقطه ، ومديلنا ومورطه »

وقوله ص ٧٥ - « واصبحت الدنيا متحلبة منه بافضل حلبيها ، ومتحلبة له في انحر حلبيها ، وضاربة من آثاره وافعاله بمعلّى قداحها ، ومفضية من تدييره وسياسته الى نهاية اصلاحها . فلا اعدمه الله السعي الرشيد ، والمقام الحميد ، والطارئ السنيح ، والمتجر الرياح » الخ  
وقوله ص ١٩٧ - « ويعرضها على نظره ، وخصه ، وتأمله ، ويبحثه » الخ

## اطراد الوصف ومزالت الكلام

كقوله من كتاب عن الطائع الى عضد الدولة بعد وقوع الوحشة بينه وبين عزّ الدولة<sup>(٣)</sup>

« ولم يزل امير المؤمنين منذ نزع الشيطان بينك وبين عزّ الدولة ابي منصور ، ايد كما الله ، مغضوض الجفون على قذى ، منطوي الجوانح على

(١) الرسائل ١٩-٢٨-٣٠-٣٢-٤١-٤٧-٤٤-٧٥-١٧٥-٢١٠

(٢) الرسائل ٢٢٤ و ٢٢٥

اذى وقيداً من ان نلتقض نعم الله عنده فيكما ، بتنافس يقدرح في تعاستكما  
 وتقاطع يعترض ذات بينكما» - الى ان يقول - «واعنقد ان بتديك  
 بالدعاء الى ارشد الطريقة واحسن الخليقة في الايجاب له ، والقبول منه ،  
 والتصرف على مراده واثاره ، والزوال عن جواب عتبه وانكاره .  
 ولا سيما وانت وعز الدولة في الملاحاة التي خرجتا اليها ، والوحشة التي الممتا  
 بها بمرأى ومسمع من اباعد واقارب ، ان يكن منهما ولى صديق فقد  
 سوؤتماه وعققتاه ، او عدو فقد كفيتماه وشفيتاه ، وما يختار ذلك مثلكما ،  
 من تقدمت قدمته ، وعات منزلته ، وبعد صيته ونبه ذكره . وظاهر ما بينكما  
 ظاهر : انت المحجوج فيه لانه ما تطرق اليك عملاً ولا افسد  
 عليك امراً . . . .» - ثم يقول . . . .

«وقد يجوز ان تكون بلاغات المتنحنين هاجتك . وحكايات  
 المتسوقين احفظتك ، وان تكون انكرت من الصفاء تكدرًا ، ومن الود  
 تغيرًا . فاين الاستعاب بالحسنى ، والاستعانة الى الاولى ، والاخذ بفضل من  
 قدمته السن والحنكة ، وتحلى بالثبات والمسكة ؟ والا كتبت امير المؤمنين  
 بما هجس في نفسك وصرحت اليه بجوجاء صدرك ، والتمست منه ما عساك  
 ان تبلغه منه بالملاطفة والموادعة ، دون الخاشنة والمتازعة »

.....

والكتاب كله من هذا الطراز العالي بل كيفما وقعت عينك على  
 رسائله تجد انشاءه يتجلى في جزالة مشبعة واطراد بليغ وعبارات طنانة حسنة  
 التوقيع . ومما يذكر للصابي - عدم اسرافه في تكلف المحسنات اللفظية<sup>(١)</sup> .  
 فهو من هذا القبيل شبيه بكتاب صدر الدولة العباسية . والذي يظهر ان هذا

(١) الأ في موافق الصيد فيشتد حينئذٍ سجمه ويكثر نقطيع فقرائه



الاسراف لم يملك على المنشئين مذاهبهم الا بعد هذه الطبقة كما نجد من المقابلة بين انشاء ابن العميد والصابي والصاحب وبديع الزمان، وانشاء القاضي الفاضل وعماد الدين الاصفهاني والحريزي واضرابهم .

## اطلاعه اللغوي

وقد اولع الصابي بالقرآن وحفظه وكان كثير الاستشهاد به في كتبه<sup>(١)</sup> ومن عباراته تظهر سعة اطلاعه اللغوي وانه ملك زمام الالفاظ بتصرف بها كيف شاء ، وقد لا يتورع عن استعمال الغريب منها اداءً لمعنى او شرحاً لعاطفة . وهو جريء في استعمال المجاز المناسب للحال وللمثيل على سعة اطلاعه وتصرفه في مجازاته ننقل العبارات التالية مع الاشارة الى مظانها في رسائله

صفحة

٢١	(اي ابطره الغنى)	نزت به نوازي البطنة
٢٢	(ما اتى بالكارثة)	وكشف ما اظلم وكرت
٢٣	(وهت حباله اي عزائمه)	تقضت مرأثره
٢٣		جثم الحتف على صدره
٢٣	(عند الجذب)	حل مني محل الغيث عند اللزبة
٢٦		وملك عليهم ما وراء الجبال
٣٦		ولم يلبثوا فيها الا فواقاً آخذين على سمت الموصل -
		(فواقاً قليلاً - سمت طريق)

(١) راجع مثلاً على ذلك الصفحات التالية من رسائله - ١٥ و ٢٧ و ٣١ و ٤٣ و ٤٥ و ٨٨ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٧ و ١١٢ و ١٢١ و ١٢٤ و ١٣٢ و ٣٣ و ١٤٩ و ١٥٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢١٢ و ٢١٣ وسواها

صفحة

- ٣٣ المتردّي من ذروة طاعتنا (المتردّي الهاوي)
- ٣٣ يدبّ الضراء (اي يمشي مختفياً في شجر الضراء، بمعنى المكر)
- ٣٣ يوكي على الغشّ عيابه (يقفل عليه خزائنه، يضمّر الغش)
- ٣٤ امتدّت في الغيّ اشطانه (اي حباله)
- ٣٦ عهد مُحصد (اي متين محكم)
- ٣٨ ونبأجت اليه كلاب الغارة الشعواء، وتعادت اليه ذئاب الصيلم الصماء (الصيلم الداهية)
- ٣٩ فتشوّف الينا من كان استغرّه منهم بأخذه (اي من كان قد غرّمهم بسحره)
- ٤٢ وتباكوا عليه (اي ازدحموا)
- ٤٧ فقد ارقدتما طرفه يقظتكما
- ٥٠ النقت حلقتنا البطان (البطان الحزام) يقال للامر اذا اشتدّ
- ٥٢ ويفتتح معاصمهم واعصارهم (ملاجئهم)
- ٥٤ الرأي الزنيق (المحكم)
- ٥٧ واستباحهم في موبل بعد موبل (في شدّة بعد شدّة)
- ٨٤ فتناولته باطراف العذل ملوّحاً ثمّ باثباجه مفصّحاً مصرّحاً ومتى التوى ملتوٍ بحقٍ يحصل عليه، ودين يستقرّ
- ١٠٨ في ذمته، قادوه الى ذلك بازمة الصفار، وخزائم الاضطرار
- ١١٣ وبجراحة السكك ان تناولها الايدي المدغلة والجهات الظنينة
- ١١٥ ثقبيل مذاهب ايه (نزع اليه في الشبه)
- ١١٧ نحلهم اياه من المفخر العدّ (العدّ - القديم الشريف)

صفحة

- ١٤٥ فان الشورى لقاح العقول والمباحثة رائد الصواب
- ٩٨١ صلي بالنائرة التي فوه نفع لها (النائرة - نار الفتنة)
- فان الشيطان لا يزال يكسو الخدع والشبهات سرايل
- ١٩٧ الحجج والبيّنات، ليستضلّ بها الاحلام ويستزلّ الأقدام
- وله مثل ذلك كثير

.....

والخلاصة ان الصابي من ايمة الانشاء الديواني وهو يقرن في نفسه ثقافة البلاط السلطاني بذكاء الاديب المتفنين، وقد تمكن بهاتين الخلتين من احراز اعلى المناصب الكتابية والتمتع بنصيب وافر من النعم السنية .

### نخب من رسائله

من كتاب كتبه عن الخليفة الطائع الى رعية خرجت عن الطاعة (١)

وفيه يظهر عدم تقيده بالسنج

« وتواترت الى امير المؤمنين اخبار اهمته ، وانباء ارمضته، من اجتماع طوائف من أحدائكم على امر خرجوا فيه عن طاعته، ونكثوا بيعته مما اظهوره من مشايعة من لم يجعل امير المؤمنين له ولاية عليكم، ولا سبيلاً الى نقلد شيء من اموركم : بل هو مقيم من عناده، والعيث في بلاده، على مركب سيستوعره ومشرب سيستمره . وهذه حال لا ينتظم لكم معها نظام صلاة ولا زكاة، ولا مناحجة ولا محاكمة اذ كان ذلك انما يصح ان يتولاه

امير المؤمنين او من يقلده اياه او يستخلفه عليه من اوليائه الراشدين . واما  
اذا اقتديتم فيه يدي قد خرجت عن عصمته ، وسقطت من جملة ، وبرئت  
ذمته منها وانبتت الاسباب بينه وبينها ، فانتم في هذا الفعل حارجون آثمون ،  
غاوون ضالون ، وكل راضٍ منكم به ، فقد اسخط الله ونبه وامامه  
ولو كنتم - والله بعصمكم - كفاراً لاوجب امير المؤمنين على نفسه ان  
يبدأكم في الدعاء الى الحق بالقول الاحسن ، والطريق الالين ، رجاء ان يعطف  
الله بكم الى الهدى ، ويشعركم شعار اهل الحجى ، من حيث لا يسفك لكم دم  
ولا ينتهك محرم . فاما وانتم مسلمون مؤمنون ، لكنكم مخطئون غالطون  
فاحرى واولى ان يصبر عليكم لتتزعوا ، ويتأنأكم لترجعوا ، ويقم في  
انفسكم الحجة ، ويردكم الى سواء المحجة : لكن قد جعل الله لذلك حداً  
محدوداً ، وامداً معلوماً ومتى قل انتفاع امير المؤمنين منكم ، وأطلتم عناءه  
فيه ، وراكم على المعصية مصرين ، وللتقمة مستجربين ، فهل يجد بدأ من تسريب  
العساكر اليكم ، واطلاق اعتتها عليكم ، وهل يماز لها حينئذٍ بربكم من  
سقيمكم ، وبركم من ائيمكم ؟ الا ترون الى قول الله : وانقوا فتنة لا تصيبن  
الذين ظلموا منكم خاصة : واي فتنة هي اعظم من طاعة الشيطان ، ومعصية  
السلطان ، والعيث في الدماء والديار ، واتباع السفهاء الاغمار ، الذين يحملونكم  
على اشنع خطة ، وبلجئونكم الى اضيق ورطة ؟ هيهات ما اضل ذلك من رأي  
واسوأه من اختيار ، وابعده من سداد وصواب ، واخلفه بعائدة نكال ووبال !  
وامير المؤمنين يُعذر ويُندر ، ويعظ ويزجر ، ويخوف ويحذر ، ويعيد ويكرر  
ابقاء عليكم ورعاية للعق الذي يوجه فيكم : فمن رجع القهقري وتزع  
وارعوى فالتوبة تنفعه ، والاثابة تنعشه والنفو يسعه ، والحلم يغمره . ومن دام  
على لجاجه ، واصراً على اعوجاجه ، نجيش امير المؤمنين تطرقه وعساكره

ترهقه ، والمعاصم تلفظه ، والمعامل تسلمه والشقي من كان معه ، والسعيد  
من برى منه »

٢ - من كتاب كتبه عن معز الدولة

عند ظفرو بروزبهان العاصي عليه بالاهواز

قال بعد تحميدة طويلة تقع في ٣ صفحات<sup>(١)</sup>

« وكان الغامط لانعامنا، الجاحد لاحساننا، المتردي من ذروة طاعتنا، الهاوي  
في هوة معصيتنا، الخالع ربة ذمتنا ، النازع جنة مشايعتنا، روزبهان بن وندا  
خرشيد، تصنع عندنا في قديم امره بالولاية، وتنفق بالكفاية واطهر لنا غروراً من  
سعيه في الخدمة وكدجه ، وسراباً لامعاً من وفائه ونصحته ، وهو يدب الضراء  
ويُسِرّ حسواً في ارتقاء ، ويوكي على الغش عيابه ، ويخنو على النكث ضلوعه  
وحجابيه ، ولا يبدي لنا بادية وفاق الا عن خافية نفاق ، ولا يطلع طالعة وداد الا  
عن خبيثة عناد ، ولا يبرز في شيمة من شيم الثقرب منا والتوصل الى قلوبنا ، الا  
كانت غطاء على حيلة يعملها او غيلة يرصد لها ، وغشاً على فرصة ينتهزها  
وغرّة يهتبلها . ونحن نحمل امره على ظاهره ، ونظن غائبه مثل حاضره وباطنه  
مثل عالته ، بل كلما زدناه احساناً وامتناناً ، زدنا اليه سكوناً وركوناً ، وكلما  
ارتقينا به الى منزلة ورتبة ، ارتقينا فيه الى مثلها من انسة وثقة ، حتى استبطناه  
من الحضيض الاوهد ، الى السناء الاعمجد ، وجذبنا بضبعه من المسقط المنحط  
الى المرفع المشتط ، وانتهينا في الانافة بقدره ، والاشادة بذكوره ، والتفخيم لامره  
والتقديم لقدمه الى الغاية التي لا تسمح بها نفس باذل ، ولا تسمو اليها همه آمل  
فلما عزّ بعد الذلة ، وكثر بعد القلة ، وبعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعده بعد  
الافول ، وجمّت عنده الاموال ، ووطئت عقبه الرجال ، وتضرمت بحسده

(١) الرسائل ٣٣ و٤٠ و٤١

جوانح الاكفاء، وتقطعت بمنافسته التماس النظراء، نزت به بطنته وادر كته  
شقوته، ونزغ له شيطانه، وامتدت في الغي اشطانه، فنصب اشراكه وحبائله  
واعمل مكابده ومخاتله

وبثنا رسلنا الى اوليائنا الحاصلين مع هذا الخائن الذين كل منهم احد  
الرجلين، اما مسفٌ الى تناول حطامه، عازم على خذلانه واسلامه، او مغلوب  
على رأيه محام عن حوبائه، طالب لنفسه فرصة الانسلاخ، وخلسة الانتقال  
فاستجابوا الى الواجب، واذعنوا بالحق اللازم، واقاموا ضروباً من العذر  
عندنا، ولاذوا بالمغو والغفران منا

فلما تراءى الناس هلال شوال وكادت تغشاهم غواشي الظلام، انزل الله  
نصره على اوليائه، وشفع لهم وعده بوفائه، فانهم الخائن هزيمة قوَض الله  
بها عروشهم، وفضَّ جيوشهم، وضلَّ وساوسهم، وابطل هواجسهم، واستلحمت  
رجالهم السيوف، وحرقتهم نار الخوف، واقسمتهم المكاره شعاعاً ابدي سباً  
بين قتيل مرمل، واسير مكبل، وهارب مفلول، ومستأمن ذليل

### ٣ - رسالة في التطفل<sup>(١)</sup>

وهي من باب الكتابة الهزلية

« هذا ما عهد علي بن احمد المعروف بعليكا الى علي بن عرس الموصلي،  
حين استخلفه على احياء سننه، واستنابه في حسن رسومه، من التطفل على  
اهل مدينة السلام وما يتصل بها من ارباضها واكنافها، ويجري معها في  
سوادها واطرافها، لما توسده فيه من قلة الحياء، وشدة اللقاء، وكثرة اللقم  
وجودة الهضم، ورآه اهلاً له من سدّ مكانه، والرفاهة المهمة التي فطن لها

(١) ثبت هنا بعضها، وتجدها كاملة في صبح الاعشى ١٤ ص ٣٦٠-٣٦٥

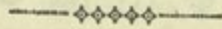
والرقاعة المطرحة التي اهتدى اليها ، والنعم العائدة على لابسها بملاذ الطعوم  
وخصب الجسوم

وامره ان يتأمل اسم التطفيل ومعناه ، ويعرف مغزاه ومنجاه ،  
ويتصفح تصفح الباحث عن حظه بمحموده ، غير القائل فيه بتسليمه وتقليده  
فان كثيراً من الناس قد استنبحه من فعله ، وكرهه لمن استعمله ، ونسبه  
فيه الى الشره والنهم ، وحمله منه على التفه والقرم . فمنهم من غلط في استدلاله  
فانشأ في مقاله ، ومنهم من شح على ماله ، فدافع عنه باحتياله ، وكل الفزيقين  
مذموم ، وجميعهما ملوم ، لا يتعلقان بعذر واضح ، ولا يعتريان من لباس  
فاضح ، ومنهم الطائفة التي ترى فيها شركة العنان ، فهي تتدله اذا كان لها  
وتندلى عليه اذا كان لغيرها ، وترى ان المنة في المطعم للهاجم الآكل ،  
وفي المشرب للوارد الواغل ، وهي احق بالحرية ، واخلق بالخيرية ، واحرى  
بالمروءة ، واولى بالفنوة ،

وامره ان يعتمد موائد الكبراء والعظماء بغزاياه ، وسُمط الامراء  
والوزراء بسراياه ، فانه يظفر منها بالغنيمة الباردة ، ويصل عليها الى الغنيمة  
التادرة ، واذا استقرها وجد فيها من طرائف الالوان ، المذلة للسان ، وبدائع  
الطعوم ، السائغة في الحلقوم ، ما لا يجده عند غيرهم ، ولا ينال الا لديهم ،  
لحذق صناعتهم ، وجودة ادواتهم ، وانزياح علمهم ، وكثرة ذات بينهم ،  
والله يوفى من ذلك حظنا ، ويسدد نحوه لحظنا ، وبوضح عليه دليلنا ،  
ويسهل اليه سبيلنا

وامره ان يصادق قهارمة الدور ومدبريها ، ويرافق وكلاء المطابخ  
وحمالها ، فانهم يملكون من اصحابهم ازمة مطاعمهم ومشاربهم ، ويضعونها  
بحيث يجوبون من اهل موداتهم ومعارفهم ، واذا عدت هذه الطائفة احداً من

الناس خليلاً من خلائها ، واتخذته اخاً من اخوانها ، سعد بمرافقتها ، ووصل  
الى محابيه من جهاتها ، وما آربه في جنباتها  
وامره ان يروض نفسه ، ويغالط حسه ، ويضرب عن كثير مما يلحقه  
صفاً ، ويطوي دونه كشفاً ، ويستحسن الصمم عن الفجشا . وان اتته  
اللكزة في حلقه ، صبر عليها في الوصول الى حقه ، وان وقعت به الصفة في  
راسه ، صبر عليها لموقع اضراسه ، وان لقيه لاقٍ بالجفاء ، قابله باللطف  
والصفاء ، اذ كان قد ولج الابواب ، وخالط الاسباب ، وجلس مع  
الحضور ، وامتزج بالجمهور ، فلا بد ان يلقاه المنكر لآمره ، ويمر به المستغرب  
لوجهه : فان حراً حياً امسك وتذمم ، وان كان فظاً غليظاً همهم وتكلم ،  
وتجنب عند ذلك الخاشنة ، واستعمل مع المخاطب له الملاينة ، ليرد غيظه ،  
ويقل حدة ، ويكف غربه ، ويأمن شغبه . ثم اذا طال المدى تكررت  
الالحاظ عليه فعرف ، وانست النفوس به فألف ، ونال من المحال المجتمع  
عليها ، منال من حثم وسئل الذهب اليها  
هذا عهد عليك بن احمد اليك ، ومحجة لك وعليك ، لم يالك فيه  
ارشادا وتوفيقا ، وتهذيباً وثقيفاً ، وبعثاً وتبصيراً ، وحثاً وتذكيراً ، فكن  
باوامره موثراً ، وبزواجره مزدجراً ، ولرسومه متبعا ، وبحفظها مضطلعاً ،  
ان شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»





## القاضي الفاضل

٥٢٩ - ٥٩٦ هـ

### نشأته ومطائفه

ولد « كاتبنا » واسمه عبد الرحيم بن علي البيساني في عسقلان وكان والده قاضياً فيها<sup>(١)</sup> . ولما ترعرع ظهر فيه ميل الى الادب فرأى والده ان يلحقه بديوان المكاتب ليتخرج هناك على كبار المنشئين . فarsله الى مصر ايام الحافظ الفاطمي<sup>(٢)</sup> . وكان رئيس الديوان في تلك الايام الموفق بن الخلال . قال القاضي الفاضل<sup>(٣)</sup> « فلما مثلت بين يديه وعرفته من انا وما طلبتي رحب بي وسهل ، ثم قال لي ما اعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندي شيء سوى اني احفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة . فقال في هذا بلاغ ، ثم امرني بملازمته . فلما ترددت اليه وتدربت بين يديه امرني بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فخلتته من اوله الى آخره ، ثم امرني ان احله مرة ثانية فخلتته »

اما ابن خلكان فيصحح الرواية السابقة التي ذكرها ابن الاثير ويقول ان القاضي الفاضل دخل مصر ايام الظاهر بن الحافظ وان والده ترك بيسان لخلاف بينه وبين والي الناحية فاستدعي الى مصر وصورده ماله وتوفي هناك<sup>(٤)</sup> اي لما كان صاحب الترجمة في السابعة عشرة من عمره .

(١) وفيات الاعيان ٢-٦٠٨ (٢) الوشي المرقوم ٩

(٣) الوشي المرقوم ٩ (٤) الوفيات ٢-٥٤٦

والمهم من الروايتين ان القاضي الفاضل أمّ مصر حدثاً وتأدّب فيها .  
وبعد موت والده ترك مصر الى الاسكندرية وقصد ابن حديد قاضيها  
وعرفه بنفسه فعطف عليه واستكبه . وكانت مكاتبات ابن حديد ترد  
الى مصر بخطه<sup>(١)</sup> وهي غاية في البلاغة . فاثار ذلك حسد كتاب الانشاء  
وخافوا ان يتقدم عليهم فسعوا الى الظاهر به . ولكن هذه السعاية كانت  
لخيره فان الظاهر الفاطمي استقدمه اليه واستخدمه<sup>(٢)</sup> .

ولما تولى صلاح الدين الايوبي المشهور امر مصر جعله وزيره<sup>(٣)</sup> .  
فنال غاية الشرف لديه . وبعد وفاة صلاح الدين ابقاه ولده الملك العزيز على  
حاله من الرفعة ونفاذ الامر . ولم يزل كذلك ايام العزيز وايام ولده الملك  
المنصور حتى دخلت مصر في حوزة الملك العادل فتوفي بجأة اول دخوله  
اليها وذلك سنة ٥٩٦ هـ . قال ابن خلكان « وقد زرت قبره بسفح المقطم  
مراراً وقرأت تاريخ وفاته على الرخام وكان من محاسن الدهر »

ومن مآثره انه بنى مدرسة بمصر ووقف لها اوقافاً ونقل اليها بعض  
كتبه<sup>(٤)</sup> . ونقل طائش كبري زاده المتوفى ٩٦٢ انه اشترى اكثر كتب  
خزانة الفاطميين ووقفها على المدرسة المذكورة<sup>(٥)</sup> . واسنفتح التدريس بها  
مستهلّ المحرم من سنة ٥٨٦ اي وهو في السابعة والخمسين من عمره . ومما  
يذكر انه وقف على الاسارى وقفاً عمياً فاستنقذ به خلقاً عظيماً ومع ذلك  
لم يخل من هجاء بعض الناقلين عليه<sup>(٦)</sup> .

قلنا انه نال غاية الشرف عند اهل الامر . وبكفي للدلالة على علو منزلته

(١) الوفيات ٢ - ٦٠٩ (٢) وفيات الاعيان ٢ - ٦٠٩

(٣) وفيات الاعيان ١ - ٤٠٢ (٤) مرآة الزمان ٨ ص ٣٠٥

(٥) مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٤١ (٦) مرآة الزمان ٨ - ٣٠٥

ان صلاح الدين كان يقول في ملأ من الناس « لا تظنوا ملكت البلاد  
بسيوفكم بل بقلم الفاضل<sup>(١)</sup> »

رجل مثل القاضي الفاضل يبلغ من الادب ما بلغ ويحظى من شرف  
الرئاسة بما حظي تحقيق ان يمدحه الناس في عصر كان المدح بضاعة الابداء ،  
كما كان ايام ابن العميد والصابح بن عباد . وقد كثر مداحه حتى قال  
العماد الاصفهاني انه مدح بمئة الف بيت من الشعر<sup>(٢)</sup> . ونجتزئ من مدح  
المداحين له بما انشأه العماد نفسه في خريدته اذ قال على طريقته من الثائق  
والغلو في التقريظ - « رب القلم والبيان ، والاسن واللسان ، والقريحة  
الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبديهة المعجزة ، والبديعة المطرزة . فهو  
كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع . مخترع  
الافكار ، ويطلع الانوار ، ويدع الازهار . وهو ضابط الملك بأرائه ،  
رابط السلك بلائمه . ان شاء انشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو  
دوّن لكان لاهل الصناعة خير بضاعة . اين قس عند فصاحته . واين قياس  
في مقام حصافته ، ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته ؟ » الخ  
ولمعاصره الشاعر المعروف بابن الساعاتي جملة مدائح . منها قصيدة  
مطلعها :

اماط لثاماً فاجتلى القمر الادنى      والتى وشاحاً فاجتني العنصن اللدنا  
ومنها في مدح انشائه :

هو العارض الوسمي وهو وليه      فيسراه فيها اليسر واليمن في اليمنى  
اذا ما انبرى في طرسه قالت النهي      قفوا فانظروا ما يصنع الناحل المضني  
وإمّا اتى يوماً عدواً كتابه      ثنى جيشه ثاني العنان وقد اثنى

هو الدهر فالطرس الصباح تباجت ثناياه والنفس الظلام اذا جناً  
 فهل خطه خطية سمرية فلم نر خطاً غيره يهزم القرنا  
 بنا طربُ مما يصوغ براءه فهل صاغ حلياً للسامع او لحنا

ومثل ذلك قوله من قصيدة ومطلعها

حياك احيا الوجد بل انلف الصباً وقُلبك امسى سا كننا يزعج القلبا

وفي مديحه يقول -

هو الشمس لم تجنح لغرب ذنية هو السيف لم يفلل له مضرب غربا  
 تحمل عبء الملك مضطلعاً به وفاض على العافين كالبحر اذ عبأ

الى ان يقول -

اقام لسان العرب بعد اعوجاجه اخو كلم يستعبد العجم والعربا  
 له قلم مثل الحسام ذبابه بانمله كم بذ خلقاً وكم ذباً  
 خميس اذا ما الخمس حاطت جهاته وإما تمادى خاطباً اغم الخطبا  
 يمت ويحيي كاتباً ومكتباً لداعيه والعاذي الكتاب والكتبا

ومنها

طوى ذكر سحبان فاقبل ساحباً لديه ذبول العجز تستلم التربا  
 سحابٌ همى خصباً وجدباً وقلما رأيت سحاباً يطر الخصب والجديبا

وله فيه كثير غير ذلك<sup>(١)</sup>

(١) راجع مخطوطة ديوانه في مكتبة الجامعة الامير كية في بيروت

## اسلوبه الإنشائي :

لا يخرج انشاء القاضي الفاضل عما كان عليه الانشاء الديواني منذ ايام ابن العميد والصابي والصاحب، الا أنه يمتاز كما يمتاز معاصره وزميله العماد الاصبهاني ومن جاراها من منشي ذلك الزمان بالتوفر على صناعة البديع . والعصر الذي نشأ فيه صاحب الترجمة اي القرن السادس الهجري عصر بلغ فيه التألق البياني في الشعر والنثر مبلغاً عظيماً ، وقد ظهر تأثيره في كل العصور التالية حتى انصرفت عناية المتأدين ولا سيما المنشئين الى ما يلبسون الكلام من زخارف الزين اللفظية . ومما لا ريب فيه انه كان للقاضي الفاضل بد طولى في هذه الحركة حتى عدَّ شيخ الصناعة الكتابية ، وحتى صاروا يقولون الطريقة الفاضلية . واليك اهم مزاياها -

## البيان المجازي :

ونعني بذلك تشخيص المعاني والتوفر على الاستعارات : كقوله من رسالة كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة ببغداد يبشّره بفتح بلد من بلاد النوبة وانهزام ملكها بعساكره <sup>(١)</sup> . وهي طويلة بداها بالصلاة ثم بتعظيم الخليفة ثم بذكر الفتح وتفنن في كل ذلك ما شاء حتى وصل الى ذكر الهزيمة فقال يصف جلاء العدو عن دياره :

« ولم يبق الآم واقد نيران رحلت قلوبهم بضر امها ، واثافي دهم اعجلت المهابة ما ردّ سغبهم عن طعامها ، وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من روؤس بني حامها ، وعوافي طير كانت تنتظر من اشلائهم فطر صيامها .

(١) راجع صبح الاعشى ٦ ص ٥١١ - ٥١٥

وعادت الرُّسُلُ المنفَّذة لاقتفاء آثارهم ، واداء اخبارهم ، ذاكرةً انهم لبسوا الليلَ حداداً على النعمة التي خُلمت ، وغسلوا بماء الصبح اطماع نفسٍ كانت قد تطلَّعت ، وأنهم طلمعوا الاوعار اوعالاً ، والعقاب عقيباً ، وكانوا المهابط الاودية سيولاً ، ولأعالي الشجر قضباناً - فرأى المملوك ان الكتاب فيهم قد بلغ اجله ، والغزم منهم قد نال امله ، والفتك بهم قد اعمل مُنصَّله ، وأن سيوف عساكر امير المؤمنين منزَّهة ان تُترىق الأدماء ا كفاها من الابطال ، وان تلقى الأوجوه انظارها من الرجال ، وان المذكورين ثمل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده ، ورمل اطاره العاصف الذي يسحفه ويقوده . واصدر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم عارية ، والكلمة بانخفاضهم غالية عالية ، وبد الله على اعدائه عادية ، وانفس المخاذيل في وثاق مهابته العالية عانية»

فالقارئ يرى في هذه القطعة ميل كاتبها الى الاستعانة بالمجاز - فان ارتحال القلوب ، واعمجال المهابة ما ردَّ السَّغب ، وعوافي الطير ، ولبس الليل حداداً ، وغسل ماء الصبح ، وطلوع الاطوار اوعالاً ، وهبوط الاودية سيولاً ، واعمال الفتك منصلة ، والانفس في وثاق المهابة ، وغير ذلك مما في الرسالة من تجسيم المعاني وتشخيص الجماد - كل ذلك دليل على تأنيق متكلف وصناعة في ذلك العصر رائجة

ومن تأنيقه بهذا الضرب من الانشاء قوله من رسالة عن صلاح الدين الى ديوان الخلافة ببغداد ايام الناصر لله ببنشره بفتح القدس وذلك سنة ٥٨٣ هـ والمقام طبعاً يقتضي التعظيم والتهويل ولم يقصر فيهما القاضي الفاضل اذ قال واصفاً الخذال العدو<sup>(١)</sup> -

« وقد اظفر الله بالعدو الذي تشظت قنانه شققاً ، وطارت فرقه فرقا  
وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون  
السيوف دونها كسيفة ، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تربق نطف  
الكرى من الجفون ، وجدعت انوف رماحه وطالما كانت شاحمة بالمنى او  
راعفة بالمنون » -

ثم يقول -

« فيوت الشرك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة » - ويقول -  
« فكم اهله سيوف تقارضن الضراب بها حتى صارت كالعراجين ، وكم انجم  
اسنة تبادلن الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسية ركض عليها  
فارسها السهم الى اجل فاختمسه ، وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد  
نهش القرن على بعد المسافة فافترسه »

ومن غريب هذا الاسلوب قوله من الرسالة عينها يذكر هجوم المسلمين  
على سور القدس وهدمه - « فصاغت (القيس) السور باكتافه فاذا اسهمها  
في ثنايا شرفاته سواك ، وقدم النصر نسرا من المنجنيق يُخلد اخلاده الى  
الارض ويعلو علوه الى السماك . فامكن النقب ان يسفر للحرب النقب ،  
وان يعيد الحجر الى سيرته الاولى من التراب . فتقدم الى الصخر فضع  
سرده باثياب معوله ، وحل عقده بضربه الاخرق الدال على لطافة انله ،  
واسمع الصخرة الشريفة حينه واستغاثته الى ان كادت ترق لمقبله ، وتبرأ  
بعض الحجارة من بعض ، واخذ الخراب عليها موثقا فلن تبرح الارض » .

ونشير اشارة خاصة في هذه القطعة الاخيرة الى جعله الاسهم مناويك  
في ثنايا الشرفات - واثياب المعول تضع الصخر الاصم في السور - والخراب

ياخذ على الحجارة موثقاً فلن تبرح الارض . وفي كلامه كثير من مثل هذه  
المجازات المتكلفة التي كان يُعنى بها اتم العناية ويتوخى استعمالها تعظيماً لل مقام  
واظهاراً لبراعته في فنون الكلام

### الجناس

والجناس من الفنون المستحبة عند المنشئين . قال ابن الاثير ( وهو ممن  
دخلوا في خدمة صلاح الدين على يد القاضي الفاضل ) . « اعلم ان التجنيس  
غرة شاذخة في وجه الكلام وقد تصرف العلماء من ارباب هذه الصناعة فيه  
فغربوا وشرقوا لاسيما المحدثين منهم ، وصنّف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه  
ابواباً متعددة . وحقيقته ان يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً » الخ <sup>(١)</sup>

وقد اولع به القاضي الفاضل وتكلفه في رسائله ومن امثلة ذلك قوله <sup>(٢)</sup>  
« والشرق يهتدي بانواره ، بل ان ابدى نوراً من ذاته هتف به الغرب بان  
واره » فانوار الاولى جمع والثانية مؤلفة من ان الوصلية والامر من يوارى  
وفي ذلك ما فيه من التصنع . ومنه قوله عن العدو <sup>(٣)</sup> . « راسل ورأى سلّ  
السيوف بغمده ، وما كر وما كر لعلمه ان الحتف بغمده » . فالجناس في  
راسل ورأى سلّ وما كر وما كر وبغمده وبغمده .

ومن ثفته في الجناس قوله <sup>(٤)</sup> — فالحمد لله الذي صدقه وعده ، واورثه  
الارض وحده ، وجدّد علاه واعلى جدّه ، واسعد نجمه وانجم سعده ،  
ووعده نجحه وانجح وعده ، واورده وصفه واصفى وردّه » فانث ترى فيه  
انعكاس الالفاظ في القريبتين وهو ما يسمونه بالجناس المعكوس

(١) راجع تفصيل ذلك في المثل السائر ١٥٣ - ١٦١ (٢) صبح الاعشى ٦ - ٤٩٨

(٣) صبح الاعشى ٦ - ٥١٣ (٤) صبح الاعشى ٦ - ٥١١



وقوله<sup>(١)</sup> « - والحمد لله الذي اعاد الاسلام جديداً ثوبه ، بعد ان كان جديداً حبله » . ويراد بجديداً الثانية منقطعاً  
 وقوله<sup>(٢)</sup> « - وان عزّ اول الاسلام بحطّ تاج فارس ، فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس » - ففارس الاولى بلاد الفرس والثانية صاحب الفروسية  
 وقوله<sup>(٣)</sup> « - والكلمة بانخفاضهم غالية عالية ، ويد الله على اعدائه عادية ، وانفس المخاذيل في وثاق من مهايته العالية عانية »  
 وقوله<sup>(٤)</sup> « - فلم يخرج من مراوغة تحتمها مغاورة ، ومكاسرة وراءها مكاشرة »  
 وقوله<sup>(٥)</sup> « - وكان النيل قدما قد فرّت عن الفرات ابناؤه ، وتحصّنت غلّل المؤمنين عنه فلم يتغلغل اليها ماؤه »

.....

ومثل الجناس في الشيعوع الطبايق وهو كثير في كلام القاضي الفاضل ونكتني هنا بالاشارة اليه .

### سعة الترسل او التبسط

ونعني به الميل الى العطف والترادف والاطناب كقوله يصف الاسلام في عرض رسالة عن صلاح الدين الى الخليفة المستضيء ببشره بفتح بلد من بلاد النوبة<sup>(٦)</sup> -

« ان الله قد رفع ملة الاسلام على الملل ، وكذل نمرها وكفى ما كفل

(١) صبح الاعشى ٦ - ٥١٨ (٢) صبح الاعشى ٦ - ٥١٩

(٣) = = ٥١٤ - ٦ (٤) = = ٥١٤ - ٦

(٥) = = ٥٠٨ - ٦ (٦) = = ٥٠٧ - ٦

وحمل ملكها وحمل . وجعل لها الارض في ايدي المخالفين ودائع ، وممكن  
 يده من اعناقهم فهي اما تعقد الاغلال او تصوغ الصنائع . والحق بها قائم  
 العمود ، والسيف الكفاية لازم العمود ، والبشائر تسمك الصباح وتخلق  
 الدجى ، والجبل على طول ما تشتمل الوحا ننتعل الوجى ، والايام زاهرة ،  
 وعزة اولياءها قاهرة ، وذلة اعدائها ظاهرة ، وعنايات الله لديها متوالية  
 مظاهرة . اذا تغرب اسمها يوماً عن منبر أعيد الى وطنه غدا ، واذا أوقدت  
 نار فتنة في معصيتها أوقدت في طاعتها نار هدى .

ففي هذه القطعة ترى الكاتب ينسج معنى واحداً هو عظمة الاسلام  
 وازدهار ملكه في نحو خمس عشرة سبعة متشابهة - ارتفاع الاسلام ونصر  
 الله له ، وتمكنه من اعناق الاعداء ، وقيام الحق به ، وازدهار الايام ، وعزة  
 الاولياء ، وذلة الاعداء ، وعناية الله - كل هذه العبارات اشكل مختلفة  
 اشيء واحد . وانما تبسط فيها تعظيماً لموضوع الكلام كما فعل في الفقرات  
 التالية من الرسالة نفسها تحقيراً لاعداء الاسلام قال :

« فهل ترى لهم من باقية ، او تسمع لهم من لاغية ، او تجد اليهم من  
 صاخية . فاصبحوا لا ترى الامساكنهم او مساكنهم ، وحصدوا حصد  
 الحشيش ثم لا تخاف سيوفهم ولا سكاكينهم ، واستنزلوا من عقاب اللوح  
 وسجنوا في الهم من طول مداومة عقاب الروح . ثم تداركوا الى الدرك  
 واشتركوا في الشرك ، واقفرت منهم عراض ، وزهدت فيهم خواص ،  
 وعلم ان ليس لله غالب ، وان ليس يفوته طالب ، وان الملك لله وحده ،  
 وان الويل لمن تجاوز امره وحده »

فكل هذه الامجاع لو جمعت معانيها لما تجاوزت قولنا - خربت ديارهم  
 وقهرت رجالهم وادركهم عقاب الله وهو الغالب القهار

ولو اردنا ان نناشده بما للقاضي الفاضل من ذلك لتحتم علينا ان ننقل  
 جميع رسائله او جلها فانك قلما ترى له رسالة لا تظهر فيها جميع مزايه ولا  
 سيما هذا العطف او الترادف الترسلي ، ويكثر ذلك طبعاً في رسائل الفتوح  
 حيث يقتضي المقام التعظيم والتفخيم . ونقترن هذه المزايا التي ذكرناها له بما  
 يشترك به كبار المنشئين من توازن العبارات وحسن سبك الالفاظ ومثانة  
 التركيب ، وسترى ذلك كله في المختارات التالية من رسائله :

### نخب من رسائله

#### ١ - كتاب عن صلاح الربيع الدبوبي

الى بردويل ملك القدس معزباً له في ابيه (١)

اما بعد - خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد ،  
 والسعد الساعد ، والحظ الزائد ، والتوفيق الوارد ، وهنأه من ملك قومه  
 ما ورثه ، واحسن من هداه فيما اتى به الدهر واحدثه : فان كتابنا صادر اليه  
 عند ورود الخبر بما ساء قلوب الاصادق ، والنعي الذي وددنا ان قائله غير  
 صادق ، بل الملك العادل الاعز الذي لقاها الله خير ما لقي مثله ، وبلغ الارض  
 سعاده كما بلغه محله ، معزباً بما يجب فيه العزاء ، ومتأسف لفقده الذي عظمت  
 فيه الارزاء : الا ان الله سبحانه قد هون الحادث ، بان جعل ولده الوارث ،  
 وانسى المصاب ، بان حفظ به النصاب ، ووهبه نعمتين : الملك والشباب ،  
 فهيناً له ما حاز ، وسقياً لقبر والده الذي حق له الفداء لو جاز ، ورسولنا  
 الرئيس العميد مختار الدين ، ادام الله سلامته ، قائم عنا باقامة العزاء من لسانه

ووصف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه ، وكيف لا يستوحش ربُّ الدار لفرقة جيرانه ؟ وقد اسنفتحنا الملك ، بكتابنا وارتيادنا وودُّنا الذي هو ميراثه عن والده من ودادنا . فليلق التحية بمثلها ، وليأت الحسنه ليكون من اهلها ، وليعلم انَّا له كما كنا لايه : مودَّة صافية ، وعقيدة وافية ، ومحبة ثبتت عقدها في الحياة والوفاة ، وسريرة حكمت في الدنيا بالموافاة ، مع ما في الدين من المخالفات . فليسترسل الينا استرسال الواثق الذي لا ينجل ، وليعتمد علينا اعتماد الولد الذي لا يحمل عن والده ما تحمّل والله يديم تعميره ، ويجرس تأميره ، ويقضي له بموافقة التوفيق ، وبلمه تصديق ظن الصديق «

## ٢ - كتاب بفتح القدس

كتبه سنة ٥٨٣ عن صلاح الدين الى الخليفة الناصر ببغداد ، وهو كبير يقع في نحو ٨ صفحات من صبح الاعشى<sup>(١)</sup> . ثبت منه هنا ما يلي - وقد مرَّ معنا بعض فقراته

« وكتاب الخادم هذا وقد اظفر الله بالعدو الذي تشظَّت قناته شققا ، وطازت فرقه فرقا ، وفلَّ سيفه فصار عصا ، وصُدعت حصاته وكان الاكثر عدداً وحصا ، فكأت حملاته وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالعيان ، عقوبة من الله ليس لصاحب يدٍ بها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفة ، ونام جفن سيفه وكانت بقظته تربق نطف الكرى من الجفون ، وجدعت انوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى ، او راعفة بالمنون فيبوت الشرك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة ، وطوائفه المحامية ،

(١) صبح الاعشى ٦ ص ٤٩٦ - ٥٠٤

مجتمعة على تسليم البلاد الحامية ، وشجعانه المتوافية ، مذعنة يبذل المطامع الوافية ، لا يرون في ماء الحديد لهم عصرة ، ولا في فناء الافنية لهم نصرة ، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من ايدي اصحاب المشامة الى ايدي اصحاب الميمنة

ولما لم يبق الا القدس وقد اجتمع اليها كل شريد منهم وطريد ، واعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد ، وظنوا انها من الله مانعته ، وان كنيستها الى الله شافعتهم<sup>(١)</sup> : فلما نازها الخادم رأى بلداً كبلاد ، وجمعاً كيوم التناد ، وعزائم قد تألفت وتألفت على الموت فنزلت بعرضته ، وهان عليها مورد السيف وان تموت بفضته ، فزاول البلد من جانب فاذا اودية عميقة ، ولجج وعرة غريقة ، وسور قد انعطف عطف السوار ، وابرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار ، فعدل الى جهة اخرى كان للمطامع عليها معراج ، وللغيل فيها متولج ، فنزل عليها ، واحاط بها وقرب منها ، وضربت خيمته بحيث يناله السلاح باطرافه ، ويزاحمه السور باكتافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازها ، وبرز اليها ثم بارزها ، وحاجزها ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع اهلها فاذا هم لا يصبرون على عبودية الجد عن عتق الصفع ، فراسلوه يبذل قطعة الى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة ، وانتظاراً لنجدة ، فعرفهم في لحن القول ، واجابهم بلسان الطول ، وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصياً وجبالها ، واوتر لهم قسيها التي تضرب فلا تفارقها سهامها ، ولا يفارق سهامها نصالها ، فصاغت السور باكتافه فاذا اسهمها في ثنايا شرفاتها سواك ، وقدّم النصر نسرأ من المنجنيق يخلد اخلاده الى الارض ويعلو علوه الى السماء ، فشج مرادع ابراجها ،

(١) كذا في الاصل بدون جواب «لأ» وهو مفهوم من المقام

واسمع صوت عيجها ، ورفع مثار عجاجها ، فاخلى السور من السيارة ،  
والحرب من النظارة ، فامكن النقاب ، ان يسفر للحرب النقاب ، وان يعيد  
الحجر الى سيرته من التراب ، فنقدم الى الصخر فمضغ سرده ، بانياب معوله  
وحل عقده بضره الاخرق الدال على لطافة انمله ، واسمع الصخرة الشريفة  
حينه واستفائته الى ان كادت ترق لمقبله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض  
واخذ الخراب عليها موثقاً فان تبرح الارض ، وفتح في السور باب سد من  
نجاتهم ابواباً ، واخذ تقب في حجره قال عنده الكافر : يا ليتني كنت تراباً  
حينئذ يس الكفار من اصحاب الدور ، كما يس الكفار من اصحاب القبور  
وجاء امر الله وغرهم بالله الغرور

واوزع الخادم برد الاقصى الى عهده المعهود ، واقام له من الائمة من  
يوفيه ورده المورود ، واقامت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان ، فكادت  
السموات يتفطرن للسجود لا للوجوم ، والكواكب ينتثرن للطرب  
لا للرجوم ، ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكانت طرائقها مسدودة ، وظهرت  
قبور الانبياء وكانت بينهم بالنجاسات مكدودة ، وأقيمت الخمس وكان  
التثليث يقعداها ، ( وجهرت الالسن بالله اكبر وكان سحر الكفر يقعداها )  
وجهر باسم امير المؤمنين في قطبه الاقرب من المنبر ، فرحب به ترحيب من  
بر بن بر ، وخفق علماه في حفايه ، فلو طار به سروراً لطار بجناحيه «

## لسان الدين محمد بن الخطيب

٧١٣ - ٧٧٦ هـ

توطئة تاريخية :

نشأ لسان الدين في بيت علم ورياسة . فأبوه عبد الله كان من اهل  
الادب والطب ، وجدّه الاعلى ( وهو اول من تلقب بالخطيب ) عُرِف بالعلم  
والدين والخير ، وكذلك جدّه الاقرب<sup>(١)</sup> . وكان يتهم يعرف بيني الوزير ثم  
بينى الخطيب . قال ابن خلدون عند ذكر نسبه -

« اصل هذا الرجل من لوشه على مرحلة من غرناطة . كان له بها سلف  
معدود في وزرائها ، وانتقل ابوه عبد الله الى غرناطة واستخدم للملك بني  
الاحمر واستعمل على مخازن الطعام . ونشأ ابنه محمد هذا ( اي لسان الدين )  
بغرناطة<sup>(٢)</sup> . ولما مات ابوه كان ابن الخطيب لا يزال في مفتتح شبابه لكن  
ذلك لم يحل دون خدمته للسلطان وفي هذا الصدد يقول :

« خلفني ( اي ابوه ) عالي الدرجة ، شهير الحطة ، مشمولاً بالقبول ،  
مكتوفاً بالعناية ، فقلدي السلطان سرّه ولماً يستكمل الشباب ، ويجمع  
السن ، معززاً بالقيادة ورسوم الوزارة ، واستعملني في السفارة الى الملوك ،  
واستنابني بدار ملكه ، ورمى الى يدي بخاتمه وسيفه ، واستأمنني على صوان  
حضرتي ، وبيت ماله ، وسجون حرّمه ، ومعقل امتناعه . ولما هلك السلطان

(١) نفع الطيب ٣ - ٣ (٢) تاريخ ابن خلدون ٧ - ٣٣٢ (٣)

ضاعف ولده حظوتي ، وأعلى مجلسي ، وقصر المشورة على نصحي ، الى ان كانت عليه الكائنة<sup>(١)</sup>

اما ابن خلدون وهو معاصر له فيقول « ان ابن الخطيب رقي الى خدمة السلطان ابي الحجاج وأثبت في ديوانه مرووساً بأبي الحسن بن الجيَّاب<sup>(٢)</sup> شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكتب السلطان بغرناطة وان ابن الجيَّاب استبدَّ برئاسة الكتاب الى ان هلك بالطاعون وذلك سنة ٤٤٩ . فولى السلطان يومئذٍ ابن الخطيب رئاسة الكتاب بابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقلَّ بذلك<sup>(٣)</sup> فيكون عمر كاتبنا اذن يوم تولى الوزارة ورئاسة الكتاب ستاً وثلاثين سنة . وهذا لا يصدق حسب الظاهر على ما ذكرناه له آنفاً من الكلام على علاقته بالسلطان . ويمكن الجمع بين القولين بان ابن الخطيب دخل في خدمة السلطان وهو حدث واخذ كما قال ابن خلدون يرتقي حتى بلغ اوج الارتقاء بعد وفاة ابن الجيَّاب

وفي سنة ٧٥٥ قتل سلطانه ابو الحجاج فانقل الى خدمة ولده السلطان محمد وزيراً وكاتباً وسفيراً ، بل جعله رديفاً له في امره<sup>(٤)</sup> ، فجرت الدولة على احسن حال واقوم طريقة . لكن الحال لم تدم على صفائها فنشبت ثورة اقصت السلطان عن عرشه الى وادي آش فقبض الثوار على ابن الخطيب والقوه في السجن . وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق ( وهو احد مشايخه ) مودة فزين ابن مرزوق لسلطان المغرب ابي سالم استدعاء ملك غرناطة الخلع لاغراض سياسية ، فارسل الى اهل الاندلس سفيراً يطلب منهم تسهيل طريقه

(١) الاحاطة نقلاً عن فتح الطيب ٣ - ٤٠ (٢) في تاريخ ابن خلدون

الحجاب وقد تابعنا في لفظها فتح الطيب ودائرة المعارف الاسلامية

(٣) ابن خلدون ٧ - ٣٣٢ (٤) ابن خلدون ٧ - ٣٣٣



الى المغرب وحملته الشفاعة في ابن الخطيب وحلّ معتقله . فقبلوا شفاعته  
 وصحب السفير الى سلطان المغرب فاكرم مثواه<sup>(١)</sup> . ويظهر ان ابن الخطيب  
 ملّ حياة الوزارة ودسائسها ، واراد التخلّي عن خدمة الملوك ، والتحلّي بزينة  
 اهل التصوّف والسلوك ، فلم يرد الله ما اراده ابن الخطيب .  
 وكان قد احسّ من شيخه ابن مرزوق حينئذ الى الدنيا وغرورها  
 فكتب رسالة يصف فيها خدام الدولة ومصايرهم ، وينبّه الى النظر في  
 عواقب الرئاسة - قال المقرّي « وكان لسان الدين اشار ببعض فصولها الى  
 نفسه ، ونطق بالغيب في نكته التي قادته الى رسمه » . ومن هذه الرسالة  
 قوله<sup>(٢)</sup> -

« ليت شعري ما الذي غبّط سيدي بالدنيا ، وان بلغ من زبرجدها  
 الرتبة العليا ، أتوقّع المكروه صباحاً ومساءً ، وارثقاب الحوالة التي تدبيل  
 من النعيم البأساء ، ولزوم المنافسة التي تعادي الاشراف والروساء ؟ أترتب  
 العتب على التقصير في الكتب ، وضغينة جار الجنب ، وولوع الصديق  
 باحصاء الذنب ؟ النسبة وقائع الدولة اليك وانت بري ، وتطويقك الموبقات  
 وانت منها عري ؟

أقطع الزمان بين سلطان يعبد ، وشهام للغيوب تكبّد ، وعجاجة شرّ  
 تلبّد ، وأقبوحة تخلد وتوبّد ؟ الوزير يصانع ويدارى ، وذوي حجة صحيحة  
 يجادل في مرضاة السلطان ويمارى ، وعورة لا تواري ؟ المباكرة كل غرن  
 حاسد ، وعدو مستأسد ، وسوق للانصاف والشفقة كاسد ، وحال فاسد ؟  
 الوفود تتراحم بسدّتك ، مكلفّة لك غير ما في طوقك ، فان لم يقع الاسعاف

(١) ملخصة عن ابن خلدون ٧ ص ٣٣٣ - ٣٣٥

(٢) نفح الطيب ٣ ص ٧٨ و ٧٩

قلبت عليك السماء من فوقك ؟ أجلساء يبابك ، لا يقطعون زمان رجوعك  
وايابك ، إلا بقبیح اغتياك ؟  
وما الفائدة في فرش تحتها جمر الغضى ، ومال من ورائه سوء القضا ،  
وجاه يملق عليه سيف منتضى . واذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا يُملك ،  
واللجاج حول المسقط الذي تعلم انها فيه تهلك ، فكيف تنسب الى نبل ، او  
تسير من السعادة في سبل ؟ وان وجدت في القعود بمجلس التجمية ، بعض  
الاريجية ، فليت شعري اي شيء زادها ، او معني افادها ، ، الامباكرة  
وجه الحاسد ، وذو القلب الفاسد ، ومواجهة العدو المستأسد ؟ او شعرت  
بعض الابناس في الركوب بين الناس ، ما التذت الا بحكم كاذب ، او  
جذبها غير الغرور جاذب ، انما راكبك من يمدق الى الحلية والبهزة ،  
ويستطيل مدة العزة ، ويرتاب اذا حدثت بخبرك ، ويتبع بالنقد والتجسس  
مواقع نظرك ، ويمنعك من مسامرة انيسك ، ويحتال على فراغ كيسك ،  
ويضمر الشر لك ولرئيسك . وأي راحة لمن لا يباشر قصده ، ويمشي اذا  
شاء وحده ؟

ثم يذكر مشاغل الوزير ومتاعبه فيقول :

«أما ليله ففكر او نوم ، وعتب بجراء الضرائر<sup>(١)</sup> ولوم ، واما يومه  
فتدبير ، وقبيل وديبر ، وامور يعيا بها ثبير ، وبلاء مبير ، ولفظ لا يدخل  
فيه حكم كبير ، وانا بمثل ذلك خبير »

والرسالة طويلة نفع في اربع صفحات من صفحات نفع الطيب و كلها  
على هذا النسق من الموعدة والنصيحة

(١) كذا في الاصل وفيه ابهام

وفي سنة ٧٦٣ عاد السلطان محمد الى ملكه بالاندلس فاستقدم ابن الخطيب ودفع اليه تدبير المملكة . قال ابن خلدون « وانفرد بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه ، وعلقت عليه الآمال ، وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه <sup>(١)</sup> »

« وخيل لابن الخطيب ان السلطان مال الى قبولها فرحل عن الاندلس الى تلمسان تخلصاً من دسائس اعدائه فتلقاه سلطانها عبد العزيز بالكرمة ووفر الاقطاع له ولبنيه . ولما مات هذا السلطان اخذ نجم كاتبنا بالافول وكان له اعداء وحساد في المغرب وفي الاندلس فاكثروا الوشايات فيه واتهموه بالزندقة <sup>(٢)</sup> فقبض عليه والقي في السجن . قال ابن خلدون ما ملخصه « وحين باغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب الى السلطان ( اي سلطان غرناطة ) بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس ( سلطان المغرب ) . وأحضر ابن الخطيب الى مجلس الخاصة والشورى . . . . . ووجع ونكل وامتنع بالعذاب بمشهد ذلك الملائم ثم افتوا في قتله ودسوا اليه بعض الاوغاد فقتلوه خنقاً »

والغريب ان يكون لابن زمرك يدي قتله وهو احد تلامذته وبه نال الجاه والعز . وكان لسان الدين يكرمه وقد اثنى عليه في كتابه الاحاطة . ولابن زمرك فيه مدائح كثيرة قال المقرئ « ثم انقلب عليه مع الدهر وكفر نعمته ، وكم من صديق لك ضرك وعقك بعد ما برك <sup>(٣)</sup> » . وفيه يقول

(١) ابن خلدون ٧ - ٣٣٥ (٢) يقول المقرئ ان كتابه روضة التعريف بالحلب الشريف وهو كتاب تصوف تكلم فيه على طريقة اهل الوحدة المطلقة فاغتنم ذلك اعداؤه ونسبوا اليه مذهب الحلول وغيره ، نفع الطيب ٤ - ٢٤٣ (٣) ابن خلدون ٧ - ٣٤١ (٤) نفع الطيب ٣ - ٤٤٦

ابن لسان الدين « هو أحسنُ عباد الله استعمله إني في الكتابة السلطانية فجنبنا أيام تحولنا عن الاندلس منه كل شر ، وهو كان السبب في قتل إبي الذي رباه وأدبّه واستخدمه حسبما هو معروف ، وكفانا الله شر من أحسننا إليه وإساءة الدنيا<sup>(١)</sup> »

### نشأة الادبية

يؤخذ مما كتبه عن نفسه في الاحاطة ومما ذكره ابن خلدون والمقري انه كان واسع المعرفة ملماً بأكثر علوم زمانه . وقد تأدّب على أهم مشايخ الاندلس والمغرب<sup>(٢)</sup> . فاخذ العلوم اللسانية عن إبي عبد الله بن مرزوق وإبي الحسن بن الجياب وإبي سعيد المقرّي ، وإبي بكر بن شيرين ، وإبي الحكيم الرندي ، وكثيرين من طبقتهم من اهل العدوتين . واخذ علوم الاوائل كالطب والمنطق والتعديل والفلسفة عن الامام إبي زكريا بن زهر والحكيم يحيى بن هذيل . فنشأ ابن الخطيب ادبياً عالماً . قال ابن خلدون :

« وبرز في الطب واتحل الادب واخذ عن اشياخه ، وامتلاً حوض السلطان من نظمه ونثره مع انقضاء الجيد منه ، وبلغ في الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما ، وملاً الدولة بمبدأئحه ، وانتشرت في الآفاق قدماء فرقاه السلطان الى خدمته الخ<sup>(٣)</sup> »

وهو احد اعلام المؤرخين . وله من المصنفات المشهورة ما يلي<sup>(٤)</sup> :

(١) - الاحاطة في اخبار غرناطة في ثلاثة مجلدات

(١) نفع الطيب ٣-٤٤٧ (٢) راجع مشيخته في نفع الطيب ٣ ص ٣٧٢-٣٧٥

(٣) ابن خلدون ٧ ٣٣٢ (٤) راجع قائمة مصنفاته في نفع الطيب ٤ ص ٢٤٣

- ٢٤٦ وما بعدها . وفي دائرة المعارف الاسلامية II-397 . وفي تاريخ اداب اللغة

(٢) — والحلل المرقومة . وهو تاريخ الخلفاء في المشرق والاندلس وافريقية

(٣) — والحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية

(٤) — اللوحة البدرية في الدولة النصرية . وهو تاريخ امراء غرناطة الى

سنة ٧٦٥

(٥) — نفاضة الجراب في وصف مدن الاندلس وعلمائها ومكاتبها

وله ايضاً كثير من الرسائل والاشعار ، وقد ألف في الطب والفلسفة والرياضيات والفقہ فجمع في نفسه الاديب والعالم ، وترك في نفوس معاصريه ومن تلاهم اثرأ عظيماً حتى نوه بفضله كبار الرجال من امراء وعلماء ومدحه كبار الادباء من منشئين وشعراء<sup>(١)</sup>

### اسلوب الانشائي في رسالته :

نبغ ابن الخطيب في القرن الثامن الهجري وكانت الاناقة الانشائية من سجع وبديع وتغارب لا تزال في اوجها ، وقد شارك ادباء الاندلس والمغرب ادباء المشرق في ذلك . فاذا التفت الى الرسائل الديوانية وسواها في ذلك العصر تجدها على نمط واحد في القاهرة ودمشق وفارس وقرطبة وسواها : كلها مسجعة وكأها محلاة بانواع الزخارف اللفظية والتسكات المعنوية . فكلما نال على ابن الخطيب في غرناطة يصدق على كتاب الامصار العربية عموماً اذ هو يمثل روح العصر وادبه ويوضح لنا في انشائه الاسلوب العام لانشاء معاصريه . والذي يراجع رسالته يرى فيها ثلاث مزايا بارزة وهي : —

(١) انه تمطيل يميل الي الاسهاب والاكثر ، وقد قال فيه بعض علماء

الشرق :

(١) لمعرفة اقوال الناس فيه راجع نفع الطيب ٣ ص ٣٧٥ — ٤١٠ وما بعد ذلك

« وهو خليق بالتعظيم جدير بمزيد التمجيد والتكريم . كيف لا وهو شاعر مفلق ، وخطيب مصقع ، و كاتب مترسل بليغ لولا ما في انشائه من الاكثار الذي لا يخلو من عثار ، والاطناب الذي يفضي الى الاجتناب والاسهاب الذي يقدر الاهداب ويورث الالتهاب<sup>(١)</sup> . وقد علق على ذلك المقرئ بقوله « وهذا الانتقاد غير مسلم فان لسان الدين وان اطنب واسهب فقد سلك من البلاغة احسن مذهب<sup>(٢)</sup> »

والذي ينظر في كلام الاثني يري انهما على اختلاف نظريهما يتفقان على اكثر ابن الخطيب . وقد رجعنا الى عدد كبير من رسائله فوجدناها تزكّي ما اتفقا عليه واليك امثلة على ذلك —

رسالة<sup>(٣)</sup> عن سلطانه ابن الاحمر الى المستنصر بالله ابي اسحق خليفة الموحدين . والرسالة طويلة يفتتحها بوصف الخلافة والدعاء لها فيملا نحو ثلاث صفحات كبيرة من مثل قوله — « فامتزاجنا بعلائها المنيف ، وولائها الشريف ، كما امتزج الماء والسلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم ، وفضلها العسيم ، كما تأرّجت الرياض الافواف ، لما زارها الغمام الوكّاف ، ودعاؤنا بطول بقائها واتصال علائها يسمو به الى قرع ابواب السموات العلاء الاسراف »

ثم يصف كتاب الخليفة الذي ورد الى غرناطة فيطيل ويتفنن في نحو ثلاث صفحات كقوله « ولله من قلم ديج تلك الحلل ، وتقع بمجاج الدواة المستمدة من عين الحياة الغلل . فلقد تخارق في الجود ، مقتدياً بالخلافة التي خلد نغرها في الوجود ، فجاد بسرّ البيان ولبابه ، وسمح في سبيل الكرم حتى بقاء شبابه ، وجمع لفرط بشاشته وفهامته ، بعد شهادة السيف بشهامته ،

(١) نفع الطيب ٣ - ٤٠٧ (٢) نفع الطيب ٣ - ٤٠٨

(١) راجع الرسالة في صبح الاعشى ٦ ص ٥٣٦ - ٥٥٨

فمشى من الترحيب في الطرس الرحيب على أمّ هامته . ويأخذ من ذلك بوصف الهدية في نحو اربع صفحات فيتغارب ماشاء في وصف الخيول من احمر واشقر واصفر واشهب الخ . كقوله في وصف الاصفر منها -  
 « واصفر قيّد الاوابد الحرّة ، وامسك المحاسن واطلق الغرّة ، وسئل من انت في قوآد الكتائب ، واولي الاخبار العجائب ، فقال انا المهلب بن ابي صفرة ، نرجس هذه الالوان ، في رياض الاكوان ، تحيا به وجوه الحرب العوان ، اثار بنخوة الصائل ، على معصفرات الاصائل ، فارتداها وعمد الى خيوط شعاع الشمس ، عند جانحة الامس ، فالحم منها حلتبه واسداها واستعدت عليه ملك المحاسن فما اعداها . فهو اصيل تمسك بذيل الليل عرفه وذيله ، وكوكب بطلعه من القتام ليله ، فيحسده فرقد الافق وسهيله » . وعلى هذا النمط الغريب وصفه لسائر الخيول .

وبنقدّم من ذلك الى ذكر اليهود التي بين البلدين وشرح حال الاندلس وما قام به ابن الاحمر سلطان غرناطة من غزو العدو ، فيصف المدن التي افتتحها والحروب التي خاضها في نحو اثنتي عشرة صفحة وصفاً مسهباً يتكلف فيه المجاز الغريب والبديع المكثور والتنطس في الاشارات العلمية كقوله في غزوهم مدينة جيان -

« وهذه المدينة هي الامّ الولود ، والجنة التي في النار لسكانها من الكفار الخلود ، وكرسي الملك ومجنته الوسطى من الممالك ، باءت بلمازايا العديدة ونجحت ، وعند الوزان بغيرها من امّات البلدان رجحت ، غاب الاسود ، وجحر الحيات السود ، ومنصب التماثيل الهائلة ، ومعلق النواقيس الصائلة »  
 ثم وصفه للمركة -

« في موقف بذهل الوالد عن الولد ، صارت السهام فيه غماما ، وطارت

كان شراب الحمام تهدي حماما ، واضحت القنا قصدا ، بعد ان كانت شهابا  
 رصدا ، وماج بحر القتام بامواج النصول ، واخذ الارض الرجفان لزلزال  
 الصباح الموصول ، فلا ترى الا شهيدا تظلل مصرعه الحور ، وصريرها  
 تقذف به الى الساحل امواج تلك البحور ، ونواشب تبأى<sup>(١)</sup> بها الوجوه  
 الوجيبة عند الله والنحور ، فالملقضب ، فوده يخضب ، والاسمر ، غصنه  
 يستثمر ، والمغفر ، حماه يخفر ، وظهور القسي تقصم ، وعصم الجند الكوافر  
 تقصم ، وورق اليب في المنقلب يسقط ، والبتر تكشب والسمر ثنقط ،  
 فاقتم الربض الاعظم لحينه ، واظهر الله لعيون المبصرين والمستبصرين تزة  
 دينه ، وتبرأ الشيطان من خديته ، ونهب الكفار وخذلوا ، وبكل مرصد  
 جدلوا » - الى ان يقول :

« وتخارق السيف بجاء بغير المعتاد ، ونهت القنا الردينية من الدماء حتى  
 كادت تورق كالاغصان المغترسة والاوراد ، وهمت افلاك القسي وسحمت  
 وأرنت حتى بجت ، ونفدت موادها فشحت بما الحت ، وسدت المسالك  
 جث القتلى فمعت العابر ، واستأصل الله من عدوه الشافة وقطع الدابر ،  
 وازلف الشهيد وأحسب الصابر ، وسبقت رسل الفتح الذي لم يسمع بمثله  
 في الزمن الغابر ، تنقل البشرية من افواه المحابر ، الى آذان المنابر »

والرسالة كلها على هذا المنوال وهي افضل مثال على اسلوبه وقس عليها  
 اكثر رسائله . على انه مع اطالته في الوصف لا يطيل العبارات فازدواج  
 الكلام في انشائه مستساغ حسن الابقاع : سواء في ذلك رسائله الديوانية  
 او الادبية . واليك رسالة كتبها الى ابي عبد الله يهنئه بالرجوع الى التعليم  
 وفيها مداعبة طريفة قال منها -

(١) تبأى تفخر



« وتعرفتُ ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم ، والحنين الى العهد القديم ، فنسرت باستقامة حاله ، وفضل ماله . وان لاحظت اللاحظ ، ما قال الجاحظ ، فاعتراض لا يرد ، وقياس لا يطرد . حبذا والله عيش التأديب ، فلا بالضنك ولا بالجديب ، معاهدة الاحسان ، ومشاهدة الصور الحسان . يمينا ان المعلمين ، لسادة المسلمين ، واني لانظر منهم كلما خطرت على المكاتب ، امراء فوق المراتب ، من كل مسيطر الدرّة ، منقطب الاسرة متمر للوارد ثمر الهرة ، يغدو الى مكتبه ، كالامير في موكبه ، حتى اذا استقل في فرشه ، واستوى على عرشه ، اظهر للخلق احتقارا ، وازرى بالجبال وقارا ، ورفعت اليه الخصوم ، ووقف بين يديه الظالم والمظلوم : فنقول كسرى في ابوانه ، والرشيدي ابوانه ، او الحجاج بين اعوانه ! فاي عيش كهذا العيش وكيف حال امير هذا الجيش ؟ طاعة معروفة ، ووجوه اليه مصروفة ، فان اشار بالانصات لتحقق القصّات ، فكأنما طمس على الافواه ، ولأم بين الشفاه ، وان امر بالافصاح ، وتلاوة الاالواح ، علا الضجيج والعجيج ، وحفّ به كما حف بالبيت الحجيج ، وكم بين ذلك من رشوة تدس ، وغمرة لا تحس ، ووعده يستنجز ، وحاجة تستعجل وتحفز . هنا الله سيدي ما خوله وانساء بطيب اخراه اوله »

٢ - ولعه بالمجاز والبديع وقد المعنا الى ذلك في وصفنا لرسالته الى المستنصر ابي اسحق ، بل الرسالة كلها تعج بمثل قوله

فهو (الفرس) اصيل تمسك بذيل الليل عرفه وذيله

حديقة بيان استثارت نواسم الابداع من مهايها

وخصوصا الحديث بقرى الاديم ( اي ذموا الحديث )

واجبناه بجهدٍ ما كنا لننفع من جناه المهتصر ، بالمتضرب المختصر ، لولا  
 طروء الحصر  
 فحمر كنا اولى الحركات ، وفاتحة مصحف البركات  
 وعملنا في رمّ ما نلّم القتال وبقر من بطون مسالحه الرجال ( يتكلم عن  
 ترميم الحصن )

ولسان الحمية ينادي يا لثارات الامرى  
 قبل ان يلتقي الخديم بالمخدوم ويركع المنجنيق ركعتي القديوم  
 وقد ضاقت ذروع الجبال عن اعناق الصهب السبال  
 وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا ، بعد ان شقت غدر السوابغ  
 خلعانا

ورفرف على المدينة جناح البوار  
 وارسلنا رياح الغارات لا نذر من شيء انت عليه الا جعلته كالرميم

ومثل ذلك كثير في سائر رسائله - كقوله من رسائل شتى في  
 نفع الطيب

ولا حصر بنفض به المنجنيق ذوائبه ، ويظهر بشكرار الركوع انابته  
 وبكتابك تحيي جوامد الافهام وبمذبتك تشرّد ذئاب الاوهام  
 بعد خطوب تسبح فيها الاقلام سبجاً طويلاً ، وتوسعها الشجون شرحاً  
 وتأويلاً ، وتلقي القصص منها على الاذان قولاً ثقيلاً  
 وجزنا البحر وضلوع موجه اشفاقاً علينا تخفق ، واكفّ رياحه حسرة

تصفق  
 وطوبنا بساط العتاب طي الكتاب ، وعاجنا سطور المؤاخذه بالاضطراب

واما ضده من عدو يتحكم وينتقم، وحتوت بغي يبتلع وابتقم، وثعبان  
قيد بعض الساق، وشوئوب عذاب يمزق الابرار الرقاق

.....

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا هو الغالب في ترسله وهو ينسج فيه على منوال  
القاضي الفاضل. وعلى ذلك جرى المنشئون من بليغ وغير بليغ حتى دالت  
دولة الانشاء المزخرف في القرن الماضي

ومما يدل على ولع ابن الخطيب بالسجع انه لم يحصره في رسائله بل  
كان اسلوبه الانشائي في ترجمانه وقصصه وتجد من ذلك كثيراً في الاحاطة  
ونفع الطيب

٣ - كثرة الاشارات التاريخية والعلمية . ولايضاح ذلك ننقل له  
ما يلي :- (١)

« وأكرم به من حكيم افصح بملغوز الإكسير ، في اللفظ اليسير ،  
وشرح بلسان الخبير ، سر صناعة التدبير ، كأنما خدم الملكة الساحرة  
بتلك البلاد ، قبل أشجار الجلال ، فأثرته بالطارف من سحرها والتلال ،  
او عثر بالمعلقة ، وتيك القديمة المطلقة ، بدفينة دار ، او كنز تحت جدار ،  
او ظفر لباني الحنايا ، قبل ان تقطع به عن امانيه المنايا ، يديعه ، او خلف  
جرجير الروم ، قبل منازل القدوم ، على وديعه ، او اسهمه ابن ابي سرح ،  
في نسب للفتح وسرح ، او حتم له روح بن حاتم بيلوغ المطلب ، او غلب  
الخطوظ بخدمة آل الاغلب ، او خصه زيادة الله بمزيد ، او شارك الشيعة في

امر ابن ابي يزيد ، او سار على منهاج ، في مناصحة بني صنهاج ، وفضح  
بتخليد امداحهم كل هاج . . . . . وقوله . . . . .<sup>(١)</sup>  
« حزن لم تنسج الازمان على منوالها ، ولا انت الايام الجبالى بمثل اجنة  
اهوالها ، من قاسها بالفجار افك وفجر ، او مثابها بجفر الهباءة<sup>(٢)</sup> خرف وهجر ،  
ومن شبهها بحرب داحس والغبراء فما عرف الخبر ، فليسأل من جرّب وخبر  
ومن نظرها بيوم شعب جبلة ، فهو ذو بله ، او عادها بيطن عاقل ، فغير عاقل  
او احتج بيوم ذي قار ، فهو الى المعرفة ذو افتقار ، او ناضل بيوم الكديد ،  
فسهمه غير السديد» . . . . . وقوله . . . . .<sup>(٣)</sup>

« والليل من خوف الصباح ، على سرحه المستباح ، قدشابت غدائره ،  
والنسر يرفرف باليمن طائره ، والسماك الرامح يثار ثغر الاسلام نائره ،  
والنعائم راعدة فرائص الجسد ، من خوف الاسد ، والقوس يرسل سهم  
السعادة ، بوتر العادة ، الى اهداف النعم المعادة ، والجوزاء عابرة نهر الهجرة  
والزهرة تغار من الشعري العبور بالضرّة ، وعطارديسدي في حيل الحروب  
على البلد الحروب وبلحم ، ويناظر على اشكالها الهندسية فيفهم ، والمشتري  
يندى في فضل الجهاد وبعيد ، وزحل على الطالع منزحل ، وعن العاشر  
مرتحل ، وفي زلق السقوط وحل ، والبدر بطارح حجر المنجنيق ، كيف  
يهوي الى النيق ، ومطلع الشمس يرقب ، وجدار الافق يكاد بالعيون  
عنها ينقب »

(١) صبح الاعشى ٦-٥٥٤

(٢) الفجار وجفر الهباءة من ايام العرب وكذلك ما يليها

(٣) صبح الاعشى ٦-٥٤٩

ومن مصطلحاته العلمية ما ورد له في نفع الطيب .  
 مولاي فتاح الاقطار والامصار أثير رهبان الله الآمنة من الاعتصار  
 وجد عبدكم الذي خلص ابريز عبوديته للملك ملككم المنصور  
 واقتمت الابهاء والمقاصر ونفرت الاجزاء وتحملت العناصر  
 وكان ماء ذوب لقي اكسيرا  
 لكنني رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد  
 الموحشة بالفروق  
 وتعترف به الابصار والاسماع وان جججت عارضها الاجماع

.....

ومثل ذلك كثير في كلامه . فاذا قرنته بتغاربه البديعي وبميله الى  
 الاطالة والاطناب وجدت نفسك امام اسلوب متكلف مكثود يشق  
 على القارئ فهم معانيه او تتبع مقاصده .

#### المختار من رسائله الربوانية

لابن الخطيب كتاب سماه « ريجانة الكتاب ونجعة المتاب » قال فيه  
 المقرئ<sup>(١)</sup> « وهذا الكتاب اشتمل من الانشاء على كثير في اغراض شتى  
 من مخاطبات الملوك على اختلاف اجناسهم وغير ذلك من احوالهم واحوال  
 الكبراء ومخاطباتهم حتى ملوك النصارى ، وذكر في صدره خطب بعض  
 كتبه . وفي آخره بعض مقاماته وتحلية لاهل عصره وغير ذلك . وبالجملة  
 فهو كتاب مفرد في بابيه » . ويذكر زيدان ان منه نسخاً في المتحف  
 البريطاني وليدن وسواهما<sup>(٢)</sup> . على اننا لم نطلع عليها ولا نعلم انها مطبوعة . وقد

(١) نفع الطيب ٤ - ٢٤٣ (٢) تاريخ اداب اللغة ٣ - ٢١٧ (١)

اعتمدنا ما ورد منها في الجزء بين الثالث والرابع من نفع الطيب وهما اهم مصدر  
لدينا، وفيها مجموعة كبيرة من رسائله - وكذلك ما ورد في صبح الاعشى  
وفيه اطول رسالة له وقد مرّ ذكرها . ولما كان الغاية من درس رسائله ان  
نتفهم اسلوبه الخاص واسلوب عصره العام فاننا نكتفي هنا ان ثبت منها ما يلي :

١ - رسالته الى السلطان ابي عنان<sup>(١)</sup>

ابن السلطان ابي الحسن المريني صاحب فاس عند ورود كتابه الى الاندلس  
بفتح تلمسان

قال بعد مقدمة -

« من الضريح المقدّس : وهو الذي تعدّدت على المسلمين حقوقه ، وسطع  
نوره وتلاّماً شروقه ، وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه ورسخت عروقه ،  
وعظم بتبوّئكم نخره فما فوق البسيطة نخر يفوقه : حيث الجلال قد رست  
هضابه ، والمملك قد سترت باستار الكعبة الشريفة قبابه ، والبيت العتيق قد  
ألحفت الملاحد الامامية اثوابه ، والقرآن العزيز ترتل احزابه ، والعمل  
الصالح يزفع الى الله ثوابه ، والمستجير يخفي باطنه سوءه فيجهر بنعرة العز  
جوابه ، وقد نقياً من اوراق الذكر الحكيم حديقه ، وخيلة انيقة ، وحط  
يجودي الحق نفساً في طوفان الضرّ غريقة ، والتحف برق الهبة الذي لاهتدي  
للنفس فيها الا بهداية الله طريقه ، واعتزّ بعزّ الله وقد توسط جيش الحرمة  
المرينية حقيقة ، اذ جعل المولى المقدس المرحوم ابا الحسن مقدّمه واباه .  
سقاها المولى الكريم بهذا المجد سيب رحماه  
فالحمد لله الذي اقال العثار ، ونظم بدعونكم الانتشار ، وجعل

(١) صبح الاعشى ٧ - ١٠٠ - (٢) - (٣) - (٤) - (٥) - (٦) - (٧) - (٨) - (٩) - (١٠)

ملككم يحد الآثار ويأخذ الثار . والعبد ينيء مولاه ، بما انعم الله به عليه  
 وأولاده ، وما اجدره بالشكر واولاده ، ! فاذا اجال العبيد قداح السرور  
 فللعبد المعلى والرقيب ، واذا استهموا حظوظ الجذل فلي القسّم الوافرة  
 والنصيب ، واذا اقتسموا فريضة شكر الله تعالى فلي الحظ والتعصيب ،  
 لتضاعف اسباب العبودية قبلي ، وترادف النعم التي عجز عنها قولي وعملي ،  
 وتقاصر في ابتغاء مكافاتها وجدي وان تطاول املي

فمقامكم المقام الذي نفس الكربة ، وآنس الغربية ، ورعى الوسيلة  
 والقربة ، وانعش الارماق ، وفك الوثاق ، وادرّ الارزاق ، واخذ على الدهر  
 بالاستقالة بالعهد والميثاق ، وان لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء ، ويتمثل  
 بين يدي الخلافة العظيمة السنا والسناء ، ويمد بسبب البدار الى تلك السماء ،  
 فقد باشر به اليد التي يحن مولاي لتذكر ثقيلها ، ويكمل فروض المجد بتوفية  
 حقوقها الابوية وتكميلها ، ووقفت بين يدي ملك الملوك الذي اجال عليها  
 القداح ، ووصل في طلب وصالها المساء بالصباح .

وقلت يهنيك يا مولاي رد ضالتك المنشودة ، وخبر لقطتك المعرفة  
 المشهودة ، ودالتك المودودة ، فقد استحقها وارثك الارضى ، وسيفك  
 الامضى ، وقاضي دينك ، وقرّة عينك ، مستنقذ دارك من يد غاصبها ،  
 وراؤ ربتك الى مناصبها ، وعامر الثوى الكريم ، وستر الاهل والحريم  
 مولاي ! هذ ، نلسان قد اطاعت ، واخبار الفتح على ولدك الحبيب اليك  
 قد شاعت ، والام الى هنائه قد تداعت ، وعدوك وعدوه قد شرّدت منه المخافة  
 وانضاف الى عرب الصحراء نفضته الاضافة ، وعن قريب نتحكم فيه يد  
 احتكامه ، ونسلمه السلامة الى حمامه

فلتطب يا مولاي نفسك ، وليستبشر رمسك ، فقد نمت بركتك

وزكى غرسك . نسأل الله ان يورد على ضربيك من انباء نصره ما تفتح له  
ابواب السماء قبولاً ، ويرادف اليك مدداً موصولاً وعدداً آخرته خير لك  
من الاولى ، ويعتريه بركة رضاك ظعننا وحلولاً ، ويضفي عليه منه سترأً  
مسدولاً

٢ - رسالته عن لسان سلطان غرناطة <sup>(١)</sup>

الى المنصور احمد بن الناصر قلاوون ملك مصر والشام يعلمه فيه بما فعل به  
التوار وكيف اضطروه الى ترك الوطن والالتجاء الى المغرب  
وهي طويلة نجتزئ منها بما يلي

« الى ان كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الاقلام سبجاً  
طويلاً ، ونوسعها الشجون شرحاً وتأويلاً ، وتلقي القصص منها على الاذان  
قولاً ثقيلاً ، وجزنا البحر وضلوع موجه اشفاقاً علينا تخفق ، واكف رباحه  
حسرة تصفق ، ونزلنا من جناب سلطان بني مرين على المشوى الذي رحب  
بنا ذرعه ، ودل على كرم الاصول فرعه ، ، والكريم الذي وهب فاجزل  
ونزل لنا عن الصهوة وثنزل ، وخبر وحكم ، ورد على الدهر الذي تهكم  
واستعبر وتبسم ، ، وآلى واقسم ، وبسمل وقدم ، واستركب لنا واستخدم »  
الى ان يقول . . .

« واستقل على اريكته ، واستقلال الظليم على تربيكته ، حاسر الهامة ، متنفقا  
بالشجاعة والشهامة ، مستظهاً باولى الجهالة والجهامة ، وساءت في محاولة عدو  
الدين سيرته ، ولما حصحص الحق انكشفت سيرته ، وارتابت لجنبه  
المستور جيرته ، وفتح عليه طاغية الروم فنه فالتقمه ، ومد عليه الصليب ذراعه  
فراعه ، وشد الكفر عليه يده ، فما عضده الله ولا ايده ، وتخزمت ثغور



الاسلام بعد انتظامها ، وشكت اليه باهتضامها ، وغصت باشلاء عباد الله  
وعظامها ظهور اوضاعها ، واشتدت المجاعة ، وطلعت شمس دعوتنا من المغرب  
فقامت عليها الساعة ، وركبنا البحر تكاد جهناه تقارب تيسيراً ، ورياحه  
لا تعرف غير وجهتنا مسيراً ، وكأن ماء ذوب لقي اكسيراً ، ونهضنا  
بنقدمنا الرعب وبنقدمنا الدعاء ، وتجاخى بنا الاشارة ويخفرنا الاستدعاء ،  
واقصر الطاغية عن البلاد بعد ان ترك ثغورها مهتومة ، والاخافة عليها  
محتومة ، وطوابعها مفضوضة وكانت بنا محتومة ، واخذت الخائن الصبيحة  
فاختبل ، وظهر تهوره الذي عليه جبل ، فجمع اوباشه السفلة واوشابه ،  
وبهرجه الذي غش به المحض وشابه ، وعمد الى الذخيرة التي صانتها الاغلاق  
الحريزة ، والمعقل العزيزة ، واحتمل عدد الحرب والزينة ، وخرج ليلاً عن  
المدينة ، واقتضت آراؤه الفائلة ، ونعامته السائلة ، ودولة بفيه الزائلة ، ان  
يقصد طاغية الروم بقضه وقضيضه ، وأوجه وحضيضه ، وطويله وعريضه ،  
من غير عهد اقتضى وثيقته ، ولا امر عرف حقيقته ، الا ما امل اشتراطه من  
تبديل الكلمة ، واستئصال الامة المسلمة . فلم يكن الا ان تحصل في قبضته ،  
ودنا من مضجع ربضته ، واستشار نصحاءه في امره ، وحكم الحيلة في جنابة  
غدره وشهره ببلده ، وتولى قتله بيده ، والحق به جميع من امده في غيه ،  
وظاهره على سوء سعيه ، وبعث الينا برووسهم فنصبت بمسور غدرها ،  
وقلدت لبة تلك البنية بشدرها ، واصبحت عبرة للمعتبرين ، وآية للمستبصرين  
واحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين

وعدنا الى اريكة ملكنا كما رجع القمر الى بيته ، او العقد الى  
جيده ، بعد انتشار فريده ، او الطير الى وكره ، مفلتاً من غول الشرك  
ومكره ، ينظر الناس الينا بعيون لم تروا مذ غبنا من محيا رحمة ، ولا

طشَّت عليها بعدنا غمامة رحمة ، ولا بازت للسياسة في ذمة ، ولا ركنت  
الدين ولا همة ، فطوبنا بساط العتاب طي الكتاب ، وعاجلنا سطور  
المواخذة بالاضطراب ، وآنسنا نفوس اولي الاقتراف بالاقتراب ، وسهلنا  
الوصول اليها ، واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جنى علينا

٣ - رسالته الى المستنصر فليقة المومنين

ذكرنا آنفاً انها تقع في نحو اثنتين وعشرين صفحة كبيرة وقد اثبتنا  
مختارات منها في كلامنا على اطالته. ولما كانت هذه الرسالة اطول رسائله  
واهمها وادها على ما بلغه الانشاء الديواني في عصره فاننا ثبت منها ايضاً  
القطعة التالية في غزوة قرطبة قال<sup>(١)</sup>:

« ثم تأهبنا لغزوات القرى الكافرة ، وخزائن المداين الوافرة ، ورببة  
الشهرة السافرة ، والانباء المسافرة ، قرطبة وما ادراك ما هيه ، ذات الارحاء  
الحالية الكاسية ، والاطواد الراسخة الراسية ، والمباني المباهية والزهراء الزاهية  
والمحاسن غير المثناهية : حيث هالة بدر السماء ، قد استدارت من السور  
المشيد البناء ، ونهر المجرّة من نهرها الفياض ، المسلول حسامة من غمود  
القياض ، قد لصق بها جارا ، وفلك الدولاب المعتدل الانقلاب قد استقام  
مدارا ، ورجع الحنين اشتياقاً الى الحبيب الاول وادكارا : حيث الطود  
كالتاج ، يزدان بلجين العذب المجاج ، فيزري بتاج كسرى ودارا : حيث  
قسيّ الجسور المديرة ، كانها عوج المطي الغريرة ، تعبر النهر قطارا : حيث  
آثار العامري المجاهد ، تعبق بين تلك المعاهد شذى معطارا : حيث كرائم  
السعائب ، تزور عزائس الرياض الحباب ، فتحمل لها من الدر نثارا : حيث

شَمُول الشمال تدار على الادواح ، بالغدو والرواح ، فترى الغصون سكارى  
وما هي بسكارى : حيث تغور الاقاح الباسم ، ثقلها بالسحر زوار النواسم ،  
فتخفق قلوب النجوم الغيارى : حيث المصلّى العتيق قد رجب مجالا وطال  
منارا ، وازرى يبلاط الوليد احتقارا . فما شئت من جوى صقيل ، ومعرّس  
للحسّن ومقيل ، ومالك للعقل وعقيل ، وخمائل كم فيها للبلابل من قال  
وقيل ، وخفيف يحاوب بثقيل ، وسنابل تحكي من فوق سوقها ، وقضب  
بسوقها ، الهمزات فوق الالفات ، والعصافير البديعة الصفات ، فوق القضب  
المؤتلفات ، تميل بهبوب الصبا والجنوب ، مائلة الجيوب بدرر الجيوب ،  
وبطاح لا تعرف عين المحل ، فتطلبه بالذحل ، ولا تصرف في خدمة بيض  
قباذ الازهار ، عند افتتاح السوسن والبهار ، غير العبدان من سود النخل ،  
وبجر الفلاحة الذي لا يدرك ساحله ، ولا يبلغ الطية البعيدة راحله ، الى  
الوادي وسمّر النوادي ، وقرار دموع الغوادي ، المتجاسر على تخطيه ، عند  
تمطيه ، الجسر العادي ، والوطن الذي لبس من عمرو ولا زيد ، والفرا الذي  
في جوفه كل صيد ، اقل كرسيه خلافة الاسلام ، واعار بالرصافة والجسر  
دار السلام ، وما عسى ان تطنب في وصفه السنة الاقلام ، او تعبر عن ذلك  
الكلام فنون الكلام»

ثم يصف حربها فيقول

« ومرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مرتاد ، وزلزال جبال اوتاد ، ومثلف  
مذخور لسلطان الشيطان وعتاد ، أعلم فيه البطل الباسل ، وتورد الابيض  
الباتر وتاود الاسمر العاسل ، ثم افضى امر الرماح الى التشاجر والارتباك ،  
ونشبت الاسنة في الدروع نشب السمك في الشباك ، ثم اختلط المرعى بالهمل  
وعزل الرديني عن العمل ، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا ، بعد ان

شقت غدر السوابع خلجانا، واتحدت جداول الدروع فصارت بجرا، وكان  
 التعاقق فلا ترى الانحراً يلازم نحرا، عناق وداع، وموقف شمل لذي  
 انصداع، واجابة مناد الى فراق الابد وداع، واستكشفت مآل الصبر  
 الانفس الشفافة، وهبت بريح النصر الطلائع المبشرة الهفافة، ثم امد السيل  
 ذلك العباب، وصقل الاستبصار الالباب، واستخلص العزم صفوة اللباب،  
 وقال لسان النصر: ادخلوا عليهم الباب، فاصبحت طوائف الكفار،  
 حصائد مناجل الشفار، ففارقهم قد رضيت حرمانها بالاعقار<sup>(١)</sup>، وروثهم  
 محبوطة في غير معالم الاستغفار، وعلت الرايات من فوق تلك الابراج  
 المستطرفة والاسوار، ورفرف على المدينة جناح البوار، لولا الانتهاء الى الحد  
 والمقدار، والوقوف عند اختفاء سر المقدار»

## الرسائل الادبية

### نظرة عامة

لا تختلف هذه الرسائل من حيث الصناعة اللفظية عن الرسائل الديوانية فكثرها يسود فيه السجع والبديع وانما افردنا لها باباً خاصاً لاختلاف اغراضها عن اغراض المكاتبات الرسمية . فبينما نتناول هذه عادةً ما يصدر عن الديوان السلطاني او الاميري من اوامر واحكام ، ترى تلك نتناول اغراضاً عامة من مكاتبات اخوانية او مناظرات ادبية او وصف مشاهدات شخصية . وكثيراً ما يكون كتابها من ارباب الدواوين على ان ذلك ليس بقاعدة مطردة . فقد نبغ من ارباب الانشاء الادبي جماعة ممن لم يدخلوا في خدمة الديوان كبديع الزمان الهمذاني ، وابي عامر ابن شهيد ( الاندلسي ) وابي العلاء المعري وابي بكر الخوارزمي وكثير غيرهم .

ولما كان الاسلوب النثري في هذه الرسائل مماثلاً لاسلوب النثر الديواني فقد رأينا ان لا نترجم لاحد من اربابها بل نقصر الكلام على النظر في بعض الرسائل المشهورة وفي اغراضها ، ثم نعقب على ذلك بما بلغته في بدء نهضتنا الاخيرة .

وتسهيلاً للمحث نجمع هذه الرسائل تحت المواضيع التالية -

١ الاخوانيات - وهي تشمل ما كان يجري من المكاتبات الشخصية بين اثنين او اكثر من اخوان الادب

٢ - المفاهات - ويدخل فيها المكاتبات الهزلية والمبسطات

الادبية

٣ - المناظرات - اي ما كان يجري بين الادباء من محاورات

ومناظرات ومنافسات

٤ - الاوصاف - وهو باب واسع يدخل فيه كل ما يراد به وصف

محسوس كالمرآكب والمعارك والحيوان ، او غير محسوس كالبلابة والشعر  
والصيد والاخلاق . ويلحق الاوصاف المديح والهجاء وما شا كل

٥ - الحكايات ويدخل تحتها انواع القصص المختلفة والمقامات وسنفرده

لهذه باباً خاصاً

ومما يعد في باب الانشاء الادبي بعض المصنفات التاريخية التي  
تتكلف فيها من التأنق الانشائي ما تكلف في الرسائل . وقد ذكرنا بعضها  
في كلامنا عن مواطن السجع<sup>(١)</sup> ، ونضيف على ما ذكرناه هناك الفتح  
القسبي لعاد الدين الاصبهاني (٥٩٧ هـ) الذخيرة لابن بسام (٥٤٢) نفحة  
الريحانة للمحبي (١١١١) سلافة العصر لابن معصوم (١١٠٤) اعلام الناس  
للاتليدي (١١٠٠)

وقس على ذلك كثيراً مما تجده في كل عصر حتى العصر الاخير ، فقد  
وقفنا على مخطوطة حديثة في اعلام القرن الثالث عشر الهجري لمؤلفه  
عبد الرزاق البيطار وهو على نمط الكتب الآفة الذكر من التزام السجع .  
وليس غرضنا هنا دراسة هذه الكتب بل غرضنا الاشارة اليها والى مقام  
امثالها تطور في الانشاء العربي

## امثلة من الرسائل الادبية

اشرنا في فصل سابق الى تطور النثر الديواني وكيف انه اخذ منذ القرن الحادي عشر الهجري بالهبوط حتى بلغ احط دركاته قبيل النهضة الحديثة . كذلك كان شأن الانشاء الادبي . فاذا نظرت في الرسائل التي وصلتنا من منتصف العهد العباسي الى اوائل العهد العثماني وجدت اسلوبها برغم التأنيق البديعي فيه محافظاً على رونقه ومثاقه، ثم اخذ الفساد يتسرّب اليه مع الزمن حتى اصبح في القرن الثامن عشر للميلاد وفي النصف الاول من التاسع عشر غثاً ركيك المادة والصنعة كما سيتبين لك بعد . واليك نماذج من الرسائل الادبية قبل ان دخل الانشاء عصر الانحطاط

### (١) الرسالة الاغريضية

لابي العلاء المعري (٥٤٤٩ هـ) ارسلها الى ابي القاسم الحسين بن علي المغربي جواباً على كتاب ورد منه . والمعري في هذه الرسالة كما في اكثر رسائله شديد التكلف للسجع والغريب كثير التوفير على البديع والاشارات التاريخية واللغوية ، ولذلك ترى رسائله عادة عويصة المعاني مكدودة الالفاظ نعي قارئها يبعد اشاراتها وقلة طلاوتها . كقوله في مفتتح هذه الرسالة مشيراً الى كتاب ابي القاسم المغربي -

« السلام عليك ايها الحكمة المغربية ، والالفاظ العربية . اي هواء رقاك واي غيث سقاك ، برقه كالإحريض<sup>(٢)</sup> ، وودقه مثل الاغريض<sup>(٣)</sup> .

(١) رسائل المعري ١٤ - ٢٠ (٢) الاحريض العصفري (٣) الاغريض

قطر جليل تراه اذا وقع كأنه اصول نبل

حللت الربوة ، وجللت عن الهبوة . اقول فيك ما قال اخو نمير ، لفتاة  
بني عمير

زكالك صالح وخلاك ذمٌ وصبحك الايمان والسعود  
لأنا آسف على قربك من الغراب الحجازي ، على حسن الزي ، لما  
اقفر ، وركب السفر ، فقدم جبال الروم في نو ، انزل البرس<sup>(١)</sup> من الجوة  
الى ان يقول مادحاً مطرباً . . .

« فخرس الله سيدنا حتى تدغم الطاء في الهاء ، فتلك حراسة بغير انتهاء  
وذلك ان هذين ضدان ، وعلى التضاد متباعداً ، رخو وشديد ، وهاد وذو  
تصعيد » . . .

ويجري كذلك الى قوله -

« واني وان غدوت في زمان كثير الدد<sup>(٢)</sup> ، كهاء العدد لزمت المذكر  
فانت بالذكر . . . وحال كالهزمة تبدل العين ، وتجعل بين بين . . . ونائب  
الحقت الكبير بالصغير كأنها ترخيم التصغير . . . لا مدن صوتي بتلك الآلاء  
مد الكوفي صوته في هولاء » .

ويأخذ في هذا الضرب من الكلام فيطيل ويبرم وقد يتكلف تشابه  
الاقدمين فيقول واصفاً شوقه -

« ما حاملة طوق من الليل ، ويرد من المرتبع مكفوف الذيل<sup>(٣)</sup> ، اوفت  
الأشاء<sup>(٤)</sup> ، فقالت للكئيب ما شاء ، تُسمعه غير مفهوم ، لا بالرمل ولا  
بالمذموم<sup>(٥)</sup> ، كان يجيعها قريض ، ومراسلها الغريض<sup>(٦)</sup> ، قد ماد لشجوها

(١) البرس القطن (٢) الدد اللهب واللعب (٣) يعني بذلك الحمامة المطوقة  
بلون اسود كالليل ، اللابسة يراد كالربيع (٤) حطت على النخل (٥) نوع من  
الالحان (٦) مغن مشهور



العود ، وفقيدها لا يعود ، تندب هديلاً فات ، وأنيح له بعض الآفات -  
باشوق الى هديلها من عبده الى مناسمة انبائه « . . الى آخر هذا الكلام . .  
ثم يرجع الى الاطراء ووصف الفاظ صاحبه وحسن نظمه كقوله  
« واني للكندي <sup>(١)</sup> قواف كهجمة السعدي <sup>(٢)</sup> »

اذا اصطككت بضيق حجرتهاها تلاقى العسجدية واللطيم <sup>(٣)</sup>

فالعسب <sup>(٤)</sup> ، في تضاعيف النسيب ، والشباب في ذلك التشبيب ،  
ليس روية بمقلوب ، ولكنه من ارواء القلوب ، قد جمع أليل <sup>(٥)</sup> ماء الصبا  
وصليل ظماء الظبا ، فالمصرع كوذيلة <sup>(٦)</sup> الغربية ، حكمت الزينة والريبة ،  
وأرت الحسناء سناها ، والسمجة ما عنها . . .

ونختم كلامنا على هذه الرسالة التي تملأ نحو سبع صفحات كبيرة بقوله  
يصف ادبه . قال بعد ان شبه الادب بالغيث

« واني نزلت من ذلك الغيث ييلد طسم <sup>(٧)</sup> ، كأعمر الوسم ، منعه  
القراع <sup>(٨)</sup> من الامراع : يابوس ، بني سدوس ! العدو حازب <sup>(٩)</sup> ، والكلاء  
عازب ، ياخصب بني عبد المدان ! ضأن في الحربث وإبل في السعدان <sup>(١٠)</sup> .  
فلما رأيت ذلك اتعبت الاظل <sup>(١١)</sup> ، فلم اجد الا الخنظل ، فليس في اللييد <sup>(١٢)</sup>  
الا الهيد <sup>(١٣)</sup> ، جنيته من شجرة اجثت من فوق الارض ما لها من قرار .  
لبن الابل عن المرار مر ، وعن الاراك طيب حر <sup>(١٤)</sup> »

(١) اي امروء القيس (٢) كنياف السعدي (٣) العسجدية حاملة الذهب  
واللطيم حاملة الطيب (٤) الماء الجاري بصوت (٥) خريز الماء (٦) الوذيلة  
المرأة (٧) قفر (٨) القراع القتال (٩) شديد (١٠) الحربث والسعدان من  
نباتات المراعي الطيبة (١١) الاظل باطن المنسم اي اتعبت ناقتي (١٢) اللييد  
المخللة (١٣) الهيد الخنظل (١٤) المرار نبات والاراك شجر

وكل الرسالة على هذا النسق الذي ذكرناه من تكلف في الصناعة  
وغرابة في الالفاظ ونطس في الاشارات اللغوية والتاريخية . ومثلها كل  
رسائل المعري الطويلة - كرسالة الغفران والمنيح وملقى السبيل وسواها<sup>(١)</sup>

## رسالة ابن زيدون (٤٦٣)

وكان بينه وبين الوزير ابي عامر بن عبدوس منافسة في حبّ ولادة  
بنت المشكفي . وكان هذا الوزير قد ارسل اليها مرة امرأة تستميلها اليه  
وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في النفرد به دون سواه ، فبلغ ابن زيدون  
ذلك فكتب عن لسانها هذه الرسالة يتهم عليه ويتقص منه وارسلها اليه  
من قبل ولادة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق . قال  
في مطلعها

« اما بعد ايها المصاب بعقله ، المورط بجعله ، البين سقطه ، الفاحش غلظه  
العائر في ذبل اغتراره ، الاعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على  
الشراب ، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ، (الى قوله) متصدياً من ختي لما  
قرعت دونه انوف اشكالك ، مرسلًا خليلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك  
قوادة ، كاذباً نفسك انك ستنزّل عنها اليّ ، وتخلف بعدها عليّ »

ولا شك انها قلتك اذا لم تضن بك ، وملّتك اذا لم تعز عليك ، فانها  
اعذرت في السفارة لك ، وما قصرت في النيابة عنك ، زاعمة ان المروّة  
لفظ انت معناه ، والانسانية اسم انت جسمه وهيولاه ، حتى خيأت ان  
يوسف ( عليه السلام ) حاسنك ففضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك

(١) اما رسالة الغفران فهي برغم تكلف المعري جديرة بعناية الادباء ، وذلك

لما فيها من مشاهد ومبسطات خيالية ترفعها الى مقام خاص في الادب العربي

فسلت عنه ، وان قارون اصاب بعض ما كنزت ، وكسرى حمل غاشيتك ،  
 وقصر رعى ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، وازدشير جاهد  
 ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك »

ثم يجري على هذا النمط من التهكم فيذكر نحواً من اربعين علماً من  
 اعلام التاريخ العربي وغيره حتى يصل الى قوله

« فكدمت في غير مكدم ، واستسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير  
 ضرم ، ولم تجدل ريج مهزاً ، ولا لشفرة محزاً ، بل رضيت من الغنيمة بالاياب  
 وتميت الرجوع بخفي حنين »

ويشير الى الامراة التي ارسلها فيقول :

« ولولا ان للجوار ذمة ، وللضيافة حرمة ، لكان الجواب في قذال  
 الدمستق<sup>(١)</sup> ، والتعل حاضرة ان عادت العقرب ، والعقوبة ممكنة ان اصر  
 المذنب ، وهبها لم تلاحظك بعين كليله عن عيوبك ملوؤها حنينها ، حسن فيها  
 من تود ، وكانت انما حلتك بجلاك ، ووسمتك بسيماك ، ولم تعرك شهادة ،  
 ولا تكلفت لك زيادة ، ولم تكن كاذبة فيما اثنت به عليك ، فالأعدي  
 تسمع به خير من ان تراه »

هجين القذال ، ارعن السبال ، طويل العنق والعلاوله ، مفرط الحق  
 والغاوة ، جافي الطبع ، سيء الجابة والسمع ، بغيض الهيئة ، سخييف الذهب  
 والجيئة ، ظاهر الوسواس ، متن الانفاس ، كثير المعاييب ، مشهور المثالب ،  
 كلامك قمتة ، وحديثك غممة وبيانك فهمة ، وضحكك قهقهة ، ومشيك  
 هرولة ، وغناك مسألة ، ودينك زندقة ، وعلمك مخرفة

فوجودك عدم ، والاغباط بك ندم ، والخيبة منك ظفر ، والجنة معك

(١) الدمستق قائد الروم ولعله اشارة الى بعض قول المتنبي فيه

سقر ، كيف رأيت لوئك لكرمي كفاءً ، وضعتك لشرفي وفاءً ، وانى  
جهلت ان الاشياء انما تُنجذب الى امثالها ، والطير انما تقع على اشكالها ،  
وهلاً علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت ان المؤمن والكافر  
لا يتقاربان ، وقلت الحبيث والطيب لا يستويان «

ثم يضع على لسانها ما يصمه به من ادعاء وغرور وحسد فيقول

« ولعلك انما غرّك من علمت صبوتي اليه ، وشهدت مساعفتي له من  
اقمار العصر ، وريحان مصر ، الذين هم الكواكب علوهم ، والرياض  
طيب شيم

فخنّ قدحٌ ليس منها ، ما انت وهم ، وانى تقع منهم ، وهل انت الا  
واو عمرو فيهم ، ، وكالوشيطلة في العظم بينهم ، وان كنت انما بلغت قعر  
تابوتك ، وتجايفت عن بعض قوتك ، وعطّرت اردانك ، وجررت هيمانك  
واختلت في مشيتك ، وحذفت فضول حيتك ، واصلحت شاربك ،  
ومططت حاجبك ، ورققت خط عذارك ، واستأنفت عقد ازارك ، رجاء  
الاكتنان فيهم ، وطمعاً في الاعتداد منهم ، فظننت عجزاً . والله لو كسالك  
محرق البردين ، وحلتك مارية بالقرطين ، وقلدك عمرو الصمصامة ، وحملك  
الحرث على النعامة ، ماشككت فيك ، ولا سترت اباك ، ولا كنت  
الا ذاك «

ويختم الرسالة بالاهابة به ان يعرف قدر نفسه ولا يتطال الى ما ليس من  
شأنه « ذلك بما قدمت يدك ، لتذوق وبال امرك ، وتروى ميدان قدرك »  
والرسالة طويلة بكثير فيها الاشارات التاريخية والامثال العربية وقد شرحها  
ابن نباته في كتابه شرح العيون فليراجعها من شاء

رسالة الخمس<sup>(١)</sup>

للقاضي محيي الدين ابي الفضل يحيى ويرجع نسبه الى عثمان بن عفان كتبها حين  
وروده الى القاهرة وذلك سنة ٦٢٩ هـ

ذكر القلقشندي هذه الرسالة في باب ما يكتب به الحوادث والماجريات  
وقال : « ويختلف الحال فيها باختلاف الوقائع . فاذا وقعت للاديب ماجرية  
واراد الكتابة بها الى بعض اخوانه . حكي تلك الماجرية في كتابه مع تلميح  
الكلام في ذلك ، اما ابتداءً او جواباً ، عند مصادفة ورود كتابه اذ ذلك  
اليه<sup>(١)</sup> »

وهي من النوع الثاني - يبدأ كاتبها بوصف رسالة وردته من بعض  
معارفه ويثائق في ذلك الوصف في نحو صفحتين من مثل قوله -

« وفضضتها عن مثل النور نفتح الصبأ ، وبرود الرياض تساهمت في  
اكساء وشيها الاهضاب والربا . . . في كل فقرة روضة وكل معنى كاس  
مدام ، وكل ألف ساق وكل سين طرة غلام ، وكل واو عطفة صدغ  
وكل نون نقويس حاجب ، وكل لام مشقة عذار وكل صاد خطة شارب  
فلما اجتليت منها المعاني المسهبة في اللفظ الموجز ، واجلت طرفي منها ما بين  
نزهة المطمئن وعقلة المستوفز . . . سألت خاطري الجامد ان يعارض بوابله  
طلها ، وان يقابل بجثمانه ظلها » .

ثم يأخذ بوصف حاله حين ورود الرسالة اليه وانشغال خاطره بمحاربة  
الزمان له وقلقه لتراكم الهموم عليه ويملاً من ذلك نحو ثلاث صفحات  
ثم يقول -

« فبيننا انا اعوم في هذه الخواطر متفكراً ، واقرع سن الندم على تقضي

(١) صبح الاعشى ١٤ ص ٢٥٢ - ٢٦٢ (٢) صبح الاعشى ١٤ - ٢٥١

عمري في غير مأربي متحسراً ، واتسلى بمصارع الاولين اخرى معتبرا . . . .  
 فاستروحت الى فتح باب كان مرتجا ، وارتدتُ باستجلاء محياً السماء من بعض  
 همي فرجا . . . . ففتحته عن شبك كتخطيط الآفاق ، او كرقعة شطرنج  
 وضعت بين الرفاق . . . . يُشرف الى غيضة قد التفت اشجارها ، ورقصت  
 اغصانها اذ غنت اطيارها » . .

ويجري كذلك في وصف الروضة والليل والكواكب والنسيم  
 « حتى هتف بشير النجح بين احيا ليلته ، لما تمزق قميص الليل وانفري :  
 عند الصباح يحمد القوم السرى »

ثم يقول -

« فينا انا انفكر في ان جملة ما عابنته سيصبح زائلا ، وعن تلك الصبغة  
 العجيبة حائلا ، اذ اهدت اليّ الايام احدى طرفها وغرائبها ، وكبرى  
 اوابدها وعجائبها ، فطرق سمعي من الشباك نبأة ، وتلتها وجبة لتبعها وثبة . .  
 واذا بنمس قد فارق وجاره الى وجاري ، واختارني على الصحراء جاراً  
 فارتضيت له لجواري »

ويعقب ذكره لصلاته ثم انفتاله من المصلّى وروئيه غلامه جريماً وقد  
 انتضى سيفاً هزه في وجه النمس فيزجر الغلام ويقبض على الحيوان فيستجلي  
 صوته ثم يصف في نحو صفحتين خلقه واعضائه وحر كاته ويمجد ثنا بعد ذلك  
 انه شد وثاقه وانصرف الى البلد لبعض شأنه . قال -

« فلما قضيت نهمتي من نجعتي ، وحانت مع وجوب الشمس رجعتي ،  
 الفيته عمد الى الوثاق فقرضه وصال على شبيخة نستسعد بدعائها ، ونفزع ان  
 دهمناهم قبل نداء اولي البطش الى ندائها »

وبعد ان يصف حال تلك الشيخة المسكينة بنحو عشرة اسطر  
يقول :

« واتيته بسلسلة تنبو انيابه عن عجمها ، ولا تثبت شياطين مكره  
برجمها . . . فتغيظ تغيط الاسير على القدّ ونظر اليّ بطرف حديد ، وتذلّ  
بعد يأس شديد ، وبصبص بذنبه فقلت « أمكراً وانت في الحديد » ؟

وبعد حديث النمس يختم الرسالة الى صديقه معتذراً بقوله -

« فلما تمّ ما ذكرته ، وأبدأته واعدته ، وردت رقعة سيدنا على عقايل  
هذه الوقعة التي وقعت ، وصدت عن الجواب ومنعت ، واقتضى بي الحال  
كتابة هذه الخرافة وان تشبثت باذيال الجدة ، فاخرجتها مخرج الهزوء وان  
دلت على علو حوز قصبات الحمد ، ليعلم ان في الزوايا خبايا ، واذا صحّ ان  
عليها بنبت الشجر ، فانا ابن جلا وطلاع الثنايا »  
ويستمر على ذلك الى آخر الكلام

ويكثر في هذه الرسالة عدا التسجيع والبديع اقتباس الامثال ومأثور  
الكلام كقوله -

وكيف نوقى ظهر ما انت راكبه

افرغ من حجام سابط - مثل

يرى بالجود طلعة نائر وبالعرمس غرة آتب - من بيت لابي تمام

اذا ذلّ مولى المرء فهو ذليل - من بيت

فشق له من الظلماء نجرا وابدى له وجهاً مكفهرًا - من شعر لابن

بشر في الاسد

والعوان لا تعلم الخمرة - مثل

كانه كوكب في اثر عفريت - من بيت  
 فلقد انصف القارة من رامها - مثل  
 فالنحل يحمي شوكة معقولا - مثل  
 وغير ذلك من هذه المقتبسات

### رسالة الشكر على نزول الفيء<sup>(١)</sup>

لابي عبد الله محمد بن ابي الخصال الغافقي الاندلسي ( من اهل القرن  
 السادس الهجري ) قال بعد الحمد والشهادة - يصف الجذب -  
 « ولما لفتت حرب الجذب عن حيال ، واشفق ربُّ الصريحة والعيال  
 ونبأدى الجيران للتفرق والزيال ، وناوحت في الهبوب ريحها الجنوب والشمال  
 وتراوحت على القلوب راحتا اليمين والشمال ، وأحضرت انفس الاغنياء  
 الشح ، وودوا ان لا تنشأ مزنة ولا تسح ، وتوهم خازن البر ، ان صاعه  
 يعدل صاع الدر ، وخفت الازواد ، وماجت الارض والتقت الرواد ،  
 وانتزعت العازب القصي ، فالقت العصي ، وصدرت بحسراتها ، وقد اسلمت  
 حزراتها ، واصبحت كل قنة فدعاء ، وهضبة درعاء : انشأ الله العنان ،  
 وقال له : كن فكان

فبينما النجوم درارها الاعلام ، واغفالها التي لا تحمد عندهم ولا تلام ،  
 قد اختلط مرعاها بالهمل ، ولم تدر السدة بالحمل ، ولا علم الجدي بالرئبال ،  
 ولا احس الثور بالرامي ذي الشمال ، اذ غشيتها ظل الغمام ، وحجبتها استار  
 كاجنحة الحمام ، واخذت عليها في الطروق ، مصادر الغروب والشروق ،  
 فما منها الا مقنع بنصيف ، او مزمل في نجاد خفيف ، لم تُترك له عين تطريف ،

(١) صبح الاعشى ١٤ ص ٢٦٣-٢٦٦



ولا ثقبه يطلع منها او يشرف ، فباتت بين دور متداركة السقوط ، وديم  
منحلة الخيوط ، وجيوش منصوره الاعلام ، ثابتة الاقدام ، وكتائب صادقة  
المجوم ، صائبة الرجوم ، تطلب المحل ما بين التخوم والنجوم ، وما زالت  
ترميه باحجاره وتمترشه في اجماره ، وتغزوه في عقر داره ، حتى عفت على  
آثاره ، واخذت للحزن والسهم بثاره

فيا أيها المؤمن بالكواكب ، انظر الى الديم السواكب ، واسبح في  
لجج سيولها ، وارتح في ممر ذبولها ، وسبح باسم ربك العظيم الذي قذف  
بالحق على الباطل ، واعاد الخلي الى العاقل ، فبرود الظواهر مخضرة ، وثغور  
الازاهر مفتحة ، ومسرات النفوس منتشرة ، والدنيا ضاحكة مستبشرة ،  
وارواح الادواح حاملة ، واعطاف الاغصان مائلة ، واوراق الاوراق  
نفصل ، واجنحة الظلال تراش وتوصل ، وخطباء الطير تروي وتخبز ،  
وشيوخ المحارب تهمل وتكبر ، وإن من شيء الا يخضع لجبروته ، ويشهد  
لملكوته ، وتلوح الحكمة ما بين منطقته وسكوته»

ثم يصف حال الطيور بعد ذلك الغيث وما نالها من فرح وجور وبتقل  
الى وصف الزهور «من نرجس ترنو الروافي باحداقه ، وتستعير الشمس  
بهجة اشراقه» . ومن «عرار تغني مطالعه على عرار ، وكلفت به السواري  
والغوادي كلف عمرو بعرار»

الى « اخوان جرى على الثنايا الغر ، وسبك من ناصع الدر»

« وبنفسج كاطواق الورق ، او كاليواقيت الزرق» الخ

الى ان يقول

« وكل ربوة قد اخذت زخرفها وازينت ، وبيئت من آيات الله ما بينت  
كما تتوَّج في إيوانه كسرى ، واستقبلته وفوده نثرى ، وانقلبت عن حسن

ناديه النواظر حسرى ، وكل تلمعة مذانب نصولها تسلّ ومضارب فصولها  
لا تثني ، وارقم نساب ، ولجين يدأب ويزاب ، على حافاتنا نجوم من النور  
مشتبكة ، وجيوب عن لبّات الغواني منتهكة ، فلو افتتحت الظهور والبطون  
ونظقت السهول والحزون ، لقات : « قتل الخراصون الذين هم في غمرة  
ساهون »

ويختم الرسالة بعشرة اسطر في شكر الله وتعظيمه والاقرار بوحدانيته  
والتماس الخير منه .

### (١) مفاخرة بين السيف والقلم

للقلشندي صاحب صبح الاعشى انشأها للمقرّ الزبني الظاهري سنة ٧٩٤  
وسماها « حلية الفضل وزينة الكرم ، في المفاخرة بين السيف والقلم »  
وباب المفاخرة في الانشاء العربي واسع وقد تفنن الكتبة فيه فنطقوا  
بلسان الازهار والعلوم وادوات الملك وغير ذلك . وكل هذه المفاخرات من  
قبيل الرسائل الادبية وهي تجري على وتيرة واحدة من حيث المحاوره في  
وصف المفاخر الذاتية والتزام السجع والنكات البديعية  
وهذه المفاخرة انموذج حسن لهذا الضرب من الترسل - تبدأ بحمد الله  
والصلاة على النبي وآله وصحبه « الذين قامت بنصرتهم دولة الاسلام فسمت  
بهم على سائر الدول ، وكرعت في دماء الكفر سيوفهم فعادت بخلق  
النصر لا بجمرة الخبث »

ثم يذكر تحاسد المتقارين في الرتبة وانه « لما كان السيف والقلم قد  
تدانيا في المجد وتقاربا ، واخذوا بطرفي الشرف وتجاذبا . . . . . جرّ كل

ثوب الخيلاء نفراً فمشى وتبختر ، واسبل رداء العجب نهباً فما تخيل ولا  
تعتر ، واتسع له المجال في الدعوى فجال ، وطاوعته يد المقال فقال وطال .»

.....

ويبدأ القلم مفاخرته فيقول بعد مقدمة « واني لأول مخلوق بالنص  
الثابت والحجة القاطعة ، والمستحق لفضل السبق من غير منازعة ، أقسم الله  
تعالى بي في كتابه ، وشرّفتني بالذكر في كلامه لرسوله وخطابه . . . . فكان  
لي من الفضل وافر القسمة ، وخصّصت بكامل المعرفة ، فجمعت شوارد  
العلوم ، وكنت قيم الحكمة »

فيجيبه السيف « وانت وان ذكرت في التنزيل . . . . فقد حرّم الله  
تعالى تعلم خطك على رسوله ، وحرّمك من مس انامله الشريفة ما يؤمى  
على فوته ويسرّ بحصوله ، لكنني قد نلت من هذه الرتبة اسنى المقاصد ،  
فشهدت معه من الوقائع ما لم تشاهد »

وتستعر نار المساجلة فتفجر بنايع الفصاحة من حدّيهما ، فلا يأتي  
هذا على ذكر مفاخر له معروفة حتى ينبري ذلك فيعارضها بمفاخر اعلى . ولقد  
ترامى الخصمان بلواذع الكلام كقول القلم للسيف « انسيت اذانت في  
المعدن تراب تداس بالاقدام ، وتنسفك الرياح وتزري بك الايام . ثم  
صرت الى القين تقعد لك السنادين بالمرصد ، وتدمعك المقامع وتسطو بك  
المبارد » . فيقول السيف :

« انا لله ! لقد استأسدت الثعالب . . . . فلو عرفت قدر نفسك ،  
ولزمت في السكينة طريق ابناء جنسك ، ووقفت عند ما حدّ لك ،  
وذكرت عجزك وكسلك لك ان اجدر بك ، وأحمد لعاقبتك ، وأليق  
بأدبك »

وبعد جدال طويل يميل القلم لركة طبعه الخصام، فيميل الى الصلح، ويمنح

الى السلم . قال الكاتب : -

«واقبل على السيف بقلبٍ صافٍ ، ولسان رطب غير جافٍ ، فقال  
لقد طالت بيننا المجادلة ، وكثرت المراجعة والمقابلة ، مع ما بيننا من قرابة  
الشرف . . فهل لك ان نعقد للصلح عقداً لا يتعدى حدّه ، ولا يُجِلّ على  
طول الزمان عقده» فقبل السيف بذلك . . . قالوا : -

« لا بد من حكم يكون الصلح على يديه ، وحاكم نرجع في ذلك  
اليه ، لنحظى بزيادة الشرف ، ونظائر من كمال الرفعة بغرفٍ من فوقها غُرْف  
ونسنا بفائزين بطلبتنا ، وظافرين ببيعتنا الا لدى السيد الاكمل ( الى اخر  
نعوت المفدوح ) وتجري نعوته في نحو صفحة كبيرة  
» ثم لم يلبثا ان كتبا بينهما كتاباً بالصلح والمصافاة . وتعاهدا على الود  
والموافاة . . . . . وزالت عنهما الاحقاد والاِحن . وباتا في اعزّ مكان  
واشرف وطن

.....

ومما يجري مجرى الرسائل الادبية ما جرت عادة الكتاب عليه من انهم  
يشكثون بالمسائل اما على سبيل الاستفهام واما عن سبيل الامتحان والتعجيز  
قال الفلقشندي<sup>(١)</sup> « ثم تارة يجاب على تلك الاسئلة باجوبة فتكتب ، وتارة  
لا يجاب عنها بحسب ما تقتضيه الحال » . ومن امثلة ذلك رسالة كتبها الشيخ  
جمال الدين بن نباته المصري الى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي صاحب  
ديوان الانشاء بالمملكة الشامية . وقد بلغه ان بعض اهل الديوان نال منه ،  
وان الشيخ شهاب الدين المذكور ناضل عنه ودافع فكتب اليه يشكره على

ذلك ويسأل كتاب الديوان عن اسئلة بعضها يرجع الى صنعة الانشاء واكثرها يرجع الى فن التاريخ<sup>(١)</sup> - ومن تلك الاسئلة قوله :

من كتب في الورق واستنبطه ؟ ومن ختم الكتاب بالطيف وربطه ؟  
ومن غير طين الكتاب بالنشا وضبطه ؟

وما اوجز مكتابة كتب بها عن خليفة في معنى . وما ابلغ جوابه  
واوجزه اجاب به عن خليفة من لا سمى ولا كنى ؟

وكيف يهني من زوج بعد موت ابيه أمه ، ويعزي والدًا قتل ولداه  
وولدًا قتل والده ويصوب حكمه ؟

الى غير ذلك من هذه الاسئلة التي كانوا يتساءلون بها اظهاراً لفضل او  
تعميماً لخصم<sup>(٢)</sup>

رسالة في صيد الملك الناصر بن الملك منصور قلاوون<sup>(٣)</sup> (٧٤٠)

للقاضي تاج الدين البازياري ثبت منها ما يلي :

« وفي خلال كل عام تصرف عزائم الشريفة الى ابتغاء صيد الوحش  
والطير : لما في ذلك من تمرين النفوس على اكتساب التأيد ، وحصول  
المسرة بكل ظفر جديد ، في رسم - خلد الله سلطانه - في الوقت الذي يرسم  
به من مشتي كل عام باخراج الدهليز المنصور فينصب في بر الجيزة بسفح  
الهرم ، في ساعة مباركة آخذة في اقبال الجود والكرم ، فتمد بالتأيد اطنابه

(١) صبح الاعشى ١٤ ص ٢٤١

(٢) راجع تفصيل ذلك في صبح الاعشى ١٤ ص ٢٤٠ - ٢٥١

(٣) صبح الاعشى ١٤ ص ١٦٥ - ١٧٢

وترفع على عمد النصر قباه ، ويحاط بحراسة الملائكة الكرام رحابه ،  
وتضرب خيام الامراء حوله وطاقا ، وتحف به مثل النجوم بالبدر اشراقا «

وبعد ان يصف عبوره النيل يقول :

« واستقرت على جواد شرفت صهوته ، وقرنت بالاناة والسكون خطوته  
عربي التجار ، يخال في سيره كأنما انتشى من العقار  
وسار في زروع مخضرة ، وثغور نبات مفترية ، وقد طلعت للظفر  
شموسه وبدوره ، وأعدت للصيد بزاته وصقوره ، من كل متوقد اللحظ من  
الشهامة ، محمول على الراحات من فرط الكرامة ، يتوسم فيه النجاح ، قبل  
خفق الجناح ، وبمخرج من جو السماء ولا حرج ولا جناح

ويأمر - خلد الله سلطانه - امراءه فيضربون على الطير حاقه وهي  
لاهية في التقاط حبها ، غافلة عما يراد بها ، فيذعرونها بخفق الطبول وضربها  
ومولانا السلطان - خلد الله ملكه - لنافرها مترقب ، ولطائرها بالجراح  
معقب ، فما يدنو الكركي مقرورا ، حتى يووب مقهورا ، ساقطاً من سمائه  
الى ارضه ، ومن سعته الى قبضه . فسبحان من خالق كل جنس وقهر بعضه  
ببعضه : هذا والجراح قد انشب فيه مخالفه ، وسد عليه سبله في جو السماء  
ومذاهبه ، ولم يزل - خلد الله تعالى سلطانه - عامة يومه متوغلاً في التمتع  
بلذات صيوده ، واوقات سعوده ، وحصول اربه ومقصوده ، وجنود  
الملائكة خافون به ويجنوده ، حتى ينسخ الليل النهار بظلمائه ، ويلمع الطارق  
باضوائه ، فيعود عند ذلك الركاب الشريف الى الخيم المنصور والجوارح  
كاسبه ، والاقدار واهبه ، والجوارح مسرورة ، والطيور مأسورة ،  
والنفوس ممتعة ، والمواهب منوعة ، والارزاء مضوغة

ولم يبرح ذلك دأبه في كل يوم من ايام حركته حتى يأخذ حظه من صيد الطير ، فعند ذلك يثني عنان السير ، الى اقتناص الوحش فيعدّ لامساکها كل هيكل قيد الاوابد ، قد عقد الخير بناصيته فاصبح حسن المعاهد

ويتقدم بعد ذلك الى وصف خيله واوابد الوحش جنساً جنساً وجند السلطان وامرائه ثم قفوله الى القلعة « فيأخذ فيما بطن من مصالح المسلمين وظهر ، وتنشده السنة السلامة ما املى عليها العز والتأييد والظفر »  
والرسالة طويلة وهي في غاية الاناقة الانشائية المعهودة في ذلك العصر .

### وصف قصيدة نظرها ابن مجاج<sup>(١)</sup>

من انشاء القلقشندي صاحب صبح الاعشى (٥٧٨٢هـ)

يبدأ الكلام بتحميدة تقع في ستة اسطر وبعد ان يذكر انه اطلع على هذه البديعية البديعة يقول في وصفها<sup>(٢)</sup>  
« فالفيتها الدرّة الثمينة غير انها لا تسام ، والخريده المخدرة الا انها لا يلبق بها الاحتشام ، قد اتخذت من الاحتشام معقلاً وحصناً لا يفشى ، وانتبذت من حسادها مكاناً قصياً فلا تخاف دركاً ولا تخشى  
اراد المدعي بلوغ شأوها والجري في مضمارها فليل : كلاً ، ورام المخذ في آياتها الغضّ منها عناداً فابى الله الآ

(١) صبح الاعشى ١٤ ص ٣٣٧-٣٤٠

(٢) ثبت منها النثر دون ما يتخلله من اشعار

فامسوا في معارضتها غير طامعين ، وتلت عليهم آيات بلاغتها : « فظلت  
اعناقهم لها خاضعين »

وكيف لا تخضع لها الاعناق ، ونذل لها رقاب الشعراء على الاطلاق  
وهي اليتيمة التي أعقمت الافهام عن مثلها ، والفريدة التي اعترف كل طويل  
النجاد بالقصور عن وصلها ، وأنى بذلك وقد اخذت من المحاسن بزمامها ،  
واحاطت من الطلاوة بكلامها ، واحدقت رياض الادب بجذائرها ، واقتطفت  
من افنان الفنون ثمار معان تلذُّ لناظرها وتحلو لذائقها ، وتصرفت في جميع  
العلوم وان كانت على البديع مقصورة ، وشرفت بشرف متعلِّقها فاصبحت  
بالشرف مشهورة

لاجرم اضحت أمَّ القصائد وكعبة القصائد ، ومحط الرجال ومنهل  
الوراد ، فأربت في الشهرة على « المثل السائر » ، واعترف بفضلها جزالة  
البادي وسهولة الحاضر

فاجب بها من بادرة جمعت بين متضادين سمرٍ وسمر ، وقرنت بين  
متاعبدين زهرٍ وزهر ، وجادت بمستنزهين روضٍ ونهر ، وثفنت في  
اساليب الكلام وجالت ، وطاوعتها يد المقال فقالت وطالت ، ودعت  
فرسان العرية الى المبارزة فنكصوا ، وتحقق المفلقون العجز عن مؤاخاتها  
ولو حرصوا

ان ذكرت الفاظها فما الدر المنثور ؟ او جليت معانيها اخجلت الرّوض  
المطور ، او اعتبر تحرير وزنها فاق الذهب تحويرا ، او قوبلت قوافيها بغيرها  
زكت توفيرا وسمت توقيرا ، او تغزّلت اسكتت الورق في الاغصان ، او  
امتدحت قفّت اثر « كعب » وسلكت سبيل « حسان »<sup>(١)</sup> فاطنابها

( ) كعب بن زهير وحسان بن ثابت



- لفصاحتها - لا يعدُّ إطناباً ، وإيجازها - لبلاغتها - يمدّ على المعاني من حسن السبك أطناباً

هذا وبراعة مطلعها تحثُّ على سماع باقيها شغفاً ، وبديع مخلصها يسترق الاسماع لطافة ويسترقُّ القلوب كلفاً ، وحسن اختتامها تكاد النفوس لحلاوة مقطعه تذوب عليها اسفاً

وبالجمله فمآثرها الجميلة لا تحصى ، وجمائلها الماثورة لا تعدّ ولا تستقصى فكأنما « قسُّ بن ساعدة » يأتّم بفصاحتها ، و « ابن المقفع » يهتدي بهديها ويروي عن بلاغتها ، و « امرؤ القيس » يقتبس من صنعة شعرها ، و « الاعشى » يستضيء بطلعة بدرها ، فلو رآها « جرير » لرأى ان نظمه جريرة اقترفها ، او سمعها « الفرزدق » لعرف فضلها وتحقق شرفها ، او بصر بها « حبيب بن اوس » لأحبَّ أن يكون من رواتها ، او اطلع عليها « المتنبي » لتخبر بين جميل ذاتها وحسن أدواتها

ولا نطيل فبلغ القول فيها أن آيتها المحكمة ناسخة لما قبلها ، وبرهانها القاطع قاض بان لا تسمح قريحة ان ننسج على منوالها ولا يطمع شاعر ان يسلك سبيلها

.....

والذي يتأمل الرسائل الآنفه الذكر وسواها يرى ان التأنق الانشائي او التكلف البديعي قد زادت رغبة الكتاب فيه بعد القاضي الفاضل حتى انه ليحوز لنا ان نقول ان الانشاء بعد القرن السادس الهجري كان صناعة متكلفة يتنافس صنّاعها في زخرفتها وتزويقها . ومن افضل الامثلة على ذلك كتاب نسيم الصبا لبدر الدين ابن حبيب الحلبي المتوفي ٧٧٩ هـ . وهو مجموعة فصول تبلغ الثلاثين يصف بها منشئها ظواهر شتى من الطبيعة والحياة والاخلاق

وصفاً ذهب في التأنيق والتكلف فيه كل مذهب . على ان اهل عصره أُعجبوا به واثنوا على براعة مذهبهم حتى قال فيه الصفدي شارح لامية العجم ، وهو من ائمة المنشئين - « هذا الانشاء الذي ماله عدل في هذا العديد ولا ضرب وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فما لجيب بن اوس حسن ابن حبيب . فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحرة ، والفوائد التي ايقظت جفن الادب بعد ما كان بالساهرة ، ومتع الله تعالى الزمان واهله بهذا النوع الغض ، والنقد النض ، والبز البض ، والبديع الذي رم ما تشعث من ربع هذا الفن ورض<sup>(١)</sup> . »

والفصول . كما على نسق انشائي واحد فنكتفي بفصل منها نموذجا لاسلوب الكتاب - وهو الفصل الحادي والعشرون في الكتابة والكتاب - وقد تغارب كاتبه في الاشارات البديعية فقال<sup>(٢)</sup> « الكتابة المهمك الله معرفة فضلها ، ولا حرمك نفع صداقة اهلها ، اشرف الوظائف والمناصب ، وارفح المنازل والمراتب ، وافلح صناعة ، وارج بضاعة ، قطب دائرة الآداب ، وصدر اسرار الالباب ، ورسول صادق ، ولسان بالحق ناطق ، وسيف تُحَدُّ بحده المعارف ، وميزان يميز التالذ من الطارف تُلحَق خبر الحاضر بالغائب ، واليهما تُنتهي الآمال والرغائب ، بها تتم النعمة وتفصل شذور الحكمة ، تُبرز ابريز البلاغة ، وتصوغ لجين الكلام احسن صياغة ، لطف حواشي رقاعها محقق ، وجدولها المسلسل على الريحان يتدفق قد تحلَّت بصحة الوضع والتركيب ، وحلت بما حكمت من اعضاء الجيب ، فاللام والالف كعذاره وقده ، والجيم كصدغه المعقرب على خده ، والصاد والنون كعينه وحاجبه ، والميم فمه النائي عن رائد ورده يجانبه

(١) باب تقاربظ الكتاب ٧ (٢) نسم الصبا ٧٧ - ٨٠

لا تُعدّ عن فن الكتابة انها مغنى الغنى ومفتاح الارزاق ، واخش  
البراعة وارجلها فهي التي عرفت بنفش السم والدرياق . والكتائب  
عماد الملك واركانه ، وعيونه المبصرة واعوانه ، وبهاء الدول ونظامها ،  
ورؤوس الرياسة وقوامها ، ملابسهم فاخرة ، ومحاسنهم باهرة ، وشماثلهم  
لطيفة ، ونفوسهم شريفة ، مدار الحل والعقد عليهم ، ومرجع التصرف  
والتدبير اليهم ، بهم تحلّى العواطل وتبتسم ثغور المعازل ، مجالسهم بالفضائل  
معمورة ، وبندائهم اندية القصاد معمورة ، يهدون الى الاسماع انواع  
البديع ، وينزهون الاحداق في حدائق التوشيح والتوشيع ، هم اهل البراعة  
واللسن ، وشيتمهم لف القبيح ونشر الحسن ، يميلون الى القول بموجب  
المدح ، ولا يملون من مراجعة الراغبين في المنح ، دأبهم استخدام الناس  
بالمعروف ، وعدم التورية عن العاني والملهوف ، يجلون الكبير ، ويجلون  
الصغير ، ولا يخلون ببراءة النظير ، لهم الى الخير رجوع والتفات ، وبالجملة  
فقد حازوا جميع جميل الصفات :

بايديهم اقلام تختلس بلطفها الاحلام ، صافية الجواهر ، زاهية الازاهر  
لينة الاعطاف ، ناعمة الاطراف ، تبكي وهي مبتسمة ، وتسكت وهي بما  
يطرب السمع متكلمة ، قد اعتدلت قدودها ، واشرقت في سماء البراعة  
سعودها ، اسنتها مرهفة ، ومطارفها مرفوفة ، تجتهد في خدمة الباري ، وتبدي  
من دررها ما يفضح الدراري ، تبتس في وشي ابرادها ، وتشرح الصدور  
بعذوبة ابرادها ، نشأت على شطوط الانهار ، وتعلت اللحن من أعراب  
الاطيار ، طويلة الاناييب ، تسلب القلوب بحسن الاساليب ، تدهش الناظر  
وتحجل العامل ، ولا ترضى بامتطاء غير الانامل . الشجاعة كامنة في مهجتها  
والفصاحة جارية على لهجتها ، تبهج بالنضارة نواظر البهار ، وتطرز بالليل

ارضية النهار ، ان قالت لم نترك مقالاً لقائل ، وان صالت رجعت السيوف  
مستورة باذيال الجمائل «

الى ان يقول :

« يكرع ( اي القلم ) من دواة حالكة الحياض ، مشرقة الادواح  
والرياض ، جنية الاثمار ، مطعمة الاشجار ، ريقها رائق ، ونيل نيلها دافق ،  
تكشف غطاءها عن كل معنى انيق ، وتفتح فاها بكسر العدو وجبر  
الصديق ، شرفها ليس فيه نزاع ، وسقطها من انفس المتاع ، تخنو على اولادها  
طول المدى ، ثم تقط رؤسهن ولا ذنب لهن بجد المدى ، سمت الى المعالي  
بنفسها ، واعارت المسك السحيق بنفسها

لله اطراسها التي اضاءت بمدادها ، واشبهت عيون العين ببياضها  
وسوادها ، وانطوت المحاسن تحت رق منشورها ، وصدحت حمائم البلاغة  
على اغصان سطورها ، صحائف ثنوب عن الصفائح ، وقراطيس ترف الى  
الاسماع عرائس القرائح ، البسها الخبر اثواباً من الخبر ، وديجها صواب  
الفكر لا صوب المطر ، كم حازت من در منظوم ، وعلم لفظ بوثي المعاني  
مرقوم ، وفقر نفتقر اليها ايجاد الحسان ، وغرر كلم تذهب العقول بسحرها  
وان من البيان !

فاجتهد اعزك الله في طلابها ، واحرص على الدخول في زمرة اربابها  
وتمسك باذيال نبيا ، تجد جواداً او نبيلاً او نبياً : وحسبهم شرفاً ان الله  
تعالى نوه بذكرهم في العالمين ، ووصف الكتبة بالحفظ والكرم فقال وان  
عليكم لحافظين كراماً كاتبين ! «

## الترسل الادبي في العصر العثماني

لم بطراً على الانشاء تغير فجائي في العهد العثماني ولكن بذور الفساد كانت قد غرست في تربة الانشاء العربي فتمت في هذا العصر نمواً تدريجياً ولم يكبد يدخل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر للميلاد) حتى ائبعت وعظم امرها . وبيننا نرى التأنق البديعي ايام القاضي الفاضل وما بعده مقروناً بمثانة التركيب نراه في القرنين السابقين للنهضة الاخيرة يكسسي اطمار الغثائة والر كاكة كما يتبين لك من الامثلة التالية (وهي من انشاء القرن الثاني عشر للهجرة<sup>(١)</sup>)

### نبريك بمكذوب الى باسا في تقرير المنصب

ان ابداع ما تزينت صحائف المداد ، وابرغ ما استهل به متمسك بذيل الولاة والاعتقاد ، واحلى ما سارت به سايرة الاقلام ، واحصى ما تراسلت به القراطيس في الطف امانى الاحلام ، شرايف تحيات نشرها عميم ، وصالح دعوات تتنافس كما الدر النظيم ، تهدى الى جناب ولي النعم ، كريم الشيم ، عالي الهمم ، كان الله تعالى له حيث كان ، وغمره بموايد كرمه الغزيرة في كل وقت واوان ، وبعد فالنهي الى الجناب العالي ، انه لما طرقت المسامع عواطف الدولة العلية بالقر المنيف ، على جنابكم الشريف ، اخلص الفقير

(١) نقل هذه الرسائل من مخطوطة في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر معلوف اسمها «مجموع ارشادات في لطايف المكاتبات وتحايف المراسلات» وقد تكرم علينا حصرة الاستاذ البجائة بمطالعها والاستشهاد بها

الداعي بجزيل الدعا ، وجيل الشنا ، لجناب سعادتكم ، وحصل له غاية الفرح  
والسرور ، والحظ الوفور ، فهنا كم الله تعالى ، بما نالكم ويؤأكم بنعمه الى  
حسن ما لكم ، ولا زال الزمان لكم خادما ، والسعادات مقرونة لسعادتكم  
دائما ، ولا برحت تسعى الى باب فضلكم صدور المعالي بل وجوه القبائل  
ويشار اليكم في السعادة والهنا ويؤما الى تعظيمكم بالمحافل ، وجناب  
سعادتكم في امان ، ما تعاقب الملوان وشعشع النيران .

#### ديباجة مکتوب الى امير الاكابر

ان ارضا تشرفت بمواطي تلك الاقدام ، وتمسكت باذيال ذلك الهمام  
لجديرة بان تقبل بسواد الاحداق دون يياض الاوراق . وتلثم بالاقفواه  
والمهاجر ، دون ثغور السطور والمحابر : غب اهدا لطايف تيمت نشرها فايح  
طيب الشميم ، وشراف دعوات ذكرها صالح مقرونة الاجابة من رب رحيم  
الى جناب الولي الكريم ، من اتخذ افاضة المعروف واغاثة الملهوف مذهباً ،  
واختص بعموم المنفع في الارض مشرقاً ومغرباً . المشار اليه بالاغالي ، دامت  
له المعالي ، ولا زال كرمه مختم آمال الراغبين ، ومحط رجال الطالبين ،  
معروض العبد الذليل ، لحضرة المولى الجليل هو انه كذا - وكذا .

#### مطالبات الى امير الامامير الفضلاء

يقبل الارض المقبلة بشفاه المقل لا بشفاه الثغور . الضاربة سرادق المجد  
فوق هام النسرين وهالات البدور ، المسامية بهرام ، وكيوانا ، الساحبة على  
مفرق الفرقدين اذبالاً واردانا ، المتخذة الجوزاء نطاقاً ، والثريا شنفاً  
واقراطاً ، والنجوم قلابداً واعلاقاً . (ويجري في ذلك الى ان يقول)

« ووصف اشواق زنادها له بين القلوب ريّ توريّ ، وعضبها الماضي  
 الشباله في اديم القلب شقّ وفرني ، ولوعات وفود همومها متتابعة ، وزفرات  
 تضيق بها الانفاس في بيدائها الواسعة ، وشكوى فراق تمته الاعداء بغاء على  
 وفق الاقتراح ، وعدم الحبّ معه صبراً من حيث راح ، قد حلّ عرى التجلد  
 والافتدار ، ودار بكوّوس منونه فازهق الارواح من وقت دار . . . .  
 ان المملوك منذ استولى عليه بعد مولانا وفراقه ، وذاق صاب هجره وبعده  
 المرير مذاقه ، ما خيطت جفونه على سِنَّة مع وجود ابر اهدابه ، ولا الف  
 جنبه المضطجع منذ فراقه ظبي الكناس وانحصر مع ليث الفراق في غابه ،  
 وليس له في الليل اذا عسعس ، مسامر غير النجوم الكنّس ، ولا في الليل  
 اذا اسفر ، معاشر غير تمثيل شخص مولانا وخياله المستحضر ، قد نبذ الاخوان  
 والاختدان ظهرياً ، وهزّ اليه نخلة ودادهم فتساقطت عليه حشفاً وكان يجد  
 يقرب مولانا رطباً جنيّاً . وتطلب احاً صادقاً وخلاً مثل مولانا سريّاً ،  
 فناده الزمان لقد حاولت محالا وجئت شيئاً فريّاً . » الخ الكتاب

### صورة مكتوب لبعض السادة الاشراف

تهنية في النقابة تكتب من جانب السادة الاسلام ( كذا )

دم في ذرى اوج النقابة راقياً قطب المكارم ما بقيت موقراً  
 مفخر المدرسين الكرام ، سليل الافاضل الفخام ، خلاصة السادات  
 الاشراف ، صفوة بني عبد مناف ، صاحب العزّ والشرف ، خلفاً بعد خلف  
 غرة جبهة الايام ، بهجة اولي المجد من الانام ، الذين شادوا مباني العزّ  
 والاكرام ، نهدي سلاماً كالدرّ النظيم ، وثناء يفوق معطار النسيم ، ودعاء

مقروناً بالقبول من السميع العليم ، هذا وان سألت الخ . ( اي عن الكاتب )  
فانه يعطر مجالسه باحاديث لطفكم ويروحُ مجالسه بعبير فضلكم فلا زال  
هذا السرّ فيه ( الممدوح ) وفي نسله معنئاً متصل الاسناد صحيحاً من غير ضعف  
وانقطع الى يوم التناد

دياجز من المكائبات الاغوانية والمراسلات الاقرانية

غبّ زواهي زواهر تحيّات تغدو وتروح ، وبواهي بواهر تسليجات  
منها ارج المسك الاذفر يفوح ، وأثنية كزهر الروض تتأرجح ، وأدعية  
كأنها انهار دجلة تنموّج ، ( نوّم ) تلك الذات السنية ، ذات الاخلاق  
الرضية والمعارف البهية

على ذلك الوجه المنير تحية مباركة من ربنا وسلام  
ولا زال في عزٍّ ومجدٍ ورفعة موقى من الاسواء ليس بضام  
ولا برح محروساً بعناية الله ، وارف العزّ وافر العام والجاه . هذه  
تحية مخلص قد اضره الفراق ، وصدعت به مرارة الاشواق ، فصار يتقرب  
شفاه بيوم التلاق ، وينشد ودموعه باندفاق

عسى الله يقضي بالتواصل بيننا كما هو فينا بالتهاجر بحكم  
فقد وصل مكتوبه الكريم ، المحتوي على الدرّ النظيم ، والخط المستقيم  
المبشر بالحظ الوافر المقيم ، فكم من ألفٍ هي كالقوام الرطيب ، وعين كعين  
الشادن الريب ، وميم كأنها سرّة كاعب او مبسم حبيب ، والفاظ كالسحر  
الحلال ، أرقّ واعذب من ماء الزلال ، فلا القلب نوراً وكساه غبطة  
وجورا

فهذا سروري من ملاقة خطه فكيف سروري بالتقاء لقائه

حقق الله ذلك عن قريب ، انه سميع مجيب



## ديباجه مكنوب الى وزير

وكان الوزير بنوي الحج وكادت ركابه تتحرك من صحراء المزاريب فكتب اليه احد الوجهاء هذا الكتاب بصف ما قاسوه من العربان، ويشكره على ما نالوه على يديه من الاطمشان . ويقدم لكتابه مقدمة دعائية طويلة يقول في اولها : —

« اللهم تنوسل اليك بحق اسمائك الحسنی ، ونضرع الي وحدانيتك  
ازليّة الفضل الاسنی ، ونبتهل لدى عزتك القوية ، ومواهبك الغزيرة  
السنية ، يا من علمت الانسان اليان ، وأهمته التبيان » ...

ويجري هذا المجرى في نحو صفحتين الى ان يقول عن اهل الفساد :  
« وكل يوم كان منهم شان ، يزيلون في حوادثهم كل راحة وأمان ،  
فيا لها من مدة قد مضت في عبوس وامتحان ، واوقات دارجات من غير  
اطمشان »

ثم يقول مادحاً وشاكراً فعل الوزير :

« فانتصب حينئذ قوس السرور في كبد السما ، مبشراً بوجود ما اضاعه  
يعقوب بعد العما ، وأحال خوفنا الى امان ، كأنه قوس الميثاق من الطوفان ،  
وتلاّت شمس الحجاج تحت رايات قائدهم العظيم اسد البيداء ، صاحب  
المجد الجسيم ، آمنين من حوادث الملوان ( كذا ) ، ومطمئين من اكدار  
الزمان ، تلاّت مواكبهم بالابتهاج والسرور ، مسبحين تسايح الظفران » .

ويتقدم من ذلك الى قوله :

« فكن بعد الآن ايها الهمام ، والاسد الضرغام ، تدير عليك النعم

دورات الافلاك ، محروساً بجراحة الاقطاب والاملاك ، وقد نلت ما لم ينله  
الاقدمين ( كذا ) ، وصرت مثلاً للاولين والآخرين «

ثم يختم الرسالة بقوله :

« ولا زال سهمك في نحور حسادك بصيب ، وعلى القرب والبعد منهم  
لا يخيب ، ما غرّد الغندليب على اكمام الشجر ، وما ضاء القمر على البدو  
والحضر »

ومما يحسن ذكره من هذه المجموعة كتاب الشوق ( ص ٢٧٤ - ٢٩٠ )  
وهو كتاب طويل يتخلله اشعار ويذكر فيه الكتاب على الطريقة المسجعة  
المتكلفة ألم الفراق والشوق الى رؤبة المكتوب له ، ثم يختمه بحلم رأى فيه  
« الاخ الاكرم » بصورة شاب ابهى من الشمس فيعاتبه على هجره ، ويذكر  
جواب ذلك الأخ وبكاءه لفراق الاحبة وينهي الكتاب بكلمة يزجر فيها  
البن فيقول :

« تبا لك ايها البين وتعسا لك ايها النوى ، لحاك الله ايها البعد لان القرب  
دنا . حتام تعيق خطوات الوصال ، فلتضمحل من طريقه ليحظى المحب  
بمحبوبه ، هلم ايها المحب وارحم من مزج شرابه بدموعه . . . فكن مقياً  
بالسعادة والسرور ، الى يوم النشور ، ثم اهديك سلاماً يفوق الوصف .  
اخوتي وجميع الاهل يهدوك ( كذا ) السلام والدعاء »

.....

والمجموعة كلها من هذا الانشاء المسجع الغث ويكثر فيها اغلاط النسخ  
والانشاء . وهي قسماً ما يكتب الى ارباب الدولة وسادات المسلمين  
والعلماء ، وما يكتب الى رؤساء المسيحيين واعيانهم .  
وتوقف اهميتها على انها تحفظ لنا نماذج مختلفة من انشاء القرن الثاني

عشر الهجري . وهي تؤيد قولنا انه كان عموماً شديد التكلف والركاكة ،  
رثّ الدباجة ، قليل الرواء . على ان الاوساط الادبية على ما يظهر كانت  
يومئذ احسن حالاً من الاوساط الديوانية التي انحطت الى دركة العامية  
وخرجت عن نطاق الاوضاع الفنية

ونختم الناذج الادبية في هذا العصر برسالة كتبها احد الادباء ويكنى  
البهلول الى استاذه الشيخ عبد الغني النابلسي توطئة لقصيدة قدمها البهلول  
الى الشيخ المذكور

من رسالة البهلول الى النابلسي<sup>(١)</sup>

« متّع الله الوجود بجناب جمال درّة اكليل تاج المحققين ، وواسطة عقد  
المدققين ، من سعى الى سما اسرار حقيقة حق اليقين ، انسان عين روح  
البلاغة ، ومقاليد البراعة ، من تحلى بحسن وصفه الطروس ، وتحنّ شوقاً الى  
طيب ذكره النفوس ، من حلّ ذرى المجد ورقى بمجوبة الآداب ، واوتي  
بالحكمة وفصل الخطاب ، شمس افضال ترقرت من سما المعارف ، وكعبة  
اجلال اشرفت بسناء العواطف »

ويجري على النمط الى قوله :

« اما بعد فقد تجاوز القاصر حده وتعدّاه بالمجوم على جناب ذوي الفضل  
والجياه<sup>(٢)</sup> ، ولكن توقع الصفح الجميل ، حملني على مدح هذا السيد الجليل ،  
يسجعات معتلة ، ولفظات محتلة ، وقصيدة هي وان كانت عند منظومات آل  
البلاغة بمعزل ، لكنها بمحاسن اوصافكم تجلّ ونفضل ، بذكري حبيب ومنزل

(١) تاريخ الامير حيدر ٢٢ (٢) كذا في الاصل ولعلها الجاه

لقد طابت بكم القريحة السليمة ، بمرأه ( كذا ) هذه الدرّة اليتيمة ، فجاءت  
مفتخرة مهذبة عرباً ، وتباهى تيباً وفتخر عجباً ، وتسمو على كل نظم شرقاً  
وغرباً ، فيالها حسن منظومة لم ينسج منوالها ، ولم تسمع قريحة بامثالها ،  
قد افترت ثغور<sup>(١)</sup> البلاغة بطيب معانيها ، واينعت محيا الفصاحة بطلاوة  
مباينها»

ويأخذ في وصف القصيدة وغرائب صنعتها الى ان يقول :  
فيا لها عروساً ارقّ من نسيمات السحر والآصال ، والطف من صفا  
الودّ وصافي الزلال ، ليس مهرها الا الاغضاء وحسن القبول ، ولعمري ان  
هذا غاية المسئول والمأمول ، ولم تكمل هذه الاوصاف الحسنى ، الا بنظمها  
لمديحك الاسنى»

.....

دخل القرن التاسع عشر الميلادي ( الثالث عشر الهجري ) والرسائل  
الادبية على ما كانت عليه في القرن السابق . وظلّ السجع مدّة طويلة  
اسلوب الكتاب العام فيه ثم اخذ الانشاء يتحوّل عن الاسلوب القديم المتقيد  
الى الاسلوب الجديد الحرّ ، وقد اعان على ذلك انتشار العلم والتجارة  
والاحتكاك بالعالم الغربي ، ثم نشوء الصحافة وانتشارها بين طبقات الشعب  
فلم يكد يبلغ القرن التاسع عشر عصراه حتى كان الترسّل الادبي قد اخذ  
يخلع عنه اطار القدم . على ان ذلك لم يتم فجأة كما يتبين لنا من مراجعة  
النصوص في القرن المذكور : حتى الصحافة التي هي اقرب الى الجمهور من  
سواها ظلت مدّة من الزمن تميل الى التسجيع ، وعلى ذلك قال فقيد الصحافة  
داود بركات بصف الاسلوب الصحافي قبل اربعين سنة<sup>(٢)</sup>

(١) في الاصل صغر (٢) الهلال (يناير ١٩٢٨) ٢٧٥

« ان تطوّر الصحافة تابع لتطوّر الامة فقد كان الكاتب بعداً عظيماً  
بنسبة قدرته على التطويل وابتكاره للسجعات واستشهاده بالاشعار والامثال  
ولما كنت انا في طنطا كانت تسمى طنطده ولكن حبّ كتاب ذلك الزمان  
للسجع جعلهم يقولون طنطده حتى تقع على وزن « محطّه » حين ارادوا وصف  
مرور الحديوي »

ومها يكن في تعليل التحوّل في لفظة طنطده من الغرابة فيما لا شك  
فيه ان الاسلوب السجعي كان لا يزال متسلطاً او مستحسنّاً في الاوساط  
الادبية . واليك بعض امثلة من الرسائل الادبية في القرن التاسع عشر ،  
ولنبداً بالاخوانيات : -

### رسالة الى الشيخ ناصيف اليازجي

كتبها سنة ١٨٤٨ ادب بغدادي اسمه بكر زاده<sup>(١)</sup>

جناب الشيخ الاجل الامجد الشيخ ناصيف اليازجي دام بقاءه  
سلام لا تحصيه السنة العارفين ، وثناء متعدد اتصال الايام بالسنين ،  
ودعاء انشق له جوهر الاجابة على طور سينين ، علا فارنفع ، واضاء فلمع ،  
تحمله نياق الاشتياق ، ونقتاده ازمة الوجد والاحترق ، من محب انحله الجوى  
واذابه الهجر والنوى ، دموعه تبدّد ، وانفاسه تتصعد ، واحزانه تتجدّد  
ونيرانه تتوقد ، كما قيل شعراً -

فان بكى في قفار خلتها ليجاً وان تئنّس عادت كلها بيسا  
يهدى الى من توشح سوابغ المجد والكرم ، وامتنطى سوابق الفخر  
والشيم ، البحر الزاخر ، والقمر الزاهر ، والكلم الظاهر ، ذو الثوب الطاهر  
والعقل الباهر ، والايادي السخية ، والاخلاق المرضية ، والنظم الذي يزري

(١) من مخطوطة لدينا.

بالدرر في اسلاكها ، والدراري في افلاكها ، والقلم الذي تقصر عنه السنة  
اسنة الرماح ، وتكلم دون صحايفه صفحات الصفاح ، حضرة الابد ، الارشد  
الاسعد ، لازالت ايامه باسمه الثور ، حالية النحور مشرقة كالبدور . في  
الليل الديجور ، بحق الطور ، والكتاب المسطور ، والتوراة والانجيل  
والزبور . ( ثم يأخذ بعرض ما يريد )

والظاهر ان الثائق السجعي في المراسلات الاخوانية بقي على حاله حتى  
اواخر القرن الماضي . وهاك كتاباً بعث به الشيخ ابراهيم الحوراني جواباً على  
دعوة وردته من صديقه الاستاذ داود قربان لزيارة مدينة صيدا . وتاريخ  
الكتاب ٧ نيسان ١٨٩٧ - قال فيه -

« كتابكم ام حديقة ريجان ، وكلامكم ام سلافة حان ، طوي على  
حب ودود ، ونشر على نشر عود ، واطرب الاذان باطيب من الحان العود  
ولا غرو فانه كتاب داود ، وصل في اول نيسان بأرج فاق على أرج  
ازهاره ، ونسخ بايات صدق الولاء كذبة ذلك اليوم الى آخر ادهاره .  
وبعد فانكم دعوتونا الى فردوس صيدا ، وتلكم الرياض الغناء ، وانتم  
والآيات البيئات ، ملائكة هاتيك الجنات

جنات عدن ما بها مغور ولا خطر على شيء من الامتار

ومن لنا بصرف ابراهيم اليها والموانع ثلاثة - علمية النشرة ، وجمع  
التفسير ، وعدل المدرسة البطيركية<sup>(١)</sup> . فما بقي الا ان نشرقونا ومزلكم  
العيون والقلوب ، فانبؤني غير مأمورين بقدمكم برأ او بجرأ لتلايقكم

(١) مجلة النشرة الاسبوعية وكان يجرها ، والتفسير اسم كتاب ، والمدرسة  
البطيركية كان يدرس فيها . وفي هذا الكلام من الاشارات النحوية ما هو ظاهر

ملاقاةً تسرتنا أكثر مما تسرتكم . وبالله من يوم يشرق البدران ، انه لا يهيج من النيروز والمهرجان ، واكليل الدهر وقلادة الزمان . الوحي الوحي بالاخبار ، والعزم العزم على تشريف هذه الديار . اود سرعة الجواب بالايجاب « الى ان يقول - « فأنتم نجوم الغسق ، والفضل منكم سبق ، وهذا القول الحق . والسلام على من خالف الهوى ، وجلا بصبح اللقاء غسق النوى » وعلى نمطه كتاب كتبه الشيخ حمزه فتح الله الى حفني بك ناصف في ٢٠ يناير ١٨٩٦ قال فيه بعد مقدمة يكثر فيها من الاشارات التاريخية « ولم نكتف ايها الجهد المفضل ، بهذا الافضال ، حتى جعلت لي دائرة سوهاج ، مركزاً للدجاج ، والديكة في السكباج ، فلا ادري اية اياديك اشكر ، ولا اية فرائد معاليك اذكر » الى آخر الرسالة وقد علق على ذلك ناشرها بقوله :

« وقد استعمل في خلال رسالته فقرات من السجع . وهذا السجع كان منشراً في ذلك الوقت حتى ان المرحوم الشيخ محمد عبده وزملاءه وتلامذته كسعد باشا وحفني ناصف وغيرهما كانوا يستعملونه في مراسلاتهم ومقالاتهم ثم عدلوا عنه قبل ان يتبدل<sup>(١)</sup> . ويظهر ذلك في الرسالة التي ارسلها الاستاذ الامام الشيخ عبده الى المرحوم حفني بك ناصف في ٩ رمضان ١٣١٨ هـ وفيها يقول الناشر « يذكر صديقه بتوبته عن استعمال السجع حتى ولو ساق اليه الطبع وبلومه في ظرف على نقضه لتوبته بسبب ما اضطره ادب حفني بك الى الرجوع اليه ، ثم لا يجد مندوحة من اجابته بهذا الاسلوب ولو على سبيل الاحتذاء الذي طالما يستعمله المتراسلون في اجابة بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup> . واليك الرسالة نقلها عن صورتها الاصلية :

(١) راجع الهلال السنة ٤١ ص ٤٤٩ - ٤٥٠ (٢) راجع الهلال السنة ٤١ ص ٥١

«عزيزي - تسجع لي في كتابك ، وتطمع ان اسجع لك في جوابك ، كأنك لم تسمع اني تبت عن السجع ، حتى لو ساق اليه الطبع .  
 فاذا اصنع بك ، وقد نقضت توبتي بادبك . أعاد اليّ كتابك وجداً ، طالما  
 وجدته نفسي ايام الصوم ، والقضايا كوم يعلوه كوم ، مع لدد القوم ،  
 والحاجة الى النوم ، حتى كأنّ تعبك صبّ عليّ ، وكأنما انتقل ظمك اليّ ،  
 لكن ما تذكرت قصر النهار ، وقرب وقت الافطار ، والنجاة الى الدار ،  
 من مقاضاة اهل النار ، وحملة الذنوب والاوزار ، قلت لقلبي قرقاز (كذا)  
 فكأنني بالماء وقد حضر ، والطعام يتبعه على الاثر ، فابتلت العروق ،  
 ونقعت الحلق ، وامتلات البطون ، وقرت العيون ، وثاب السكون ،  
 فحمدت الله لك على الشبع ، وسألته ان يجنبك البدع ، من اطالة السهر ،  
 وقتل الليل بالسمر الى وقت السحر . فذلك منهكة للبدن ، مجلبة للوهن ،  
 مضيعة لنفيس الزمن ، مطفي لنور الفطن ، وفاق الله هذه المحن  
 ثم قد وصل التحويل وقبض مبلغ الثلاثمائة قرش وسيرسل اليك سند  
 الاستلام وسلامي عليك وعلى السيد احمد رافع والسلام»  
 ولقد نجد شيئاً من هذا التألق في المراسلات الاخوانية حتى في اوائل  
 القرن العشرين . واليك الرسالة التالية كتبها محمد بك المويلحي الى حفني بك  
 ناصف في ٢ مارس ١٩٠٨ قال<sup>(١)</sup> -

«صديقي الفاضل حفني بك ناصف -

لولا يقال اننا بتنا نتقارض الحمد والثناء ، وتتناوب بيننا المديح والاطراء  
 لجعلت لك صحف الاخبار ، تغرد تغريد الاطيار ، ولصغت فيك ما يتألق  
 كالنضار ، ويتأرجح كالازهار ، حمداً لك على ما صنعت به لغة القرآن ،



بقوة الدليل والبرهان ، وما نطقت به من فصل الخطاب ، في حسن الدفع عن معجزة الكتاب .

ربما بلغ منا الضعف ان يصبح الدخيل في امورنا فوق الاصيل ، ولكن لغة هذا الدين لا يمكن لها ان تقبل الدخيل . فالله وليك فيما اتيت ونصيرك ، والقرآن بعد ذلك ظهيرك — يا ايها الذين آمنوا إن أنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم —

ولئن كنت رأيت بالامس اني نصرت رسول الله بكلامي في داني<sup>(١)</sup> فانا على يقين اليوم انك نصرت كتاب الله بخطبتك في « التعريب » . جزاك الله عن حرمة كلام الله افضل ما عنده من منازل المتقين الاطهار ، وما ادخره في النعيم لعباده الصالحين الابرار .

والرسائل الاخوانية كثيرة منها ما هو خاص كالذي مر معنا ومنها ما هو نماذج عامة كما تجدها في بعض المجاميع الانشائية<sup>(٢)</sup>

### نماذج من غير الاخوانيات

تقريب مؤلف<sup>(٣)</sup>

« الحمد لله اما بعد فهذا كتاب اشرفت شمس تحقيقه ، وازهرت في سماء الفهوم نجوم تديقه ، قد اخذت البلاغة فيه زخرفها ، واشبه الروض من صحيفته احرفها ، وابان عن معجز البراعة ، ومثل لنا كيف ينفث السحر من تلك اليراعة ، قد انفرد مؤلفه بالرتبة التي لا يدعيها زيد ولا عمرو ، ولا يتناول لمثلها احد الا اعجزه الدهر ، وكيف لا وهو سلالة مجد انتظمت في

(١) داني الشاعر الايطالي المشهور (٢) راجع مثلاً انشاء العطار ١٢٢ - ١٦٧

(٣) راجع انشاء العطار ١٦٢

عقد نغاره افاضل العلماء ، وثمره شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ، فلا غرو ان أوتي ملك البيان الذي لا ينبغي لاحد من بعده ، واجتمع له طاعة القلب واللسان فهما خادمان لشكره وحمده ، فخطيب الاقلام يحمده على منابر الانامل ، وفصيح اللسان يقوم بحمده في صدور المحافل ، ويأخذ له البيعة بالتقدم على كل فاضل ، فاصبح محله من الفضل المحل الاسنى ، وانماؤه فيه الجمل الحسنى ، قد احسن كل الاحسان في ابتداع هذا التصنيف ، واجاد في اختراع حسن هذا الترصيف ، وعلينا كيف يكون الانشاء ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وان الحريري قد قصر في غوصه على درة الغواص وان ابن كمال باشا عاقه كمال استقصاء لحن الخواص<sup>(١)</sup> ، ولقد وقفت على هذا التأليف وقوف من اخمه الحصر ، ورمت التطاول لمدحه فلحق باعي القصر واستنطقت لساني لعرب عن حسن وصفه فاستعجم ، واستقدمت جواد قلبي للجرى في هذا الميدان فاججم . ومن اين لاحد مثل تلك البديهة المتسرعة ، والروية التي هي عن كل ما يتجنب متورعة ، والخاطر الذي يستجدي الفضلاء من سماحته ، واللسان الذي تخرس الفصحاء عند فصاحته ، والقلم الذي هو للعلوم مفتاح الاقاليم ، والطريق الذي عز سلوكه على الغير ولو انه عبد الحميد<sup>(٢)</sup> او عبد الرحيم<sup>(٣)</sup> ، والالفاظ التي تشرق بها انوار المعاني فكأنها الليلة القمرية ، واليد التي ان لم تكن الاقلام بها مورقة فهي ثمرة.

(١) درة الغواص ولحن الخواص كتابان معروفان  
 (٢) اي عبد الحميد الكاتب (٣) عبد الرحيم اي القاظمي الفاضل

بعضها في بعض ما لا ينبغي ان يذكر كما اننا لم نذكرها في بعضها

١٧١١ للميلاد الموافق ١٧٩٨ للميلاد (١) في بعض النسخ

١٧١١ للميلاد الموافق ١٧٩٨ للميلاد (٢)

صورة اجمازه<sup>(١)</sup>

قال بعد تحميدة طويلة

اما بعد فان العلم ابهى مطلب ، واسنى مأرب ، واحسن غنيمة ، وارفع  
 من كل شيء قيمة ، يتنافس في اقتنائه المحصلون ، ويتباهى بتحصيل فوائده  
 الراغبون ، والعلوم وان كثرت انواعها ، وتباينت اوضاعها ، فاجلها قدرا ،  
 وارفعها ذكرا ، وابهاها سناء ، وافضلها اقتناء ، واعلاها ارتقاء ، واغزرها  
 ارتواء ، واكملها اشراقا ، واجملها اتساقا ، والعلوم الشرعية التي هي مقاصدها  
 ولاجلها تلمس فوائدها ، وتقيد اوبدها وتقتنى عوائدها ، فغيرها من العلوم  
 لها وسائل ، واسطة عقد تلك المسائل ، وقد خص من بينها علم الحديث بمنقبة  
 عظيمة ، ورتبة شريفة جسيمة ، هي اتصال السند فيه بين رواته ، وشدّة  
 الرحال في طلب تحصيله من نقلته وثقائه ، لتتصل بذلك سلسلة الاسناد ،  
 وينتظم طالبه في سلك هؤلاء الائمة الاجماد ، وقد مضى على ذلك السلف  
 والخلف ، ، وحصل للعلماء بالانتظام في ذلك السلك افضل الشرف ،  
 وبعد كلام طويل يصف به العلوم ويطنب بفضل العالم المجاز وسعة  
 معارفه يقول فيه —

ولما حنّ حنين الفحل الى عطنه ، واراد الرجوع الى وطنه ، زودوه  
 بالدعوات الصالحات ، وكسوه حلل الكرامة بتسطير الاجازات ، وتكثير  
 الروايات ، والتمس مني وان كنت لست من رجال هذا المجال ، الا انه احسن  
 ظنه بالحال ، الاجازة ، وان اجعل له الى مشايخي من جهتي اجازة ، فاسعفته  
 بطلبته ، وحققت حسن رغبته ، رجاء الانتظام ، مع هؤلاء الاعلام ، وان

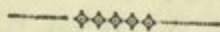
لا ينسافي من صالح دعواته العظام ، فقلت اجزت المذكور بجميع مروياتي  
وبسائر مؤلفاتي ، بشرطه المقبول عند اهل النظر ، والمعتبر عند علماء الاثر ،  
سائلاً من الله ان ينفعني واياه ، وبلغنا ما نتمناه ، بمنه وكرمه

.....

ثم دخل القرن العشرين واتسعت بدخوله اسباب الحضارة فازداد بذلك  
تقدم الادب في سبيل الحرية .

ومما كان له يد في ذلك تطوّر الاحوال السياسية كاعلان الدستور  
العثماني سنة ١٩٠٨م ونشوء الروح القومية في الاقطار العربية ثم جاءت الحرب  
العالمية (١٩١٤ - ١٩١٨) وما تلاها من تطوّرات سياسية واجتماعية في  
الشرق الادنى فدخل الادب العربي في طور جديد . ونشأ في مصر وسوريا  
والعراق والمهاجر اوساط ادبية رفع فيها لواء الادب الجديد فاصبح الانشاء  
الادبي على ما نعهده الآن من المتانة المقرونة بالبساطة والبعد عن التزويق -  
نزاعاً الى ادراك الحياة وتصويرها ، كما توجيه الطبيعة الى النفس ، لا كما  
نقتضيه قواعد البديع والبيان

ولما كان في النية ان نفرّد للادب الحديث كتاباً خاصاً نشرح فيه  
مناحيه النثرية المختلفة فاننا نقف الآن منه عند هذا الحد



## المقامات

المقامات جمع مقامة وهي اسم للمجلس او الجماعة من الناس وسميت  
الاحدوثة من الكلام مقامة كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة  
لسماعها<sup>(١)</sup> . ويعزو الحريري فضل السبق في ابتداعها لبديع الزمان  
المتوفى ٣٩٨ هـ . واليك قوله في ذلك في ديباجة مقاماته<sup>(٢)</sup>

« وبعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذي ركبت في هذا العصر  
ريجه ، وخبث مصايحه ، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة  
همذان ، فاشار من اشارته لحكم ، وطاعته غنم الى ان أنشئ مقامات اتلو  
فيها تلو البديع » . . .  
الى ان يقول . . .

« هذا مع اعترافي بان البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات  
وان المتصددين بعده لانشاء مقامه<sup>(١)</sup> ، ولو أوتي بلاغة قدامه ، لا يغترف  
الا من فضائه ، ولا يسري ذلك المسرى الا بدلالته »  
ويتابع الحريري في ذلك كثيرون منهم القلقشندي صاحب صبح  
الاعشى فمن قوله

« ان اول من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر وامام الادب  
البديع الهمذاني فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة اليه وهي في غاية البلاغة

(١) صبح الاعشى ١٤ - ١١٠٠

(٢) مقامات الحريري ص ١٣ و ١٥

وعلوّ الرتبة في الصنعة . ثم تلاه الامام ابو محمد قاسم الحريري فعمل مقاماته الخمسين المشهورة فجاءت نهاية في الحسن واتت على الجزء الوافر من الحظّ واقبل عليها الخاص والعام حتى أنست مقامات البديع وصيرتها كالمرفوضة<sup>(١)</sup> ويرى زيدان من المحدثين ان فضل التقدّم في وضع المقامات هو للامام اللغوي ابي الحسين احمد بن فارس «لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان<sup>(٢)</sup>» .

على ان احمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ يرجع المقامات الى عهد ابعده من عهد بديع الزمان . فقد نقل عن يزيد بن عبد الله قوله لكتابه - «فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعشمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع اليه ، ومن نواذر الكلام ما تستعين به ، ومن الاشعار والابخار والسير والاسماء ما يتسع به منطقتك ويطول به فمك . وانظر في كتب المقامات والخطب<sup>(٣)</sup>» . فما هي كتب المقامات التي يذكرها ؟ كنا نغفل الى الشك في هذه العبارة لو لم نر ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ يذكر ما يؤيدها اذ يقول -

«وكذلك الكلام المنشور في الرسائل والمقامات والجوابات<sup>(٤)</sup>» . فيستدلّ من كلامه وكلام ابن عبد ربه ان نوعاً من الكلام يعرف بالمقامات كان معروفاً قبل زمن البديع واستاذه ابن فارس . فكيف نشأ هذا الفن والى اي عهد يرجع ؟

ولا بدّ قبل الاجابة على هذا السؤال من ان نقول ان المقامة كما وصلت الينا هي نوع من الحكايات القصيرة تروى على لسان احداهم وبظلمها رجل

(١) صحح الاعشى ١٤ - ١١٠ (٢) تاريخ آداب اللغة ٢ - ٣٠٩

(٣) العقد (بولاق) ٢ - ٢١١ (٤) الشعر والشعراء ١٩

احكم التحيل وقصر همه على تحصيل الطفيف من الرزق . ويوصف عادة بالدهاء والتكديبة وغايتها لغوية اديبة . وقد وصفها ابن الطقطقي بقوله : « ان المقامات لا يستفاد منها سوى التمرن على الانشاء والوقوف على مذاهب النظم والنثر . وفيها حكم وتجارب الا ان ذلك مما يصغر الهمة اذ هو مبني على السؤال والاستجداء فان نفعت من جانب ضررت من جانب <sup>(١)</sup> »

فالمقامات المعروفة اذن حكايات قصيرة مقرونة بنكتة اديبة او لغوية كذلك نجدها في مجموعة بديع الزمان ومن تبعه . فهل كانت كذلك قبله ؟ يذهب بروكلمان ان اقدم معاني المقامة يرجع الى ايام الجاهلية وكانت عبارة عن مجتمع القبيلة . وفي ايام الامويين اتخذ شكلاً دينياً فاذا هي احاديث زهدية تروى في مجالس الخلفاء <sup>(٢)</sup> . ثم تطوّر معناها فصارت تقرن بالشعر والادب واخبار الوقائع القديمة

وفي القرن الثالث الهجري اخذت تندني الى معنى التكديبة والاستجداء بلغة منمقة ولم تتخذ شكلاً الحقيقي الا على يدي بديع الزمان ثم الحريري . وشواهد التاريخ تشير الى صحة ما ذكره بروكلمان <sup>(٣)</sup>

فالمقامة على ما يظهر ترجع الى ما وراء عهد الهذلي . ونرجح ان لها علاقة وثيقة بمجالس الرواة الذين كانوا يقصون احاديث العرب وصدر الاسلام

واظهر ما ترى ذلك في احاديث ابن دريد المتوفى ٣٢١ هـ . فان لهذا الاديب المشهور منها ما يشبه ان يكون مقامات او مصادر للمقامات .

(١) الفخري ص ١٣ (٢) راجع قول المسعودي عن عمر (مروج الذهب

٥ - ٤٢١) ومقامات الزهاد عند الخلفاء في عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ - ٣٣٣

(٣) راجع تفصيل ذلك في دائرة المعارف الاسلامية تحت لفظة Makama

ويؤيد ذلك ما ذكره الحصري اذ قال في عرض كلامه عن بديع الزمان  
« ولما رأى ( البديع ) ابا بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي اغرب  
باربعين حديثاً وذكر انه استنبطها من ينابيع صدره، واستنتجها من معادن  
فكره ، وابدأها للابصار والبصائر، واهداها للافكار والضمائر في معارض  
عجمية والفاظ حوشية، فجاء اكثر ما اظهر تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع  
له حجبها الاسماع ، وتوسع فيها اذ صرف الفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة  
وضروب متصرفة ، عارضها باربعائة مقامة في الكدية » - الى آخر  
الكلام<sup>(١)</sup>.

وقد تناول الاستاذ زكي مبارك هذا النص للحصري وبنى عليه حكماً  
نشره في المقتطف قبل ان يظهر كتابه النثر الفني خلاصته ان ابن دريد هو  
مبتدع فن المقامات<sup>(٢)</sup>. فعارضه الاستاذ مصطفى الرافي اذ قال ان ما انفرد به  
الحصري لا يعتمد عليه - لاسباب ذكرها -<sup>(٣)</sup> . على اننا اذا قرنا كلام  
الحصري بما رواه صاحب العقد وابن قتيبة ترجح لدينا ان فن المقامات نشأ  
تدريجياً من رواية القصص وال اخبار ، وان للبديع الهمداني فضل تنظيمها  
ووضعها في شكلها الفني الخاص : فهي لذلك تنسب اليه ، وان احاديث ابن دريد  
من اهم الاصول التي اعتمدها في انشاء هذا الفن ، لا سيما وان في هذه  
الاحاديث من المغازي الادبية واللغوية ما لا يترك مجالاً للشك في ان مقامات  
البديع والحريري ومن جرى مجراها تمت اليه بصلة متينة  
وتختلف هذه الاحاديث الدريدية عن المقامات بعدم تقيدها بالسجع ،  
الا انها لا تخلو من ذلك ولا سيما في الوصف . فهي في الوصف تضارع

(١) زهر الاداب ج ١ - ٣٠٧ (٢) المقتطف مع ٧٧ ص ٤١٩

(٣) المقتطف ٧٧ ص ٥٨٩



المقامات تسجيماً وتوازناً كما ترى في الحديث التالي عن ابن دريد مرفوعاً الى عمرو بن العلاء قال <sup>(١)</sup> : —

« كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لاحدهما عمرو وللآخر ربيعة ، وكانا قد برعا في العلم والادب ، فلما بلغ الشيخ اقصى عمره واشفى على الفناء دعاهما ليبلو عقليهما ويعرف مبلغ علمهما . فلما حضرا قال لعمرو — وكان الاكبر — اخبرني عن احب الرجال اليك ، واكرمهم عليك قال — السيد الجواد ، القليل الانداد ، الماجد الاجداد ، الرايي الاوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادر الوراد . قال ما تقول يا ربيعة . قال ما احسن ما وصف به ، وغيره احب اليّ منه . قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال — السيد الكريم ، المانع للحریم ، المفضل الحلیم ، التعمق الزعيم ، الذي ان همّ فعل ، وان سئل بذل — ثم يسألها عن ابغض الرجال وعن احب النساء وابغضهن وعن الخيل والعيش والسيف والرمح فيجيبانه في حديث طويل كله على نسق ما ذكرنا من الوصف المسجوع .

فانت ترى من هذا الحديث الموضوع على لسان ابني المقول الحميري صنعة ظاهرة في تسجييع الاوصاف ، وميلاً قوياً الى عرض الالفاظ وذلك من خصائص المقامات وقس على ذلك ما ورد في اخبار العرب من اقوالهم واوصافهم كحديث ابن دريد يرفعه الى ابن الكلابي وفيه يذكر ما وقع بين سبيع بن الحرث وميثم ابن مثوب من المخاصمة بمجلس مرثد الخير وخطبته في شأنهما واصلاحه ذات بينهما . ومن هذه الخطبة قوله <sup>(٢)</sup> —

(١) امالي القالي (بولاق) ج ١ ص ١٥٣ — ١٥٥

(٢) // // // // ص ٩٣

لا تنشطوا عقل الشوارد ، ولا تلقحوا العون القواعد ، ولا نورثوا  
نيران الاحقاد . ففيها المتلفة المستأصلة ، والجائحة والآلية<sup>(١)</sup> . وعفوا بالحلم ابلاد  
الكلم ، وأنبوا الى السبيل الارشد ، والمنهج الاقصد ، فان الحرب تقبل  
بزرج الغرور ، وتدبر بالويل والثبور .

فالحدث كله قصة موضوعة وضعها الرواة ونقلها ابن دريد واهم ما فيها  
خاتمها الخطاوية التي تشبه كثيراً بعض القطع الحكيمية او الوعظية في مقامات  
البديع والحريري وسواهما . بل هي تكاد تكون مماثلة للمقامات او الخطب  
الدينية كما نراها في اقوال الزمخشري وابن نباتة واضرابهما  
ومن الاحاديث التي رواها ابن دريد قوله<sup>(٢)</sup> —

« كان قيل من اقبال حمير منع الولد الدهر . ثم ولدت له بنت فبنى  
لها قصرأ منيفأ بعيدأ من الناس ووكل بها نساء من بنات الاقبال يخدمنها  
ويؤدبنها حتى بلغت مبلغ النساء . فنشأت احسن منشأ واتمه في عقلها  
وكمالها . فلما مات ابوها ملكها اهل مخالفا فاصطنعت النسوة اللواتي ربينها  
واحسنن اليهن ، وكانت تشاورهن ولا تقطع امرأ دونهن . فقلن لها يوماً  
يا بنت الكرام لو تزوجت لتم لك الملك . فقالت وما الزوج ؟ فقالت  
احدهن الزوج عز في الشدائد ، وفي الخطوب مساعد ، ان غضبت عطف  
وان مرضت لطف » . . . . . ثم تأخذ الثانية والثالثة بوصف الزوج على هذه  
الطريقة المسبجة . فتقول هن « امهلني انظر فيما قلتن . فتحجب عنهن سبعا  
ثم تدعوهن وتقول قد نظرت فيما قلتن فوجدتني امساكك رقي وابته باطلا  
وحقي . فان كان محمود الخلائق مأمون البوائق فقد ادركت بغيتي ، وان  
كان غير ذلك فقد طالت شقوتي : على انه لا ينبغي الا ان يكون كفوءأ

(١) الألية الشكل ، الابلاذ الآثار (٢) الامالي ١ - ٨٠

كريمًا يسود عشيرته ، ويربُّ فصيلته ، لا اتقنعه به عاراً في حياتي ، ولا ارفع به شئراً لتومي بعد وفاتي ، فملكته فابغينه وئفرقت في الاحياء فأيتكن أنتني بما احب فلها اجزل الجباء ، وعلي لها الوفاء . . . . .

فتذهب النسوة في طلب الزوج ثم ترجع كل واحدة فتصف من وجدته وصفاً مسجعاً نكتفي منه بما قالته الثانية في الرجل الذي وقع من قلب الملكة فاخترته وهو يعلى بن هزال بن ذي جدن - قالت : « مصامص النسب ، كريم الحسب ، كامل الادب ، غزير المطايا ، مألوف السجايا ، مقبل الشباب ، خصيب الجناب ، امره ماض ، وعشيرته راض » .

. . . . .

اذا راجعت احاديث ابن دريد المروية في امالي القاضي (١) تجد في جميعها روح الحكاية كما تجدها في المقامات وتجد فيها هذا الميل الى التسجيع في اثناء الوصف والى التبسط في المصطلحات او المترادفات اللغوية . الا ان الفن في المقامات اظهر . ففيها بطل واحد تدور الحكاية جميعها عليه ، وفيها صناعة لفظية وبيانية ارق منها في تلك الاحاديث . ونعني بالصناعة هنا سبك الحكاية في المقامة وما يقترن به من تفنن في السجع وفي اساليب البديع ، ويضاف الى ذلك تفوق المقامات في ذكر النوادر والاخبار والاشارة الى وقائع الزمان واعلام التاريخ ، وما يعرض فيها من حكم وامثال ونكات ولغة وادب . وقد اشتهر منذ القرن الرابع الهجري الى ان دالت دولة المقامات في القرن الثالث عشر جماعة من ارباب هذا الفن . منهم : -

بديع الزمان منظم هذه الطريقة ، والحري امامها وستترجم لها بعد .

(١) ١ ص ٨٠ - ٩٢ - ١٤٣ - ١٥٣ - ١٩٠

٢ ص ٧ - ٣٣ - ٢٧١ - ٢٩٢

ومنهم :-

- ابن الاشر كوفي (٥٣٨) له خمسون مقامة انشأها بقرطبة  
تقليداً للحريري
- يحيى بن سعيد النصراني (٥٨٩) المقامات المسيحية جرى فيها  
ايضاً مجرى الحريري
- احمد بن بكر الرازي الحنفي ثلاثون مقامة كتبها في اواخر  
القرن السادس
- شمس الدين ابن الصيقل الجزري (٧٠١) خمسون مقامة نسبها الى ابن نصر  
المصري وروايتها الى القاسم بن  
جربال الدمشقي
- محمد بن ابراهيم الدمشقي (٧٢٧) المقامات الفلسفية (وهي خمسون)  
شهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩) راجع مقاماته في ريجانة الالباء

## ومن الكتاب المتأخرين :

- احمد البرير ١٢٢٦ (١٨١١) توجد نسخة من مقاماته في دار  
الكتب المصرية
- نقولا الترك ١٢٤٤ (١٨٢٨) ١١ مقامة
- الشهاب الالونسي ١٢٧٠ (١٨٥٤) كتاب مقامات طبع في كربلاء
- ناصريف اليازجي ١٢٨٨ (١٨٧١) مقاماته المشهورة (بجمع البحرين)
- ابراهيم الاحدب ١٣٠٨ (١٨٩١) ٨٠ مقامة

عبدالله باشا فكري ١٣٠٧ (١٨٩٠) له مقامات في مجموعة الاثار  
الفكرية

وقد يصح لنا ان نقول ان المقامات كانت منذ ايام الحريري حتى او اخر  
القرن التاسع عشر باباً من ابواب الادب قلما مرّ به اديب من الادباء المعروفين  
دون ان يطرقه، وقد شارك الادباء فيه بعض العلماء كابن الجوزي والسيوطي  
وسواهما .

واذا عرضنا امامنا اصحاب المقامات اجمعين برز لنا من بينهم ثلاثة كان  
لهم اليد الطولى في هذا الفن وهم بديع الزمان والحريري واليازجي  
ولا بد لنا هنا من ذكر ابراهيم المويلحي (١٩٠٨) فان في كتابه  
حديث عيسى بن هشام تحوّلًا ظاهراً عن سياق المقامات المعتاد وهو درس  
اجتماعي يحاول فيه عرض احوال مصر وتقدّمها . وقد ظهر في او اخر القرن  
التاسع واوائل العشرين بضع كتب من هذا القبيل كالمسامير لعبد الله  
النديم وليالي سطّيح لحافظ ابراهيم وبها ضاعت المقامات القديمة ولم تقم لها  
بعد قائمة

## بديع الزمان الهمذاني

ومقاماته

٣٥٨ - ٣٩٨

نوطته تاريخية

لعل أهم مصدر نرجع إليه في دراسة بديع الزمان هو يتيمة الدهر للثعالبي فإن الثعالبي عاصره ولقيه وعرف أحواله<sup>(١)</sup> . وعنه أخذت ياقوت بعض ما ذكره في معجم الأدباء، وأخذ البعض الآخر عن تاريخ همذان لشيرويه بن شهردار، وعن أبي الحسن البيهقي صاحب وشاح الدمية . أما ابن خلكان فله كليمه وجيزة فيه يقول فيها أنه اطلع على رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن دوست .<sup>(٢)</sup> وثمة من يورد في تاريخه ما يورد في تاريخه .<sup>(٣)</sup> وخلاصة ما في هذه المصادر أن البديع ( واسمه أبو الفضل أحمد بن الحسين ) نشأ في همذان ودرس على أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي المشهور وعيسى بن هشام الأخباري وغيرهما .

وفي سنة ٣٨٠ ( أي وهو في نحو الثانية والعشرين من عمره ) ترك موطنه قاصداً صاحب بن عباد وبقي عنده زمناً يتزود من ثماره<sup>(٤)</sup> . « ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية والتعيش في اكنافهم<sup>(٥)</sup> »

(١) معجم الأدباء ١ - ٩٥ . (٢) اليتيمة ٤ - ١٦٨

(٣) اليتيمة ٤ - ١٦٨

لكن المقام لم يطب له فيها طويلاً فتر كها . ويشرح لنا سبب تركها في رسالة كتبها الى ابي نصر بن المرزبان قال فيها<sup>(١)</sup>

« كتابي اطال الله بقاء الشيخ وانا مثالم ، والحمد لله رب العالمين . كيف ثقل الشيخ في درع العافية ، واحواله بتلك الناحية ؟ فاني ببعده منغص شريعة العيش ، مقصوص اجنحة الانس . ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته على ما رغبت الى الله في ادامته ، وسكنت اليه بعد انزعاجي لتأخره . وقد كان رسم ان اعرفه سبب خروجي من جرجان ووقوعي بخراسان ، وسبب غضب السلطان . وقد كانت القصة اني لما وردت من ذلك السلطان حضرته التي هي كمية المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومستقر الكرم ، لا مشعر الحرم ، وبقلة الصلوات ، لا قبلة الصلاة ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف<sup>(٢)</sup> ، وجدت بها ندماء من بنات العام<sup>(٣)</sup> ، اجتمعوا قبضة كلب<sup>(٤)</sup> على تليفق خطب ازعجني عن ذلك الفناء ، واشرف بي على شرف الفناء ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه ، وحسن وقعه ، ولا اعلم كيف احتالوا ، وما الذي قالوا ، لكن الجملة ان غيروا السلطان ، فاشار علي اخواني ، بمفارقة مكاني ، وبقيت لا اعلم أئمنة اضرب ام شامة ، ونجداً اقصد ام تهامة

وقد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صغوه ، وماء اذا تغير لم يشرب صفوه ، ومملك اذا سخط لم ينتظر عفوه ، فليس بين رضاه والسخط عرجة ، كما ليس بين غضبه والسيوف فرجة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز . فهو سيد يفضبه الجرم الخفي ، ولا يرضيه العذر الجلي ، وتكفيه الجنابة وهي ارجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة

(١) تجددها في رسائل البديع ص ١٥٠ (٢) من مشاعر الحج (٣) بنات

العام اي حديثه العهد (٤) اي مثل الكلاب

وهي اجحاف ، حتى انه ليرى الذنب وهو اضيق من ظلِّ الرمح ، ويعمى عن العذر وهو ابين من عمود الصبح . وهو ذو اذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه العذر وله برهان ، وذو يدين يبسط احدهما الى السفك والسفح ، ويقبض الاخرى عن العفو والصفح ، وذو عينين يفتح احدهما الى الجرم ، ويغمض الاخرى عن الحلم . فمزحه بين القدر والقطع ، ورجده بين السيف والنطع . ومراده بين الظهور والكمون ، وامره بين الكاف والنون . ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدي من التأنيب الا لازالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ودقة الشعرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يبغي عن السقطة كجرم النقطة . ثم النعم بين لفظه وقلبه ، والارض تحت يده وقلبه . لا يلقاه الوليُّ الا بغمّة ، ولا العدو الا بدمّة . والارواح بين حبسه واطلاقه ، كما ان الاجسام بين حله ووثاقه . فنظرت فاذا انا بين جودين إما ان اجود بياسي ، واما ان اجود براسي ، وركوبين - إما المفازة وإما الجنازة ، وبين طريقين - إما الغربية وإما التربة ، وبين فراقين - إما ان أفارق ارضي او أفارق عرضي ، وبين راحلتين - إما ظهور الجمال وإما اعناق الرجال ، فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن »

والرسالة طويلة وكلها على هذا المنوال -

.....

ترك جرجان الى نيسابور فوافها سنة ٣٨٢ . وكان قطاع الطريق من الاعراب قد سلبوه ما كان له من مال وامتعة فدخلها مُهدماً او كما يقول



في بعض كتبه « براحة انقي من الراحة ، وكيس اخلي من جوف حمار <sup>(١)</sup> .  
 وكان في نيسابور اديب زمانه ابو بكر الخوارزمي ، ويظهر ان بديع الزمان  
 قصده مؤملاً الخير على يديه . لكن الخوارزمي لم يحسن استقباله فغاض ذلك  
 البديع وجرت بينهما معاتبات مرة يُستدلّ منها ان صاحبنا اخذ يتحين  
 الفرص للانتقام من الخوارزمي والحط من شأنه . وفي ذلك يقول <sup>(٢)</sup>  
 « وقدماً كنّا نسمع بمحدث هذا الفاضل فنتشوقه ، ونجبره فتعشقه ،  
 وتقدرّ انا اذا وطئنا ارضه ، ووردنا بلده ، يخرج لنا في العشرة ، عن القشرة ،  
 وفي المودة ، عن الجلدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الادب  
 نظمتنا . فاخلف ذلك الظن كل الاخلاف »

الى ان يقول :

« فلما اخذتنا عينه سقانا الدردي <sup>(٣)</sup> من اول دنه ، واجنانا سوء العشرة  
 من باكورة فنه ، من طرف نظر شطره ، وصدىق استهان بقدره ، وضيف  
 استخف بامرّه ، لكنّا اقطعناه جانب اخلاقه ، وولينا خطّة نفاقه ، فواصلناه  
 اذ جانب ، وشربناه على كدورته ، ولبسناه على خشونته ، ورددنا الامر في  
 ذلك الى زي استغنه ، ولباس استرته ، وكاتبناه نسمد وداده ، ونستلين  
 قياده ، وتقيم مناده ، بما هذه نسخته —

الاستاذ ابو بكر ، والله يطيل بقاءه ، ازرى بضيفه ان وجدّه يضرب  
 اليه آباط القلّة <sup>(٤)</sup> ، في اطار <sup>(٥)</sup> الغربة ، فعمل في رتبته اعمال المصارفة ، وفي  
 الاهتزاز اليه اصناف المضايقة ، من ايماء بنصف الطرف ، واشارة بشطر

(١) زهر الاداب ٢ - ١٥٧

(٢) زهر الاداب ٢ - ١٥٦ و ١٥٧

(٣) الدردي ما يبقى راسباً في الاناء (٤) اي يسير اليه على جناح الفقر

(٥) الاطار الثياب الرثة البالية

الكف ، ودفع في صدر القيام عن التام ، ومضغ للكلام ، وتكلف لرد السلام . وقد قبلت ترتيبه صعراً ، واحتملته وزراً ، واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله عذراً ، فان المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفي هذه الاسمال ، انقزز من صف النعال ، فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب ، لقلت ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح<sup>(١)</sup> ، وناساً يجرؤون المطارف ، ولا يمينون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم واندية ينتابها القول والفعل

فلو طوّحت بابي بكر - ايده الله - اليهم مطارح<sup>(٢)</sup> الغربة ، لو جد منزل البشر رحيباً ، ومحطّ الرحل قريباً ، ووجه المضيف خصيباً ، فأرأي الاستاذ ابي بكر - ايده الله - في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود المرء الذي يثلوه شهد ، موفّقاً ان شاء الله «

فيجيبه ابو بكر وتحتدم بينهما المعاتبة ، ولكن الخوارزمي يلزم فيها جانب الملاينة والملاطفة . وكان بديع الزمان يعمد الى اظهار نفسه بالتحكم بخصمه والخط من شأنه ، فلا يقبل هوادة او عذراً . وكان من وجوه نيسابور قوم يكرهون ابا بكر فاعانوا البديع عليه وما زالوا<sup>(٣)</sup> حتى جمعوهما في دار نقيب السادة بنيسابور . واغتنم بديع الزمان تلك السانحة فاخذ يداعب الخوارزمي متحكماً ويداوره متحكماً ، فاقترح النقيب عليهما ان يتناظرا في معارضة بعض قصائد المتنبّي ، فابتدا الخوارزمي بايات ، ثم البديع بايات ، واخذ في المساجلة والمطاعنة وما زال كذلك حتى امال النعاس الروئوس ، وسكنت الالخان

(١) الثاغية الصائتة من الشاه ، والراغية الصائتة من الابل اي ان لنا صحاباً لهم

ثروة وجاه (٢) في رسائله طوائع (٣) معجم الادباء ٢ - ١٠١

والنفوس ، وسعى الفضلاء بينهما بالصلح . فتصالحا و اضافه الخوارزمي حتى كأن لم يكن بينهما ما كان .

على ان بعض المستوحشين من الخوارزمي لم يرقهم ذلك فيأوا بجمعاً في دار الوزير السيد ابي القاسم حضره جماعة من الكبراء والعلماء ودفعوها الى المناظرة ، فاحذا بتساجلان وبتناقدان . وكانت معركة اديبة حامية خرج منها بديع الزمان ظافراً فتلقيه الناس بالتعظيم والتبجيل ، وعاد الخوارزمي الى منزله مخذولاً ، وانكسفت باله وانخفض طرفه ، ولم يحل عليه الحول حتى مات <sup>(١)</sup>

وبوته خلا الجو للبديع ، فاصبح امام الادب ، قال الثعالبي : -

« وتصرّفت به احوال جميلة واسفار كثيرة ، ولم يبق في بلاد خراسان وسجستان ، وغزنة بلدة الأوحلمها وجنى وجبي ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا ملك ، ولا امير ، ولا وزير ، ولا رئيس الا استمطر منه بنوء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسّم <sup>(٢)</sup> »

ثم التقى عصاه بهراة <sup>(٣)</sup> . وخدمه التوفيق بمصاهرة ابي علي الحسين بن محمد الحشنامي فانتظمت احواله ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخرة ، وعاش عيشة راضية . وفي سنة ٣٩٨ لبي نداء ربه وهو في الاربعين من عمره وكان قد بلغ اوج شهرته الادبية

(١) راجع هذه المناظرة في معجم الادباء ١ ص ١٠١ - ١١٤ ، وفي رسائل

البديع ص ٢٨ - ٨٤

(٢) اليتيمة ٤ - ١٦٩

(٣) هي اليوم حاضرة الافغان

بعض احوال الشخصيه

وكان الهمداني بارعاً في الفارسية ، يترجم ما يقترح عليه من الايات الفارسية المشتملة على المعاني العربية ، بالايات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع<sup>(١)</sup> . ويجمع المؤرخون له على سرعة خاطره وتوقد ذهنه - فمن قول الثعالبي في ذلك<sup>(٢)</sup> :

« ولم يُرَ ولم يروا ان احداً بلغ مبلغه من لبّ الادب وسرّه ، وجاء بمثل اعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب : فمنها . انه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي اكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ، ويؤدّيها من اولها الى آخرها ، لا يخرم حرفاً ، ولا يخلّ معنى ، وينظر في الاربعة والخمسة اوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يهدّ بها عن ظهر قلبه هدداً ، ويسردها سرداً . وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة او انشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب ، فيفرغ منها في الوقت والساعة ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء باخر سطر منه ، ثم هلمّ جرأ الى الاول ، ويخرجه كأحسن شيء واملمه . ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في اسرع من الطرف ، على ريق لا يبلعه ، ونفس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ، ومسارقة العلم ، ومسابقة اليد ، وجرات الحدّة ، وثمرات المدّة ، ومجارات الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع »

واول ما يتبادر الى الذهن ان في كلام الثعالبي اغراقاً بيناً . ولكن

الذي بطّلع على مناظرة البديع للخوارزمي يجد فيها ما يزيكي شهادة الثعالبي وغير الثعالبي فيه . فالرجل كان سريع الخاطر والحفظ واسع المعرفة اللغوية والبيانية نطيعه الالفاظ والاشكال البديعية طاعة الادوات للصانع الماهر . على انه كان برغم ما وصفه به الثعالبي من خفة الروح وحسن العشرة والخلق ، كثير الميل للظهور ، وظاهر الانانية والغرور . والدليل على ذلك مهاجمته للخوارزمي بعد ما جرى من الصلح بينهما - ومقابلته ملاينة خصمه ومسايرته بمرضاة ملبسة ثوب التهكم ، وتواضع ينضح بالخيلاء والتعاضم . اذ لم يكن له هم الا خضد شوكرته واعتلاء سدته .

وكان في البديع على ما يظهر مرارة لسان شديدة على من ينقم عليهم كما ترى في كتاب بعث به الى ابن ميكال رئيس نيسابور ومنه <sup>(١)</sup> -

«أعجوبة ، لكنها محجوبة ، حتى تصلي على النبي بنشاط ، وتنزل عن قيراط <sup>(٢)</sup> ، ماهي يا خبيث ، اليك يساق الحديث ، ان عشنا وعشت رأيت الاتان ، تركب الطمان : روح ولا جسد ، وصوت ولا احد ، والعود احمد ، ومتى فرزنت يا بيدق ؟ <sup>(٣)</sup> وأف لقوم سدتهم ويا بوئس عصر احوجهم اليك »

ومثل هذا الكلام اللاذع كثير في رسائله . بل قد يبلغ به الى درجة عدم الصفح عند المقدرة كقوله وقد كتب اليه بعض من عزل عن ولاية يستمد وداده ويستميل فواده فاجابه <sup>(٤)</sup> -

«وردت رقتك أطال الله بقاءك فأعرتها طرف التعرّز ، ومددت اليها يد التعرّز ، وجمعت عنها ذيل التعرّز ، فلم تند على كبدي ، ولم تحظ

(١) الرسائل ٤٩٦ (٢) اي قيراط من الدرهم (٣) البيدق من حجارة الشطرنج والفرزان الملكة منها (٤) الرسائل ٨٤

بناظري وبدي ، وخطبت من مودتي ما لم أجذك لها كفواً ، وطلبت من  
عشرتي ما لم أرك لها رصاً ، وقلت : هذا الذي رفع عنا اجفان طرفه ،  
وشال بشعرات أنفه ، وتاه بحسن قدّه ، وزها بورد خده ، ولم يسفنا من  
نوته ، ولم نسر بضوئه ، والآن اذ نسخ الدهر آية حسنه ، وأقام مائد غصنه  
وفثاً غرب عجيبه ، وكف زهو زهره ، وانتصر لنا منه بشعرات كسفت هلاله ،  
واكسفت باله ، ومسخت جماله ، وغيّرت حاله ، وكدرت شيرته جاء  
يسثقي من جرفنا جرفاً ، ويعرف من طيبنا عرفاً

وتناسيت ايامك اذ تكلمنا نزرأ ، وتلحظنا شزرأ ، وتجالس من حضر ،  
ونسترق اليك النظر ، ونهتئ لكلامك ، ونهش لسلامك

ومن لك بالعين التي كان مدّة اليك بها في سالف الدهر يُنظر

ايام كنت تمايل ، والاعضاء تتزاييل ، وتغناج ، والاجساد تتفالج ،  
وتثلفت والاكباد تنفتت ، وتخطر وترفل ، والوجد يعلو بنا ويستفل ، وتدير  
وتقبل ، فتعني وتجب ، وتصد وتعرض ، فتصني وتمرض :

وتبسم عن ألمي كأنّ منوراً تخلل حرّ الرمل غض له ندي  
فأقصر الآن ، فانه شوق كسد ، ومتاع فسد ، ودولة عراضت ،  
وايام انقضت

## مقاماته

قال ابو اسحق الحصري يصف البديع ومقاماته<sup>(١)</sup>  
« وهذا اسم ( اي البديع ) وافق مسماه ، ولفظ مطابق معناه . كلامه  
غضّ المكاسر ، انيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفاً ، والهوى بعشقه  
ظرفاً » . ثم يذكر ما نقلناه قبلاً من معارضته لاحاديث ابي بكر ابن دريد  
باربعثة مقامة « تذوب ظرفاً وتقطر حسناً ، لا مناسبة بين المقامتين  
لفظاً ولا معنى . وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سمى احدهما  
عيسى بن هشام والآخر ابا الفتح الاسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدر ،  
ويتنافثان السحر ، في معان تضحك الحزين ، وتحرك الرصين ، تتطلع منها  
كل طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما افرد احدهما بالحكاية ،  
وخصّ احدهما بالرواية »

على ان ما وصلنا من مقاماته الاربعمائة لا يتجاوز الحادية والخمسين .  
والذي يطالعها يرى في بطلها ابي الفتح ما يراه عادة في ابطال المقامات  
الاخري ، من جشع وتحيل مقرونين بذكاء واختبار واسع . وهي نتناول  
المواضيع الادبية والقوية والكلامية والاحبار وتبجلى فيها المزايا التالية -

١ - سهولة الفاظ وعدم التعقيد دائماً بلازدواج والسمع

كقوله من المقامة الفزارية -

« فقلت له على رسلك يا فتى ، ولك فيما نصحني حكيمك . فقال الحقيبة  
بما فيها . فقلت وإنّ وحاملتها<sup>(٢)</sup> . ثم قبضت بجمعي عليه ، وقلت لا والذي

(١) زهر الاداب ١ - ٣٠٧ (٢) اي نعم وانها لك ولك الناقاة التي تحملها

الهمها لمسا ، وشقها من واحدة خمسا ، لا تزايلني او اعلم عليك . فقدر لثامه  
 فاذا هو شيخنا ابو الفتح الاسكندري «  
 وقس على ذلك كثيراً في تضاعيف المقامات . وقد اصاب الدكتور  
 زكي مبارك اذ قال<sup>(١)</sup> «وعند مقارنة مقامات البديع بمقامات الحريري يتبين  
 لنا ان لغة بديع الزمان خالية من التكلف والاعتساف ، ولا كذلك لغة  
 الحريري التي تعد من اغرب نماذج النثر المصنوع . وعند الرجوع الى آثار  
 من تأثروا بفن المقامات نراهم في الاغلب تلامذة الحريري لا تلامذة البديع  
 فقد اولع اكثرهم بالصنعة والزخرف ، ولم يأنس منهم الى فطرته الا القليل»

## ٢ - روح الدعابة والظرف

ومع ان بعض مقاماته قصيرة تكاد لا تجد فيها اثراً للحكاية او نكتة .  
 فان البعض الآخر يدل على روح فكهة تحب النكتة وتحسن سرد الحكاية  
 وهو في ذلك يفوق عامة اصحاب المقامات . ومن مقاماته الفكهة

### المقامة البغدادية - وفيها يقول :

حدثنا عيسى بن هشام قال : اشتيت الازاد<sup>(٢)</sup> ، وانا ببغداد ، وليس معي  
 عقد ، على نقد ، فخرجت انتهز محاله حتى احلني الكرخ ، فاذا انا بسوادي<sup>(٣)</sup>  
 يسوق بالجهد حماره ، ويطرف بالعقد ازاره ، فقلت : ظفرنا والله بصيد ،  
 وحيالك الله ابا زيد ! من اين اقبلت ، واين نزلت ، ومتى وافيت ، وهلم الى  
 البيت . فقال السوادي : لست بأبي زيد ، ولكني ابو عبيد ، فقلت : نعم  
 لعن الله الشيطان ، وابعد النسيان ، أنسانيك طول العهد ، واتصال البعد ،  
 فكيف حال ابيك ، أشاب كعهدي ، ام شاب بعدي ، فقال : قد نبت

(١) النثر الفني ١-٢٠٣ (٢) نوع من الحلوى او التمر (٣) قروي



الربيع على دمنته ، وارجو ان يصيره الله الى جنته ، فقلت : انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ! ومددت يد البدار ، الى الصدر ، اريد تمزيقه ، فقبض السوادي على خصري بجمعه ، وقال : ناشدتك الله لا مزقته ، فقلت : هلم الى البيت نصب غداء ، او الى السوق اشترى شواء ، والسوق اقرب ، وطعامه اطيب . فاستفزته حمية القرم ، وعطفته عاطفة اللقم ، وطمع ، ولم يعلم انه وقع ، ثم اتينا شواءً يتقاطر شواؤه عرقاً ، وتسايل جوذابانه مرقاً ، فقلت : افرز لابي زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء ، واختر له من تلك الاطباق ، وانضد عليها اوراق الرقاق ، ورش عليه شيئاً من ماء السماق ، ليا كله ابو زيد هنياً . فانحنى الشواء بساطوره ، على زبدة تنوره ، فجعلها كالكحل سحقا . وكالصحن دقا ، ثم جلس وجلست ، ولا يش ولا يش ، حتى استوفينا وقلت لصاحب الحلوى زن لابي زيد من اللوزينج رطلين فهو اجرى في الخلق ، وامضى في العروق ، وليكن ليلى العمر ، يومي النشر ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لو لمومي الدهن ، كوكبي اللون ، بنوب كالصمغ قبل المضغ ، ليا كله ابو زيد هنياً . قال :

فوزنه ثم قعد وقعدت ، وجرّد وجرّدت ، حتى استوفينا . ثم قلت : يا ابا زيد ما احوجنا الى ماء يشعشع بالثلج ليقمع هذه الصارّة (١) ، ويفثأ هذه اللقم الحارّة ، اجلس يا ابا زيد حتى نأتيك بسقا ، يا أتيك بشربة ماء . ثم خرجت وجلست بحيث اراه ولا يراي انظر ما يصنع . فلما ابطأت عليه قام السوادي الى حماره ، فاعتلق الشواك بازاره . وقال :

ابن ثمن ما اكلت ؟ فقال ابو زيد : اكلته ضيفا . فلكه لكمة ، وثني

عليه بلطمة . ثم قال الشواء : هالك ، ومتى دعوناك ، زن يا اخا القحة عشرين  
 فجعل السوادى يبكي ويحلب عقده باسنانه ويقول : كم قلت لذك القريد ، انا  
 ابو عبيد ، وهو يقول : انت ابو زيد . فانشدت :

اعمل لرزقك كل آله لا تقعدن بكل حاله  
 وانهض بكل عظيمه فالمرء يعجز لا محاله

### القائمة المضيرة :

وهي طوبيلة ومن ابدع ما كتب في هذا الفن - وخلاصتها ان ابا الفتح  
 الاسكندري دعي مرة الى اكل المضيرة على مائدة بعض التجار فلعبها  
 ولعن طابخها ، ولما سألوه عن امرها قص لهم ما حدث له من جرأها والحديث  
 طويل ، وهو يدور على رجل ثقيل دعاه مرة الى اكل المضيرة في منزله ، فيبرمه  
 ويصدعه لكثرة ما يصف زوجته ومحامته وداره وما فيها ، وغلامه وخوانه  
 وما الى ذلك فيطيل ويخرج . كل ذلك قبل ان يحضر الطعام . وكان وقت  
 الغداء قد فات ولم يبق لابي الفتح صبر على شرح الرجل وابرامه وثقل روجه  
 وأحس ان الشرح لا يزال طويلاً وان تمت كثيراً من الاشياء التي لا بد  
 للداعي من وصفها وازهاق الروح بذكر دقائقها ، فلم ير امامه الا الهرب قال :  
 « وخرجت نحو الباب ، وأسرعت في الذهاب ، وجعلت اعدو وهو  
 يتبعني ويصيح : يا ابا الفتح المضيرة . وظن الصبيان ان المضيرة لقب لي  
 فصاحوا صياحه ، فرميت اقدمهم بحجر ، من فرط الضجر . فلقى رجل  
 الحجر بعامة ، ففاص في هامته ، فأخذت من النعال بما قدم وحدث ، ومن  
 الصفع بما طاب وخبث ، وحشرت الى الحبس ، فأقت علمين في ذلك

النحس ، فنذرت ان لا آكل مضيرة ما عشت ، فهل انا في ذا يا آل همدان  
ظالم ، . قال عيسى ابن هشام : فقبلنا عذره ، ونذرنا نذره ، وقلنا قديماً  
جنت المضيرة على الاحرار ، وقدّمت الاراذل على الاخيار

### ٣ - مرارة الترهك والرهجا

وتظهر في مقاماته كما تظهر في رسائله كقوله في المقامة المارستانية على  
لسان مجنون يصف المعتزلة :

وانتم يا مجوس هذه الامة تعيشون جبراً ، وتموتون صبراً ، وتساقون  
الى اللقدور قهراً ، ولو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى  
مضاجعهم ، أفلا تنصفون ، ان كان الامر كما تصفون ؟ ونقولون خالق الظلم  
ظالم . أفلا تقولون خالق الملك هالك ؟ اتعلمون يقيناً ، انكم اخبث من  
ابليس ديناً . قال : ربّ بما اغويتني : فأقرّ وانكرتم ، وآمن وكفرتم ،  
وتقولون خير فاختار . وكلاً فانّ المختار لا يبيع بطنه ، ولا يفقأ عينه ، ولا  
يرمي من حالق ابنه ، فهل الاكراه ، إلا ما تراه ؟ والاكراه مرّة بالمرّة ،  
ومرّة بالدرّة <sup>(١)</sup> ، فليخزكم ان القرآن بغيضكم ، وان الحديث بغيضكم ،  
اذا سمعتم من يضلّل الله فلا هادي له الحديث ، واذا سمعتم زوّبت لي الارض  
فأريت مشارقها ومغارها جحدتم ، واذا سمعتم عرضت عليّ الجنة حتى هممت  
ان اقطف ثمارها وعرضت عليّ النار حتى اتقيت حرّها يدي ، انقضت  
روؤسكم ولو يتم اعناقكم ، وان قيل عذاب القبر نظيرتم ، وان قيل  
الصراط تغامزتم ، وان ذكر الميزان قلتكم : من الفرغ كفتاه <sup>(٢)</sup> ، وان

(١) المرّة هنا العقل والدرّة العصا (٢) اي قلتكم تهكمّاً كفتاه فارغتان

ذكر الكتاب قلتم : من القِدِّ دَفْتَاهُ . يا اعداء الكتاب والحديث بم تطيرون ؟ أبالله وآياته ورسوله تستهزئون ؟ انما مرقت مارقة فكانوا خبث الحديث ، ثم مرقت منها فاتم خبث الحديث «

ومن نقده اللاذع قوله في المقامة النيسابورية يصف قاضياً يصلي

في المسجد :

« هذا سوسٌ لا يقع الآ في صوف الايتام ، وجرادٌ لا يسقط الآ على الزرع الحرام ، ولصٌ لا ينقب الا خزانه الاوقاف ، وكردىٌ لا يغيرُ الا على الضعاف ، وذئبٌ لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ، ونحارب لا ينهب مال الله الا بين اليهود والشهود . وقد لبسَ دِنْتَهُ<sup>(١)</sup> ، وخلع دِينَتَهُ ، وسوَّى طيلسانه ، وحرفَ يده ولسانه ، وقصرَ سباله ، وأطال جباله ، وابدى شقاشقه ، وغطى مخارقه ، وبيّضَ لحيته ، وسودَّ صحيفته ، واظهر ورعه ، وستر طمعه »

ومما يدل على طول باعه في الاقذاع والهجاء مقامته الدينارية . فهي مجموعة شتائم وضعها عن لسان شخصين يتناظران في التهاجي فليراجعها من شاء

والبديع في مقاماته وصافٍ ماهر<sup>(٢)</sup> . على انه لا يمتاز بذلك عن سواه من منشي عصره وما بعده ، فان الوصف والتبسط من صفاتهم البارزة وفنونهم المقصودة . ونظرة الى ما ورد من ذلك في الرسائل الديوانية والادبية تكفينا مؤونة الاستشهاد

وهو يكثر من الحكم والعظات ولكن اكثرها راجع الى ذم الدنيا

(١) فلنسة القاضي (٢) للدكتور زكي مبارك في النثر الفني ج ١ ص

واهلها ذمّاً بنمّ عن نفس مرّة وطبع متبرّم . ولا بدع فبطل المقامات  
ابو الفتح اناني لا يثق باحد ولا يسعى لغير الكسب . فاذا ارسل حكمة  
او ابدى زهداً فان همّه كما ذكر في وصاته لابنه : —

وكما اخشى عليك ذلك فلا آمن عليك لصين احدهما الكرم ، واسم  
الآخر القرم ، فايك وايهما ! ان الكرم اسرع في المال من السوس ، وان  
القرم اشأم من البسوس ، ودعني من قولهم ان الله كريم انها خدعة الصبي  
عن اللبن . بلى ان الله لكريم ولكن كرم الله يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا  
ولا يضره . ومن كانت هذه حاله ، فلتكرم خصاله . فأما كرم لا يزيدك  
حتى ينقصني ولا يريشك حتى يبريني فخذلان لا اقول عبقرى ، ولكن  
بُقرى <sup>(١)</sup> . افهمتها يا ابن المشؤومة . انما التجارة تنبسط الماء من الحجارة ،  
افتتركه وهو معرض ثم تطلبه وهو معوز <sup>(٢)</sup> . افهمتها لا أم لك . انه المال  
عافاك الله فلا تنفقن الا من الربح ، وعليك بالخبز والملح ، ولك في الخلل  
والبصل رخصة ما لم تدمهما ، ولم تجمع بينهما ، واللحم لحمك وما اراك  
تأكله ، والحلو طعام من لا يبالي على اي جنبه يقع ، والوجبات عيش  
الصالحين ، والاكل على الجوع واقية الفوت ، وعلى الشبع داعية الموت ،  
ثم كن مع الناس كلاعب الشطرنج خذ كل ما معهم واحفظ كل ما معك ،  
يا بني قد اسمعت وابلغت ، فان قبلت فالله حسبك ، وان ايت فالله  
حسيبك

(١) اي خذلان مهلك

(٢) اي اتترك المال وهو موجود وتطلبه حين يعجزك تحصيله

## المفازة الصميرية

وهي تجمع الى حلاوة القصة حكمة العظة جمعاً يملك النفس وهو يضعها على لسان رجل اسمه ابو العنيس الصميري واليك حديثه - قال

« قدمت من الصميرة الى مدينة السلام ومعني جراب دنانير ومن الخُرثي<sup>(١)</sup>

والآلة وغير ذلك ما لا احتاج معه الى احد ، فصحبت من اهل البيوتات والكتّاب والتجار ، ووجوه التناء<sup>(٢)</sup> من اهل الثروة واليسار ، والجدة والفقار جماعة اخترتهم للصحبة ، وادّخرتهم للنكبة

وبعد ان يصف طيب عيشهم عنده يقول :

و كنت عندهم اعقل من عبد الله بن عباس ، واظرف من ابي نواس ،  
واسخى من حاتم ، واشجع من عمرو ، وابلغ من سميان وائل ، وادهى من قصير  
واشعر من جرير ، واعذب من ماء الفرات ، واطيب من العافية ، لبذلي  
ومروءتي ، واتلاف ذخيرتي ، فلماً خفّ المتاع ، وانحطّ الشراع ، وفرغ  
الجراب ، تبادر القوم الباب ، لما احسوا بالقصة ، وصارت في قلوبهم القصة ،  
ودعوني برصة ، وانبعثوا للفرار ، كرمية الشرار ، وأخذتهم الضجيرة ،  
فانسأوا قطرة قطرة ، وتفرّقوا بمنّة ويسرة

ثم يصف حاله وما وصل اليه من الفقر والمذلة وجفاء الاصحاب  
الكاذبين ويصل ذلك بقوله -

فلما رأيت الامر قد صعّب ، والزمان قد كَبّ ، التمسّت الدرهم فاذا  
هو مع النّسرين ، وعند منقطع البحرين ، وابتعد من الفرقدين ، نخرجت  
أسيح ، كآني المسيح ، فجلت خراسان ، الخراب منها والعمران ، الى كرمان  
وسجستان وجيلان الى طبرستان والى عمّان ، الى السند والهند والتوبة

(١) الخُرثي الاناث (٢) التناء الدهاقين او كبار المزارعين

والقبط واليمن والحجاز ومكة والطائف اجول البراري والقفار ، واصطلي بالنار ، وآوي مع الحمار

وهنا يصف ما جمعه من نوادر واختبارات وما عاناه من مشقة وتكدية حتى كسب ثروة طائلة وجمع كثيراً من الطرائف والتحف قال -

« فلما قدمت بغداد ووجد القوم خبري ، وما رزقته في سفري ، سرّوا بمقدمي ، وصاروا باجمعهم اليّ يشكون ما عندهم من الوحشة لفقدي ، وما نالهم لبعدي ، وشكوا شدة الشوق ، ورزء التوق ، وجعل كل واحد منهم يعتذر مما فعل ويظهر الندم على ما صنع ، فاوهمتهم اني قد صفحت عنهم ولم اظهر لهم الموجودة عليهم بما تقدم فطابت نفوسهم ، وسكنت جوارحهم وانصرفوا على ذلك . وعادوا اليّ في اليوم الثاني فخبستهم عندي ووجهت وكيلي الى السوق فلم يدع شيئاً تقدمت اليه بشرائه الا أتى به »

ويصف بعد ذلك مقامهم عنده تلك الليلة وكيف سقاهم الخمر حتى سكروا قال -

« ووجهت الي بلال المزيّن فاحضرته وقدمت اليه طعاماً فاكل وسقيته من من الشراب القطريليّ فشرب حتى ثمل ، وجعلت في فيه دينارين احمرين وقلت : شأنك والقوم ، فخلق في ساعة واحدة خمس عشر لحية فصار القوم جرذاً مرداً كأهل الجنة ، وجعلت لحية كل واحد منهم مصرورة في ثوبه ومعها رقعة مكتوب فيها : من اضمرب بصديقه الغدر وترك الوفاء كان هذا مكافأته والجزاء : وجعلتها في جيبه »

وكان قد استحضر جمالين فحملوهم الى منازلهم « فلما اصبحوا رأوا في نفوسهم همّاً عظيماً ، لا يخرج منهم تاجر الى دكانه ، ولا كاتب الى ديوانه ولا يظهر لاخوانه

وشاع الخبر بمدينة السلام بفعلي معهم ولم يزل الامر يزداد حتى بلغ  
 الوزير القاسم بن عبيد الله وذلك انه طلب كاتباً له فاقتده فقيل انه في منزله  
 لا يقدر على الخروج . قال : ولم . قيل : من اجل ما صنع ابو العنيس لانه  
 كان امتحن بعشرتهم ومنادمتهم . فضحك

ثم قال : والله لقد اصاب وما اخطأ فيما فعل ، ذروه فانه من اعلم الناس  
 بهم ، ثم وجه الي خلة سنية وقاد فرساً بركب ، وحمل الي خمسين الف درهم  
 لاستحسانه فعلي «



## الحريري

٥١٦ - هـ ٤٤٦

### نوطته تاريخية

ولد ابو محمد القاسم بن علي الحريري في مَشان وهي بلدة صغيرة فوق البصرة . وسكن البصرة وفيها قضى حياته . وقد قرأ الادب على ابي القاسم القصباني البصري

وتقل ياقوت عن الخريدة ان الحريري كان « صاحب الخبر » بالبصرة في ديوان الخلافة ، وان هذا المنصب بقي في اولاده الى اواخر عهد المقتفي . ويفهم مما ذكره الطبري ان صاحب الخبر كان يعينه الخليفة لموافاته بالمعلومات اللازمة عن الجيش او سواه<sup>(١)</sup> . فهو اشبه برئيس قلم الاستخبارات في هذه الايام .

ويستدل مما ذكره ان الحريري كان ذا يسار وفضل ولكنه كان بخيلاً دميم الخلق والهيئة . ويحكى الانباري<sup>(٢)</sup> « ان رجلاً قصده ليقراً عليه ، فاستدل على مسجده الذي يقرأ فيه فلما اراد الدخول رأى شخصاً دميم الخلق فاحتقره وقال لعله ليس هو هذا . فرجع ثم قال في نفسه لعله يكون هذا ، ثم استبعد ان يكون هو ، والشيخ يلحظه . فلماً تكرّر ذلك منه تفرّس الشيخ منه ذلك ، فلما كان في المرة الاخيرة قال له ارحل فانا من تطلب ، اكبر من فرد محنك »

(١) الطبري (المجلة الثالثة) ١٢٦٠ (٢) طبقات الادباء ٤٥٦

وكان ، على ما يروونه ، وعلى ما يظهر في مقاماته ، غاية في الذكاء والفتنة  
والفصاحة والبلاغة . وقد قرُن ذلك فيه بشيء من الظرف والدعابة قيل<sup>(١)</sup> :  
« ويحكى انه كان مولعاً بالبعث بلحيته بحيث يتشوه بذلك ، فنهاه الامير  
وتوعده على ذلك . وكان كثير المجالسة له فبقي كالمقيد لا يتجاسر ان يعثر  
بها . فتكلم في بعض الايام عند الامير بكلام استحسنه منه فقال له الامير سلني  
ما شئت حتى اعطيك ، فقال له أقطني لحيتي ، فقال له قد فعلت »

.....

وله من التصانيف « درة الغواص في اوهام الخواص » وهو كتاب  
نقدي يبين فيه اغلاط الكتاب فيما يستعملونه من الالفاظ . وقد طبع في  
ليبسك ومصر والاسنانه — ومن مصنفاته ارجوزة في النحو سماها « ملححة  
الاعراب في النحو »

وله غير ذلك رسائل واشعار وكها تدل على طول باعه في اللغة

### اسلوب الانساني

وهو في ذلك لا يخرج عن منهاج العصر الذي نشأ فيه . ولعله كان من  
اكثر المنشئين ميلاً الى التصنع في رسائله واظهاراً لطول باعه وسعة معرفته  
فمن رسائله رسالة كتبها على لسان بعض اصدقائه يعاتب صديقاً اخل  
به في دعوة ، وقد التزم في كل كلمة منها السين ومنها<sup>(٢)</sup> —

« باسم القدوس أستفتح ، وبأسعاده أستنجح . بحجة سيدنا  
سيف السلطان ، السيد النفيس سيد الرؤساء ، حرست نفسه ،

(١) طبقات الادباء ٤٥٦ (٢) راجعها في معجم الادباء ٦-١٧٥

واستنارت شمسه ، وبسق غرسه ، وآسق أنسه ، استمالة الجليس ، ومساهمة  
الانيس ، ومواساة السحيق النسيب ، ومساعدة الكسير والسليب «  
والرسالة كلها على هذا النسق نثراً ونظماً  
وله رسالة التزم فيها الشين قال منها<sup>(١)</sup> —

« بارشاد المنشى أنشى — شغني بالشيخ شمس الشعراء ، ريش معاشه ،  
وفشا رباشه ، واشرق شهابه ، واعشوشبت شعابه ، يشا كل شغف المنتشي  
بالنشوة ، والمرثي بالرشوة ، والشادن بشرخ الشباب ، والعطشان بشم  
الشراب ، وشكري لتجشمه ومشقته ، وشواهد شفقتة يشابه شكر الناشد  
لمتشده ، والمسترشد للمرشد »

ويجري هذا المجرى الى آخر الرسالة ويتعسف في نثرها وشعرها  
ويتغارب ما شاء .

ويقابل ذلك في مقاماته المقامة الرقطاء التي اورد فيها رسالة احد حروفها  
منقط والآخر غير منقوط كقوله —  
« اخلاق سيدنا تحب ، وبعقوته يلب<sup>(٢)</sup> ، وقربه تحف ، ونأيه تلف ،  
وخلته نسب ، وقطيعته نصب » وهي طويلة ومن شعره فيها —

مخلف متلف أغر فريد نابه فاضل ذكي أنوف  
مفلق إن أبان طب اذا نا ب هياج وجل خطب مخوف

ومثلها المقامة الشعرية وفيها يتلاعب بقصيدة له مطلعها

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردي وقرارة الاكدار

(١) معجم الادباء ٦ — ١٢٦ (٢) اي وبفنائنه يقام

فقد نظمها بحيث يمكن قراءتها مجزوة على هذا المنوال  
يا خاطب الدنيا الدينية انها شرك الردى  
والمقامة كلها من هذا الباب  
ومنها المقامة النجراتية والحلبية وفي سائر المقامات كثير من هذا التلاعب  
الصناعي الذي غني به الحريري اشد الغناء

## مقاماته

وهي اهم ما صنفه . وقد حذا فيها كما مر معنا حذو البديع . بدأ بها  
سنة ٤٩٥ اي وهو في الحادية والثلاثين من عمره ولكنه لم يتمها ( وهي خمسون  
مقامة ) دفعة واحدة بل انشأها في آجال منقطعة خلال بضع سنوات .  
وقد نالت هذه المقامات شهرة واسعة جداً حتى في ايام صاحبها فانه اجاز  
بيده ٧٠٠ نسخة منها واليك ما قال ياقوت في ذلك <sup>(١)</sup> —

« ولقد وافق كتاب المقامات من السعد ما لم يوافق مثله كتاب . فانه  
جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة ، واتسعت له الالفاظ ، واتقادت اليه وفود  
البراعة حتى اخذ بازمته ، وملك ربقته ، فاختر الفاظها واحسن نسقها ، حتى  
لو ادعى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره ، ولا يرد قوله ، ولا يأتي  
بما يقاربه ، فضلاً عن ان يأتي بمثله . ثم رزقت مع ذلك الشهرة وبعد  
الصيت والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحققت واكثر .  
ومن عجيب ما رأيت وشاهدته اني وردت آمد في سنة ٥٩٣ وانا في  
عنفوان الشباب وربيعة ، فبلغني ان بها علي بن الحسين المعروف بالشميم الحلبي ،  
وكان من العلم بمكان مكين ، واعتلق من حباله بركن ركين : الا انه كان

لا يقيم لاحدٍ من اهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً ، ولا يعتقد لاحد فضيلة ، ولا يقرّ لاحد باحسان في شيء من العلوم ولا حسن . فحضرت عنده وسمعت من لفظه ازراءه على اولى الفضل ، وننديده بالمعيب عليهم بالقول والفعل . فلما ابرمني واضجر ، وامتدّ في غيّه واصحر ، قلت له اما كان فيمن تقدّم على كثرتهم ، وشغف الناس بهم ، عندك قطّ مجيد ؟ فقال لا اعلم الا ان يكون ثلاثة رجال : المتنبّي في مديحه خاصة ولو سلكت طريقه لما برز عليّ ، والثاني . ابن نباتة في خطبه ، وان كانت خطبي احسن منها . . . . والثالث ابن الحريري في مقاماته . قلت فما منعك ان تسلك طريقته وتنشئ مقاماتٍ تُحمد بها جهرته وتملك بها دولته . فقال :

« يا بنيّ ! الرجوع الى الحق خير من التماذي في الباطل . ولقد انشأتها ثلاث مرّات ، ثم اتأملها فاسترذها فاعمد الى البركة فاغسلها . ثم قال : ما اظنّ الله خلقني الا لاظهار فضل الحريري وشرح مقاماته بشرح قرئ عليه وأخذ منه »

وبدلك على منزلة المقامات كثرة الشراح لها ، واهمهم الشريشي والمطرزي والرازي والعكبري - على ان شهرتها لم تنحصر في العالم العربي بل تعدّته الى امم اخرى فترجمت قديماً الى السريانية والعبرانية . وفي القرن الثامن عشر للبلاد نقلت الى اللاتينية . ثم اصدر دي ساسي سنة ١٨٢٢ منها نسخة ضافية وافية وتلاه كثيرون في الشرق والغرب . وقد ترجمت الى بضع لغات اوربية وغير اوربية

اما بطل هذه المقامات فرجل اسمه ابو زيد السروجي . ويروون عن لسان الحريري ان ابا زيد هذا كان شيخاً شجاعاً بليغاً ومكدياً فصيحاً ، وانه رآه في مسجد بالبصرة ، وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاصّ بالفضلاء

فأعجبهم فصاحته . قال الحريري <sup>(١)</sup> « واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل . فحكى كل واحد من جلسائه انه شاهد منه في مسجده مثل ما شاهدت ، وانه سمع منه في معنى آخر فصلاً احسن مما سمعت . وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله ، ويظهر في فنون الحيلة فضله . فتعجبوا من جريانه في ميدانه وتصرفه في تلونه واحسانه . فانشأت المقامة الحرامية ثم بنيت عليها سائر المقامات » .  
 اما ان يكون بطل المقامات رجلاً حقيقياً فذلك مما يرتاب به ويقول مرغوليوث انها خرافة <sup>(٢)</sup> . اما بروكلمان فيقف موقف المرتاب فقط <sup>(٣)</sup> ويقول برستون « انه نموذج ادبي يمثل ذوق الوسط الادبي في ذلك العصر . فالمقامة معرض فني لاعلى انواع الادب عندهم وصورة دقيقة تعكس لنا شخصيات كبار الادباء <sup>(٤)</sup> »

ويعزو الحريري رواية المقامات الى الحارث بن همّام . قال ابن خلكان <sup>(٥)</sup> : « وانما عنى نفسه هكذا وقفت عليه في بعض شروح المقامات وهو مأخوذ من قوله (ص) كلكم حارث وكلكم همّام . فالحارث الكلب والهمّام كثير الاهتمام »

وإذا قابلنا مقامات البديع بمقامات الحريري وجدنا ان الاولى اشهل مأخذاً واقل تكلفاً واكثر ابتكاراً للوقائع والحوادث . اما الثانية فأدقّ صنعة

(١) معجم الادباء ١٦٨ (٢) دائرة المعارف الاسلامية Hariri

(٣) دائرة المعارف الاسلامية Makamat (٤) Préston, Makamat

(٥) وفيات الاعيان ١-٥٩٨ al Hariri XII, London 1850

وأفضل شعراً وأكثر تعمقاً في اللغة وأوضاعها وأمثالها وحوادث رجالها  
ولا يضح أسلوبها فتتطف منها ما يلي -

### المفازة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحايا مرح الشباب ، وهوى الأكتساب ، الى  
ان جبت ما بين فرغانة ، وعانة ، اخوض الفمار لاجني الثمار ، واقتمح الاخطار  
لكي أدرك الاوطار ، وكنت لقيت من افواه العلماء ، وثقتت من وصايا  
الحكماء ، انه يلزم الاديب الاريب ، اذا دخل البلد الغريب ، ان يستميل  
قاضييه ، ويستخلص مرضيه ، ليشثد ظهره عند الخصام ، ويأمن في الغربية  
جور الحكام ، فاتخذت هذا الادب اماما ، وجعلته لمصالحني زاماما  
فبينما انا عند حاكم الاسكندرية ، في عشية عربية ، وقد احضر مال  
الصدقات ، ليفضه علي ذوي الفاقات ، اذ دخل شيخ عفرية<sup>(١)</sup> ، تعتله امرأة  
مُصيبة<sup>(٢)</sup> ، فقالت اريد الله القاضي ، وادام به التراضي ، افي امرأة من اكرم  
جرثومة ، واظهر ارومة .

وكان ابي اذا خطبني بناةُ المجد ، وارباب الجدة ، سكتهم وبكتهم ،  
وعاف وُصلتهم وِصلتهم ، واحتج باناه عاهد الله تعالى بحلفه ، ان لا يباهر  
غير ذي حرفة ، فقيض القدر لنصيبي ، ووصي ، ان حضر هذا الخدعة نادي  
ابي ، فاقسم بين رهطه ، انه وفق شرطه ، وادعى انه طالما نظم درة الى درة  
فباعهما بيدرة ، فاغتر ابي بزخرفة محاله ، وزوجنيه قبل اختبار حاله ، فلما  
استخرجني من كناصي ، ورحلني عن اناسي ، وتقلني الى كسره ، وحصاني

(١) اي خبيث . ماكر (٣) ذات صبيان

تحت أسره ، وجدته قعدة جثمة ، وألفيته ضجة نومة ، وكنت صمبته برياش  
وزي ، واثاث وري ، فما برح بيعة في سوق الهضم ، وبثلف ثمة في الخضم  
والقضم<sup>(١)</sup> ، الى ان مزق مالي بأسره ، وانفق مالي في عسره ، فلما انساني  
طعم الراحة ، وغادر بيتي انقى من الراحة ٠٠ قلت له الخ

وتابع المرأة حديثها فتقول :

«وقد قدته اليك ، واحضرته لديك ، لتعجم عود دعواه ، وتحكم بيننا  
بما اراك الله . فاقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك ، فبرهن  
الآن عن نفسك ، والا كشفت عن لبسك ، وأمرت بجبسك ، فاطرق  
اطراق الافعوان ، ثم شمر للحرب العوان ، وقال :

إسمع حديثي فانه عجبُ      بضحك من شرحه وينتخبُ  
انا امرؤ لبس في خصائصه      عيب ولا في فخاره ريبُ  
ورأس مالي سحر الكلام الذي      منه يصاغ القريض والخطب  
أغوص في لجة البيان فاخ      ثار اللالي منها وانتخبُ  
فاليوم من يعلق الرجاء به      أكسد شيء في سوقه الادبُ  
فهذه الحرفة المشار الى      ما كنت احوي بها واجتلبُ  
فاذن لشرحي كما أذنت لها      ولا تراقب واحكم بما يجبُ  
ويسمع القاضي الايات فيرقُّ له ويفضُّ المشكلة بقبصة من الدراهم

يناولها اياها ثم يوصيها بالصبر عسى الله ان يأمر بالفتح من عنده  
ويتلو ذلك محاولة الحارث بن همام ان يتقصي خبرها وما كان من ندمه  
وخيبة آماله

(١) اي في انواع الاكل واللذات



## المفازة الواسطة

«حكى الحارث بن همام قال أَلْجَأني حَكْم دهرٍ قاسط ، الى ان اتجع  
ارض واسط ، فقصدتها وانا لا اعرف بها سكناً ، ولا املك فيها مسكناً ،  
ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء ، والشعرة البيضاء في اللثة السوداء ، قادي  
الحظ الناقص ، والجد الناكص ، الى خان ينزله شذاذ الآفاق ، واخلاق  
الرفاق ، وهو انظافة مكانه ، وظرافة سكانه ، يرغب الغريب في إبطانه ،  
وينسيه هوى اوطانه . فاستفردت منه بحجرة ، ولم انافس في اجرة ، فما كان  
الا كلع طرف ، او خط حرف ، حتى سمعت جاري بيت بيت ، يقول لتزيله  
في البيت ، قم يا بني لا قعد جدك ، ولا قام ضدك ، واستصحب ذا الوجه  
البدري واللون الدرّي<sup>(١)</sup> . ويجري هنا في اوصاف كثيرة يعلم منها الحارث  
انه ابو زيد فيقبل عليه . وبعد حديث طويل بينهما يقول له ابو زيد -

«قد علق بقلبي ان تصاهر من بأسو جراحك ، ويريش جناحك  
فقلت وكيف اجمع بين غلّ وقلّ ، ومن الذي يرغب في ضلّ بن ضلّ ،  
فقال انا المشير بك واليك ، والوكيل لك وعليك

على انك لن تطالب بصدّاق ، ولا تلجأ الى طلاق ، ثم اني سأخطب في  
موقف عقّدك ، وجمع حشدك ، خطبة لم تفتق رنق سمع ، ولا خطب بمثلها  
في جمع ، قال الحارث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة المتلوّة ، دون الخطبة  
المجلوّة ، حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب ، فدبره تدبير من طبّ  
لمن حبّ

(١) يريد به الرغيف

ثم اخذ في مواعدة اهل الخان ، وإعداد حلواء الخوان ، فلما مدَّ الليل  
اطنابه ، واغلق كل ذي باب بابيه ، اذن في الجماعة ، ألا احضروا في هذه  
الساعة . فلم يبق فيهم الا من لبيَّ صوته ، وحضر بيته ، فلما اصطفوا لديه ،  
واجتمع الشاهد والمشهود عليه ، جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ، ويلحظ  
التقويم<sup>(١)</sup> ويدعه ، الى ان نعس القوم ، وغشي النوم ، فقلت يا هذا ضع الفلاس  
في الراس ، وخلص الناس من النعاس ، فنظر نظرة في النجوم ، ثم انتشط من  
عقلة الوجوم ، وأقسم بالطور والكتاب المسطور ، لينكشفن سرُّ هذا  
هذا الامر المستور . . . فيلتي عليهم خطبة طويلة عريبة من الاعجام (النقط)  
قال الحارث :

« ثم احضر الحلواء التي كان اعدّها ، وابدى الآبدة<sup>(٢)</sup> عندها ، فاقبلت  
اقبال الجماعة عليها ، وكدت اهوي بيدي اليها ، فزجرني عن المواقلة ،  
وأنهضني للمناولة ، فوالله ما كان باسرع من تصاخ الاجفان ، حتى خرّ  
القوم للاذقان . . . ويتبع ذلك حديث وعتاب ولكن ابا زيد لا يهتم بقول  
الحارث

« ثم عمد لاستخراج ما في البيوت ، من الاكياس والتخوت ، وجعل  
يستخلص خالصة كل مخزون ، ونخبة كل مذروع وموزون ، حتى غادر  
ما التاه فخره كعظم استخرج محه ، فلما همّن<sup>(٣)</sup> ما اصطفاه ورزّم ، وشمر عن  
عن ذراعيه وتحزّم ، أقبل عليّ اقبال من لبس الصفاقة ، وخلع الصداقة ،  
وقال هل لك في المصاحبة الى البطيحة ، لازوجك باخرى مليحة .

(١) الاصطرلاب من آلات الفلك ، والتقويم كتاب في حساب الفلك

(٢) الفعلة التي يبقى ذكرها ابدأ لغرابتها (٣) جعله في الكيس

فلويت عنه عذاري ، وأبدت له ازوراري ، فلما بصر بانقاضي ، وانجلى  
له إعراضي ، قال

يا صارفًا عني المودَّ      ة والزمان له صروف  
لا تلحني فيما اتيت      فاني بهم عروف  
ولقد نزلت بهم فلم      ارهم يراعون الضيوف  
ما فيهم الا مخيف      ان تمكن او مخوف  
ولكم بلغت بجيأتي      ما ليس يبلغ بالسيوف  
ووقفت في هول ترا      ع الاسد فيه من الوقوف  
ولكم سفكت وكم فتكت      وكم هتكت حمى أنوف  
لكني أعددتُ حسنًا      الظن بالمولى الرووف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لجَّ في الاستعبار ، والظن بالاستغفار ،  
حتى استمال هوى قلبي المخرف ، ورجوت له ما يرجى للمتترف المعترف ،  
ثم انه غيَّض دمه المنهل ، وتأبط جرابه وانسل ، وقال لابنه احتمل الباقي  
والله الواقي . قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية والحية ، وانتباه  
الداء الى الكية ، علمت ان تريثي بالخان ، مجلبة للهوان ، فضممت رحلي ،  
وجمعت للرحلة ذيلي ، وبتُّ ليلتي اسري الى الطيب ، واحتسب الله عليَّ  
الخطيب

ولو استعرضنا مقاماته واحدة واحدة لما وجدنا فيها ما في مقامات البديع  
من طرائف القصص ، وان هي الا مجموعة لغوية بلغ فيها اقصى ما يبلغه علماء  
الادب واللغة في كل زمان ، وقد ظلت زمناً طويلاً أنموذج الانشاء عند  
المتأدين ثم سقطت من مكانها بسقوط دولة السجع وشيوع النثر المطلق في  
جميع الدوائر الادبية الحديثة

وقد كان القصد ان نختتم كلامنا على المقامات بعرض مقامات اليازجي وشرح اسلوبها فان هؤلاء الثلاثة : بديع الزمان ، والحريري ، واليازجي هم أهم من جرى في هذا المضمار في كل تاريخ الادب . وتمتاز مقامات اليازجي الستون بحسن النظم وكثرة الفنون . وهي كمقامات الحريري بمجموعة لغوية تضم اوضاع اللغة وامثالها وشواردها ضمناً تقترن به المعرفة الواسعة بسلامة الطبع . وفي ذلك بقول واضعها<sup>(١)</sup> -

« وقد تحرّيت ان اجمع فيها ما استطعت من الفوائد والقواعد ،  
والغرائب والشوارد ، والامثال والحكم ، والقصص التي يجري بها القلم ،  
وتسعى لها القدم ، - الى غير ذلك من نواذر التركيب ، ومحاسن الاساليب  
والاسماء التي لا يعثر عليها الا بعد جهد التنقيب والتنقيب »  
ولا شك ان المقامات اليازجية تحفة فنية . ولو اتسع لنا المقام لحللناها  
تحليلاً وافياً على انها لا تختلف في اسلوبها العام عن مقامات الحريري ، فحسبنا  
الآن احالة القارئ اليها وهي سهلة المنال وقد صدق فيها من قال :-  
حواها مجمع البحرين لما جرت من جانب البحر الكبير

## فهرست المراجع القديمة

مبب زرينبها النارنجي

	القرآن
الدرّة اليتيمة نشر المكتبة المحمودية مصر (لاتارنج)	عبدالله بن المقفّع
امثال الضبي مطبعة الجوائب ١٣٠٠	المفضل الضبي
الموطأ مطبعة باب اللوق مصر ١٢٨٠	مالك بن انس
كتاب الطبقات ليدن ١٩١٧	ابن سعد
البيان والتبيين المطبعة العلية ١٣١١	الجاحظ
البيان والتبيين (س) نشر السندويي مصر ١٣٥١	=
رسائله نشر مطبعة التقدم مصر ١٣٢٤	=
الحاسن والاضداد مصر ١٣٣١	=
صحيح البخاري بولاق ١٢٩٦	البخاري
صحيح مسلم دار الطباعة الاسنانه ١٣٣٤	مسلم
فتوح البلدان ليدن ١٨٦٦	البلاذري
الكامل مصر ١٣٢٨	المبرّد
تاريخ الرسل والملوك ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١	الطبري
العقد الفريد بولاق ١٢٩٣	ابن عبد ربه
ادب الكتاب المطبعة السلفية مصر ١٣٤١	ابو بكر الصولي

- |   |                      |
|---|----------------------|
| التنبيه والاشراف ليدن ١٧٩٤                              | المسعودي             |
| مروج الذهب باريس ١٨٦١ - ١٨٧٦                            | //                   |
| كتاب الاغاني بولاق ١٢٨٥ . ودار الكتب                    | الاصهباني            |
| المصرية ١٩٢٧ - ١٩٢٩                                     |                      |
| الامالي بولاق ١٣٢٤                                      | القالي               |
| مسالك الممالك ليدن ١٩٢٧                                 | الاصطخري             |
| الموازنة مطبعة الجوائب ١٢٨٧                             | الامدي               |
| الفهرست ليزنك ١٨٧١                                      | ابن النديم           |
| رسائله المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠                   | بديع الزمان الهمذاني |
| مقاماته // // // ١٨٨٩                                   | //                   |
| كتاب الصناعتين مطبعة محمود بك الاستانة ١٣١٩             | العسكري              |
| عجاز القرآن مصر ١٣١٥                                    | الباقلاني            |
| كمال البلاغة المطبعة السلفية مصر ١٣٤١                   | قابوس بن وشمكير      |
| خمس رسائل مطبعة الجوائب ١٣٠١                            | الثعالبي             |
| بتيمة الدهر المطبعة الحنفية دمشق ١٣٠٣                   | //                   |
| المقابسات المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٩                    | ابو حيان التوحيدي    |
| رسائله اكسفورد ١٨٩٨                                     | المعري               |
| زهر الآداب المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٥                   | الحصري               |
| مقاماته المطبعة الادبية بيروت ١٨٨٦                      | الحريري              |
| مجمع الامثال وبهامشه جمهرة الامثال المطبعة الخيرية ١٣١٠ | الميداني             |
| المعرب ليزنك ١٨٦٧                                       | الجواليقي            |
| التاريخ الكبير مطبعة روضة الشام ١٣٢٩                    | ابن عساكر            |

- ياقوت  
معجم الادباء تحقيق مرغوليوث مطبعة هندية  
( الطبعة الثانية )  
معالم الكتابة بيروت ١٩١٣  
المثل السائر بولاق ١٢٨٢  
الوشي المرقوم مطبعة ثمرات الفنون ١٢٩٨  
تاريخ الحكماء ليزك ١٩٠٣  
شرح نهج البلاغة دار الكتب الكبرى مصر ١٣٢٩  
عنوان المرقصات والمطربات مصر ١٢٨٦  
وفيات الاعيان دار الطباعة المصرية مصر ١٢٧٥  
كتاب الفخري المطبعة الرحمانية مصر ١٣٤٠  
حسن التوسل في صناعة التوسل مطبعة هندية مصر ١٣١٥  
نهاية الارب دار الكتب المصرية ١٩٢٤  
تذكرة الحفاظ مطبعة المعارف النظامية حيدر اباد  
الصفدي (صلاح الدين) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم مصر ١٣٠٥  
ابن الخطيب الاحاطة في اخبار غرناطة (١ و ٢) مصر ١٣١٩  
بدر الدين الحلبي نسيم الصبا المطبعة الوطنية الاسكندرية ١٢٨٩  
ابن خلدون المقدمة . المطبعة الادبية بيروت ١٩٠٠  
القلقشندي صبح الاعشى المطبعة الاميرية مصر ١٩١٣-١٩١٨  
السيوطي الاتقان في علوم القرآن مطبعة عبدالرازق مصر ١٣٠٦  
المزهر مصر ١٢٨٢  
ابن الدبيع الشيباني تيسير الوصول الى جامع الاصول مصر ١٣٣٠

- نفع الطيب المطبعة الازهرية مصر ١٣٠٢ هـ  
 لبنان في عهد الامراء الشهابيين المطبعة الكاثوليكية  
 بيروت ١٩٣٣
- المقري  
 الامير حيدر

المراجع الحديثة

- كتاب الانس المفيد باريس ١٢١٤ هـ  
 Preston, Makamat al Hariri  
 London 1850
- دي ساني  
 برستون
- تاريخ آداب اللغة مصر ١٩١١ - ١٩١٤  
 اشهر الامثال المطبعة السلفية مصر ١٩١٩  
 انشاء العطار مطبعة الجوائب ١٢٩٩  
 الاصل والبيان مطبعة مصر الحرّة (لا تاريخ)  
 سلوان الشجي الجوائب ١٢٨٩  
 زاد المسلم دار احياء الكتب المصرية (لا تاريخ)  
 محررات سياسية مطبعة الصبر جونه ١٩١٠  
 Herschfeld, New Researches into the Com-  
 position and Exegesis of the Qur'an 1902  
 Guillaume, the Traditons of Islam  
 Oxford 1924
- زيدان  
 طاهر الجزائري  
 حسن العطار  
 حمزة فتح الله  
 مخايل عبد السيد  
 حبيب الله الجكني  
 الخازن  
 هرشفلد  
 غيوم
- الالفاظ الفارسية المعربة المطبعة الكاثوليكية  
 بيروت ١٩٠٨  
 اصول الالفاظ السامية رومية ١٩٠٨
- ادي شير  
 العنيسي



مجلة المنار الاسلامي

رشيد رضا

Nicholson, Literary Hist. of the  
Arabs 1930

نكلسون

دائرة المعارف البريطانية الطبعة الاخيرة

دائرة المعارف الاسلامية

ابن العميد دمشق ١٣٥٠

خليل مردم

الاصول العربية المطبعة الامير كانية ١٩٣٠-١٩٣٣

اسد رستم

النثر الفني في القرن الرابع مطبعة دار الكتب

زكي مبارك

المصرية ١٩٣٤

## فهرس محتويات الكتاب

الامثال القديمة ولغتها	٧٤	نظرة في السجع القديم	١
نخبة من الامثال	٨٢	قدمية النثر المطلق	٨
الانشاء في عصر الفنوح	٨٧	ادوار الرسائل النبوية	١٠-١٦
الجزالة	٨٨	صحة الرسائل	٢١
عدم التصنع	٨٩	لغتها واسلوبها	٢٤
الايجاز	٩٠	الاسلوب القرآني	٢٧
ما يتحفظ منه في نصوص هذا العصر	٩٩	لغته	٣٠
كتاب معاوية الى يزيد	١٠٠	غريبه	٣٣
رسالة ابي بكر الى علي	١٠٣	اسلوبه	٣٥
كتاب عبد الملك الى الحجاج	١٠٦	ظواهر بلاغته	٤١
امثلة من الخطب السياسية		الاحتباك	
١٠٩-١١١ خطب الامام علي		حسن الايقاع	٤٣
١١٢-١١٤ خطب الحجاج		روعة الانتقال	٤٤
١١٤ كلام الاحنف		جمال التمثيل	٤٦
١١٥ خطبة زياد		رأي نولد كه في اسلوبه	٤٨
١١٧ خطبة سعيد بن العاص		الحديث النبوي	٥٠
١١٧ خطبة عمرو بن سعيد		وضع الاحاديث	٥١
١١٨ خطبة يزيد بن الوليد		نقد الحديث	٥٣
١٢٠ الرسائل والوصايا		تطبيق احكام النقد عموماً	٥٧
١٢٠ كتاب عمر الى عمرو بن العاص		تطبيقها على الصحيحين	٦٠
١٢٠ محمد بن ابي بكر الى علي		احاديث يجوز قبولها	٦٩
١٢١ وصية معاوية ليزيد		اسلوب الحديث	٧٣

ترسل الجاهظ	١٧٦	زياد والحكم بن عمرو	١٢٢
مذهبه في البلاغة	١٧٩-١٨٢	كتاب الحجاج الى قطري	١٢٣-١٢٣
انشاؤه	١٨٦-١٨٢	كتاب المهلب الى الحارث	١٢٣
رسائله	١٨٧-١٩٦	كتاب سليمان الى الوليد	١٢٤
غرر اقواله	١٩٧-٢٠١	عهد معاوية وعمرو	١٢٤
نماذج من التوازن بعده	٢٠٢	رسالة هشام	١٢٥
الصولي	٢٠٣-٢٠٦	العظات الاخرى	١٢٨
الجرحاني	٢٠٧-٢٠٩	خطبة قطري	١٢٩
العسكري	٢٠٩-٢١٢	حكم الاحنف	١٢٩
التوحيدى	٢١٢-٢١٦	خطبة ابن حمزة	١٢٩
الثعالبي		ابن القربة	١٣٠
الاسلوب المسجع	١١٧	ابن الدرداء	١٣٠
السجع ومنزله عند القدماء	٢١٩	صفة الامام العادل	١٣١
السجع والبديع	٢٢١-٢٢٩	الاسلوب المتوازن	١٣٣
مواطنه	٢٢٩	النثر في اواخر العصر الاموي	١٢٥
الرسائل الديوانية	٢٣٠-٢٣٣	التوازن	١٣٨
الرسائل الديوانية بعد العصر	٢٣٤-٢٣٦	نماذج من الاسلوب المتوازن	١٤٠
العباسي		كتاب مهلب	١٤٢
امثلة منها في العهد العثماني	٢٣٧-٢٥١	اسلوب الحسن	١٤٣
المتأخر		احمد بن اسماعيل	١٤٤
نخبة من امراء الانشاء الديواني	٢٥٢	كتاب المعتصم	١٤٥
ابن العمير	٢٥٣	رسائل ابن المعتز	١٤٧
سعة معارفه	٢٥٦	الرسالة العذراء	١٥٠
منزله الادبيه والاجتماعية	٢٥٩	عبد الحميد الطائب	١٥٣
فنه الانشائي	٢٦١	رسائله واسلوبه	١٥٩-١٧٢
رسائله	٢٩٦-٢٧٣	مزايابه الانشائية	١٧٣

مفاخرة بين السيف والقلم	٣٤٨	الصالحى - نشأته	٢٧٤
في صيد الملك الناصر	٣٥١	نكبته	٢٧٩
وصف قصيدة	٣٥٣	اخلاقه	٢٨١
نظرة في هذه الرسائل	٣٥٥	اسلوبه ٢٩٣-٢٨٥	
الترسل الادبي في العصر العثماني	٣٥٩	نخب من رسائلها ٢٩٨-٢٩٣	
امثلة من القرن التاسع عشر	٣٦٦-٣٥٩	الفاضى الفاضل : نشأته	٢٩٩
امثلة من القرن التاسع عشر	٣٧٤-٣٦٦	اسلوبه ٣٠٩-٣٠٣	
المقامات واصل وضعها	٣٧٥-٣٧٨	نخب من رسائله ٣١٢-٣٠٩	
الاحاديث الدرديدية	٣٨١-٣٧٨	ابن الخطيب : نوطته تاريخية	٣١٣
منشؤ المقامات	٣٨٣-٣٨١	نشأته الادبية	٣١٨
بديع الزمان	٣٨٤	اسلوبه ٣٢٦-٣١٩	
احواله الشخصية	٣٩٠	المختار من رسائله ٣٣٤-٣٢٧	
مقاماته ومزايها	٤٠٢-٣٩٣	الرسائل الادبية	
الحريري	٠٠٠	نظرة عامة	٣٣٥
نوطته تاريخية	٤٠٣	الرسالة الاغريقية	٣٣٥
اسلوبه	٤٠٤	رسالة ابن زيدون	٣٣٧
مقاماته ومزايها	٤١٣-٤٠٦	رسالة النمى	٣٤٠
ذكر مقامات اليازجى	٤١٤	رسالة الشكر	٣٤٣

## فهرس الاعلام

	مرف الاف
ابن بدم ٣٣٦	آدم ١٨٦٦٦٦٦٤
ابن بلكا ٢٦٩	آسيا ٢٣٥
ابن التمار ٥٨	آش ٣١٤
ابن الجوزي ٣٨٣٦٥٣٦٥١٦٣٣	آل راهبون ١٨٥
ابن الحياب ٣١٨٦٣١٤	آل عمران (سورة) ٣٩٦٣٤
ابن حارثة (اوس) ٨٥	آمد ٤٠٦
ابن حبيب ٣٥٦	ابراهيم ٦٦٦٣٩٦١٥
ابن حجاج ٣٥٣	ابراهيم الاحدب ٣٨٢
ابن حجة الحموي ٢٣٥	ابراهيم باشا ٢٤٩
ابن حديد ٣٠٠	ابراهيم بن سيار ١٩٥
ابن حسان ١٢٧٦١١٠	ابراهيم بن عباس ١٧٦٦١٤٤
ابن حمزة ٢٥٧٦١٣٠	ابراهيم بيك ٢٤٣
ابن الخطيب (لسان الدين) ٢٥٢٦٢٣٤	ابراهيم الخوراني ٣٦٨
٦٣١٧٦٣١٥٦٣١٤٦٣١٣٦٢٦٤	ابن ابي حديد ١٠٤٦١٠٠
٣٢٥٦٣٢٠٦٣١٩	ابن ابي سرح ٣٢٥
ابن خلدون ٢٣٥٦٢٢٧٦٥١٦٢٨	ابن ابي الخصال ٣٤٦
٣١٨٦٣١٧٦٣١٥٦٣١٤٦٣١٣	ابن ابي يزيد ٣٢٦
ابن خلكان ١٥٣٦١٣٧٦٥٥٦٥١	ابن الاثير ٦٢٣٢٦٢٣١٦٢٢٠٦١٣٩
٢٥٤٦٢٣٤٦١٧٧٦١٥٥٦١٥٤	٦٢٨٧٦٢٨٦٦٢٨٥٦٢٥٢
٢٩٩٦٢٨١٦٢٢٧٦٢٢٦٠٦٢٥٩	٣٠٦٦٢٩٩٦٢٨٩٦٢٨٨
٤٠٨٦٣٨٤٦٣٠٠	ابن الاحمر ٣٢٠
ابن دريد ٣٨٠٦٣٧٩٦٣٧٧٦٣٠	ابن اسحق (سيرته) ١٥
٣٩٣٦٣٨١	ابن الاشر كوفي ٣٨٢
ابن راهويه ٥٢	ابن اباس ٢٣٥
ابن الزبير ٨٩٦٨٨	

ابن كيسان (صالح) ٦٢	ابن زمرك ٣١٧
ابن لسان الدين ٣١٨	ابن زيدون ٣٤٠
ابن ماجه ٦١	ابن الساعاتي ٣٠٠
ابن الماحوز ١٢٣	ابن سعد ٦١٤٦١١٤٦٢٦٢٧٦١٤٦١١
ابن مالك (انس) ١٠٧٦١٠٦	٩٦
ابن مامة (كعب) ٧٩٦٧٨	ابن سعيد ٢٧١
ابن المدير ١٧٦٦١٥٠٦١٣٧	ابن سلام ٣٣
ابن مرزوق ٣١٨٤٣١٥٦٣١٤	ابن شداد (اوس) ٩١
ابن المعتز ١٤٧	ابن شبيب ٣٣٥
ابن معصوم ٣٣٦	ابن بشر ٣٤٥
ابن المقفع ١٥٦٦١٥٥٦١٥٤٦٩٠	ابن الطقطقي ٣٧٧٦٢٣٤
٣٥٥٦١٨٥	ابن عباس ٧٣٦٦٥٦٥٣٦٣٣
ابن ميكال ٣٩١	ابن عبدربه ٢٣٣٦١٥٥٦١٥٤
ابن نباتة ٤٠٧٦٣٥٠٦٣٤٢٦٢٥٢	ابن عبدوس ٣٤٠
ابن النديم ١٥٥٦١٥٣٦٩٩٦٩٨٦٢٧	ابن عربشاه ٢٣٥٦٧٩
١٥٩٦١٥٦	ابن عساكر ٥٩٦٥٨٦٧
ابن نصر المصري ٣٨٢	ابن عمر ٦٢٦٦٠٦٥٨
ابن هند ٨٩	ابن العميد ٢١١٦٢١٠٦١٧٧٦١٤٠
ابو اسحق ٢٧٧	٢٥٨٦٢٥٧٦٢٥٦٢٥٤٦٢٥٣٦٢٥٢
ابو بكر ١٠٣٦٩٧٦٦١٦٢٨٦٢٧	٢٨٥٦٢٧١٦٢٦٢٦٢٦١٦٢٦٠٦٢٥٩
٢١٢٦١٠٤	٣٠٢٦٣٠١٦٢٩١٦٢٨٦
ابو بكر بن شيرين ٣١٨	ابن فارس ٣٨٤٦٣٧٦٦٢١٥٦٣٣
ابو تغلب ٢٨٣	ابن فهد ٢٣٤
ابو تمام (حبيب بن اوس) ٦٣٤٥	ابن قتيبة ٣٧٨٦٣٧٧٦٣٧٦٦٥٠٦٤٠
٣٥٦٦٣٥٥	ابن القرية ١٣٠
ابو حامد ١٠٣	ابن القطان (بيحي) ٥٢
ابو الحجاج ٣١٤	ابن الكلبي ٣٧٩
ابو الحسن ٢٧٤	ابن كمال باشا ٣٧٢

- ابو الحسن البصري ٢١٣  
 ابو الحسن العامري ٢٥٨  
 ابو الحسن علي بن القاسم ٢٥٨  
 ابو الحكيم الرندي ٣١٨  
 ابو حنيفة ١٧٧٦٥١  
 بو حيان ٣٠  
 ابو خلف ١٧٨  
 ابو داود ٥٦١  
 ابو الدرداء ١٣١  
 ابو ذؤيب ٨٠  
 ابو الزناد ٦١  
 ابو زيد ٦٣٩٦٦٣٩٥٦٣٩٤  
 ابو زيد الانصاري ١٧٦  
 ابو زيد السروجي ٤١٢٦٤١١٦٤٠٧  
 ابو سالم ٣١٤  
 ابو سفيان ٩٣٦٨٠  
 ابو العباس احمد بن الحسين ٢٧٧  
 ابو العباس (السلطان) ٣١٧  
 ابو عبدالله ٣٢٤٣١٢  
 ابو عبدالله الحسين ٢٥٣  
 ابو عبيد ٣٩٦٦٣٩٤  
 ابو عبيدة ٦٩٩٦٨٠٦٧٩٦٦٩٦٣٣٦٣٠  
 ١٠٥٦١٠٣٦١٧٦  
 ابو العلاء السروري ٢٦٦  
 ابو العلاء المعري ٣٣٧٦٣٣٥  
 ابو عمر الزاهد ٣٠  
 ابو عمر (بن العلاء) ٩٩  
 ابو عمر (بن عمار) ٩٩  
 ابو غنان (السلطان) ٣٢٨  
 ابو العباس ٤٠٢٦٤٠٠  
 ابو عيسى (ابن الرشيد) ١٣٦  
 ابو الغنائم ٢٧٦  
 ابو الفتح الاسكندري ٣٩٦٦٣٩٤٦٣٩٣  
 ٣٩٩  
 ابو فراس ٢١٣  
 ابو الفرج (الاصهاني) ١٧٦  
 ابو الفضل الميكالي ٢٦١  
 ابو القاسم الاصبهاني ٣٨٩٦٢٥٨٦٢١٣  
 ابو القاسم الحسين بن علي المغربي ٣٣٧  
 ابو القاسم القصباني ٤٠٣  
 ابو حمد جعفر بن شعيب ٢٧٧  
 ابو منصور سعيد بن احمد ٢٨١  
 ابونا بارتة ٢٤٣  
 ابو نصر سهل بن المرزبان ٣٨٥٦٢٨١  
 ابو نواس ٤٠٠  
 ابو الهذيل ١٧٧  
 ابو هريرة ٦٥٦٦٢٦٥٩٦٥٤٦٥٢  
 ابي بن كعب ٢٧٦١٥  
 الاتراك ٢٨٧  
 الاثقان (كتاب) ٦٣٣٦٣٠٦٢٩٦٢٧  
 ٤٦٦٣٦٦٣٥٦٣٤  
 لانليدي ٣٣٦  
 الاحاطة (كتاب) ٣٢٥٦٣١٨٦٣١٧٦٣١٤  
 احد (جبل) ٢٥٦٢٤  
 الاحزاب (يوم) ٧١  
 الاحصن (مكان) ٧٩

- اسف ( ثغر ) ٢٤٥  
 الاسكندر ٣٤١٦٢٥٩  
 اسكندرية ٤٠٩٦٣٠٠٠٦١٢٠٦٢١  
 اسلام ٦٧٣٦٧٠٦٦٩٦٥٦٦٥٣٦٥٢٦٦  
 ٩٨٦٩٧٦٩٥٦٩٢٦٩٠٦٨٨٦٨٧٦٧٤  
 ١٣٥٦١٢٥٦١٢٠٦١١٥٦١٠٨٦١٠٥  
 ٦٢٨٣٦٢٨١ ٦٢٥٨ ٦٢٢٨ ٦٢١٩  
 ٦٣٣٣ ٦٣٣١ ٦٣٢٦ ٦٣٠٨ ٦٣٠٧  
 ٣٦١ ٦٣٤٨  
 اسماعيل باشا ٢٤٩  
 الاسماعيلية ٣٨٤٦٢١٥  
 الاشرف ( الملك ) ٢٢٦  
 الاشعري ( ابو موسى ) ١١٥٦١١٤  
 اشهر الامثال ( كتاب ) ٧٨٦٧٦  
 اصبهان ٢٥٥٦٢٥٤  
 الاصطخري ١٥٣  
 الاصل والبيان ( كتاب ) ٣٤  
 الاصمعي ٦١٧٦٦١٠٠٠٦٨٢٦٧٩٦٧٨  
 ١٩٢  
 الاصول التاريخية ( كتاب ) ٢٣٦  
 اعجاز القرآن ١٨٤٦٣٦  
 أعراب ٣٨٦٦١٨٣٦٩٩٦٩٢  
 الاعشى ٣٥٥  
 اعلام الناس ( كتاب ) ٣٣٦  
 الاغريضية ( رسالة ) ٣٣٧  
 الاغلب ٣٢٥  
 افريقية ٣١٩  
 الافشين ١٤٧٦١٤٥
- احكام الرأي ( كتاب ) ٤٣  
 احمد ( مسند ) ٦٠٦٥٩  
 احمد البربير ٣٨٢  
 احمد بن الحسين ٢١٤  
 احمد خان ٢٣٩  
 احمد رافع ٣٧٠  
 الاحمدية ٢٤٣  
 الاحنف ١٩٢٦١٣٥٦١٢٩٦١١٥٦١١٤  
 اخبار الحكماء ( كتاب ) ٢٨١٦٢٧٥  
 اخبار مكة ( كتاب ) ١٠  
 الاخفش ١٧٦  
 ادب الجاحظ ( كتاب ) ١٧٨  
 ادب الكتاب ٥٠٤٤٠  
 ادب الكتاب ١٣٧٦١٣٦٦٩٨٦٤٠٦٢٧  
 ٢٠٢٦١٤٠٦  
 اذريجان ٢٥٥  
 ارسطاطالس ٢٦٨٦٢٥٨٦١٩٥  
 الارشاد ( كتاب ) ٣٠  
 الارقم ١٦  
 ازدشنة ٣٢٦٣١  
 ازدشير ٣٤١  
 الازهرية ٢٤٣  
 الاستانة ٤٠٤٦١٥٥  
 اسحق ١٤٥٦١٤١٦١٤٠٦١٣٧٦١٥  
 اسد ١٢٧  
 اسد بن عبد العزى ١٢  
 اسدرستم ٢٤٩٦٢٣٦  
 اسرائيل ( بنو ) ٤٥٦٤٠



الانعام (سورة) ٣٤  
 الانس المفيد (كتاب) ٦٢٤٤٦٢٣٦  
 ٢٤٨٦٢٤٦  
 الاهواز ٢٩٥  
 الاوزاعي ٧  
 اوس (بن شداد) ٩١  
 اباس ١٨٢  
 الابوية (الدولة) ٢٥٢

## مرف الباء

باب النصر (مكان) ٢٤٣  
 بابك ١٤٦٦١٤٥  
 الباقلافي ١٨٤٦١٨٣٦٣٣  
 البيضا ٢٦٦٦٢٥٢  
 بجيلة ١٢٦  
 البحري ٢٠٤  
 البحرين ٢١  
 البخاري (شخص - صحيح) ٥١٦٢٨  
 ٦٧٦٦٦٦٥٦٦٤٦٦٣٦٦١  
 ٧٣٦٧٢٦٦٩  
 بخارى ٢٨١  
 بختيار ٢٨١٦٢٧٩٦٢٧٥  
 بدائع الزهور (كتاب) ٢٣٥  
 بديع الزمان (المعذاني) ٢٦١٦٢١٤  
 ٣٧٧٦٣٧٦٦٣٧٥٦٣٣٥٦٢٩١

الافغان ٣٨٩  
 افلاطون ٢٦٨٦١٩٥  
 الاقصى (مسجد) ٣٢٢  
 اكثم صيفي ٨٤  
 الاكراد ٢٨٣  
 اكيدر ١٩  
 الالفي ٢٤٣  
 الامالي (كتاب) ٦١١٧٦٩٠٦٥٦٤٤٢  
 ٦١٤٥٦١٤٣٦١٣٥٦١٢٤٦٣٥٦١٢٩  
 ٣٨٠٦٣٧٩  
 امرو القيس ٣٥٥٦٧٥  
 ام مروان ٨٩  
 الامير حيدر (تاريخ) ٦٢٣٨٦٢٣٦  
 ٣٦٥٦٢٤٢٦٢٤٠٦٢٣٩  
 الامين ١٣٦  
 امية (امويون الدولة العصر بنو) ٦٤٦٣  
 ٩٨٦٩٥٦٨٨٦٧٦٧٦٢٦٠٦٥٥٦٥٣  
 ١٥٤٦١٥٣٦١٣٥٦١١٢٦١٠٧٦٩٩  
 ٣٧٧٦١٥٩٦١٥٨  
 الانبار ١٥٤٦١٥٣٦١٠٩  
 الانباري ٤٠٣٦١٧٧٦٣٠  
 الانبياء (سورة) ١٠  
 الانجيل ٣٦٨٦٧٨٦٤٢٦٣٩  
 اندلس ٢٦١٦٢٥٢٦٢٣٤٦١٧٨٦١٧٧  
 ٣٢٨٦٣٢١٦٣١٩٦٣١٨٦٣١٧٦٣١٤  
 الانسان (سورة) ٣٥  
 انشاء العطار (كتاب) ٣٧٣٦٣٧١  
 الانصار ٢٢٠٢٠٠٦١٣٠٦١٠٤٦٦٦٦٤

بنو اسد ٧١	٣٩٣٦٣٩١٦٣٨٩٦٣٨٣٦٣٨١٦٣٧٨
بنو بويه ٢٥٢	٤١٤٦٤١٣٦٤٠٨٦٤٠٤٦٣٩٨٦٣٩٤
بنو الجرزم ١٤	٢٣٦ البديعي
بنو الحارث ٢٠٦١٢	١٢ بديل
بنو الخطيب ٣١٣	٨٤ براقش
بنو رثام ٢	٣٠٩ بردويل
بنو الربعة ١٢	٤٠٨ برستون
بنو زهرة ١٢	٤٠٨٦٣٧٧ بروكان
بنو سدوس ٣٣٩	١٢ بسر
بنو صنهاج ٣٢٦	٣٩٩ البسوس
بنو ضمرة ١٢	١١٤٦١١٣٦٩٧٦٩٢٦٦ البصرة
بنو عبد شمس ١٠٠	٤٠١٦٢١٣٦١٧٧٦١٧٦٦١١٥
بنو عبد الظاهر ٢٢٦	٤٠٧
بنو عبد المدان ٣٣٩	٢٥٩ بطليموس
بنو عبد مناف ٣٦٣	٣٢٦ بطن عاقل
بنو عمرو ١٢	٤١٢ البطيحة
بنو عمير ٣٣٨	٦١٤٠٦١٠٣٦٦٧ بغداد (مدينة السلام)
بنو عاديا ٢٦	٢٧٩٦٢٥٨٦٢٥٢٦٢٤٦٦١٧٧٦١٧٦
بنو غفار ١٢	٤٠١٦٣٩٤٦٣١٠٦٣٠٣٦٢٩٦٦٢٨٥
بنو كرز ٧٨	٤٦٦٤٥٦٣٩٦٩ البقرة (سورة)
بنو مرين ٣٣٠	٣٦٧ بكرزاده
بنو نهد ٢٣	٢٤٣ البكرية
بنو هاشم ١٩٩٦١٠٢٦١٠٠٦١٢	١٩٦١٠ البلاذري (شخص) (كتاب)
بنو الوزير ٣١٣	٢٧
بنو يعقوب ٥٨	٤٠١ بلال
بهرام ٣٦٠	٥٧ البلخي
البهلول ٣٦٥	٢٤٠٦٢٣٩ البندقية
	٣١٣ بنو الاحمر

التعريف بالمصطلح الشريف ٢٣٣	البهقي ٢٩
تأمان ٣٢٩٤٣٢٨٤٣١٧	بولص (دينار خان) ٢٤٠
التنبيه والاشراف (كتاب) ١٨٥	البيان والتبيين (كتاب) ٦٤٤٦٦١
تهامة ٣٨٥٤٨٢٦٢٤٤٦١٧٦١٢	١٠٩٦١٠٧٤٩٢٦٩١٦٩٠٦٧٨
التوبة (سورة) ٠٨	١٢٣٦١٢١٦١١٨٦١١٥٦١١٢
التوحيد (ابوحيان) ٢١١٦١٠٦٢٠٩	١٨٢٦١٨١٦١٨٠٦١٧٩٦١٥٠
٢٦١٦٢٥٩٦٢٥٤	١٩٨٦١٨٧٦١٨٤٦١٨٣
التوراة ٣٦٨٦٨٦٤٦٤٦٤٢٦٣٩	بيت المقدس ١٢٤
تيسير الوصول (كتاب) ٥٩	بيسان ٢٩٩
تيم بن مرة ١٢	
التين (سورة) ٣	

## حرف التاء

ثابت (بن شماس) ١٩
ثابت بن قرة ١٧٦
الثريا ٣٦٠
الثعالبي ٢٥٣٦٢٥٢٦٢٢٩٦٢١٢٦٩١
٢٨١٦٢٧٩٦٢٧٧٦٢٦٩٦٢٥٩
٣٩١٦٣٩٠٦٣٨٩٦٣٨٤٦٢٨٥

ثعلب ١٢٤

ثقيف ١٦

ثمود ٩٥

ثهلان ١٩٩

## حرف الجيم

الجاحظ ١٣١٦٩٦٦٩١٦٦٤٦٢٦١
١٧٨٦١٧٧٦١٧٦٦١٥٠٦٦١٤٣
١٨٧٦١٨٦٦١٨٥٦١٨٤٦١٨٢

## حرف الناء

التابعي ٩٥٦٦٧
تاج العروس (كتاب) ٢٣٦
التاجي (كتاب) ٢٥٣
تاريخ آداب اللغة ٦٣٢٧٦٣١٨٦١٥٣
٣٧٦

تبوك ٥٧٦١٧٦١٦٦١١

تجارب الامم (كتاب) ٢٥٦٦٢٥٤

٢٦٠٦٢٥٨٦٢٥٧

التجريد الصريح (كتاب) ٦٨

تذكرة الحفاظ (كتاب) ٦٦١٦٥١٦٢٧

٦٢

تراجم الاعيان ٢٣٥

التربيع والتدوير (رسالة) ١٩٠

تركيا ٢٤٤

الترمذي ٦١

الجلندي (ابن بنو) ١٥٦١٤	٢٥٩٦٢١٠٦٢٠٢٦١٩٥٦١٩٠
جناح ١٥٤	٣٢٣٦٢٨٦
الجنة ١٧٢٦٦٦٦٦٤٦٦٣٦٦٠٦٥٨	جامع الاصول (كتاب) ٥١
٣٩٧٦٣٤١	جامع الجوامع (كتاب) ٥١
جهينة ٨٣٦٧٥٦١٤٦١٢	الجامعة الايركية في بيروت ٣٠٢
الجواليقي ٣٤٦٣٣	الجاهلية ١١١٦١٠٥٦٩٩٦٧٤٦٢٦١
الجوزاء ٣٦٠	٣٧٧٦٢٥٨٦٢١٩٦٢٠٩٦١٥٨٦١١٦
جوين ٨٣	جبريل ٧٢
جيتان ٣٢١	الجبرية ٦٤٩٥٩٦٥٥
الجزيرة ٣٥١	جبله بن الابهيم ٢٧٧
جيفر ١٥	جشم ٣٢
جيلان ٤٠٠	جدة ٢٤٨
	جذام ١٠٩٦٣٢
عرف الماء	جذيمة ٨٥
حاء (قبيلة) ٩٢	جرجان ٣٨٦٦٣٨٥٦٣٨٤٦٢١٥
حاتم ٤٠٦٣٠١	جرحم ٣٢
حاجي خليفة ٢٣٥	جرير ٤٠٠٦٣٥٥٦٣٢٥٦٢٠٤٦٩٩
الحارث ٤١٢٦٣٤٣	الجزائر ١٣٨٦١٣٧
الحارث بن عبد الله ٢٣	الجزيرة ٧٧
الحارث بن عمر الكندي ٨٢	جساس ٧٩
الحارث بن عبد كلال ١٧	جشم ١٣٨
الحارث بن همام ٤١١٦٤١٠٦٤٠٩٦٤٠٨	جعفر بن يحيى ١٨٩٦١٨٦٦١٨٥٦١٣٦
حافظ ابراهيم ٣٨٣	٢١٩٠
الحافظ الفاطمي ٢٩٩	جعفر الهباوة ٣٢٦
الحاقه (سورة) ٣٧٤٢	جمادى ٩٦
الحجاج ٦١٠٧٦١٠٦٦١٠٠٦٩٨٦٧٨	جمع التفسير (كتاب) ٣٦٨
٦١٢٢٦١١٤٦١١٣٦١١٢٦١٠٨	جمهرة الامثال (كتاب) ٧٤
٣٢٣٦١٢٥٦١٢٣	جميل ٢٠٤

- الحجاز ٤٠١٦٢٠٤٦١٢١٤٩٣٦٢٤  
 الحديبية ٢٢٦١٣  
 الحديث ٦١٦٥٦٦٥٥٦٥٣٦٥١٦٥٠٦١١  
 حليمة (يوم) ٨٤  
 الحماسة (كتاب) ٣٧٣٦٢٤١٦٢٢٠٦٧٥٦٦٤٦٦٢  
 حمزة فتح الله ٣٦٩٦٣٤  
 حصص ١٤٤  
 حمزة الدوسي ٣٧٦٦٣٧٥٦٣٧٢٦٢٩١  
 حمير ٣٨٠٦٦٠٦٥٩٦٣١٦١٧  
 حنيفة ٣٢  
 حنين ٣٤١٦٨٣٦٧١  
 الحواري ٢٠٠  
 حيدر بن كاوس ١٤٧  
 الحيوان (كتاب) ١٨٣٦١٧٨
- حسان ٣٥٤٦٢٧٧٦٦٩  
 الحسن البصري ١٧٧٦١٣٥٦١٣١  
 الحسن البوريني ٢٣٥  
 الحسن بن مهمل ١٤٣  
 الحسن بن عمر التغلبي ١٣٨  
 الحسن بن علي ١٣٥  
 حسن التومل (كتاب) ٢٣٣٦٢٣٠  
 حسين (بن علي) ١٢١  
 الحصري ٣٩٣٦٣٧٨  
 حصين ٧٥  
 حضرموت ٣٢٦٢٠  
 حفصة ٢٨  
 حفي ناصف ٣٧٠٦٣٦٩  
 الحكم (ابن عمر) ١٢٢  
 حكم (قبيلة) ٩٢  
 حلب ٢٣٩  
 حلبة الكميت (كتاب) ٢٣٥  
 الحلبي (بدر الدين) ٣٥٥  
 الحلبي (شهاب الدين) ٣٥٠٦٢٣٣
- خارف ١٨  
 خالد (بن سعيد) ٢٠٦١٦  
 خالد (بن صفوان) ١٥١٦١٣١  
 خالد (بن عبد الله) ١٢٥  
 خالد (بن الوليد) ٨٤٦١٩  
 خالد (بن يزيد) ٩٩٦٩٣  
 الخديوي ٣٦٧  
 خراسان (الخراسانيون) ٦١١٤٦٩١٦٥٨  
 ٢٥٣٦٢١٥٦١٨٨١٤٠٦١٢٧٦١٢٢  
 ٤٠٠٦٣٨٩٦٣٨٥٦٢٧٤٦٢٥٨٦٢٥٦  
 الخريفة (كتاب) ٤٠٣٦٢٢٩  
 الخزاعي ٣  
 الخشنامي ٣٨٩٦٢١٥

دومة ١٩  
دون حاكم (الملك) ٢٢٦  
دي سامي ٤٠٧٦٢٤٤٦٢٣٦  
الديلم ٢٧٩٦٢٥٥٦٢٥٤  
الدينوري ٩٥

مرف الذال

الذخيرة (كتاب) ٣٣٦  
الذهبي ٥١٦٢٧  
ذو الرمة ٢٥٣٦٢٠٤  
ذوقار (يوم) ٣٢٦  
ذو يزن ١٢٦

مرف الرا

الرازي ٤٠٧٦٣٨٢  
الراشدون (الخلفاء العصر) ١٥٨٦٩٨٦٦  
الرافعي ٢٤٩  
الراغب ٣٠  
ربيعة ٣٧٩٦٦٣٦٢٥  
الرحمن (سورة) ٣٤  
الرزبلي (على مرسي) ٢٤٥  
رزين ١٢٦  
رسالة الشكر ٣٤٦  
رسالة الغفران ٣٤٠  
رسطاليس ٢٥٩  
الرشيد ٣٢٣٦١٨٦٦١٣٧  
الزعد (سورة) ٤٧  
الرفاعية ٢٤٣

الخصوية ٢٤٣  
الخفاجي ٣٨٢٦٢٣٥٦٢٩٦٢٣  
خلاصة الاثر (كتاب) ٢٣٦  
الخلافة ٤٠٣٦١٨٩٦١٧٦٦١٦٣  
خلفان بن محمد ٢٤٧  
خمس رسائل (كتاب) ٩٢٦٩١  
خنافر (الحميري) ٤  
الخندق (واقعة) ١١  
الخوارج ١٢٣٦١٠٨٦٩٨٦٧٦٥٥٥٦٢٩  
الخوارزمي ٦٣٣٥٦٢٦١٦٢٥٢٤١١٤  
٣٩١٦٣٨٩٦٣٨٨٣٦٣٨٧  
خير ٥٧

مرف الدال

دائرة المعارف ٣١٨٦٣١٤٦٩٦٦٤٨٦٢٩  
٤٠٨٦٣٧٧  
داحس والغبراء (حرب) ٣٢٦  
دارا ٣٣٢  
دار الكتب المصرية ٣٨٢٦٩٥  
الدموراثية ٢٤٣  
دانتني ٣٧١  
داود ٣٦٨٦٣٦٦٦٦٨  
دجلة ٣٦٢  
دحية ١٩  
درة الفواص (كتاب) ٤٠٤٦٣٧٢  
الدرة اليتيمة ١٥٦  
الدمستق ٣٤١٦٢٨٣  
دمشق ٣١٩  
دوق تسكانا ٢٤٤

الزحشري ٣٨٠٦٢٨	الرقعة (بلدة) ١٥٤٦١٥٣
الزمر (سورة) ٤٢٦٣٣	ركن الدولة البوبعي ٢٥٥٦٢٥٤٦٢٥٣
زهر الاداب (كتاب) ١٤٩٦١٤٨٦١٤٧	٢٨٧٦٢٨٣٦٢٦٩٦٢٥٧٦٢٥٦
٢٧٢٦٢٦٨٦٢٦٥٦٢٦٤٦٢٦٦١٩٩	الروماني ١٣٩
٣٩٣٦٣٨٧٦٣٧٨	رم ١٣٨
الزهرة ١٩٢	روح بن زنباع ١٠٩
الزهري (شخص) ٦٢٦٦١	روح بن حاتم ٣٢٥
زهير ٢٨٣	روزبهان ٢٩٥
زيادة الله ٣٢٥	روضة التعريف (كتاب) ١٣٧
زيد بن ابيه ١٢٩٦١٢٢٦١١٥	الروم ٦٣٣٠٦٣٢٥٦٢٨٤٦٢٨٣٦٩٤
زيد ٣٧١٦٢٨٦٢٧	٣٤١٦٣٣٨
زيدان ٣٧٦٦٣٢٧٦٣١٨٦١٥٣	الري (بلدة) ٢٥٧٦٢٥٤
	ريحانة الالباء (كتاب) ٣٨٢٦٢٢٩
	ريحانة الكتاب (كتاب) ٣٢٧

## مرف السبع

سارة ٦٨
سالم ١٥٤
سبا ٨٦٦٣٣
سبكتكين ٢٨٥
سبيع بن الحرث ٣٧٩
سجستان ٤٠٠٦٣٨٩٦٢١٥٦١١٤
سحبان ٤٠٠٦١٧٧٦٥٦٣٦٢
السركار ٢٤٧
سرم رأى (بلدة) ١٥٥
سعد ٣٦٩٦١١٦٦٣٢٦١٨
سعدى ٣
السعدي ٣٣٩
سعيد ١١٦٦٨٢
سعيد بن العاص ١١٧٦٢٨

## مرف الزاي

زاد المسلم (كتاب) ٦٩٦٦٦٦٥٦٦٤
٧٣٦٧٢٦٧١٦٧٠
زبراء ٥٥٦٢
الزبور ٣٦٨
زيدة ١٧٨
الزيدي ٢٣٦٦٦٨
الزبير ٩٧٦٩٣٦٩٢
الزخرف (سورة) ٣٥
زرزور (علم) ١٩٣
زكريا بن زهر ٣١٨
زكي مبارك ٣٩٤٦٣٧٨٦٢١٠٦١٥
٣٩٨

الشريشي ٤٠٧	سفيان ١٠٩٦٥٢
الشريف الرضي ٢٧٦	سقر ٣٤٢
شصار ٤	السكاكي ٤١
شعب جبلة (يوم) ٣٢٦	السلار ٢٥٥٦٢٥٤
شعبة ٥٢	سلافة العصر (كتاب) ٣٣٦
الشعراء (سورة) ٣٤	سلام ١٧٨
الشعر والشعراء (كتاب) ٣٧٦	سليم ٢٣٨٦٢٣٧٦٣٣
الشعوية ٦٧٦٥٨	سليمان ٣٠٤٦١٥٤٦١٢٤٦١٠٨٦٩٣
شفاء الغليل (كتاب) ٢٣٥٦٣٥	سلك الدرر (كتاب) ٢٣٦٦٢٢٩
الشمس (سورة) ١٩٢٦٣	السماء ٥٨
شمس الدين ٣٨٢٦٢٣٥٦٤٣	السماعي ٥٢
الشمع الحلي ٤٠٦	السند ٤٠٠
الشهاب الالومي ٣٨٢	السندوبي (حسن) ٢٠٩٦١٧٨٦١٠٤
الثوري (سورة) ٤٢	سهل بن هرون ١٨٥٦١٨٤٦١٤٣٦١٤٢
الثيباني ٢٣٣	١٨٩٦١٨٦
ثيروه بن شهر دار ٣٨٤	مهيل بن عمرو ٢٢٦١٣
الثبعة ٣٢٥٦٥٥٦٢٩	سوريا ٢٤٩٦٢٤٤

## حرف الصاد

ص (سورة) ٣٤
الصابي (ابو اسحق) ٢٦١٦٢٥٣٦٢٥٢
٢٧٩ ٦٢٧٨ ٦٢٧٦ ٦٢٧٥ ٦٢٧٤
٢٨٤٦ ٢٨٣٦ ٢٨٢٦ ٢٨١٦ ٢٨٠
٢٨٩٦ ٢٨٨٦ ٢٨٧٦ ٢٨٦٦ ٢٨٥
٣٠٢ ٦٢٩٥ ٦٢٩٣ ٦٢٩١ ٦٢٩٠
٢٦١٦٢٦٠ ٦٢٥٤٦٢٥٢٦٢١٥ صاحب
٢٩١٦٢٨٦٦٢٨٥٦٢٨٠ ٦٢٧٧٦٦٢٦٤
٣٨٤٦٣٠٢٦٣٠١

السيوطي ٦٥١٦٤٦٦٣٦٦٣٠٦٢٩٦٢٧
٣٨٣٦٧٤
سيف الدولة ٢٧٨٦٢٦٠

## حرف الشين

الشافعي ٣٣
الشام (الثامية) ٦١١٤٦٩٧٦٩٣٦٨
٣٥٠٦٣٣٠ ٦٢٣٤٢٢٦٦١٥٤٦١٣١
شبيب ١٨٢٦١٨١٦٧٩
الشرق ٢٢٨



الصناعتين (كتاب) ٨٩٦٤٠٦٢٠٦١٩

٢٠٧٦١٥٥٦١٣٩٦١٣٨٦١٣٥٦٩٤

٢٢٨٦ ٢١٩٦٢٠٨

الصولي ٩٨٦٢٧

صيدا ٣٦٨٦٢٣٧

## مرف الضاد

الضي (ابو حمزة) ١٨٣

الضي (المفضل) ٦٧٩٦٧٧٦٧٥

الضحاك ١٦٨٦١٢١

## مرف الطاء

الطائع ٢٩٣٦٢٨٩٦٢٧٩

الطائف ٤٠١٤١٠٧٤٩٤٦١٥

طاش كبري زاده ٣٠٠٦٢٣٥

طاهر بن الحسين ٢٣٢٦٢٣١٦١٣٧٦١٣٦

طبرستان ٤٠٠

الطبري (شخص . تاريخ) ١٥٦١٣٦١٠

١١٧٦٩٦٦٣٣٦٢٢٦٢١٦٢٠٦٦١٧

٤٠٣٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣٦١٢٠

الطبقات (كتاب) ٦١٦٦١٤٦١٢٦١١

١٤٤٦٢٦٢٧٦٢٦٢٥٦٢٢٦١٩٦١٨

طبقات الادباء ٤٠٤٤٤٠٣

طراز المجالس ٢٣٥

طرفة ٧٥

طلحة ٩٧٤٩٣

طنطا ٣٦٧

طه (سورة) ٤٥٦٣٥

الصادقة (صحيفة) ٦٢

صبح الاعشى ١٨٦١٥٦١٤٦١١٦٥٦١

٨٨٦٨٧٦٥٠٦٢٤٦٢٣٦٢١٦٢٠٦١٩

٦١٠٦٦١٠٣٦١٠٠٦٩٦٦٩٥٦٩٤

١٤٥٦١٤٣٦١٤٢٦١٣٩٦١٢٨٦١٠٧

٦١٦١٦١٦٠٦١٥٧٦١٤٨٦١٤٦

٦٢٢٦٦٢٢١٦١٨٧٦١٧٣٦١٦٨

٦٣٠٣٦٢٩٦٦٢٣٥٦٢٣٣٦٢٣٢

٦٣١٠٦٣٠٩٦٣٠٧٦٣٠٦٦٣٠٤

٦٣٣٦٣٢٨٦٣٢٦٦٢٢٥٦٢٢٠

٣٧٥٦٣٥٣٦٣٥١٦٣٥٠

الصبح المنبي (كتاب) ٢٣٦

الصحابة ٦٩٥٦٨٦٦٧٦٦٠٦٥٣٦٥١

٩٩

الصحيح (الصحيحان) ٦٧٦٦٢٦٥١

٧١

الصيخرة (بلدة) ٤٠٠

صخر بن نهشل ٨٢

الصدر الاعظم ٢٤١

الصديق ٢٠٠

الصراط ٣٩٧

صفد ٢٣٤

الصفدي ٣٥٦٦٤٥

صفين (يوم) ١٢٦

صلاح الدين ٣٠٦٦٣٠٣٦٣٠١٦٣٠٠

٣١٠٦٣٠٩٦٣٠٧

الصصامة ٣٤٢

عبد الرازق البيطار ٣٣٦  
 عبد العزيز ٣١٧  
 عبدالله ٢٨٦١٩  
 عبدالله باشا فكري ٣٨٣  
 عبدالله بن احمد ١٣٧  
 عبدالله بن جعفر ١٧٦  
 عبدالله بن الزبير ١٢١٦٨٩  
 عبدالله بن سالم ٢٥  
 عبدالله بن سليمان ١٤٨  
 عبدالله بن عباس ٤٠٠٦٩٢  
 عبدالله بن مروان ١٦٨٦١٦١  
 عبدالله بن عمر ١٢١  
 عبدالله بن طاهر ١٤٠٦١٣٨٦١٣٧  
 عبدالله بن يزيد ١٢٦٦٩٣  
 عبدالله النديم ٣٨٣  
 عبد الحميد (الاصغر) ١٥٤  
 عبد الحميد الاول ٢٣٩  
 عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) ٦٨٨٦٨٧  
 ٦١٤٠٦١٣٨٦١٣٦٦١٣٥٦٩٨  
 ٦١٥٨٦١٥٦٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣  
 ٣٧٢٦١٨٦٦١٦٨٦١٦٣٦١٥٩  
 عبد الرحمن ٥٢٦٢٨  
 عبد الرحمن بن دوست ٣٨٤  
 عبد الرحمن بن علي البزدادي ٢٢١  
 عبد الرحيم ٣٧٢  
 عبد الرحيم (بن شيث) ٢٢٣٦١٥٠  
 العبرانية ٤٠٧  
 عبس ٣١

الطوائف (ملوك) ٣٤١  
 الطور ٣٦٨٦٢  
 طورسينين ٤٤٦٣  
 الطوفان ٣٦٣  
 طي ٢٣

مرف الظاء

الظافر ٣٠٠  
 الظاهر (بيبرس) ٢٣٤٦٢٢٦  
 الظاهر (بن الخافظ) ٢٩٩  
 ظاهر العمر (ضاهر) ٢٤٤٦٢٤٠٦٢٣٦

مرف العين

عائشة ٩٢٦٦١٦٦٠  
 عاد ٩٥  
 العادل (الملك) ٣٠٠  
 عاصم ٥١  
 العالم العربي ٤٠٧  
 عامر بن الظرب ٨٥٦٥  
 العامري ٣٣٢  
 العاملي ٢٣٥  
 عانة ٤٠٩  
 عبادة الصامت ٩١  
 العباسية (البيت. الدولة) ٨٨٦٥٥٦٤  
 ٢٣٤٦٢١٦٦١٤٤٦١٣٦٦١٣٤  
 ٢٩٠٦٢٨٥  
 العباسي (العصر) ١٣٥٦٩٨٦٦٢٦٨٦٦  
 ٣٣٧٦٢٣٣٦٢٢٥٦٢٢١

العززي (كتاب) ٣٠	٣٦٥٦٢٣٦ عبد الغني التابلسي
عسقلان ٢٩٩	٩٩٦٩٤٦٩٣٦٨٨ عبد الملك بن مروان
العسكري (ابو هلال) ٨٩٦٧٤٦٤٠	١١٣٦١١٢٦١٠٧٦١٠٦٦١٠٠
٢١٩٦٢٠٧٦١٥٥٦١٤٠٦١٣٨٦٩٤	١٥٤٦١٢٧
٢٦١٦٢٢٠	٩٤٦٩٣٦٩٠ عتبة
عصام ٨٥٦٧٥	٢٥٢٦٢٢٩ العتيبي
عضد الدولة ٢٨٩٦٢٨٧٦٢٧٩٦٢٧٢	٩٤٦٢٩٦٢٨٦٢٧٦٩٣ عثمان بن عفان
عطارد ٢١٤	٣٤٣٦١١٧٦١١١٦٩٧
عكاظ ١٦	عثمان باشا ٢٤٤
العقد الفريد ١٩٦١٨٦١٦٦١١٦١٠	عثمان شاه ٢٣٩
٦١٠٧٦١٠٦٦١٠٠٦٩٢٦٨٩٦٢٣	العثماني (عصر . دستور . دولة) ٦٢٢٨
٦١٥٤٦١١٥٦١١٣٦١١٢٦١٠٩	٣٧٤٦٣٥٩٦٣٣٧٦٢٥٢٦٢٣٧٦٣٣٥
٣٧٨٦٣٧٦٢٣٣٦١٨٥٦١٥٥	عجائب المقدور (كتاب) ٢٣٥
العكبري ٤٠٧	العجم ٣٠٢٦١٦٤
عكرمة ٣٣	عدي ١٣٨
العلاء بن الحضرمي ١٥	العذام ٤
العلاء بن وهب ١٥٣	عذرة ٣٢٦٢٣
العلق (سورة) ١٠	العراق ٦١٢١٦١١٤٦١١٢٦٩٣٦٨
علقمة بن علاثة ١٣	٢٨٥٦٢٨٠٦٢٧٨٦٢٧٧٦١٢٧٦١٢٥
العلويون ٥٥	العرب (شعب . امة . لغة) ٦٦٩٦١٤
علي بن ابي طالب ٥٦٦٢٩٦٢٧٦١١	١٦٤٦١٥٩٦١٥٥٦١٢٠٦٧٧٦٧٤
١٠٤٦١٠٣٦١٠٠٦٩٧٦٩٢٦٧١	٦٢٠٦٦١٩٨٦١٨١٦١٧٧٦١٧٦
١١٤٦١١١٦١١٠٦١٠٩٦١٠٥	٣٧٩٦٣٠٢٦٢٢٦٦٢٢١
٢١٢٦١٩٣٦١٢٠	عرقوب ٧٨
علي بن احمد ٢٩٦	عروس (شخص) ٨٦
علي بن خالد الاسواري ١٩٥	عز الدولة البويهبي ٦٢٨٥٦٢٨٣٦٢٨١
علي بن عبد العزيز الجرجاني ٢٠٣	٢٩٠٦٢٨٩٦٢٨٧
علي بن عرس الموصلبي ٣٩٦	العزير ٣٤٠

عيسى بن هشام ٣٩٤ ٦٣٩٣٦ ٣٨٤  
٣٩٧

عيون الاخبار (كتاب) ٣٧٧

## مرف الغيب

غالب ٢٤٨

غامد ١٠٩

غور الخصائص (كتاب) ٢٣٤

غورناطة ٣١٩٦٣١٧٦٣١٤٦٣١٣٦٢٥٢

٣٣٠٦٣٢١

غزة ٢٤٣

غزنة ٣٨٩٦ ٢١٥

غسان ١٢٦

الغلاة (فرقة) ٥٢

الغوير ٧٨

الغيث المنسجم (كتاب) ٤٥

غيلان الدمشقي ١٩٥

## مرف الفاء

الفاتحة (سورة) ٣٤

فارس (بلد قوم لغة) ٦١٥٣٦٦٧٦٨

٢٥٢٦١٥٩ ٦١٥٨٦١٥٦٦ ١٥٥

٣٩٠٦٣١٩٦ ٣٠٧٦٢٧٩

فاس ٣٢٨

الفارض (ابن كتاب) ٢٣٥

الفاضل (القاضي) ٢٦٤٦٢٥٢٦ ٢٣٤

٣٠٢٦٣٠١٦٣٠٠٦٢٩٩٦٢٩١

٦٣٢٥٦٣٠٩٦٣٠٧٦٣٠٦٦٣٠٤

٣٥٩٦ ٣٥٥

علي بن محمد التوحيدى ١٣

عليكا بن احمد ٢٩٨

عماد الدين الاصفهاني ٢٦٤٦٢٥٢٦٢٢٩

٣٣٦٦٣٠٢٦٣٠١٦٢٩١

عمارة ٣٣

عمان ٤١٠٦٢٤٦٦٢٤٤٦٣١٦٢١٦١٤

عمر ٣٧٧٦٢٠٤

عمر بن الخطاب (الفاروق) ٩٧٦٩٦٦٢٨

١٨٨٦١٧٧٦١٢٠٦١٠٤٦١٠٣

٢٠٠

عمر بن عبدالعزيز ١٥٤٦٨٧

عمر بن هبيدة ١٢٧

عمر بن الوردي ٢٣٤

عمرو ٤٠٠٦٣٧١٦٣٤٢٦٣٠١

عمرو بن سعيد ١١٧

عمرو بن العاص ١١٤٦٩٦٦٩٥٦٩٤

١٢٥٦١٢٤٦١٢٠

عمرو بن عبيد ١٩٥

عمرو بن العلاء ٣٧٩

عمرو بن مسعدة ١٣٧

العناية ٢٤٣

عنوان المرقات والمطربات (كتاب)

٢٧١٦٢٦٢

العواصم ١٣٨٦١٣٧

عوج بن عناق ٥٧

عيسى ٦٦٦٥٧

عيسى اسكندر معلوف ٣٥٩

عيسى بن ماهان ٢٣١٦١٣٧

- ٢٣٥٦٧٩ (كتاب) فاكهة الخلفاء  
 القاسم بن عبيدالله ٤٠٢  
 الفتح بن خاقان ٢٢٩  
 القالي ١٤٣٦٩٦٦٥٦٢  
 الفتح القسي (كتاب) ٣٣٦  
 القاهرة ٣٤٣٦٣١٩  
 الفجار (عام) ٣٢٦٦١٠  
 القبط ٤٠١  
 الفجر (سورة) ٣  
 قبجي باشي ٢٣٨  
 فخر الدين المعني ٢٤٤  
 قبوجيلار احمد هاشم ٢٤٤  
 الفخري (كتاب) ٣٧٧٦٢٣٤  
 قتيبة بن مسلم ١١٤٦٩١  
 الفرات ٤٠٠٦٣٠٧  
 قدامة ٣٧٥٦٢٢١  
 الفرزدق ٣٥٥٦٩٩٦٧٨  
 القدسية ٦٤٦٥٩٦٥٥  
 فرعون ٤٥  
 القدس ١١٦٣١٠٦٣٠٩٦٣٠٥  
 فرغانة ٤٠٩  
 القرآن ٢٩٦٢٧٦١٠٩٦٨٦٧٦٦٥٦٢  
 الفرقان (سورة) ١٠  
 ٦٢٦٦٠٦٥٧٦٥٦٦٥٥٦٣٣٦٣٠  
 الفرقدان ٤٠٠٦٣٦٠  
 ١٤٨٦١٣٠٦١١٤٦٧٥٩٦٨٦٦٣  
 الفرنج ٢٢٦  
 ٢٢١٦٢٣٠٦١٨٤٦١٨١٦١٥٨  
 فرنسا (الفرنس) ٢٤٧٦٢٤٦٦٢٤٤  
 ٢٩٩٦٢٩١٦٢٨٤٦٢٥٨٦٢٣٢  
 فريد الخازن ٢٣٦  
 ٣٩٧٦٣٧١٦٣٢٨  
 فصلت (سورة) ٤٤٦٣٣  
 قرطبة ٣٣٢٦٣١٩  
 قريش ٣٥٦٣٠٦٢٤٦١٤٦١٣٦١١٦٩٦٨  
 الفهرست (كتاب) ٦٥١٦٢٨٦٢٧  
 ٤٧٦٤٦٦٤٥٥٤٣٦٤١٦٤٠٦٣٦  
 ١٥٩٦١٥٦٦١٥٥٦١٥٣  
 ٨٨٦٧١٦٦٨٦٦٧٦٥٠٦٤٩٦٤٨  
 فواد بستاني ٢٣٦  
 ١١٠٦١٠٩٦١٠٠٦٩٧٦٩٣٦٨٩  
 الفيل (عام) ١٠  
 ١٩٩٦١١٤  
 فيليب الخازن ٢٤٩٦٢٣٦  
 قايوس (بن وشمكير) ٢٥٢٦٢٢١  
 ٢٦٤٦٢٦١  
 قس بن ساعدة ٣٥٥٦٣٠١٦٥  
 القادرية ٢٤٣  
 قسطنطين زريق ١١  
 قنم (بلدة) ٢٥٣  
 القصص (سورة) ٣٤  
 قارظان ٨٠  
 قصير ٤٠٠٦٨٥  
 قزاعي ٢٣  
 قارون ٣٤١  
 القاسم بن جزيال ٣٨٢

٧٨٤٥	كعب بن لؤي	١٢٨٦١٢٣٦١٢٢	قطري بن الفجاءة
٣٥٤	كعب بن زهير		قطن بن حارثة ١٨
٥٨	كعب الاحبار		القفطي ٢٨١٦٢٧٥
٣٢٨٦٣٢٣	الكعبة (البيت)		قلائد العقيان (كتاب) ٢٢٩
١٢٦	كلاج (ذو)	١٣٩٦٨٨٦٨٧٦٥٠٦٢٤	القلقشندي
١٠٩٦١٨	كلب (بنو)	٢٣٥٦٢٣٣٦٢٢٥٦٢٢١٦١٦١	
٨٠	كليب بن وائل	٣٧٥٦٣٥٣٦٣٥٠٦٣٤٨٦٣٤٣	
٢٢١	كمال البلاغة		القلم (سورة) ١٠
٧٨	الكميت		القيامة ٧٠
١٧٦٦٣١٦١٨	كنانة		قيس ٣٠١
١٢٦٦٣٢	كندة		قيس (آل) ٣٢٦٢٦
٣٣٩	الكندي		قيس بن زهير ١٩٢
٦١	كنز العمال (كتاب)		قيصر ٣٤١
٢٢٠	الكلبان		
٤٧٦٣٥٦٣٤	الكهف (سورة)		
١١٢٦١١٦٦١١٢٦٧٨	الكوفة		
٣٣٨	الكوفي		
٣٦٠	كليون		
	<b>مرف اللام</b>		
	اللات ١٥		
	اللاتينية ٤٠٧		
	لامية العجم ٣٥٦		
٣٧٢	لحن الخواص (كتاب)		
١٠٩٦٣٢	لخم		
١١	لقمان (سورة)		
١٨٣	لقمان بن عاد		
٣١٩	المحجة البدرية (كتاب)		
٣١٣	لوشة		
			<b>مرف الطاف</b>
		١٠٠٦٩٧٦٩٣٦٩١	الكمال (كتاب)
		١٢٥	
		٢٠٤	كثير
		٣٢٦	الكديد (يوم)
		٣٨٢	كربلاء
		٣٩٤	الكرخ
		٤٠٠٦٢٧٥	كرمان
		٣٤١٦٦٣٣٢٦٣٢٣٦٢١٦٥	كسرى
		٣٤٧	
		٨٢	الكسي
		٢٨	الكشاف (كتاب)
		٢٣٥	كشف الظنون
		٢٣٥	الكشكول

مجموعة الآثار الفكرية ٣٨٣  
 مجموع ارشادات (كتاب) ٣٥٩  
 مجمع الامثال (كتاب) ٧٤  
 مجنون بني عامر ٢٦٣  
 مجوس ٥٩  
 المحاسن والاضداد (كتاب) ٢٠٠  
 المحبي ٢٣٦  
 محرق ٣٤٢  
 المحسن (شخص) ٢٧٥  
 محمد الاول (العثماني) ٢٣٥  
 محمد بن ابراهيم الدمشقي ٣٨٢  
 محمد بن ابي بكر ١٢٠  
 محمد بن شعاعة ١٤٣  
 محمد بن الحسن بن دريد ٣٧٨  
 محمد بن عبد الملك الزيات ١٣٧  
 محمد بن يحيى الصولي ٢٠٢  
 محمد ١١٣  
 محمد (النبى . الرسول . رسول الله . الملة)  
 ١٣٦١٢٦١١٦١٠٦٨٦٧٦٥٦٣٦٢٦١  
 ٢٠٦١٩٦١٨٦١٧٦١٦٦١٥٦١٤  
 ٦٣٦٦٢٧٦٢٦٦٢٤٦٢٣٦٢٢٦٢١  
 ٦٥٥٦٥٤٦٥٢٦٥١٦٥٠٦٤٨  
 ٦٤٦٦٢٦٦١٦٦٠٥٩٦٥٨٦٥٧٦٥٦  
 ٧٢٦٧١٦٧٠٦٦٩٦٦٨٦٧٦٦٦٦٥  
 ٦١٠٧٦١٠٤٦٩٧٦٩٤٦٩٣٦٩١  
 ٢٤٦٦٢٤٣٦٢٤٢٦٢٢٠٦٢٠٠  
 ٣٩١٦٣٤٩٦٣٤٨٦٢٨٥٦٢٨٤  
 ٣٩٨

لوزي ٢٤٥  
 لويس الرابع عشر ٢٤٤  
 لويس السادس عشر ٢٤٦  
 ليالي سطيح ٣٨٣  
 ليبسك ٤٠٤  
 الليث بن رقية ١٥٤  
 ليدن ٣٢٧

مرف الميم

مارية ٣٤٢  
 مالك ٥٢٦٥١٦١٨٦١٧  
 مالك (بن جني) ٨٤  
 مالك بن عمر (السيباني) ٧٤  
 المأمون ٢٣١٦١٤٢٦١٣٧٦١٣٦  
 مباحج الفكر (كتاب) ٢٣٤  
 المبرد ١٠٠٦٩٦٦٩٣٦٩٠٦٨٨٦٥٥  
 ١٠٩  
 المنتبي ٢٦٠٦٢٥٩٦٢١٣٦٢٠٦٦٢٠٥  
 ٤٠٧٦٣٥٥٦٣٤١٦٢٧٨٦٢٧٧  
 المتوكل ١٨٧٦١٤٥٦١٤٤  
 مثالب الوزيرين (كتاب) ٢٥٤  
 المثل السائر (كتاب) ١٣٩٦١٣٧٦٨٨  
 ٦٢٨٦٦٢٨٥٦٢٣١٦٢٢٠٦١٥٠  
 ٣٥٤٦٣٠٦٦٢٨٧  
 مجاني الادب (كتاب) ١٣٠  
 مجاهد ٣٣  
 مجلة البطريركية السورية ٢٤٤٦٢٣٦  
 مجمع البحرين (كتاب) ٣٨٢  
 المجمع العلمي العربي (مجلة) ١٨٥٦١٥٨

- مروج الذهب (كتاب) ١٧٧٤١٥٥  
 المزاريب (مكان) ٣٦٣  
 المزمّل (سورة) ٣٥  
 المزهر (كتاب) ٧٤٦٣٣  
 مزينة ٣٢٦١٨  
 مسالك الممالك (كتاب) ١٥٣  
 المسامير (كتاب) ٣٨٣  
 المستضيء ٣٠٧  
 المستكفي ٣٤٠  
 المستنصر ٣٣٢٦٣٢٣٦٣٠  
 السعودي ٣٧٧٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣  
 مسقط (بلدة) ٢٤٧  
 مسكويه ٢٦٠٦٢٥٩٦٢٥٧٦٢٥٦٢٥٣  
 مسلم (شخص - صحيح) ٦٥٢٦٥١  
 ٦٩٦٦٧٦٦٦٦٥٦٦٤٦٦٣٦٦١  
 ٧٣٦٧٢  
 مسلم بن عقبة ١٢١  
 المسلمون ٦٧٣٦٧١٦٧٠٦٦٨٦٥٥٦٥٢  
 ٦١٤٥٦١٢٧٦١٢٠٦١١٩٦٩٣٦٩٢  
 ٣٦٤٦٣٢٣٦٢٩٤٦٢٨٤٦٢٢٦٦٢٠٩  
 المسيح (المسيحيون) ٤٠٠٦٢٣٩٦٦٨  
 مسيلمة ٢٥  
 مشان (بلدة) ٤٠٣  
 المشتري (نجم) ١٩٢  
 المشرق ٣١٩٦٢٧٩  
 مصر ٢٣٥٦٢٣٤٦١٢٥٦٩٤٦٩٣٦٥٨  
 ٢٥٢٦٢٤٩٦٢٤٨٦٢٤٤٦٢٤٣٦٢٤٢  
 ٤٠٤٦٣٣٠٦٣٠٠٦٢٩٩  
 محمد توفيق باشا ٢٥٠  
 محمد (السلطان) ٣١٧٦٣١٤  
 محمد كرد علي ١٨٥٦١٥٨  
 محمد عبده ٣٦٩٦٥٢  
 محمد بن المكرم ٢٢٦  
 محي الدين بن عبد الظاهر ٢٣٤  
 محي الدين (ابو الفضل يحيى) ٣٤٣  
 مخائيل الصباغ ٢٤٤٦٢٣٦  
 مخارق ١٩٢  
 مختار الدين ٣٠٩  
 المدثر (سورة) ٣٤  
 المدرسة البطريركية ٣٦٨  
 المدينة ١٠٩٦٩٥٦٦٩٦٣٥٦١٦٦٨  
 ١٣٠٦١٢٠  
 مذبح ٣٢  
 مرآة الزمان (كتاب) ٣٠١٦٣٠٠  
 المرادي ٢٣٦٦٢٢٩  
 مراکش ٢٤٦٦٢٤٥٦٢٤٤  
 المرید ١٧٦  
 مرّة ١٣٨  
 مرثد الخير ٣٧٩  
 مرحب (آل) ٢٦٦٢٥  
 المرسلات (سورة) ٣٧  
 مرغوليوث ٤٠٨  
 مروان ٩٢  
 مروان بن الحكم ٩٢٦٨٨٦٧٨  
 مروان بن عبد الحميد ١٥٣  
 مروان بن محمد ١٦٨٦١٥٤٦٨٧



- ١٤ المغيرة  
 مفتاح السعادة (كتاب) ٣٥٦٣٠٦٢٩  
 ٣٠٠٦٢٣٥٦٥٢٦٥١٦٤٣٦٤١  
 المفردات (كتاب) ٣٠  
 المقابسات (كتاب) ٢١١٦٢٠٩٦١٠٤  
 المقتبس ١٥٠  
 المقتطف ٣٧٨  
 المقتفي ٤٠٣  
 مقدمة ابن خلدون ٢٢٧٦٥١٦٢٩  
 المقر الزيني الظاهري ٣٤٨  
 المقرّي ٣٢٠٦٣١٨٦٣١٧٦٣١٥٦٢٣٥  
 ٣٢٧  
 المقطم ٣٠٠  
 مقنا ٢٥  
 مكة ٣٨٦٣٥٦١٦٦١٢٦١١٦٨٦٥  
 ٤٠١٦٢٤٨٦٢٤٤٦١٢٠  
 مكحول ٦٠  
 ملحة الاعراب (كتاب) ٤٠٤  
 ملقى السبيل (رسالة) ٣٤٠  
 منى (مكان) ٣٨٥  
 المنار (مجلة) ٥٦٦٥٣٦٥٢٦٥١  
 المنذر بن ساوى ٨٥٦١٥  
 المنصور (قلاوون) ٣٥١٦٢٢٦  
 المنصور (احمد بن الناصر) ٣٣٠٦٣٠٠  
 المنيع (رسالة) ٣٤٠  
 المهاجرون ١٣٠٦١٠٤  
 المهرجان ٣٦٩٦١٢٧  
 المهلب ٣٢١٦١٢٣٦١١٢٦٩٨٦٥٥
- مصطفي (الرافعي) ٣٧٨  
 مصطفي (السلطان) ٢٣٩٦٢٣٧  
 مضر ١٢٧٦٦٣٦٦٠٦٤  
 المطرزي ٤٠٧  
 المطفون (سورة) ٣٥  
 المطيبون (جماعة) ١٢  
 المطيع لله ٢٨٣٦٢٧٦  
 معاذ ٢٧  
 المعارج (سورة) ٣٥  
 معالم الكتابة (كتاب) ٢٣٣٦٢٢٣  
 معاوية ٦١٠٠٦٩٧٦٩٢٦٨٩٦٨٨٦٢٦  
 ١٢٢٦١٢١٦١١٧٦١٠٩٦١٠٢٦١٠١  
 ١٢٦٦١٢٥٦١٢٤  
 معبد الجيني ١٩٥  
 المعتزلة (معتزلي) ٣٩٧٦١٧٨٦٥٥  
 المعتصم ١٤٥  
 معجم الادباء ٦٢٥٤٦١٧٨٦١٧٧٦١٧٦  
 ٦٢٨١٦٢٨٠٦٢٧٨٦٢٧٦٦٢٧٤  
 ٦٤٠٤٦٣٨٩٦٣٨٨٦٣٨٤٦٢٨٢  
 ٤٠٨٦٤٠٦٦٤٠٥  
 المعراج (سورة) ٣٧  
 المغرب (كتاب) ٣٥٦٣٤  
 المعري ٢٦٤  
 معز الدولة ٢٩٥٦٢٧٥  
 المعيدي ٣٤١٦٨٤٩٧٧  
 المغرب ٣٣٠٦٣١٩٦٣١٨٦٣١٧٦٣١٥  
 ٣٣١  
 المغولي (العصر) ٢٣٤

٣٥٦٦٣٥٥ (كتاب) نسيم الصبا	٢٧٨٦٢٧٦٦٢٧٥٦٢٦٠٦١٠٣ الملهي
٣٦٨ النشرة	٢٨٢٦٢٨١٦٢٧٩
٢٠٣ نصر	٢٣٣ مواد البيان (كتاب)
٣٢٧٦٢٤٥٦٦٨ (النصارى) النصرانية	٩٥ مورتز (مصور)
٢٠٤ نصيب	٦٦٦٥٦٦٤٤٤٤ موسى
١٩٢٦١٧٧٦١٧٦ النظام	٥٣٦٥١ الموضوعات (كتاب)
٣٤٢ العامة	٦١٦٥١٦١ الموطا (كتاب)
٨٥ النعمان	٢٩٩ الموفق بن الخلال
٢٣٧ نعان باشا	٣٨٣٦٣٧٠ الموبلحي (ابراهيم)
٢٥٦١١ نعيم	٣٦٣ الميثاق
٣١٩ نفاضة الجراب (كتاب)	٣٧٩ ميشم ابن شوب
٣١٤٦٣١٣٦٢٣٥ (كتاب) قحح الطيب	٨٠٦٧٩٦٧٨٦٧٧٦٧٦٧٤ الميداني
٣٢٠٦٣١٩٦٣١٨٦٣١٧٦٣١٥	
٣٣٠٦٣٢٨٦٣٢٧٦٣٢٥	
٣٣٦ نفاضة الريحانة (كتاب)	
٣٨٢ نقولا الترك	
٧ نكلسون	
٧٩٦٧٨ النمر	
٣٣٨ نمير	
٦١٠٣٦٧٣٦٣ (كتاب) نهاية الارب	
١٣٨٦١٢٩٦١٢٨٦١١٤	
١١١٦١٠٣٦١٠٠ نهج البلاغة	
٤٠٠٦٣٠٧٦٣٠٣٦٩٤ النوبة	
٦٦ نوح	
٤٧٦٣٥٦٨ (سورة) النور	
٤٩٦٤٨٦٢٩ نولدكي	
١١٤٦١٠٤ النويري	
٣٦٩٦١٢٧ النيروز	
	٨٠٦٧٥ التابعة
	٣ الناس (سورة)
	٥٦ الناصح الامين
	٣١٠ الناصر (الخليفة)
	٣٥١ الملك
	٢٨٢٦٣٦٧ ناصيف اليازجي
	٣٩٤٦٣٧٨٦٢٦٢ النثر الفني (كتاب)
	٣٩٨
	٢١ النجاشي
	٣٨٥٦٢٤ نجد
	٢٠ نجران
	٩ النحل (سورة)
	٣٤ النساء (سورة)
	٦١ النسائي
	٤٠٠٦٣٦٠ النسران (نجم)

## عرف النون



يعلى بن هزال ٣٨١	يزيد بن اسد ١٢٦
يمامة ٣٣٦٢١٦١٤	يزيد بن عبدالله ٣٧٦
اليمن (يماني) ٦٨ ٦٢٤ ٦٦٠ ٦٦٣ ٦١٢٠	يزيد بن مروان ٩٢
٤٠١٦١٩٣٦١٢٦	يزيد بن معاوية ٦٨٩ ٦٩٥ ١٠١٦١٠٠
اليحيى ٢٢٩	١٢١٦١١٧٦١٠٩٦١٠٢
اليهود ٦٨	يزيد بن الوليد ١١٨٦٨٧
يوسف ٣٤٠٦٥٩٦٥٨	يس (سورة) ٩
يوسف (سورة) ٢٩	يعقوب ٥٩٦٥٨٦١٥
يونس (سورة) ٩	اليعقوبي ١٥٣

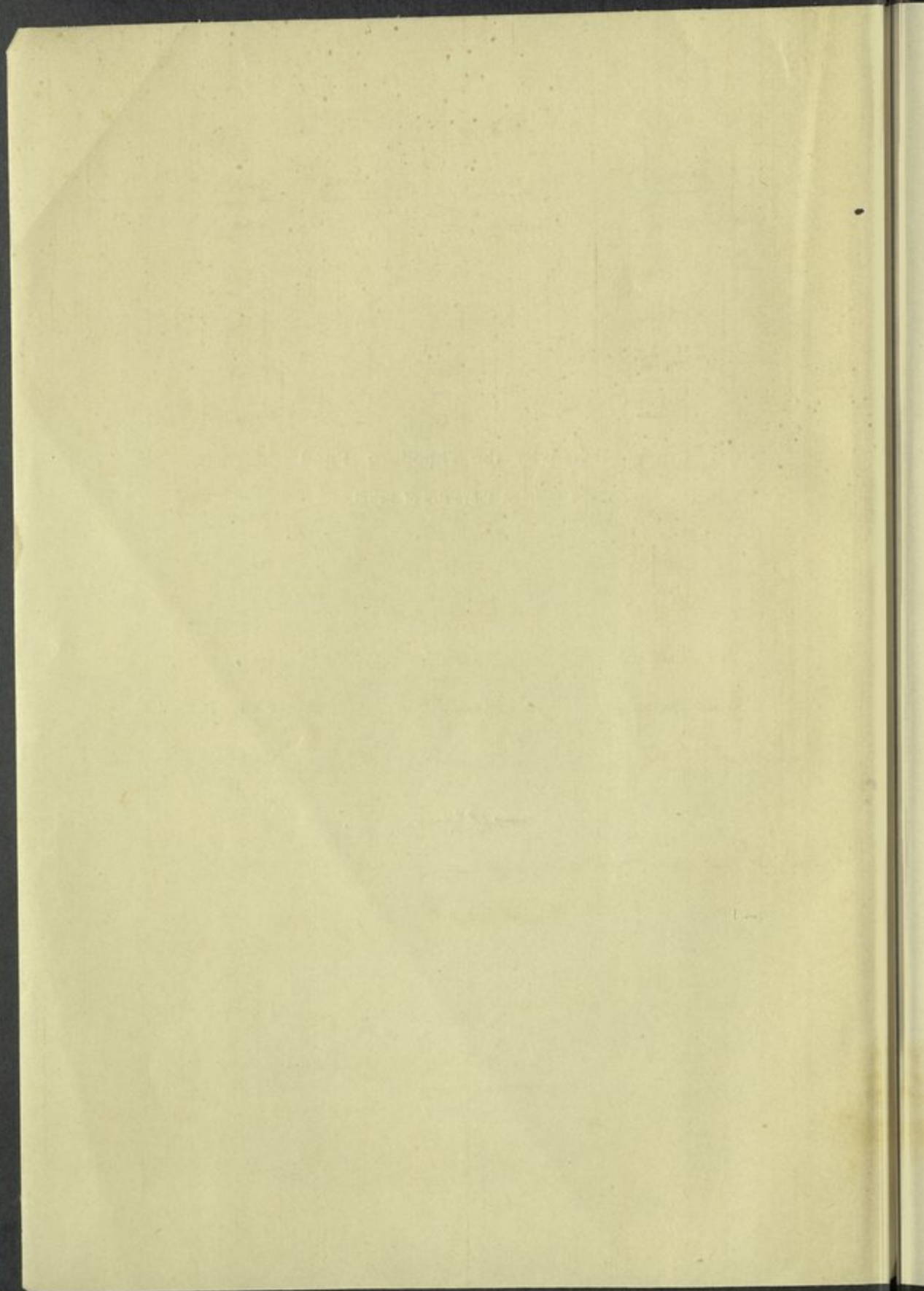


## اصلاح خطأ

برغم ما بذل من الجهد في مراجعة الاصول المطبعية لم تغل هذه الطبعة من اغلاط قليلة بالنسبة الى حجم الكتاب. وما نحن نشير الى المهم منها:

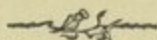
صوابه	الخطأ	السطر	الصفحة
رسول الله	رسول	٨	٢٦
في المدينة	في المدينة	٧	٣٨
لمن	لما	١٠	٤١
الى احد الصحابة	الى الصحابة	١٣	٥٤
كتب الى الحجاج	كتب الحجاج	١٩	١٠٦
والي العراق	والي الراق	٧	١٢٥
سنة ١١٩	سنة ١٦٩	٨	١٢٥
جنب	جنيب	٩	١٣٨
معدنه	معدته	١٥	١٤٢
يرحلون	يزحلون	١	١٤٣
يكره تأخيره	يكره تاخير	٨	١٥٧
معجم الادباء	معجم البلدان	٢٢	١٧٧
ان تعرفني	ان تعرفني	٩	١٧٨
السمسم	السمم	١٥	١٨٥
بني عن	بني عن	١٩	٢٠٧
المخلخل	المخلجل	٢٢	٢٢٢





Published by the Theodore Fund

The American University of Beirut





# DEVELOPMENT OF ARABIC PROSE

A Critical Presentation of the Different Arabic  
Styles, Tracing their Historical Changes from  
the Rise of Islam to the Present Time

BY

**ANIS E. KHURI M. A.**

(AL MAKDISI)

Professor of Arabic Literature  
THE AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

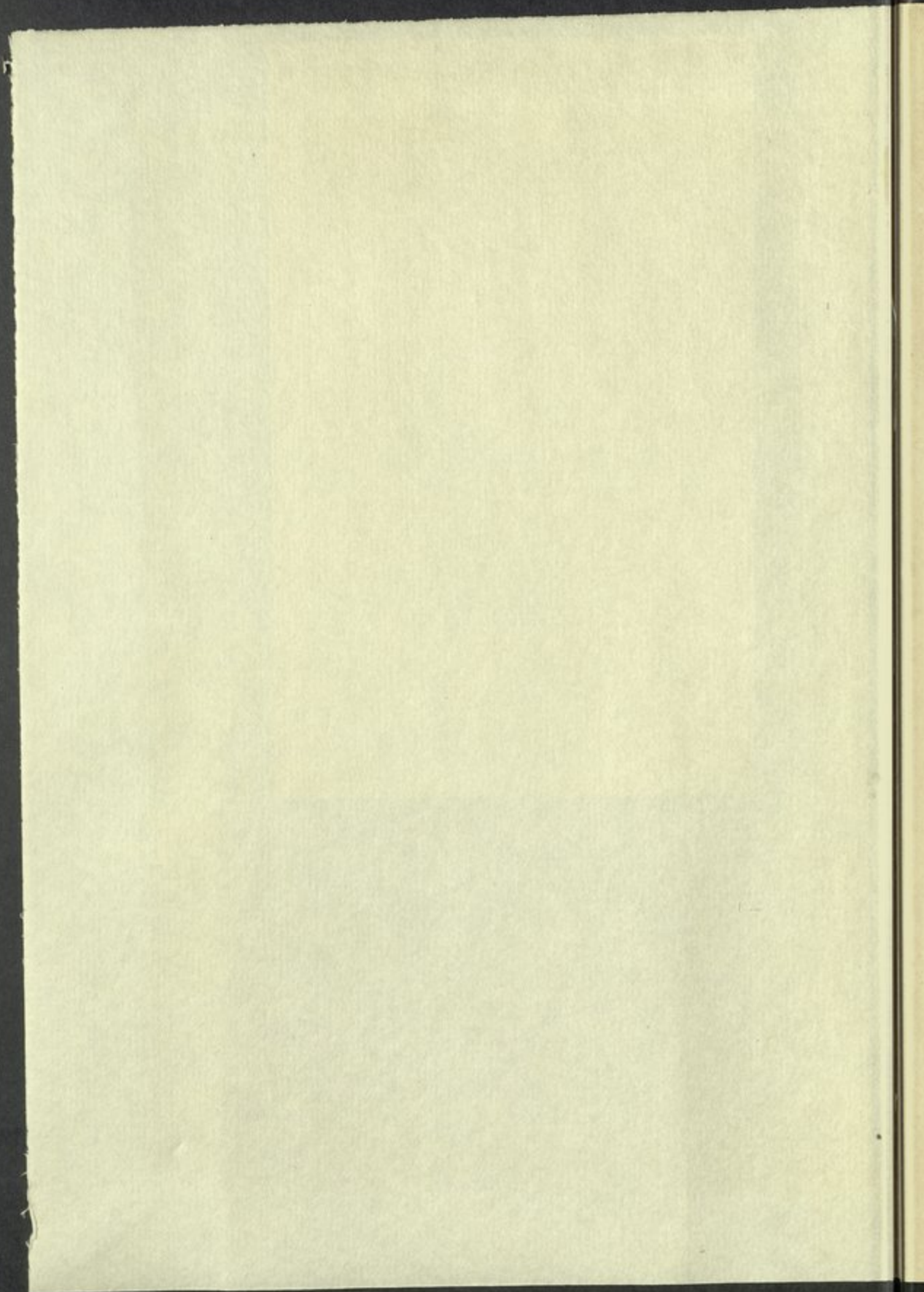
Vol 1



Sarkis Press - Beirut

1936





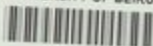


A. U. B. LIBRARY

CA:AUB:892.7408:M23A:v.1:c.2

المقدسي، أنيس الخوري  
تطور الاساليب النظرية في الادب العربي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



0106657

CA:AUB:892.7408:M23A

v.1x.2

المقدسي •

تطور الاساليب النظرية في الادب العربي •

DATE	Borrower's	DATE	Borrower's
------	------------	------	------------

CA  
AUB  
892.7408  
M23A  
v.1  
c.2

